

شرح اصول الكافي

لمؤلفه

صدر الدين محمد بن ابراهيم شيرازي

كتاب التوحيد
«القسم الاول»

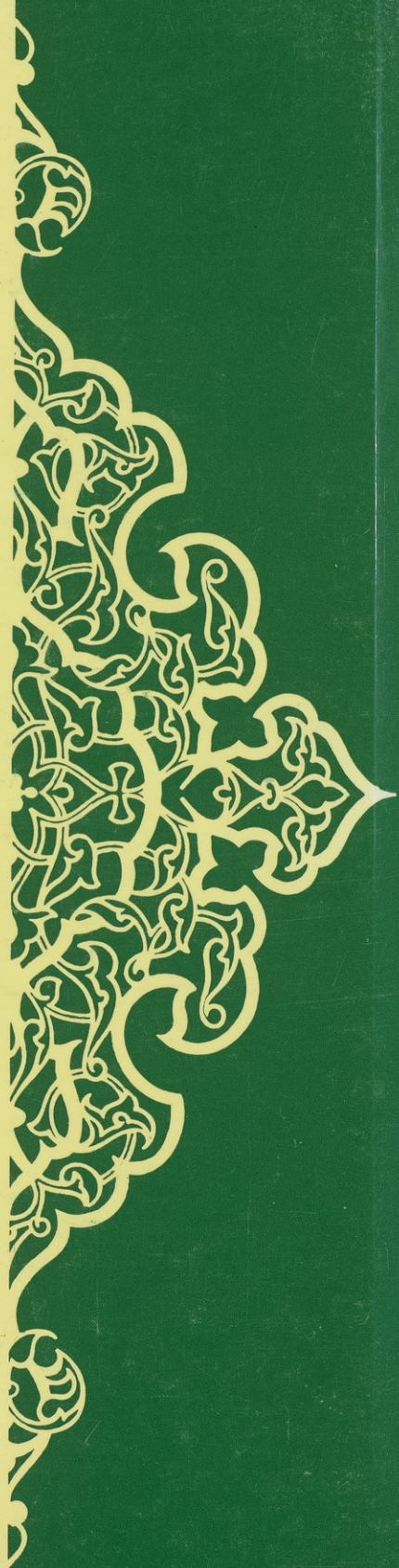
مع تعليقات للمولى على النوري

عني بمصححه

محمد خواجوي



مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL

32101 022126104

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح اصول الكافي

لمؤلفه

صدر الدين محمد بن ابراهيم سمرقندي

كتاب التوحيد
«القسم الاول»

مع تعليقات للمولى على النورى

عنى بصححه

محمد خواجهوى



مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگى

تهران : ۱۳۷۰

۲۲۷۱
. 518
۱, 895
jild 3

مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی
وابسته به

وزارت فرهنگ و آموزش عالی

شرح اصول الکافی (کتاب التوحید)

شماره: ۶۳۶

مترجم: محمد خواجوی

تیراژ: ۱۵۰۰ نسخه

تاریخ انتشار: ۱۳۷۰

نوبت چاپ: چاپ اول

چاپ: چاپخانه شرکت انتشارات علمی و فرهنگی

بها: با جلد شمیم ۲۰۰۰ ریال، با جلد گالینگور ۲۴۰۰ ریال.

حق چاپ برای ناشر محفوظ است

صدرالدین شیرازی، محمدبن ابراهیم، ۱۰۵۰ ق.

شرح اصول الکافی /

ج.

۱. احادیث شیعه. الف، کلینی، محمدبن یعقوب، - ۳۲۹ ق.

اصول الکافی. شرح. ب. خواجوی، محمد ویرایشگر. ج.

مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی. د. عنوان

۲۹۷/۲۱۲

BP۱۲۹/۵۰۸



فهرس المطالب

١	مقدمة الشارح
	باب حدوث العالم وهو الباب الاول
٥	الحديث الأول
١٥	عقدة وحل
١٥	الحديث الثاني
٢٠	انارة كشفية
٢٣	الحديث الثالث
٢٨	الحديث الرابع
٣٤	الحديث الخامس
٤١	الحديث السادس
	باب اطلاق القول بأنه شيء وهو الباب الثاني
٤٢	الحديث الأول
٤٤	الحديث الثاني
٤٥	الحديث الثالث
٤٧	الحديث الرابع
٤٩	الحديث الخامس
٥٠	الحديث السادس

- ٦٠ الحديث السابع
باب انه لا يعرف إلا به وهو الباب الثالث
- ٦٠ الحديث الأول
- ٦٣ الحديث الثاني
- ٦٦ الحديث الثالث
باب ادنى المعرفة وهو الباب الرابع
- ٦٧ الحديث الأول
- ٦٩ الحديث الثاني
- ٧١ الحديث الثالث
باب المعبود وهو الباب الخامس
- ٧١ الحديث الأول
- ٧٤ الحديث الثاني
- ٨٢ الحديث الثالث
باب الكون والمكان وهو الباب السادس
- ٨٣ الحديث الأول
- ٨٤ الحديث الثاني
- ٨٦ الحديث الثالث
- ٩١ الحديث الرابع
- ٩٣ الحديث الخامس
- ٩٩ الحديث السادس
- ١٠١ الحديث السابع
- ١٠٢ الحديث الثامن
باب النسبة وهو الباب السابع
- ١٠٣ الحديث الأول
- ١٠٤ الحديث الثاني
- ١٠٩ الحديث الثالث

۱۲۶	الحديث الرابع
	باب النهي عن الكلام في الكيفية وهو الباب الثامن
۱۲۷	الحديث الأول
۱۲۸	الحديث الثاني
۱۲۹	الحديث الثالث
۱۲۹	الحديث الرابع
۱۳۱	الحديث الخامس
۱۳۳	الحديث السادس
۱۳۴	الحديث السابع
۱۳۵	الحديث الثامن
۱۳۵	الحديث التاسع
۱۳۶	الحديث العاشر
	باب ابطال الرؤية وهو الباب التاسع
۱۳۷	الحديث الأول
۱۳۸	الحديث الثاني
۱۴۲	الحديث الثالث
۱۴۷	الحديث الرابع
۱۵۹	الحديث الخامس
۱۶۶	الحديث السادس
۱۶۶	الحديث السابع
۱۶۸	الحديث الثامن
۱۷۰	الحديث التاسع
۱۷۱	الحديث العاشر
۱۷۲	الحديث الحادي عشر
۱۷۳	الحديث الثاني عشر
	باب في النهي عن الصفة ... وهو الباب العاشر

١٧٧	الحديث الأول
١٧٩	الحديث الثاني
١٨٠	الحديث الثالث
١٨٣	الحديث الرابع
١٨٤	الحديث الخامس
١٨٦	الحديث السادس
١٨٧	الحديث السابع
١٨٧	الحديث الثامن
١٨٨	الحديث التاسع
١٨٨	الحديث العاشر
١٨٩	الحديث الحادي عشر
١٩٠	الحديث الثاني عشر
	باب النهي عن الجسم والصورة وهو الباب الحادي عشر
١٩٣	الحديث الأول
١٩٥	الحديث الثاني
١٩٦	الحديث الثالث
١٩٨	الحديث الرابع
٢٠٠	الحديث الخامس
٢٠٠	الحديث السادس
٢٠٤	الحديث السابع
٢٠٥	الحديث الثامن
٢٠٥	تحقيق عرشي
	باب صفات الذات وهو الباب الثاني عشر
٢٠٧	الحديث الأول
٢١١	الحديث الثاني
٢١٢	الحديث الثالث

٢١٣	الحديث الرابع
٢١٦	الحديث الخامس
٢١٨	الحديث السادس
	باب آخر وهو من الباب الأول وهو الباب الثالث عشر
٢٢٠	الحديث الأول
٢٢١	الحديث الثاني
	باب الارادة انها من صفات الفعل ... وهو الباب الرابع عشر
٢٢٢	الحديث الأول
٢٢٤	الحديث الثاني
٢٢٥	الحديث الثالث
٢٢٧	الحديث الرابع
٢٢٧	الحديث الخامس
٢٢٨	الحديث السادس
٢٣٠	الحديث السابع
	باب حدوث الاسماء وهو الباب الخامس عشر
٢٣٤	الحديث الأول
٢٥١	الحديث الثاني
٢٥٣	الحديث الثالث
٢٥٤	الحديث الرابع
	باب معاني الاسماء واشتقاقها وهو الباب السادس عشر
٢٥٨	الحديث الأول
٢٦١	الحديث الثاني
٢٦٢	الحديث الثالث
٢٦٢	الحديث الرابع
٢٦٤	الحديث الخامس
٢٦٧	الحديث السادس

٢٦٨	الحديث السابع
٢٧٤	الحديث الثامن
٢٧٥	الحديث التاسع
٢٧٥	الحديث العاشر
٢٧٦	الحديث الحادي عشر
٢٧٧	الحديث الثاني عشر
	باب آخر وهو الباب السادس عشر
٢٧٨	الحديث الأول
٢٨٦	الحديث الثاني
	باب تأويل الصمد وهو الباب السابع عشر
٢٩٥	الحديث الأول
٢٩٦	الحديث الثاني
	باب الحركة والانتقال وهو الباب الثامن عشر
٢٩٩	الحديث الأول
٣٠٣	الحديث الثاني
٣٠٤	الحديث الثالث
٣٠٧	الحديث الرابع
٣١٣	الحديث الخامس
٣١٤	الحديث السادس
٣١٨	الحديث السابع
٣١٩	الحديث الثامن
٣١٩	الحديث التاسع
٣٢٨	الحديث العاشر
٣٢٩	الحديث الحادي عشر
	باب العرش والكرسي وهو الباب التاسع عشر
٣٣٠	الحديث الأول

۳۳۲	المطلب الأول
۳۳۳	المطلب الثاني
۳۳۷	المطلب الثالث
۳۳۸	المطلب الرابع
۳۳۸	المطلب الخامس
۳۳۹	المطلب السادس
۳۴۰	المطلب السابع
۳۴۰	المطلب الثامن
۳۴۶	المطلب التاسع
۳۴۷	لطيفة
۳۴۷	لطيفة اخرى
۳۴۸	لطيفة اخرى
۳۵۲	الحديث الثاني
۳۶۰	الحديث الثالث
۳۶۱	الحديث الرابع
۳۶۲	الحديث الخامس
۳۶۲	الحديث السادس
۳۶۳	الحديث السابع
	باب الروح وهو الباب العشرون
۳۷۵	الحديث الأول
۳۷۹	الحديث الثاني
۳۸۴	الحديث الثالث
۳۹۲	الحديث الرابع

كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[مقدمة الشارح]

سبحانك اللهم وبمحمدك توحدت في ذاتك فحسر عن ادراكك انسان كلّ عارف،
وتفردت في صفاتك فقصر عن نعتك لسان كلّ واصف، تجليت في مجالي وجدك وظهرت في
بدائع جودك ، فشهدت بوجوب ذاتك حاجة كل قابل ومهت بعزّ جلالك فالكلّ في نور جمالك
مضمحلّ باطل، احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرّة في الارض ولا في السماء، نفذت
الائتك فتعدت اقسامها حدود التحديد والاحصاء، رفعت السماء بغير عماد وقدرت فيها
ارزاق العباد.

وصرفت اعين ذوي القلوب والالباب من ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب
الاسباب، ورفعت همهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه، فلم يعبدوا
الا آياه علما منهم بانه الواحد الفرد الصمد الاله وانه المتفرد بالقدم والبقاء، وكلّ ما عداه
موسوم بنقيصة الحدوث والعدم، وهو المستأثر بالتسرد في الابد والازال، والعالم لازم
التجدد والدثور والزوال وهو الاصل في الوجود والغاية لكلّ موجود.

فما من شيء ما خلا وجهه الكريم الآ ولنقصانه يقبل الافول والهلاك حتى
الكواكب والافلاك بل الارواح والاملاك ، لتناهي الاشواق والحركات الى المقاصد
والغايات ورجوع نقائص الصائرات والمتشوقات الى كمال العليات¹ والعقليّات التي هي

١- النقليّات - م - ج [نلفت نظر القراء الكرام الى رموز نسخ التي اعتمدت عليها في تصحيح هذا

الكلمات التامات، وكلّ متحرك يشهد بزواله ودثوره وكلّ متشوق يؤذن بقصوره وفتوره، وما من ممكن إلا وهو مشتاق أو سالك فالله الباقي وكلّ شيء هالك .

شهد الله أنه لا اله إلا هو وان كل ذي هوية باطل إلا وجهه، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده المختار وصفوة انبيائه الاخيار الذي بعثه بالانوار الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة، وجعله واسطة ايجاد الارواح والاكوان وغاية خلقة الافلاك والاركان والحد المشترك بين الوجوب والامكان، وارسله بالحق الى الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً، اللهم فصل عليه ما تعاقبت الادوار والاوقات ودامت الارض والسموات، وعلى آله الذين بهم كملت الولاية وبولايتهم تمت المعرفة بالدين والهداية وبانوار تعليمهم وارشادهم عرف التوحيد والتبوة وبقائمهم قامت القيامة.

أما بعد: فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والتواميس الشرعية أنها هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل والعمى وخلصهم من عشق الدنيا ورق الطبيعة وعبودية الهوى، وتشويقهم الى حظائر القدس ومنازل الابرار والمقربين وتنبههم عن مراقد الابدان ونوم الغافلين وتذكيرهم ما اخذ عليهم الميثاق والعهد القديم والسلوك بهم الى الصراط المستقيم لقوله تعالى: «الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم»^٢.

ولا شك عند ذوي البصيرة أنّ هذا السلوك وعبودية الحق لا يمكن الا بمعرفة التوحيد والعمل بمقتضى الظهارة والتجريد، فالتوحيد اعلى منازل الدين واشرف مقامات المقربين وهو في نفسه غامض دقيق من حيث العلم وهو شاق صعب من حيث العمل والتوكل .

أما وجه غموضه من حيث الفهم: فإنّ أكثر ذوي المدارك والافهام عمت ابصارهم وطلّت افهامهم عن درك الحق فوقوا بين تجسيم وتكثير في ذاته كالحنابلة والمجسمة، وبين

(م) رمز نسخة مكتبة المجلس المحفوظة تحت رقم ٣٢ وكانت سنة تحريرها ١٢٣٢ هجرية .

(د) رمز نسخة مكتبة كلية الاداب بجامعة تهران المحفوظة تحت رقم ٦٦٣٠ وكانت سنة تحريرها ١١٥٠ هجرية .

(ج) ايضاً رمز نسخة مكتبة المجلس المحفوظة تحت رقم ٤٨٠٦ وكانت سنة تحريرها ١٣٢٠ هجرية .

(ط) رمز نسخة المطبوعة بالطبعة الحجرية في سنة ١٢٨٢ هجرية .

تشبيهه وتغيير في صفاته كالاشاعرة والمشبهة ، وبين جبر وتفويض في افعاله كالجبرية والقدريّة وأما دقته وصعوبته من حيث العمل : وهو الرّضاء والتوكل .

فملاحظة الوسائط والاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها^١ بالكلية قدح في الشريعة وطعن في السنّة والحكمة ، فإنّ الاعتماد على الاسباب من غير ان ترى مسخّرات والاعتداد في الاشراق^٢ من السموات دون ان ترى مطويات يمين الواحد الخلاق غشاء في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل .

فتحقيق معنى التوحيد والعمل به على مقتضى العقل والشرع في غاية الغموض والصّعوبة ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدّة هذا الخفاء إلاّ العلماء الذين اكتحلّت اعين عقولهم من فضل الله بانوار الحقائق باقتفاء اثار سيّد الانبياء والاخيار والاستضاءة بانوار اهل بيته الاطهار عليه وعليهم سلام الله العزيز الغفار، لانهم ابصروا وتحقّقوا ثمّ نطقوا بالاعراب عمّا شاهدوه من حيث استنطقوا .

ثمّ إنّني لما كنت عبداً من عباد الله آتاني رحمة من عنده وملكني قوّة اسلك بها سبيل قصده ببركة التدبر في آيات القرآن ومطالعة الاحاديث النبويّة الواردة من طريق اهل بيت الرسالة ذوي الايات الباهرة والانوار الساطعة والبراهين القاطعة والحجج الظاهرة ، وقد رأيت في جميع ما ورد عنهم عليهم السلام من الكلمات وصدر عنهم من الاحاديث النيرات شارحاً لما انطوى عليه قرآن الحكيم باسطاً لما تضمنه الكتاب الكريم .

سيّما ما وفق الله تعالى الشيخ الاجل الاعظم والفاضل الفقيه الافخم عضد الاسلام والمسلمين ثقة الشريعة والدين ابا جعفر محمد بن يعقوب الكليني نور الله روحه بانوار الرحمة بجمعه من كلماتهم الواردة في باب التوحيد والرّبوبية واحوال الذات الاحدية والصفات الجمالية والجلالية وكيفية الافعال الالهية وتأليفها في هذا الكتاب كما صنع مثله من الجمع في سائر كتب الكافي والابواب ، اذ لم يزل احاديثهم الشريفة وكلماتهم التورية متبدّدة في صدور الرواة منتشرة في ايدي المهتمين والبغاة .

وقد تحاول اعدائهم من علماء الدنيا الراغبين في الجاه والترفع في هذا المنزل الادنى المتقرّين الى الامراء والسلطين في تمشية اغراض النفس والهوى ان يخفي من العلم الاقشوره

١- عنها - م - ط .

٢- الارتزاق - ط - ج .

وان لا يبرز من حجب الرّسوم مستوره ويأبى الله الآ ان يتم نوره .

فيسر الله الاهتداء بانوارهم والافتقاء باثارهم وعضد الدّين وشيّد اسلام المسلمين ونور قلوب المؤمنين بما جمعه صاحب هذا الكتاب الكافي لسالكي سبيل العرفان الشّافي لداء الجهل والغرور والظّغيان، فجاء الاسم وفق المسمّى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء .

إلّا انه رحمه الله اكتفى بالجمع والتلفيق ولم يسلك مسلك الشرح والتحقيق ولم يقرع باب الاستيضاح وحلّ المشكلات وكشف المضلّات، فبقى كثير من الاحاديث المنقولة عنهم عليهم السلام سيّما التي في الاصول كدرة لا تثقب ومهرة^١ لا تركب لدقتها وغموضها وانغلاق ابوابها على اكثر الناس حتّى الاكياس، وصعوبة مسلكها وسدّ سبيلها على علماء الدّنيا، وقد ورد عنهم عليهم السلام: حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب او نبيّ مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان .

فرايت حسبا علمني ربّي وامتحن بما اتاني قلبي وشرح صدري وشد ازري ان اوضح ما اورد من الاحاديث في هذا الكتاب واشرح لها شرحا يذلل منها الصّعب واكشف ما ظهر لي من دفاينه وكنوزه وابنه على ما لاح لي من اشاراته ورموزه لوقوفي على شيء من اسراره واكتحالي بسواطع انواره واجعله مصباحاً يستضاء به في الظّلمات وسلماً يعرج به الى اطباق السموات .

وارجوان يكون ذريعة لي اتصل بها الى رضوان الله يوم الدّين ووسيلة اتوسل بها الى لقاء ربّ العالمين وان يجعل لي لسان صدق في الاخرين وها انا افيض في المقصود مستمداً من واهب الخير والوجود .

قال الشيخ عظم الله قدره وضاعف اجره :

١- اي : ولد الفرس ، اول ما ينتج من الخيل والحمر الاهلية وغيرها .

باب حدوث العالم واثبات المحدث

وفيه ستة احاديث

الحديث الاول

وهو الحادي عشر والمائتان

«أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال حدثني علي بن ابراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسن بن ابراهيم» الكوفي من اصحاب الرضا عليه السلام، وهو غير الحسن بن ابراهيم بن عبد الصمد الخزاز الكوفي الذي روى عنه التلعكبري وسمع منه سبع وثلاثين وثلاث مائة^١ حديثاً، لم يرو^٢ «عن يونس بن عبد الرحمن عن علي بن منصور قال قال لي هشام بن الحكم كان بمصر زنديق يبلغه عن ابي عبدالله عليه السلام اشياء فخرج الى المدينة لينظره فلم يصادفه بها وقيل له آته خارج بمكة فخرج الى مكة ونحن مع ابي عبدالله عليه السلام في الطواف وكان اسمه عبد الملك وكنيته أبو عبدالله فضرب كتفه ابي عبدالله عليه السلام فقال له أبو عبدالله عليه السلام ما اسمك فقال اسمي عبد الملك قال فما كنيته قال كنيته أبو عبدالله فقال له أبو عبدالله عليه السلام فن هذا الملك الذي انت عبده أم من ملوك الارض أم من ملوك السماء واخبرني عن ابنك عبد آله السماء ام عبد آله الارض قل ما شئت تخصم .

قال هشام بن الحكم فقلت للزنديق اما تردّ عليه قال فقيح قولي فقال أبو عبدالله عليه السلام اذا فرغت من الطواف فأتنا فلما فرغ أبو عبدالله عليه السلام أتاه الزنديق فقعد بين يدي ابي عبدالله عليه السلام ونحن مجتمعون عنده فقال أبو عبدالله عليه السلام للزنديق أتعلم انّ للارض تحماً وفوقاً قال نعم قال فدخلت تحتها قال لا قال فما يدريك ما تحتها قال لا أدري آلا آتي أظن انّ ليس تحتها شيء فقال أبو عبدالله عليه السلام فالظن عجز لمن لا يستيقن^٣ ثم قال أبو عبدالله عليه السلام أفصعدت السماء قال لا قال فتدري^٤ ما فيها قال لا

١- سنة سبع وثلاثين... «جامع الرواة» .

٢- اي لم يرو عنهم عليهم السلام .

٣- لا تستيقن (الكافي) .

٤- افتدري (الكافي) .

قال عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل الارض ولم تصعد السماء ولم تخبر هناك فتعرف ما خلقهن وأنت جاحد بما فيهن وهل يجحد العاقل ما لا يعرف قال الزنديق ما كلفني بهذا أحد غيرك .

فقال أبو عبدالله عليه السلام فأنت من ذلك في شك فلعله هو ولعله ليس هو فقال الزنديق ولعل ذلك . فقال أبو عبدالله عليه السلام أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل يا أبا أهل مصر تفهم عني فأنا لا نشك في الله ابداً اما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجئان فلا يشتبهان ويرجعان قد اضطرا ليس لهما مكان الا مكانها فان كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعا^١ وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً اضطرا والله يا أبا أهل مصر الى دوامها والذي اضطرها أحكم منها وأكبر فقال الزنديق صدقت .

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام يا أبا أهل مصر إن الذي تذهبون اليه وتظنون انه الدهر إن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردهم وإن كان يردهم لم لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون يا أبا أهل مصر لم السماء مرفوعة والارض موضوعة لم لا تسقط السماء على الارض لم لا تنحدر الارض فوق طباقها ولا يتماسكان ولا يتماسك من عليها قال الزنديق أمسكهما الله ربهما وسيدهما قال : فأمن الزنديق على يدي أبي عبدالله عليه السلام فقال له حمران جعلت فداك إن آمنت الزنادقة على يديك فقد آمن الكفار على يدي أبيك .

فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبدالله عليه السلام اجعلني من تلامذتك فقال أبو عبدالله عليه السلام يا هشام بن الحكم خذ إليك وعلمه فعلمه هشام وكان^٢ معلم أهل الشام وأهل مصر الايمان وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبدالله عليه السلام .»

الشرح

اعلم ان ههنا مسائل يجب التنبيه عليها :

الاولى ان الحدوث كمقابله وهو القدم يقال على وجهين : أحدهما بالقياس والثاني لا بالقياس ، فالاول كما يقال في الحدوث : ان ما مضى من زمان وجود زيد أقل مما مضى

١ - يرجعان (الكافي) .

٢ - فكان (الكافي) .

من زمان وجود عمرو، وفي القدم بعكس ذلك ، اي ما مضى من زمان وجود شيء أكثر من ما مضى من زمان وجود شيء آخر، فالأطول زماناً قديم بالقياس الى الاقصر زماناً وبالعكس ، فشيء واحد قد يكون حادثاً وقديماً بالقياس الى شيئين ، فهما القدم والحادث العرفيان . وأمّا الثاني فيطلق كلّ منهما على معنيين ، أحدهما الزماني .

فمعنى الحادث الزماني حصول الشيء بعد أن لم يكن بعديه لا يجمع البعد القبل في الحصول ، ومقابلته القدم الزماني ، فالقديم الزماني ما لا يكون لوجوده بدؤ زماني ، وثانيهما الغير الزماني منها ويسمّيان بالحادث والقديم الذاتيين ، فالحادث الذاتي ما يكون وجود الشيء مستنداً الى غيره ، والقديم الذاتي ما لا يكون كذلك بل يكون موجوداً بذاته لا بغيره ، فالحادث الذاتي ما لا يقتضي ذاته وجوده ولا عدمه فيكون ممكن الوجود ، والقديم الذاتي ما يقتضي ذاته الوجود وهو الواجب الوجود .

الثانية أنّ الحادث بكلا المعنيين يحتاج الى سبب مؤثر في وجوده ، لأنّ منشأ الافتقار له الى السبب أنّما هو ذاته لصفة الامكان ، وذلك لا يختصّ بزمان حدوثه دون زمان بقائه كما توهمه أكثر علماء العامة وزعموا أنّ الشيء اذا حصل عن موجد استغنى عنه في البقاء والا يلزم تحصيل الحاصل ، حتّى أنّهم تجاسروا في القول بأنّه لو جاز العدم على البارئ لما ضرّ عدمه وجود العالم ، تعالى عما يقوله الظالمون علواً كبيراً .

الثالثة أنّه لما ثبت افتقار الحادث بكلا القسمين الى الموجد فاعلم : أنّ أعلى ضروب الابداع هو الابداع وهو تأييس الشيء من الليس المطلق والعدم المحض ، لأنّه يطرده العدم عن الذات الممكنة رأساً لا كالأحداث الذي يزيل العدم عنها في وقت دون وقت .

فالبارئ جل اسمه هو المبدع للعالم كلّ ابداعاً كلياً وافاضته دائمة من قبله بلا منع وتقتير وبخل وتقصير ، لأنّ العالم الجسماني المشتمل على الأجرام السماوية والارضية وما يتعلّق بها من الطبائع والنفوس والقوى ممّا لا يحتمل التسرمد والبقاء بل كلّها حادثه متجدّدة الوجود والناس في غفلة من هذا بل هم في لبس من خلق جديد^١ ، ونحن بفضل الله وتأييده قد أحكمنا ذلك وشيّدنا أركانه بدعائم البراهين الحكيمية وأساطين القوانين اليقينية التي لم يسبق بمثلها أحد من المتقدمين والمتأخرين ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^٢ .

اذا تقررت هذه المسائل الاصولية فلنرجع الى الشرح فنقول: الزنديق لفظ معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة، قال الليث: وزندقة المرء ان لا يؤمن بالآخرة ووحداية الخالق، وعن تغلب معناه ما يقوله العامة: ملحد ودهرى، وهذا المعنى الثاني اولى، فانّ المراد به من ينكر الصانع اصلاً، لا من اعتقده اثنين كالثنوية القائلين بالهين اثنين.

وعن ابن دريد: انه فارسي معرب واصله زنده اى يقول بدوام بقاء الدهر.

وفي مفاتيح العلوم: الزنادقة هم المانوية وكان المزدكية يسمون بذلك، ومزدك هو الذي ظهر في ايام قباد الملك وزعم ان الاموال والحرم مشتركة واطهر كتاباً سماه زنداً وهو كتاب المجوس الذي جاء به زردشت الذي يزعمون انه نبي فنسب اصحاب مزدك الى زند وعربت الكلمة، فقيل: زنديق، والدهر يراد به الزمان ويجمع على الدهور وقد يراد به الزمان الطويل ومدة حياة الدنيا.

والفلاسفة المتقدمون اطلقوا كل واحد من الزمان والدهر والسرمد على معنى آخر فقالوا: نسبة المتغير الى المتغير زمان، ونسبة المتغير الى الثابت دهر، ونسبة الثابت الى الثابت سرمد، ولعل المراد من الزمان مدة دوام المتغيرات ومن الدهر بقاء معية المتغير بالثابت كدوام الفلك بالملك وبقاء الملك بالملك وان كان أحدهما متجدداً في كل حين والآخر مستمراً، ومن السرمد البقاء المطلق الذي لا يتغير فيه اصلاً.

ومن الناس من زعم ان الزمان مقدار الوجود مطلقاً، فجعل كل موجود زمانياً حتى البارئ، تعالى عنه علواً كبيراً، ومنهم من جعل الزمان واجب الوجود لذاته بناء على شبهة وقعت لهم، وهي: ان الزمان غير جائز لعدم لذاته، وكل ممنوع لعدم لذاته واجب الوجود لذاته، فالزمان واجب الوجود لذاته، اما الصغرى فلانه لو جاز عدمه لكان العدم سابقاً عليه أو لاحقاً به وهذا السبق واللاحق لا يكون إلا بالزمان، فيلزم من فرض عدمه وجوده وهو محال، واما الكبرى فظاهرة.

والجواب: ان عدمه ليس منحصراً في كونه سابقاً أو لاحقاً بل يجوز ان لا يكون موجوداً في ذاته اصلاً، واما الوارد في الحديث: لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله، وفي رواية: فان الله هو الدهر، والوجه في ذلك: انهم اذا اصابتهم قوارع الدهر وحوادث الزمان ونوائبه نسبوها الى الدهر وسبوه بذلك ويكثرون ذلك في اشعارهم وخطبهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله عن ذم الدهر وسبوه ان لا تسبوا فاعل هذه الاشياء، فانكم اذا سببتموه وقع السب

على الله تعالى لأنه الفعّال لما يريد لا الدهر .

فيكون تقدير الرواية الاولى : فانّ جالب الحوادث ومنزها هو الله لا غير، فوضع الدهر موضع جالب الحوادث لاشتهار الدهر عندهم بذلك ، وتقدير الرواية الثانية : فانّ الله هو جالب الحوادث لا غيره، ردّاً لاعتقادهم : انّ جالبها هو الدهر .

واعلم انّ من جملة الكفرة والمنكرين للصّانع والجاحدين للنشأة الاخرة جماعة من الطبيعيين والدهريين زعموا انّ لا عالم وراء هذا العالم المحسوس وان الانسان كسائر الحيوان يأكل ويشرب وينكح فاذا مات فات من غير ثواب وعقاب وبعث وحساب ، زعموا منهم انه هذا الهيكل المحسوس والشكل المخصوص بماله من المزاج والقوى والاعراض وان ذلك يبطل بالموت وزوال الحيوية ولا يبقى الآ المواد المتفرقة، قالوا ما هي الآ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الآ الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون^١ .

فالوثر الاول عند هؤلاء اما امزجة الاجسام وكيفياتها كما عند الاطباء وطائفة من الطبيعيين واما طبائعها وصورها سيما طبائع الاجرام العلوية من الافلاك والكواكب وهم الدهريّة، وهذا الرجل الزنديق كأنه كان من هذه الطائفة القائلين بالدهر كما يظهر من كلامه عليه السلام في ذكر الشمس والقمر والليل والنهار عند حاجته معه والزمامه اياه .

واعلم انّ الصادق عليه السلام سلك في الاحتجاج عليه ثلاثة مسالك : الجدل اولاً والخطابة ثانياً والبرهان ثالثاً، تدرّجاً في الهداية والارشاد وعملاً بما امر الله به الرسول عليه وآله السلام في قوله : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتّي هي احسن »^٢، اذ غرضه عليه السلام لم يكن مقصوداً على تعجيزه والزمامه بل الغرض الاصيلي كما هو شأن النبي والامام هداية الخلق وتعليمهم واخراجهم من ورطة الجهالة والحيرة والظلمة .

وكانت اقسام الحجّة خمسة : البرهان والخطابة والجدل والشعر والسفسطة، والاخيران غير لا يقين بمن شأنه العصمة والهداية، اذ الاول مبناه على التخيل والكذب، فينافي العصمة، والثاني مبناه على الغلط والتغليب فينافي الهداية، فيق من الخمسة الثلاثة الاول .

اما الجدل وهو المؤلف من المقدمات المشهورة ففائدته كسر سورة الجحود والانكار

١- الجائية ٢٤ .

٢- النحل ١٢٥ .

للحق واما الخطابة وهي الحجة المؤلفة من الظنيات ، ففائدتها تهيئة النفوس الزكية وترقيقها واعدادها لدرك ما هو الحق واليقين بوسيلة حصول الظن القوي واما البرهان ففائدته الحكمة وهي معرفة الحق باليقين .

فنقول : قوله عليه السلام : ما اسمك ... الى قوله : ما شئت تخصم ، هو طريق المجادلة والتي هي احسن ، لان الرجل ، لما كان اسمه عبدالمك و اسم ابنه عبدالله والمشهور عند الناس المقبول المسلم ان الاسم مطابق لمعناه واللقب موافق لفحواه ، فاسمه وكنيته يدلان على ان له ملكاً مطاعاً والهأ معبوداً ، فذلك كان الزاماً باعترافه على اسمه وكنيته على ان له الهأ صانعاً .

فقوله : قل ما شئت تخصم ، بصيغة المفعول او بصيغة الفاعل باضممار مفعول ، اي تخصم نفسك اذ لو قال ليس ابو عبدالله كنيته لزم عليه تكذيب نفسه بعدما اقرب به ، ولو قال انه عبد ملك السماء او ملك الارض او ابنه عبد اله السماء او اله الارض لزمه الاعتراف بالعبودية او الاقرار بوجود الصانع للعالم غير طباع السماء والارض ، ولهذا سكت في الجواب ولم يتكلم بشيء ، ولما كلفه هشام بن الحكم برد الجواب قبح قوله واتي بسوء الادب والوقاحة كما هو عادة المحجوج المهوت .

وقوله عليه السلام للزنديق : اتعلم ان للارض تحتاً الى قوله : وهل يجحد العاقل ما لا يعرف حجة ؟ على طريق الخطابة ، ان الذي ذهب الى وجوب وجود العالم واستغنائه عن الصانع الموجد له لا بد ان يعرف حقيقته وحقيقة اجزائه وما فيه وما تحته وما فوقه ليمكن له الحكم بانه موجود لذاته باق بنفسه مستغن في قوامه ودوامه عن غيره لان بديهة العقول وفطرتها شاهدة بان الشيء ما لم يعرف اولاً لا يمكن الحكم عليه بنفي او اثبات .

فلاجل ذلك لما سئل عليه السلام الزنديق القائل بنفي الصانع وايجاب الطبيعة او الدهر عن ما في تحت الارض وداخل السماء وجوانب العالم واعترف بالعجز والقصور والجهل والشك ، وبخه على انكاره لافتقار العالم وما فيه الى الصانع وجحوده للحق تعالى ، ونسبه الى قصور العقل بقوله : وهل يجحد العاقل ما لا يعرف ؟

ثم اكد بيان قصوره في العقل والتميز بقوله : فانت من ذلك في شك ، فلعله هو ولعله ليس هو زيادة في تعجيزه وتوبيخه . ثم لما ذكر الزنديق : ولعل ذلك ، وكأنه اراد به ان الامر لما لم يكن معلوماً فلم يحصل لنا ولكم الجزم بوجود الصانع الاله ، فلعل الذي نقوله من

الدَّهر يكون ذلك حقاً، اشار عليه السلام الى الحجّة البرهانية والطريقة اليقينية التي لا يعترضها شك وريب، فذكر قبل الشروع في اقامة البرهان التنبيه على فساد توهمه من أنّ قوله: ولعل ذلك، فيه حجة له على العالم وزعمه أنّ بناء الامر على الشك والتخمين دون الجزم واليقين.

فقوله عليه السلام: ايها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، اشارة الى فساد الاوّل واكد ذلك بقوله: لا حجة للجاهل، اي لا حجة له مطلقاً على العالم، فإن نبي العام يقتضي نفي الخاص على وجه اكد واوّل، وقوله: فانا لا نشك في الله ابداً، اشارة الى فساد الثاني.

ثم شرع في البرهان بقوله: اما ترى الشمس والقمر...، الى آخره، وتوضيحه: أنّ الاجرام السماوية اعلى الاجرام واشرفها واحكمها واتمها، فهي احرى بان يكون ما يعتقدها الدهرية من غيرها كالعناصر والمركبات، ولا شك ان اشرف ما فيها الكواكب، واشرف الكواكب واعظمها واضوأها الشمس وبعدها القمر.

فاذا ثبت امكانها وافتقارها وكونها مضطرين مسخرين في حركاتها الدورية الدائمة على نسق واحد لمحرك غير متحرك ومسخر غير مسخر وفاطر غير جسم ولا جسماني ومدبر قاهر عليهما وكذا في حصولها في مكانها المخصوصين دائماً دون سائر الامكنة، فبطلوا ما ذهبوا اليه من كون الدّهر او الطبيعة الفلكية مبدأ سائر الموجودات وفاعلها وغايتها بلا مبدأ اخر وغاية اخرى.

وامّا بيان أنّ الشمس والقمر مفتقران الى فاعل مدبّر خارج عن عالم الدهر او الطبيعة فافاده عليه السلام من جهتين: احديهما من جهة الحركة والاخرى من جهة السكون وهو الكون في المكان المخصوص.

اما بيان الاوّل فنقول: أنّ الحركة اما ارادية او طبيعية او قسرية، والحركة الدورية لا يمكن ان تكون طبيعية مبدأها طبيعة الجسم المتحرك بها، ولا قسرية مبدأها قسر قاسر، فبقى ان تكون ارادية مبدأها ارادة مريد لاجل داع عقلي او باعث حيواني كشهوة او غضب، اما ان حركتها الدورية ليست طبيعية فلان الطبيعة لا تطلب شيئاً تهرب عنه بعينه ولا تلج في جهة ترجع منها بعينها، وحركتها كذلك لانها يلجئان اذ لا شعور لها ولا تفنن في قصدها،

بل حركتها اما ذاهبة ابدًا من غير اياب واما راجعة ابدًا من غير ذهاب والحال في الدورية بخلاف هذا.

واليه الاشارة بقوله: فلا يلجئان فلا يشتبهان، ويرجعان اي فلا يشتبهان في حركتهما كحال الطبيعة في حركتها، فانها مشتبهة دائماً، بل ترجعان عما يلجئان اليه، واما انها ليست قسرية لان ما لا طبع فيه لا قسر فيه، اذ القسر على خلاف مقتضى الطبع.

فثبت ان حركتها من مبدأ ارادي، وكلّ فعل ارادي لا بدّ فيه من داع ومرجح، اذ نسبة الفاعل المختار الى مقدوراته واحدة، والداعي اما باعث حيواني حسي لنفس حيوانية جزئية واما باعث عقلي لمدير كلي.

والاول باطل لان داعية الحيوانات الحسية منحصرة في الشهوة لجذب المنفعة البدنية والغضب لدفع المضار البدنية، وشيء منها لا يكون الا للجساد المركبة الكائنة من الامتزاج الحاملة للمزاج القابلة للتحلل والذوبان والتمو والذبول والصحة والمرض المفتقرة الى ايراد البديل اليها عما يتحلل عنها سريعاً باستيلاء الحرارة الغريزية عليها الفاعلة لافاعيلها الغذائية وغيرها كالانماء لها الى غاية النشو والتوليد لمثلها عنها ببقية الاشخاص أولاً وللانواع ثانياً، والاجرام السماوية مرتفعة بريئة عن هذه الاغراض لبطاقتها واستحكامها وتمامها، فتعين الثاني.

وهوان باعثها ومحركها ليس طبيعة جرمية ولا مطلوباً حيوانياً بل باعثها في التحريك الدائم مطلب كلي وغرض عقلي يلزمه ارادة كلية لامر عقلي خارج عن الطبيعة الجرمية، وليست حركتها ايضاً لما دونها من الاجرام السفلية لحستها وظلمتها، فانها احسن رتبة من ان يتحرك لاجلها العوالي والتيرت.

فاذن حركتها بامر عقلي لغرض علوي فوق العالم الطبيعي المنقسم الى الفلكي والعنصري.

فثبت وتبين ان الشمس والقمر والتجوم مسخرات بامرته تعالى مضطرات بحكمه، وان حركاتها ليست طبيعية ولا قسرية ولا حيوانية شهوية او غضبية، بل تسخيرية اضطرارية سخرها وقهرها مدبر عاقل حكيم، ودورها تشوقاً الى الرب القديم وتقرباً الى الله وملكوته وطاعة لامر الله وجبروته، وهو المطلوب.

وأما بيان الثانية المشار إليها بقوله عليه السلام: ليس لها مكان الآ مكانها، فهو أن كون كلّ منها في مكانه المخصوص دائماً الذي لا يحول عنه أبداً لا بد له من سبب وعلة، وسببه ليس جسمية كلّ منها بما هي جسمية والآ لازم اشتراك الاجسام كلّها في ذلك المكان وهو محال، ولا ايضاً امراً لازماً للجسمية لما ذكرنا آنفاً من لزوم الاطراد المحال، فهو اذن لخصوصية زائدة على اصل الجسمية، فهي اما مقومة للجسمية او عارضة لها، لا سبيل الى الثاني، لان الكلام عائد في سبب عروض تلك الخصوصية فتجري فيه الاحتمالات الثلاثة، ويبقى بعد بطلان الاولين أنّها خصوصية اخرى وهكذا يرد الكلام ويتسلسل الى غير النهاية وهو محال.

فثبت ان تلك الخصوصية الموجبة لكلّ منها في مكانه المخصوص امر مقوم لجسميته داخل في قوامه فيكون صورة جوهرية لذاته، فاذن لكلّ من الجسمية والخصوصية الجوهرية افتقار الى الاخرى افتقار المادة بالصورة والصورة بالمادة، اما الجسمية المادية: ففي وجودها وتقومها واما الصورة النوعية: ففي تشخصها ولوازم هويتها الشخصية من التناهي والتشكل وسائر الانفعالات والحركات، فهما متلازمان معاً في الوجود وليس لواحد منها تقدّم مطلق على الاخرى في الوجود ولا افتقار مطلق من احد الجانبين دون الآخر، فاذن هما معاً مفترقان الى فاعل منفصل خارج عنها ليس بجسم ولا جسماني، اذ العرض تابع والجوهر الجسماني حاله كما علمت، فيكون الذي خصص الشمس بمكانها هو الذي اوجدها اولاً بايجاد صورتها المخصوصة وخصصها بالمكان والشكل والقدر والحركة وسائر الخواص ثانياً، وكذا الكلام في القمر، وسائر الكواكب والافلاك .

فالفاعل لكلّ منها فاطر عليم ومدبّر حكيم مرتفع الذات من عالم الاجرام والطبيعيات فوق الارض والسماوات، واليه اشار بقوله عليه السلام بعد ما بين اضطرار الشمس والقمر في حركتهما ومكانهما: والذي اضطرهما احكم منها واكبر، اي في عظم الوجود وشدته لا في عظم المقدار والجسمية.

فاعترف الزنديق وقال: صدقت، اذ لما سمع المقدمات البرهانية القطعية لم يبق له مجال الانكار وموضع البحث والاصرار فنطق بالتصديق .

ثم اراد عليه السلام توضيحاً للمرام وتأكيذاً للمقام فاورد الكلام على الوجه العام، فان ما سموه الدهر وينسبون اليه الآثار والافعال يحتمل ان ارادوا به شيئاً غير الطباع

الفلكية وغير ما سماه الناس الوقت والزمان او الهولي او الظلمة او الهاوية او غيرها، فعمم الحجة فقال: ان الذي تذهبون اليه وتظنون انه الدهر... الى اخره.

وبيانه: ان الذي سمّيته الدهر وجعلتموه فاعل الافاعيل وجاعل الاثار والحركات اذا لم يكن عندكم مرتفع الذات عن الجسم والجسمانيات ولا خارج الهوية عن عالم الارض والسّموات فيجب ان يكون مضطراً في ذاته وفعله مسخراً في شأنه وصنعه، اذ كل ما في هذا العالم كذلك، فانه مقصور على حده محدود مضطراً في شأنه، فان النار لا تكون الا حارة متحرّكة الى فوق، والارض لا تكون الا يابسة ساكنة في التّحت، والماء بارد رطب لا غير والهواء حارة رطبة لطيفة لا غير، والسماء مرفوعة والارض موضوعة دائماً من غير عكس. ولا تقدر النار ان تصير باردة ولا الماء ان يصير حاراً ولا الهواء ان تكون كثيفة ولا الارض ان تكون لطيفة، ولا تقدر السماء ان تسقط على الارض ولا الارض ان تصعد الى السماء، ولا يتماسك ذو فعل طبيعي عن فعله ولا ينقبض كلّ ذي طبيعة عن مقتضى طبيعته وكذا كلّ ما في الارض والسماء من ذوات الاجرام وطبائعها، فالجميع مسخّرات مجبورات ومضطرات مقهورات لما هو خارج عنها وعمّا في الارض والسماء.

فان قلت: نحن نرى اجساد الحيوانات تتحرّك تارة وتسكن اخرى وتميل الى الجوانب المختلفة من الجهات الست، وكذا تأكل تارة وتشرب اخرى وتشتهي وتغضب وتجامع وتنام فيناقض هذا ما ادعيتموه، وايضاً يلزم ان تكون هي اشرف من السماويات؟ قلنا هيئات: ليست هذه الافاعيل المختلفة صادرة عن اجسادها ولا عن طبائعها الجرمانية وانما هي صادرة عن نفوسها واوراحها الخارجة عن عالم الاجسام وطبائعها الجرمانية، وليست الاجسام ولا الطبائع الا مسخرة مقهورة تحت ايدي النفوس والارواح وعالمها عالم الامر الالهي الا انها متفاوتة في القوة والتّجرد، والكلام فيها وفي انواعها واقسامها ومنازلها في القرب والبعد من الله والعلو والدنو من الاجسام طويل.

فاذن لما ثبت وتحقق ان المسمى بالطبيعة التي بمنزلة اله الطبيعيين او الدهر الذي هو معبود الدهريين ليس الا مسخراً مضطراً في فعله مجبوراً مقهوراً في صنعه واثره كما بينت، ولا بد لكلّ مسخّر مضطر ممّن سخّره واضطره، فيجب ان يكون ذلك المسخر القاهر لطبائع الاشياء المسك للسماء ان تقع على الارض وممسكها ان تزولا امرأ خارجاً عن عالم الجسمية غير واقع تحت الدهر والطبيعة، والا لزم التسلسل او الدور فينتهي الامر لا محالة الى وجود

الربّ تعالى .

وهذا هو البرهان القطعي على وجوده تعالى ، ولهذا اضطرّ الزنديق لما سمعه الى الاقرار والتصديق وقال : امسكها الله ربّهما وسيدهما ، فامن على يدي الصادق عليه السلام ايماناً قلبياً لحصوله بالبرهان لا بمجرد التقليد والاقرار باللسان ، ولهذا وصف بانه حسنت طهارته حتى رضى بها أبو عبدالله عليه السلام ، والمرضى عنده مرضى عند الله ، وهذه الطهارة القلبية التي يذهب بها رجس الشيطان ورجز الظلمة والكفران شعبة من طهارة اهل بيت العلم والعصمة والحكمة والولاية المشار اليها بقوله تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم^٢ ... الاية ، والله وليّ التوفيق والهداية .

عقدة وحل

ولعلك تقول : لو كان الدوام على فعل واحد علامة التسخّر والانقهار ومن لوازم القصور والاضطرار ، والصادر عن البارئ جلّ مجده عند الحكماء ليس إلا شيء واحد يسمى بالعقل الاوّل ، فيلزم عليهم ان يكون الاوّل تعالى مجبوراً في فعله مسخراً في صنعه ؟ فنقول : ليس الامر عند الالهيين كما زعمت بل هو تعالى فاعل الكل واله الكل وله الخلق والامر والملك والملكوت وليس غيره رتبة الابداع والايجاد ، بل شأن ما سواه في السببية التهيئة والاعداد وتخصيص جهات القبول والاستعداد ، فان الصوادر منه تعالى لما كانت اموراً مختلفة الحقائق والدّوات متفاوتة الماهيات في الشرف والخيرية والحسة والشرية ، فاللائق بجوده الاتم صدور الاشياء منه على الترتيب والنظام المحكم ، بان يكون الاقدم صدوراً منه اعلى رتبة والاقترب اليه ذاتاً اشرف وجوداً ، ولا يجوز لكمال فيضه ورحمته وجوده ان يترك ما هو الاشرف الاعلى في حسن النظام و يفعل الاخس الادنى ، فالعالم كلّ من فيض وجوده و اثر رحمته وجوده على احسن ترتيب وتمام وابلغ تقويم ونظام .

الحديث الثاني

وهو الثاني عشر والمائتان

«عِدَّة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن محمد بن علي عن عبدالرحمن بن

١- رجس «النسخة البدل» .

٢- الاحزاب ٣٣ .

محمد بن ابي هاشم» البجلي ابو محمد جليل من اصحابنا ثقة ثقة «صه» قاله النجاشي ايضاً وهو هكذا بخط ابن طاوس ، وفي بعض النسخ النجاشي : ابي هاشم ثقة مرة ، وفي فهرست : له كتاب روى عنه القاسم بن محمد الجعفي «عن احمد بن محسن الميثمي» مجهول . «قال كنت عند ابي منصور المتطبب فقال اخبرني رجل من اصحابي قال كنت انا وابن ابي العوجاء وعبدالله بن المقفع في المسجد الحرام فقال ابن المقفع ترون هذا الخلق واومئ بيده الى موضع الطواف ما منهم احدا يجب له اسم الانسانية الا ذلك الشيخ الجالس يعني ابا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام واما الباقر فرعاع وهائم .

فقال له ابن ابي العوجاء وكيف اوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء قال لاتي رايت عنده ما لم اره عندهم فقال له ابن ابي العوجاء لا بد من اختبار ما قلت فيه منه قال فقال له ابن المقفع لا تفعل فاني اخاف ان يفسد عليك ما في يدك فقال ليس ذا رأيك ولكن نخاف ان يضعف رأيك عندي في احلالك اياه المحل الذي وصفت فقال له ابن المقفع^١ اما اذا توهمت على هذا فقم عليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ولا تثنى عنانك الى استرسال فيسلمك الى عقاب وسمه مالك وعليك^٢ قال فقام ابن ابي العوجاء وبقيت انا وابن المقفع جالسين فلما رجع الينا ابن ابي العوجاء قال ويحك^٣ يا ابن المقفع ما هذا ببشر وان كان في الدنيا روحاني يتجسد اذا شاء ظهر^٤ و يتروح اذا شاء باطنا فهو هذا فقال له وكيف ذلك .

قال جلست اليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال ان يكن الامر على ما تقول هؤلاء وهو على ما يقولون يعني اهل الطواف فقد سلموا وعطبتهم وان يكن الامر على ما تقولون وليس كما يقولون فقد استويتم وهم فقلت له يرحمك الله واي شيء نقول واي شيء يقولون ما قولي وقولهم الا واحد فقال عليه السلام وكيف يكون قولك وقولهم واحدا وهم يقولون ان لهم معادا وثواباً وعقاباً ودينون بان في السماء الها وانها عمران وانتم تزعمون ان السماء خراب ليس فيها احد قال فاغتنمتها منه فقلت له ما منعه ان كان الامر كما يقولون ان يظهر لخلقه ويدعوهم الى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وارسل اليهم الرسل ولو

١- فقال ابن المقفع (الكافي) .

٢- او عليك (الكافي) .

٣- ويحك (الكافي) .

٤- ظاهراً (الكافي) .

باشرهم بنفسه كان اقرب الى الايمان به .

فقال لي و يلك وكيف احتجب عنك من اراك قدرته في نفسك نشوءك ولم تكن وكبرك بعد صغرك وقوتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوتك وسقمك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك وفرحك بعد حزنك وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك وعزيمك بعد اناك واناك بعد عزيمك وشهوتك بعد كرامتك وكرامتك بعد شهوتك ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك ورجائك بعد يأسك ويأسك بعد رجائك وخاطرك بما لم يكن في وهمك وعزوب^١ ما انت معتقده عن ذهنك وما زال يعدد على قدرته التي هي في نفسي التي لا ادفعها حتى ظننت انه سيظهر فيما بيني وبينه» .

الشرح

الرّعاع بالمهملات وفتح أوّله الاحداث وامثالهم من العوام والسفلة والتّاقصين في العقل، وترعرع الصبي تحرّك ونشأ، والاختبار الامتحان، قوله: يفسد عليك ما في يدك ، اي يبطل الامام عليه السلام عليك ما في يدك من اعتقادك بنفسك انك على شيء من العلم والحال، قوله: ليس ذا رأيك، اسم الاشارة مرفوعة بانها اسم ليس، ورأيك منصوب بانه الخبر، اي ليس الذي ذكرت من الخوف على افساد ما في يدي قصدك واعتقادك بل الذي حملك على منعي من امتحانه خوفك عن ظهور ضعف رأيك في تعظيمك قدره على هذا المبلغ واحلالك اياه المحل الذي ذكرته من ايجابك اسم الانسانية عليه فقط من بين الناس كلهم .

وقوله: وتحفظ ما استطعت من الزلل، اي اجتهد غاية جهدك واسع وافرج غاية وسعك في ان لا تزل قدمك عنده، وقوله: ولا تتنى، عطف على الزلل بتقدير «ان» لان المكتوب بصورة الياء وصيغة النبي، ولو كان بدون الياء وصيغة النهي لكان عطفاً على تحفظ، اي وان لا تصرف عنانك عن الاستمسك الى الاسترسال حتى يسلمك عليه السلام الى عقال وهو حبل يعقل به البعير ونحوه، اي يشدّ، وقوله: وسمه، من وسمته وسمّاً وسمّة اذا اثرت فيه بسمّة وكي^٢.

١ - العزوب: الغيبة والذهاب .

٢ - يسم وسمّاً وسمّة ٥ : كواه واشرفيه بسمّة او كى - جعل له علامة يعرف بها .

وقوله: مالك وعليك، «ما» نافية تشابه «ليس» و«لك» خبرها، والمجموع صفة سمة، وعليك عطف عليه، اي يسلمك الى عقال وسمة ليسالك بل عليك، وويح كلمة رحمة وقيل هو كالويل كلمة عذاب، والعطب بفتحيتين الهلاك وعطبتهم بكسر الطاء هلكتم، وقوله: فاغتنمتها، اي وجدت غنيمة اقواله او ملاقاته، وباقي الفاظ الحديث معلوم.

واعلم ان ما ذكره ابن ابي العوجاء في حقه عليه السلام على سبيل الاحتمال والشك، فهو حال مثله من الائمة الكاملين والاولياء المقربين عليهم السلام، على وجه البت اليقين، فانهم وهم في جلايب هذه الابدان قد نضوها وتجردوا عنها، فالبدن بالنسبة الى النفوس القدسية كقميص لك تلبسه تارة وتخلعه اخرى، فاذا شاؤا عرجوا الى عالم النور وان شاؤا ظهوروا في كل صورة ارادوا على من في العالم الزور، فلهم ان يتروحوا تارة فيبتنوا ويتجسدوا اخرى فيظهروا.

ثم لا يخفى ان ما ذكره عليه السلام من قوله: ان يكن الامر على ما يقول هؤلاء... الى آخره ليس ممّا وقع عن شك منه في امر الآخرة، حاشاه عن ذلك ولكن نبه به الملحد على قدر عقله، وكذا ما روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لبعض الملحدين: ان كان ما قلته حقاً فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقاً فلقد تخلصنا وهلكت، ليس بما يوجب شكاً في الآخرة بل مبالغة في نفي الغرور والاعتماد والركون الى عالم الزور.

وان هذا القدر كاف للعاقل في ان لا يركن الى الدنيا وان يعمل عمل الآخرة ويتبع ما قاله الانبياء والهداة عليهم السلام ويطمئن قلبه بما حذروه عنه وبما امره به، كما تطمئن نفس المريض بما قالته الاطباء الحذاق في ان النبت الفلاني دواء له والاخر سم يهلكه ولا يطالبهم بتصحيح ذلك وتحقيقه بالبراهين بل يقول: لولم اعمل بما حذرتني عنه الاطباء لربما اموت وان عملت به فما يفوتني الا تنعم اسبوع مثلاً، فكيف اترك قولهم بقول غيرهم من الجهال؟ ولو ترك قولهم بقول صبي أو سوادي كان سفياً مغروراً.

وقوله عليه السلام: وانتم تزعمون ان السماء خراب ليس فيها احد، معناه: ان الملاحدة ومن يجري مجراه من الدهرية والطباعية زعموا ان الاجرام السماوية خالية عن الارواح والنفوس والملائكة والروحانيين، ولا فرق بينها وبين الصحاري والفلوات المفقرة الا بانها متحركة بالطبع والفلوات ساكنة بالطبع.

والتحقيق: ان السموات وما فيها كلها حية ناطقة مطيعة لله تعالى في حركاتها وان حركاتها عبادة ما ملكية، وما فيها موضع الا وفيه ملك ساجد او راعع، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «اطت السماء وحق لها ان تئط...» الحديث. فهذا معنى كون السماء عمراناً فانها مساجد الله وفيها بيت المعمور، وعمارة المساجد انما هي بالتسيح والذكر والصلوة، ومن ههنا يعلم بطلان قول من زعم من الظاهريين ان الفلك جماد غير ذي روح ونطق وان الكواكب كالدر واليواقيت وسائر الاحجار جمادات، وهؤلاء قولهم كقول الطباعية.

ومما يكذبهم في هذا القول ما ورد في الادعية السجادية على قائلها السلام والتحية عند رؤية الهلال من قوله في مخاطبة القمر: ايها الخلق المطيع الدائب السريع. وقوله: المتصرف في فلك التدبير وكذا ما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه قوله عليه السلام: وكيف احتجب عنك من اراك قدرته في نفسك.

يريد ان ظهور الشيء على الناس اي على المشاعر والحواس اما بظهور ذاته او بظهور اثاره وافعاله، والاول لا يكون الا لجسم مكيف بالكيفيات المحسوسة، والله سبحانه ليس بجسم ولا محسوس فكيف يظهر بذاته على الناس واهل الحواس؟

واما الثاني وهو الظهور من جهة الاثار فهو الصحيح في حقه تعالى الواقع منه على خلقه، فن حيث ارانا قدرته وفعله فما احتجب عنا بل ظهر لنا غاية ما يمكن من ظهوره علينا مادامنا في هذا العالم متعلقين بهذا القوى والابدان الكثيفة العنصرية، وقدرته فينا احوالنا المتقابلة وهيئاتنا المتضادة من النشوء بعد العدم والكبر بعد الصغر والقوة بعد الضعف وعكس ذلك، والصحة بعد السقم وعكسه، والرضاء بعد الغضب وعكسه الى غير ذلك من الحالات النفسانية والانفعالات القلبية التي عددها عليه السلام مما ليست بقدرة العبد واختباره، ولا يملك لنفسه شيئاً من ذلك فيشتهي وينفر كرهاً ويرغب ويرهب جبراً ويرجو ويأس اضطراراً ويصح ويمرض سخط ام رضى ويعيش ويموت شاء ام ابى، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حيوة ولا نشوراً.^١

بل قدير به ان يعلم شيئاً فيجهله ويريد ان يذكر فينسى، ويريد ان ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل، ويريد ان ينصرف قلبه الى ما يهيمه في اودية الوسوس والاهوام

بالاضطرار في الافكار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه، فيشتهي الشيء فرما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء و يكون حيوته فيه، يستلذ الاطعمة ويهلكه ويستبشع الادوية وهي تنفعه.

وبالجمله لا يزال يرد على نفسه التي هي اقرب الشيء اليه الاحوال من عالم الغيب من غير اختيار له في جعلها او دفعها فهو من مقدرات الله بلا شبهة، وليست هي كالمشي والكتابة والقيام والقعود والاكل والشرب وغيرها مما يشبهه على الناس انها مقدورة لله او مقدورة لهم، مع ان الكل بقضائه وقدره، الا ان الضرب الاول اضطراري محض للعباد والضرب الثاني مما لهم فيه اختيار في عين الاضطرار كما ستعلم فيما يجيئ من الاحاديث وشرحها، ولذلك خص الصادق عليه السلام البيان بما هو من الضرب الاول يعني الاحوال والملكات دون الافعال والحركات، فلا يمكن لاحد ان يجحد كونها من قدرة الله.

فان رجع احد وقال: لما كان السبب في عدم ظهوره تعالى للخلق حتى شاهده وسمعوا دعوته واجابوه تقدس ذاته وتجرده وكثافة ذواتهم وتجسمهم، فما السبب المانع في ان الله او بعض ملائكته يظهر لعباده في الدنيا على سبيل التمثل والتصور كما تمثل الملك وهو روحاني بصورة جسمانية كما تمثل جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله؟

فالجواب: ان ذلك على تقدير جوازه غير نافع لهم ولا دافع للالتباس الواقع لهم، اذ لا فرق عند الحس المشترك بين كون المحسوس صورة بشرية من الخارج او تمثلاً ملكياً يبرز من الباطن الى الخارج والى نحو ذلك اشير في قوله تعالى: وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكاً لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون^١.

انارة كشفية

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه، لان كلها هو اقوى وجوداً فهو اشد ظهوراً، اذ الوجود هو النور والله اقوى الموجودات، لان وجودات ما سواه منه وبه حصلت وباشراق ذاته عليها ظهرت، فكان هذا يقتضي ان يكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول، ويرى الامر على ضد ذلك، فلا بد من بيان السبب فيه، اما بيان انه وجب ان يكون اظهر الاشياء فلنوضحه بمثال وهو: انا اذا رأينا

انساناً يكتب او يخيط كان كونه حياً عالماً قادراً مريداً عندنا من اظهر الاشياء، وهذه الصفات اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة، اذ لا نعرف بعضها كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه ونشك في بعضها كمقدار طوله وعرضه ولون بشرته وغير ذلك .

واما حيوته وعلمه وقدرته وارادته فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق الحس الظاهر بها؛ لانها غير محسوسة بشيء من الحواس الظاهرة وليس عليها مع هذا الوضوح والجلء إلا دليل واحد وهو الكتابة او الخياطة .

واما وجود الله تبارك وتعالى وقدرته وعلمه وارادته وحيوته فيشهد له جميع ما في الكون وكل ما نشاهده او ندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدبر ونبات وشجر وحيوان وارض وساء وكوكب ومجر وبر ونار وهواء، بل ادل شاهد عليه انفسنا واوصافنا وتقلب احوالنا المذكورة في الحديث، واظهر الاشياء في عملنا انفسنا ثم احوالنا ومحسوساتنا باحدى الحواس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة، وكل واحد من هذه المدركات له دليل واحد وشاهد واحد، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته .

فان كانت الكاتب ظاهرة عندنا وليس لها شاهد إلا حركة يده، فكيف لا يظهر عندنا؟ مالا يتصور شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه، وما من ذرة إلا وتنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك .

فاذا علمت هذا فنقول: لما لم يبق في الوجود مدرك ولا محسوس ولا معقول ولا حاضر ولا غائب الا وهو شاهد على وجوده معرف لعظم ظهوره، فانهرت العقول ودهشت عن ادراكه .

فان ما يعجز عن فهمه عقولنا له علتان: احديها خفائه في نفسه كالهبولي والعدم والزمان والحركة والعدد والنسبة وغيرها، والثانية غاية جلاله ووضوحه وقصور القوة الادراكية، كمثال نور الشمس وبصر الحفاش، فان بصره ضعيف يبهه نور الشمس في النهار اذا اشرفت، ولهذا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره ابصر بالليل، فكذلك عقول البشر ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في غاية الاشراق ونهاية الشمول والاستغراق حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بشدة

ظهوره واختفى عن البصائر باسراق نوره .

وايضاً الاشياء قد يستبان باضدادها ، وما عم وجوده وشموله حتى لا ضد له كاصل الوجود عسر ادراكه ، فلولا غروب لنور الشمس ولا احتجاب له عن بعض مواضع الارض لكننا ظننا ان لاهيئة في الاجسام الا سطوحها والوانها ، ولكن لما غابت الشمس واطلمت بعض مواضع الارض^١ ادركنا تفرقة بين الحالين وعرفنا وجود النور بعدمه عند الغروب ، ولولا عدمه ما كنا نطلع عليه الا بعسر شديد ، هذا مع ان النور اظهر المحسوسات .
فالله سبحانه ، هو اظهر الاشياء وبه ظهرت الانوار كلها ، ولو كان له عدم او غيبة او تغيير لانهدمت الارض والسماء ولانعدمت الاشياء كلها وبطل الملك والملكوت ولا دركت به تفرقة بين الحالتين ، ولو كان بعض الاشياء موجوداً به و بعضها موجوداً بغيره لادركت التفرقة في الدلالة ، ولكن وجوده دائم في الاحوال ودلالته عامة على نسق واحد في الاشياء فلا جرم اورث شدة الظهور خفائه . فهذا هو السبب في قصور الافهام .

واما اقوياء البصائر والعقول فانهم شاهدوه وعلموا انهم شاهدوه وعلموا انه ليس في الوجود الا الله تعالى ، وافعاله اثر من اثار قدرته ، فهي تابعة له فلا وجود للاثار بما هي اثار ، وانما الوجود بالحقيقة للواحد الحق الذي به وجود الافعال ، ولا وجود للفعل بما هو فعل الآ بالفاعل ، والعالم كلها افعال الله تعالى فقط ، لا بمعنى ان وجود كل منها شيء وكونه فعلا لله شئ اخر غيره ، لا بالذات ولا بالاعتبار .

فن نظر اليها من حيث انها فعل الله ، لم يكن ناظراً الآ في الله ولا عارفاً الا بالله وكان هو الموحد بالحق^٢ الذي لا يرى الا الله ، بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله ، فهذا المستغرق في الشهود وهو الذي يقال انه فنى في التوحيد وانه فنى عن نفسه ، واليه الاشارة بقول من قال : كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن .

فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور عبارات العلماء بها عن ايضاحها وبيانها مع سائر الاسباب من جحود الظاهريين من العلماء وانكار اهل الجدل والبحث على من نطق به ، ومن انس الانسان منذ الصبي عند فقد العقل بالمدركات والمحسوسات التي كلها شواهد على الله لا بما هي شواهد ، فيبدو فيه غريزة العقل

١- بعض المواضع - م - ط .

٢- الموجود الحق - م - د .

قليلاً قليلاً وهو مستغرق بشهواته انس بمدركاته على الوجه الذي الفها، فسقط وقعها عن قلبه، فهذا وامثاله سدت على سبيل الاستنارة بانواع المعرفة بالله والسباحة في بحارها الواسعة.

فالناس في طلب معرفة الله كالمدهوش في طلب شيء هو معه، كما يضرب به المثال فيمن كان راكباً لحماره وهو يطلب حماره، وان الجليات اذا صارت مطلوبة معتاصه^١، افي الله شك فاطر السموات والارض^٢، فهذا اصل هذا الامر واساسه فليتحقق.

الحديث الثالث

وهو الثالث عشر والمائتان

«حدثني محمد بن جعفر الاسدي» رحمه الله ابو الحسين الرازي كان احد الابواب، لم يرو، له كتاب روى عنه التلعكبري كذا في الفهرست، قيل: الظاهر انه ابن جعفر بن محمد بن عون الاسدي «عن محمد بن اسماعيل البرمكي الرازي» ابن احمد بن البشير المعروف بصاحب الصومعة ابو عبدالله سكن بقم وليس اصله منها، ذكر ذلك ابو العباس بن نوح، واختلف علمائنا في شأنه فقال النجاشي: انه ثقة مستقيم، وقال ابن الغضائري: انه ضعيف، وقول النجاشي عندي ارجح «صه» «عن الحسين بن الحسن بن برد الدينوري عن محمد بن علي عن محمد عبدالله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال دخل رجل من الزنادقة على ابي الحسن عليه السلام وعنده جماعة.

فقال ابو الحسن ايها الرجل رأيت ان كان القول قولكم وليس هو كما تقولون السنا واياكم شرعاً سواء لا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا واقرنا فسكت الرجل ثم قال ابو الحسن عليه السلام وان كان القول قولنا وهو قولنا الستم قد هلكتم ونحونا فقال رحمك الله اوجدني كيف هو واين هو فقال و يلك ان الذي ذهب اليه غلط هو اين الاين بلا اين وكيف الكيف بلا كيف فلا يعرف بالكيفوية ولا باينونية ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء فقال الرجل فاذن انه لا شيء اذا لم يدرك بحاسة من الحواس فقال ابو الحسن عليه السلام و يلك لما عجزت حواسك عن ادراكه انكرت ربوبيته ونحن اذا عجزت حواسنا عن

١- اي: صلب واشتد.

٢- ابراهيم ١٠.

ادراكه ايقتنا انه ربنا بخلاف شيء من الاشياء.

قال الرجل فاخبرني متى كان قال ابو الحسن عليه السلام^١ اني لما نظرت الى جسدي ولم يمكني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرت المنفعة اليه علمت ان لهذا البنيان بانيا فاقدرت به مع ما ارى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجري الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبينات علمت ان لهذا مقدرًا ومنشأً».

الشرح

يقال : الناس في هذا الامر شرع سواء اي متساوون لا فضل لاحدهم فيه على الاخر، وهو مصدر بفتح الراء وسكونه ويستوي فيه الواحد والثنية والجمع والمؤنث؛ اوجدني اي افدني؛ يقال : اوجده الله مطلوبه اظفره به واغناه، وكيف اصله اسم مبنّي على الفتح يقال للاستفهام عن الاحوال وقد يقع للتعجب، واين سؤال عن المكان وقد يطلقان لا بمعنى الاستفهام بل الاول بمعنى الحال والصفة والثاني بمعنى الحصول في المكان فيعربان، وويل كلمة عذاب وويلك وويل لك وويل زيد وويل لزيد. اعلم ان في الحديث مطالب :

الاول البيان الاقناعي في وجوب الطاعة لله وانقياد الشريعة واثباته على من له ادنى عقل واحتياط وقد سبق مثله في الحديث السابق وفيما روى عن امير المؤمنين عليه السلام وقد نظم بعضهم : قال المنجم والطبيب كلاهما .. البيتين^٢.

الثاني تنزيهه تعالى عن ان يكون ذا كيفية او كمية، ولنشر الى معنى كل منها واقسامه ليتبين انه لا يجوز وصفه تعالى بهما.

فنقول : اما رسم الكيفية فقيل : انها هيئة قارة في المحلّ، لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه، وهذه القيود تفارق سائر اجناس الاعراض واقسامها، فان الاجناس العالية التي لا جنس فوقها للاعراض

١- اخبرني متى لم يكن فاخبرك متى كان، قال الرجل فما الدليل عليه، فقال ابو الحسن عليه السلام (الكافي).

٢- قال المنجم والطبيب كلاهما لن يحشر الاجساد قلت : اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر ان صح قولي فالخسار عليكما

تسعة: الكيف والكَم وباقى السبعة النسبية، اذ معنى العرض نفسه ليس جنساً لما تحته كما حقق، فخرج بهذه القيود ما سوى الكيفية من الثمانية الباقية واقسامها اربعة.

لانها اما ان تختص بالكميات من جهة ما هي كم، كالمثلثية والمربعية وسائر الاشكال للسطوح والاجسام والانحناء والاستقامة للخطوط والزوجية والفردية والصمم والتشارك والجزرية للاعداد وهذا قسم اول، واما ان لا يكون مختصاً بها، وهي اما ان تكون محسوسة كالالوان والطعوم والروائح والحرارة والبرودة، وهذه تنقسم الى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل وتسمى كيميائيات انفعالية، اما لانفعال الحواس عنها واما لانفعالات موضوعاتها بها، او غير راسخة اما سريعة الزوال كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها بسببها بسرعة وهذا قسم ثان، واما ان لا تكون محسوسة وهي اما استعدادات اما للكلمات كالاستعداد للمقاومة والدفع والانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصحاحية^١ والصلابة، او للنقائص مثل الاستعداد بسرعة للاذعان والانفعال ويسمى ضعفاً ولا قوة طبيعية كالمراضية واللين، واما ان لا تكون استعداداً لكلمات او نقائص بل لا يكون في انفسها كمالات او نقائص وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها ثابتاً يسمى ملكة كالعلم والقدرة والشجاعة، وما كان سريع الزوال يسمى حالاً كغضب الحليم ومرض المصحح النفساني.

فهذه اقسام الكيف وكل منها جنس يندرج تحته انواع كثيرة.

واما الاين فرسمه كون الشيء في المكان، وهذا الكون غير وجود الشيء في نفسه، فان كون الانسان في الاعيان، وجوده في نفسه، وكونه في المكان، اضافة عرضت له بعد كونه انساناً من حيث ان احدهما حاو والاخر محمول وتحته انواع، فان الكون فوق، نوع، والكون تحت، نوع، والكون في السماء نوع والكون في الارض نوع.

وايضاً من الاين ما هو اول وحقيقي ككون الشيء في مكانه الخاص، والاين الغير الحقيقي ككون الشيء في السماء او في الهواء او في السوق، وايضاً الاين منه جنسي ككون الشيء في المكان ومنه نوعي ككون الشيء في الهواء ومنه شخصي ككون الشيء في هذا المكان.

ونقول: الاين فيه مضادة، فان الكون في الفوق المطلق اعني عند المحيط هو

مضاد للكون عند المركز وهما معنيان وجوديان، وقد يوجد او يتصور لهما موضوع واحد يتعاقبان عليه وبينهما غاية الخلاف، وهذا هو حدّ الضدّ .
وايضاً فان الاين يقبل الاشد والاضعف، فانه قد يكون اثنان وكلاهما فوق واحدهما اشد فوقية .

فاذا تقرر ماهية الكيف والاين فنقول: من المحال ان يوصف تعالى بهما، لان كلا منهما حادث بالذات ممكن الوجود مفتقر الى جاعل يوجده برئ الذات عن الاتصاف بهما، اما حدوثه وامكانه الذاتيين: فلكونه ذا ماهية غير الوجود وكونه عرضاً قائماً بمحلّه فهما مفتقران الى الجاعل وينتهي افتقارهما بالآخرة الى الحق تعالى .
واما برائته عنهما: فلان موجد الشيء متقدم عليه بالوجود، فيستحيل ان يكون المكيف بالكسر، اي فاعل الكيف مكيفاً بالفتح، اي منفعلاً، والا لزم تقدم الشيء على نفسه وكون الشيء الواحد فاعلاً وقابلاً لشيء واحد، وهما محال، وكذا الكلام في الاين بل الكلام فيه ابين واظهر.

لان كلّ ذا اين محتاج في وجوه الى الاين، فخالق الاين غير متأين، والى هذا المطلب اشار عليه السلام بقوله: هو آين الاين بلا اين و كيف الكيف بلا كيف، واذ لم يوصف بكيفية ولا اين فلا يجوز السؤال عنه بكيف هو ولا اين هو؟ اذ لا يمكن تعريفه بهما، ولهذا قال عليه السلام: فلا يعرف بالكيفية ولا باينونية، وانما اشتق هذا اللفظان لانه كثيراً ما يطلق لفظ الكيفية على افراد الكيف الموجودة كالسواد والطعم وغيرهما دون المعاني المصدرية، فاذا جعل المصدر كالاسم واريد اشتقاق مصدر آخر عنه فلا بد حينئذ من تصرف زائد عليه فيقال للكيفية الكيفية وكذا الحال في الاين والاينونية .

المطلب الثالث في انه تعالى لا يدرك بالحواس ولا بشيء من المدارك، اما انه لا يدرك بالحواس فلان ادراكها مقصور على ما هو محسوس بالذات كاحدى الكيفيات المحسوسة من الالوان والاصوات والطعوم والروائح واول الكيفيات الاربع، او ما هو محسوس بالعرض كالمقارنات لها، وقد علمت ان البارئ ليس بكيفية ولا ذي كيفية .

واما انه غير مدرك بشيء اخر كالعقل والوهم، لان كل ما هو معلوم بشيء اخر غير ذاته اي بصورة مساوية له في الحقيقة، فيلزم ان يكون له ماهية كلية مشتركة بينه وبين مثاله المساوي له والا لم يكن تلك الصورة علماً به، وكل ما له ماهية غير الوجود الصرف

المتأكد فهو معلول مفتقر في وجوده الى جاعل يجعله موجوداً، فلا يكون لها حقاً. فالاله الحق ما لا يدرك بشيء، وليس كمثلته شيء، اذ هو بخلاف الاشياء، وزعمت النفوس العامة ان ما لا يكون محسوساً ولا يشبهه فهو معدوم، اذ الموجود عندهم منحصر في المحسوس بذاته او بصفاته، فنبه عليه السلام ان الامر بضد ما زعموه ونقيض ما توهموه بقوله: ونحن اذا عجزت حواسنا عن ادراكه ايقنا انه ربنا بخلاف شيء من الاشياء، والضمير في انه للشأن.

المطلب الرابع في الاستدلال على وجود الصانع. لما قال الرجل فاخبرني متى كان، ولم يكن مراده بكلمة متى السؤال عن زمانه تعالى بل مطلوبه اقامة الدليل على وجوده، فان كثيراً ما يقال متى كان واين ونحوهما ويراد بها وجه وجود الشيء ودليله، فاورد عليه السلام وجوها من الدلائل والشواهد على وجوده سبحانه بعضها من الانفس وبعضها من الافاق كما اشير اليه في الكتاب الالهي «سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق»^١، وقدم القسم الانفسي لانه اقرب اليها.

وفي كل من السيلين ايات كثيرة وبراهين عديدة الا انه عليه السلام ذكر منها ما هو اوضح واقترب الى فهم المستمعين وترك الوجوه الدقيقة الشريفة لقصور مداركهم عن دركها.

فذكر من القسم الاول الاستدلال باحوال البدن من النشوء والنمو والذبول والهزال والزيادة والنقصان والشباب والهرم والشهوة والغضب والذكاء والبلادة وسائر الامور التي ليس لاختيار الخلق مدخل فيها، ولا يمكنهم فيه زيادة او نقصان او تبديل شيء منها بمقابلته، ولا يمكن ان ينسب الى الطبيعة التي لا شعور لها بذاتها فضلاً عما يصدر عنها من الامور التي لها غايات وفيها روعيت مصالح وحكم، فهي مسخرة في فعلها.

فعلم ان لهذا البنيان الحكمي والبيت المعمور والكتاب المسطور ربانياً قدسياً وعامراً غيبياً وكاتباً الهياً، فيجب الاقرار.

وذكر من القسم الثاني الاستدلال بدوران الفلك وهواية، وبانشاء السحاب وهواية، وتصريف السحاب وهواية، واجراء كل من الشمس والقمر والنجوم ايات، وقد علمت كيفية الاستدلال بكل واحدة من هذه الامور في الحديث الثاني عشر الذي رواه

هشام، فكل من هذه الآيات وغيرها من الآيات الافاقية والانفسية دلائل واضحات وشواهد بينات على وجود الصانع العليم المدبر الحكيم.

الحديث الرابع وهو الرابع عشر والمائتان

«علي بن ابراهيم عن محمد بن اسحق الخفاف» في الكشي: انه من رجال العامة الا ان له محبة^١ شديدة «او عن ابيه عن محمد بن اسحق قال ان عبدالله الديصاني سأل هشام بن الحكم فقال له الك: رب' قال بلى قال اقادرو قال نعم يقدر هو قال قادر ان يدخل الدنيا كلها في بيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا قال هشام النظرة قال له قد انظرتك حولاً ثم حولاً ثم خرج عنه فركب هشام الى ابي عبد الله عليه السلام فاستاذن عليه فاذن له فقال له يابن رسول الله اتاني عبد الله الديصاني بمسئلة ليس المعول فيها الا على الله وعليك فقال له ابو عبدالله عليه السلام عماذا سألك فقال قال لي كيت وكيت.

فقال ابو عبدالله عليه السلام ياهشام كم حواسك قال خمس قال ايها اصغر قال الناظر قال وكم قدر الناظر قال مثل العدسة او اقل منها فقال له ياهشام فانظر امامك وفوقك وخبرني بما ترى فقال ارى سماء وارضا ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وانهاراً فقال له ابو عبدالله عليه السلام ان الذي قدر ان يدخل الذي تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة فاكب هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه وقال حسبي يابن رسول الله وانصرف الى منزله وغدا عليه الديصاني فقال له ياهشام اني جئتك مسلماً ولم اجئك متقاضياً للجواب فقال له، هشام ان كنت^٣ متقاضياً فهالك الجواب».

الشرح

الديصاني منسوب الى الديصان يقال: داص يديص ديصانا، اي زاغ وحاد، ولعله سمى بذلك لزيغته وحيدته عن الدين بعد ان كان، اذ نقل انه كان من تلامذة الحسن

١- له ميلاً ومحبة «كش».

٢- قادر قاهر، قال: يقدران (الكافي).

٣- كنت جئت (الكافي).

البصري فراغ والحد عن الاسلام لورود شبهات لم يقدر على حلها استاذہ بزعمه ؛ والنظرة المهلة ؛ والحدود العام ؛ والمعمل المستغاث يقال : عولت به وعليه اي استغثت ؛ وكيت وكيت كناية عن الامر نحو كذا وكذا، وقد تضم التاء وتكسر ؛ والناظر الجليدية وهي رطوبة شفافة بل صيقلية داخل طبقات العين وبها الرؤية ؛ واكب تقلب وكب الاناء قلبه وكبه لوجهه صرعه فاكب هو على وجهه، وهذا من النوادر ان يقال : افعلت انا وفعلت غيري، وغدا عليه يغدو غدواً اي جائه غدوة وهي ما بين صلوة الغداة الى طلوع الشمس ثم عمم .

واعلم ان معنى كونه تعالى قادر على كل شيء ان كل ماله ماهية امكانية او شيئية تصويرية فيصح تعلق قدرته به، واما الممتنعات فلا ماهية لها ولا شيئية حتى يصح كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقص على عموم القدرة، بل القدرة عامة والفيض شامل، والممتنع لا ذات له وانما يخترع العقل في وهمه مفهوماً يجعله عنواناً لامر باطل الذات كشريك البارئ واللاشيء واجتماع النقيضين، او يركب بين معاني ممكنة احادها تركيباً ممتنعاً، فان كلاً من المتناقضين كالحركة والسكون امر ممكن خارجاً وعقلاً، وكذا معنى التركيب^١ والاجتماع امر ممكن عيناً وذهناً، واما اجتماع المتناقضين : فلا ذات له لا في الخارج ولا في العقل لكن العقل يتصور مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التلفيق ويجعله عنواناً ليحكم على افرادها المقدرة بامتناع الوجود، وكون الكبير مع كبره في الصغر من هذا القبيل .

اذا علمت هذا فالجواب بالحقيقة عن مسألة الديصاني ان يقال : ان الذي سألت من ادخال الدنيا مع بقاء عظمها في البيضة مع بقاء صغرها امر محال والمحال غير مقدور عليه، اذ لا ذات له ولا شيئية الا انه عليه السلام عدل عنه الى ما ذكره لقصور الافهام العامية عن ادراك ذلك الوجه، فالذي افاده عليه السلام وجه اقناعي مبناه على المقدمة المشهورة لدى الجمهور: ان الرؤية بدخول المرثيات في العضو البصري، فاكتفى في الجواب بهذا القدر لقبول الخصم وتسلمه^٢ اياه .

واما التحقيق في امر الابصار وغيره من الادراكات وعلم النفس بالاشياء الخارجة

١- تركيب - م - د .

٢- تسليمه - م - ط .

عنها فشيء غامض لطيف وهو لب الحكمة ومخها لا يدركها الا من ارتاضت نفسه مدة مديدة بالرياضات العقلية والمجاهدات التفسرية؛ ومن امعن النظر في كيفية الابصار وهو دون التخيل والعقل على الوجه الذي ذهبنا اليه موافقاً للشواهد السمعية ومحققاً لمسألة المعاد والحشر الاجساد، لقضي اخر العجب فيه من ظهور قدرة الله وعجيب صنعه عليه .

والذي يدل على صحة ما حملنا عليه غرض هذا الحديث ومعناه ما رواه محمد بن علي بن بابويه في كتاب التوحيد باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام، قال: قيل لامير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان يصغر الدنيا او يكبر البيضة؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى لا ينسب الى العجز والذي سألتني لا يكون .

فهذا الحديث صريح في ان الذي سأله ذلك الرجل امر ممتنع بالذات محال والمحال غير مقدور عليه، اذ لا شئية له وان الله على كل شيء قدير، فلولم يكن معنى الرواية ما اولناها عليه لكان بين الروایتين تناقض وجلت احاديث أئمتنا عليهم السلام ان يكون بعضها يناقض بعضاً لعصمة الجميع عن الخطاء .

وروى ايضاً فيه مسنداً عن ابي عبدالله عليه السلام انه جاء رجل الى امير المؤمنين عليه السلام فقال: ايقدر الله ان يدخل الارض في بيضة ولا يصغر الارض ولا يكبر البيضة؟ فقال له: وملك ان الله لا يوصف بالعجز، ومن اقدر من يلطف الارض ويعظم البيضة؟ فدللت هذه الرواية ان ادخال العظيم في الصغير لا يمكن الا بان يصغر العظيم او يعظم الصغير بنحو التكاثف والتخلخل او ما يجري مجراها، وان تصغير الارض الى حد تدخل في البيضة او تعظيم البيضة الى حد يدخل فيها الارض غاية القدرة، ولنرجع الى تنمة الرواية وشرحها .

«قال فخرج الديصاني عنه حتى اتى باب ابي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فاذن له فلما قعد قال له يا جعفر بن محمد دلني على معبودي فقال له ابو عبدالله عليه السلام ما اسمك فخرج عنه ولم يخبره باسمه فقال له اصحابه كيف لم تخبره باسمك فقال لو كنت قلته عبدالله كان يقول ما هذا الذي انت له عبد فقالوا له عد اليه وقل له يدللك على معبودك ولا يسألك عن اسمك .

فرجع اليه فقال يا جعفر بن محمد دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي فقال له ابو عبدالله عليه السلام اجلس واذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال له ابو عبدالله

عليه السلام ناولني يا غلام البيضة فناوله اياها فقال ابو عبدالله عليه السلام يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا يدري للذكري خلقت ام للانثى تنفلق عن مثل الوان الطواويس ترى لها مدبراً قال فاطرق ملياً ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وانك امام وحجة من الله على خلقه وانا نائب مما كنت فيه» .

الشرح

فقال له اصحابه اي اصحاب ابي عبدالله عليه السلام: يدلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك ، هذا منصوب المحل بانه مفعول لقل ، وليس يجوز ان يكون جواباً للامر والا لبقى الامر بلا مأموره ولفظ القول بلا مفعول ، وكان الاصل فيه ان يقال: قل له دلني على معبودي ولا تسألني عن اسمي ؛ الا انه عدل عنه الى هذه العبارة لئلا يتوهم انه كلام القائل وانه ليس تلقيناً . ناولني اي اعطني ؛ والحصن بالكسر واحد الحصون وهو كل مكان محرز لا يتوسل الى ما في جوفه ، ومكنون صفة حصن باعتبار المتعلق ، اي مكنون ما فيه او هو مكنون فيه ، ويحتمل الاضافة اي حصن امر مكنون ؛ مائعة اي سائلة جارية ؛ والذائب خلاف الجماد وهو اشد لطافة من المائع ؛ وتنفلق اي تنشق ؛ واطرق الرجل اذا سكت فلم يتكلم واذا ارخى عينيه ينظر الى الارض ملياً اي زماناً متسعاً ، يقال: انتظرته ملياً ، اي متسعاً طويلاً من الدهر وهو صفة استعملت استعمال الاسماء ، وفي قوله تعالى: «واهجرتني ملياً»^١ ، اي دهرأ طويلاً ، عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبیر .

اراد عليه السلام ان يشير الى اية من ايات قدرة الله وعلامة من علامات صنعته وحكمته ليستدل بها على الديصاني ، واتفق حينئذ حضور غلام بيده بيضة يلعب بها فتناولها واخذها وبيّن عظيم صنع الله فيها .

فذكر اولاً ان هذا حصن مكنون ليظهر انه لم يتعرف فيه احد من الخارج حتى لا يسع لاحد ان يقول: لعل الذي تكون فيه من تأثير فاعل من خارج ادخل فيه شيئاً .

ثم ذكر ثانياً ان له جلد غليظ لئلا يذهب الوهم الى دخول اشياء لطيفة حاملة
للاصباغ ونحوها التي تتلون بها ما يتكوّن في الداخل .

ثم قال ثالثاً: وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة
ذائبة، ليتبين انه ليس فيها سوى هذه الامور الثلاثة شيء، ولا يذهب الوهم الى ان المحلوق
لعله حصل من تركيب الاجزاء الموجودة فيها بالفعل وليس الامر الحادث الا امتزاج الاجزاء
كالسكنجين وبعض المعاجين، وانما سقط هذا الوهم لان الذي خلق منها له اجزاء كثيرة
مخالفة لهذه الثلاثة .

ووصفها رابعاً بالرفقة والميعان والذوبان للتنبيه على اية اخرى وهي ان الجسمين
المتجاورين في اناء واحد احدهما مائع ثقيل والاخر ذائب خفيف لا بد ان يمتزجا عند
تقلب الاناء، وان يرسب الثقيل في الخفيف عند سكونه، وحيث بقيا متجاورين على وضع
واحد طول المدة فدل على فاعل خارج عن عالم الطبيعة والجسم سخر طبيعتها على هذا
الوضع .

واكد خامساً بقوله: فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة
تختلط بالذهبة المائعة فهي على حالها .

واشار سادساً بقوله: لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها
مفسد فيخبر عن فسادها الى مانبة انفاً بقوله: حصن مكنون، لئلا يتوهم المتوهم ان المؤثر
فيها والمحول لها من حال الى حال ومن صورة فاسدة الى صورة المائعة صالحة ليس بامر دخل
فيها من خارج او خرج من داخل، بل الذي يحول ما في البيضة و يصوره بصور مختلفة بيد
قدرته ليس مما يمكن ان يشاهد ذاته ولا يده ولا قلم صنعه وتصويره، وانما له ان يرى بهذا
الحس الظاهر صنائعه ويعلم انها ليست من جنس صنائع غيره، فلوتيسر لاحد ان يشاهد ما
في البيضة مجرداً عن قشره فيرى النقوش والهيئات يظهر عليه شيئاً فشيئاً على التدرج الى
اخر ما عليه الطاووس من الالوان العجيبة والنقوش الانيقة الحسنة، ولا يرى من داخله ولا
من خارجه يد نقاش ولا آلة صنعه ولا حركتها لقضى آخر العجب وعلم ان كل ذلك شواهد
متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلاله خالقها معربة عن كمال
حكمة بارئها .

وقوله سابعاً: لا يدري للذكر خلقت ام للانثى، اشارة الى آية اخرى وهي ان نسبة

ما في البيضة اليها نسبة واحدة، اذ ليس في كل من البيضتين الا مثل ما في الاخرى، فاتحاد القوابل والمواد مع تحالف ما حصل منها من صور الاضداد لا بد وان يستند الى قدرة الفاعل الجواد.

وقوله ثامناً: تنفلق عن مثل الوان الطواويس، على حذف المضاف الى ذي ألوانها، اشارة الى الصورة الكائنة مع ما فيها من عجائب الحلقة وغرائب الصنعة من مثل هذه المادة التي لا مماثلة ولا مشابهة بينها وبين الكائنة.

فدل جميع ذلك دلالة واضحة قطعية على ان موجد هذا الامر الكائن من تلك الذهبية المائعة والفضة الذائبة ومصوره ومقدره بهذه الصورة والشكل والمقدار ومدبره ومزينه بهذه النقوش والالوان والاعضاء والاجزاء فضلاً عن افادته الحيوية والقدرة والشعور والارادة و الحواس الظاهرة والباطنة امر ليس بجسم ولا جسماني كالطبيعة وما يجري مجراها، فان الذي نسب اختلاف الوان الريشة الواحدة الى الطبيعة فقد بعد عن درك الحكمة^١ بعداً كثيراً، فان فعل الطبيعة لا يتعدى عن نحو واحد وليس لها القصد الى اغراض وغايات ومنافع وخيرات، ومبادئ الامور كغاياتها واوائلها كنهاياتها.

فن تأمل في ما يظهر داخل البيضة على تلك المادة اللزجة كالنطفة، هذه التصاوير والهيئات والاشكال والاعضاء والنقوش والالوان التي في الرياش يضطر الى الاعتراف بوجود من له الملك والملكوت والكبرياء والجبروت فضلاً عن التأمل في سائر الاحوال والكمالات التي تختص بكل نوع من انواع الطيور وسائر انواع الحيوانات من البهائم والوحوش وغيرها مما ليس بمحسوس، كصفات نفوسها واخلاقها وعاداتها وفنون ادراكاتها واراداتها واغراضها ومنافع افعالها مما يخرج عن الحصر والضبط.

ولذلك لما سمع الديصاني لما ذكره عليه السلام ونبهه على عجب خلقه ما يتكون من داخل البيضة فاطرق ملياً وتأمل ساعة ادرك الحق واسلم واعترف بالربوبية وعلم صدق الانبياء والاصياء عليه السلام فيما قالوه وادعوه، فشهد ان الله واحد وان محمداً عبده ورسوله وان اهل بيته ائمة وحجج الله على خلقه وتشرف بالايمان وتاب مما كان عليه من الكفر والجحود والعصيان، والله ولي التوفيق والاحسان.

الحديث الخامس وهو الخامس عشر والمائتان

علي بن ابراهيم عن ابيه عن عباس بن عمير الفقيمي عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي اتى ابا عبدالله عليه السلام وكان من قول ابي عبدالله عليه السلام لا يخلو قولك انها اثنان من ان يكونا قديمين قويين او يكونا ضعيفين او يكون احدهما قويا والآخر ضعيفا فان كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير وان زعمت ان احدهما قوي والآخر ضعيف ثبت انه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني فان قلت انها اثنان لم يخل من ان يكونا متفقين من كل جهة او مفترقين من كل جهة فلما راينا الخلق منتظما والفلك جاريا والتدبير واحدا والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الامر والتدبير وائتلاف الامر على ان المدبر واحد.

ثم يلزمك ان ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة فان ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى يكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد الى ما لا نهاية في الكثرة قال هشام فكان من سؤال الزنديق ان قال فما الدليل عليه فقال ابو عبدالله عليه السلام وجود الافاعيل دلت على ان صانعاً صنعها الا ترى انك اذا نظرت الى بناء مشيد مبني علمت ان له بانياً وان كنت لم تر الباني ولم تشاهده قال فما هو قال شيء بخلاف الاشياء ارجع بقولي الى اثبات معنى وانه شيء بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الا زمان».

الشرح

الجس المس باليد ويقال جسّه الطبيب اذا مسّه ليعرف حرارته من برودته، والمجس الموضع الذي يجسه الطبيب.

هذا الحديث مشتمل على ثلاثة مقاصد: احدها اثبات ان إله العالم واحد لا شريك له، وثانيها اثبات انه موجود، وثالثها اثبات ان لا ماهية له سوى حقيقة الوجود البحت كما قال الحكماء انية الواجب ماهيته، معناه لا ماهية له سوى حقيقته.

اما المقصد الاول فذكر عليه حجتين: احديهما عامية مشهورة والاخرى خاصة برهانية.

اما الاولى فقوله: لا يخلو قولك انها اثنان الى قوله: للعجز الظاهر في الثاني، معناه انه لو فرض قديمان فلا يخلوان يكون كلاهما قويين او كلاهما ضعيفين او احدهما قوي والآخر ضعيف، والشقوق الثلاثة باسرها باطلة، اما بطلان الشق الاول فلانها اذا كانا قويين وكل منهما في غاية القوة من غير ضعف وعجز كما هو المفروض، والقوة تقتضي الغلبة والقهر، وغاية القوة تقتضي الغلبة والقهر على كل شيء سواه فما السبب المانع لان يدفع كل واحد منهما صاحبه حتى ينفرد بالتدبير والقهر على غيره اي لا يتصور في كل منهما سبب يمنعه عن ذلك.

لان اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركز في كل ذي قوة على قدر قوته، والمفروض ان كل منهما في غاية القوة، فان عجز كل منهما او احدهما عن دفع صاحبه لم يكن قوياً غاية القوة، ثم لما لم يكن بينهما تفاوت في القوة كما هو فرض هذا الشق فيلزم من تدافعهما تفسادهما فيلزم من فرض وجودهما معاً عدمهما معاً.

واما بطلان الشق الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس لما حكموا بالفطرة من ان الضعف ينافي الالهية ولظهوره لم يذكره.

وايضاً يعلم فساد بفساد الشق الثالث وهو قوله: وان زعمت ان احدهما قوي والآخر ضعيف ثبت انه واحد، اي اله واحد كما نحن نقول للعجز الظاهر في المفروض ثانياً، لان الضعف منشأ العجز، والعاجز لا يكون الهاً بل مخلوقاً محتاجاً لانه يحتاج الى من يعطيه القوة والكمال والخيرية، اذ كل شيء مجبول في ان يطلب كماله ويقصد خيره طبعاً او ارادة.

واما الحجة البرهانية فالاشارة اليها بقوله عليه السلام: فان قلت انها اثنان الى قوله: ما لا نهاية له في الكثرة. وبيانه: انه لو فرض موجودان قديمان فاما ان يتفقا من كل جهة او يختلفا من كل جهة او يتفقا بجهة ويختلفا باخرى والكل باطل محال. وفي بعض النسخ: او مفترقين من جهة بحذف لفظة كل، فلم يذكر القسم الثاني لظهور فساد، اذ ما شيئين موجودين الا واتفقا من جهة واقلها الوجود والشيئية، وعلى النسخة الاخرى التي فيها لفظة كل، يلزم ترك القسم الاخير وانما ترك لانه الباقي المطلوب ليظهر الخلف وان كان

المطلوب نقيضه كما في سائر براهين الخلف .

اما بطلان الاول : فان الاثنية لا يتحقق الا بامتياز احد الاثنين عن صاحبه ولو بوجه من الوجوه .

واما بطلان الثاني : فلما ذكرنا ولما نبه عليه بقوله عليه السلام : فلما رأينا الخلق منتظماً الى قوله : واحد، وتقديره : ان العالم كله كشخص واحد كثير الاجزاء والاعضاء مثل الانسان، فاننا نجد اجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصة وتباين صفاتها وفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض ويفتقر بعضها الى بعض ويتقوم به وكل منها يعين بطبعه صاحبه ويمده في فعله الطبيعي المتعلق بنظام الكل .

وهكذا نشاهد الاجرام العالية وما ارتكز فيها من الكواكب النيرة في حركاتها الدورية الدائمة واضوائها الواقعة منها مستقيماً ومنعكسة ومنعطفة نافعة للسفليات محصلة لامزجة المركبات التي تتوقف عليها صور الانواع ونفوسها وحيوة الكائنات ونشو الحيوان والنبات، وكذا نشاهد حركة الاسفل الى الاعلى وتوجه الاوضاع الى الارتفاع، فالجميع مع اختلافها متفقة، لانها تنحونحواً واحداً وتأم غاية واحدة، بل اختلافها سبب الاتفاق كاختلاف اعضاء الشخص الواحد في بقاء حيوته، ولهذا قال الحكماء : العالم شخص واحد وحدة طبيعية .

الاترى ان كل واحد من اعضاء الشخص وان وجد ممتازاً بطبيعته عن طبيعة غيره وجدت له طبيعة عامة منبثة فيها من عضو واحد كالرئيس مدبرة لها هي قوة الحياة والحس ومبدأ الحركة والسكون؟ ولولاها لما انتظمت الاعضاء الجسدانية في رباط واحد، فكذلك حال اجزاء العالم في ان لها قوة عامة فائضة عليها بواسطة الاجرام العالية التي هي كالقلب والدماغ بالاضافة الى ما تحتها من الاجرام السفلية .

فاذا كانت الحال في الاجرام السفلية محققة على هذه الشاكلة فلم يخرجها تفرد كل منها بطبيعة خاصة وفعل خاص من ان تكون منتظمة تحت القوة العامة المسكة لها على هذا النظام المستمر والائتلاف المحكم والصنع المتقن، ولولا اسست على هذه الجبله لوجد الوضع متبدداً والصنع منتشراً والرؤساء كثيرين .

١- ويتقوم وكل منهما - م - د ببعض وينتفع به ويفتقر بعضها الى بعض ويتقوم به وكل منها -

فاذا ثبت وتحقق ما ذكرناه من وحدة العالم لوحدة النظام واتصال التدبير دل على أنّ الهه واحد وان الموجودات العالية مع كثرتها وتفرقتها وتفرد كل منها بطبيعة خاصة هي متشاكله متحدة من وجه وكلها صنع قادر حكيم ومدبر عليهم واليه الاشارة بقوله عليه السلام: دل صحة الامر والتدبير وأتلاف الامر على ان المدبر واحد، ولاجل ذلك استدل امام فلاسفة المشائين ومعلمهم ارسطاطاليس على وحدة الاله بوحدة العالم.

فان قال قائل: من اين يثبت ان العالم منحصر في عالم واحد هو هذا العالم؟ فلفل في الوجود عوالم متعدّدة فوق واحد لكل منها سماء وارض وبسائط ومزاج^١ مخالفة بالنوع لما في هذا العالم ويكون لكل عالم اله اخر؟

قلنا: لا يخلوان فرض عالمان انها متماثلان متحدان في النوع بان يكون سماء أحدهما كسماء الاخر وارضه كارضه وهكذا في الجميع، او انها متباينان متخالفان بالنوع لا سبيل الى الاوّل.

لان الاختلاف بين المتماثلين بالنوع انما يكون بعوارض خارجية لاحقة من خارج وهي لا تكون دائمية^٢، فاذا زال العارض يبطل الاختلاف، ولان لكل جسم كالارض مثلا حيزاً طبيعي^٣ اذا خلى وطبعه كان فيه ولم يخرج عنه الا بقاسر، فعلى الفرض المذكور يلزم ان يكون ارض احد العالمين او كليهما مقسورة في حيزها ابدأً — من حيث هي مطبوعة ابدأً — وهو محال، وكذلك في سائر اجسامها الطبيعية ولا الى الثاني.

فلما برهن عليه حسبها اوردها في كتبنا كالمبدأ والمعاد وغيره ان ليس للممكنات جواهرها واعراضها وعقوها ونفوسها واجسامها البسيطة والمركبة وكيفياتها نوع مخالف لما في هذا العالم ذاتاً ووجوداً ولا ترتيباً ووضعاً ولا ابداعاً وتكويناً فليس في الامكان وجود سماء تحت الارض ولا عقل بعد الجسم ولا نبات اشرف من الحيوان، فلو فرض اله آخراً — تعالى الله عن الشريك والمثل علواً كبيراً — لكان يلزم ان يكون صنعه ايضاً على هذا المثال وترتيب مصنوعاته على هذا السبيل، والتالي محال كما علمت فكذا المقدم وهو المطلوب.

واما بطلان الشق الثالث وهو انها متفقان من وجه ومختلفان من وجه اخر وهو الشق

١- مركب - م - د .

٢- دائمة - ط .

٣- حيزاً طبيعياً - م - ط .

الذي لا يتصور خلافه، فان وجود الاثنين غير متصور الا باختلاف من وجه واختلف من وجه فبان يقال كما اشار اليه بقوله عليه السلام: ثم يلزمك ان ادعيت اثنين فرجة انه لا بد فيهما من شيء يمتاز به احدهما عن صاحبه وصاحبه عنه، وذلك الشيء يجب ان يكون امراً وجودياً يوجد لاحدهما ولم يوجد في الاخر او امران وجوديان يختص كل منهما بواحد فقط .
واما كون الفارق المميز لكل منهما عن صاحبه امراً عدمياً فهو ممتنع بالضرورة^١، اذ الاعداد بما هي اعدام لا تمايز بينها ولا تميزها، فاذا فرض قديمان فلا اقل من وجود امر ثالث يوجد لاحدهما ويسلب عن الاخر، وهو المراد بالفرجة، اذ به يحصل الانفراج اي الافتراق بينهما — لوجوده في احدهما وعدمه في الاخر — وهو ايضاً لا محالة قديم موجود معها والا لم يكونا اثنين قديمين .

فيلزم ان يكون القدماء ثلاثة، وقد فرض اثنان هذا خلف .

ثم يلزم من كونهم ثلاثة ان يكونوا خمسة وهكذا يلزم من كونهم خمسة ان يكونوا تسعة وعلى هذا القياس يلزم ان يبلغ عددهم الى لا نهاية وهو محال .
فان قلت: لا نسلم كون اللاتناهي على هذا الوجه ممتنعاً، اذ لا ترتيب بين احادها، اذ الجميع واجبات على هذا الفرض .

قلنا: مع قطع النظر عن هذا يلزم هناك محال اخر وهو ان الكثير متناهياً كان او غير متناه لا بد فيه من وجود اثنين وكل اثنين فرضا فيه يلزم ان يكون ثلاثة وغير متناه كما مر .
فان قلت: هذا الاستدلال لو تم يقتضي ان لا يوجد اثنان في الخارج مطلقاً، وايضاً الامتياز بين الشئين قد يكون بتمام الذات والاشراك، بامر عام عقلي كالوجود والشيئية، فان الجوهر كالنفس والعرض كالسواد تمايزان بتمام ذاتيهما مشتركان في امر خارج عنها لازم لهما جميعاً، وهو الوجود العام، نعم! لو كان جهة الاتفاق بينهما امراً ذاتياً مقوماً لهما اولاحدهما، فيلزم الافتراق بفصل وجودي فيها او في احدهما، فلو فرضت هويتان بسيطتان مشتركين في وجوب الوجود الذي هو مفهوم عام ذهني فلا يلزم حينئذ محال .

قلت هذه شبهة مشهورة عجز اكثر الناس عن حلها، لكن من عرف حقيقة وجوب الوجود علم ان الذي به تصوير الاشياء والماهيات ذوات حقيقة هو اولى واحق بان يكون ذا حقيقة، بل هو نفس الحقيقة وهي المتحققة بذاتها المتحقق بها سائر الاشياء من ذوات

الماهيات .

فاذن لو فرض الهان لم يكن وجوب الوجود خارجا عن حقيقة كلّ منها، فلا بد حينئذ من الامتياز بشيء وجودي خارج عن حقيقة كل منها، اذ ليس انضمام ما فرض ههنا مميّزاً حاله كحال انضمام فصل بجنس، والجنس ماهية كلية مهمة تتحصل بالفصل، فيكون انضمام الفصل اليه انضمام امر محصّل الى امر مبهم ليصيروا معاً موجوداً واحداً، وكذا حكم انضمام الشخص الى النوع، واما ههنا فانضمام المميّز الى حقيقة واجب الوجود انضمام محصّل موجود الى محصّل موجود اخر، ولهذا يلزم ان المفروض اثنين ثلاثة والمفروض ثلاثة خمسة وهكذا الى لا نهاية؛ فافهم هذا او اغتمم فانه لباب مسألة التوحيد المستفاد من هذا الحديث بتأييد الله العزيز الحميد .

واما المقصد الثاني الذي هو في اثبات وجود الصّانع تعالى، فقد وقع في هذا الحديث بعدما تحقق ان واجب الوجود لا يكون الا واحداً، وذلك كما هو دأب الحكماء الالهيين من انهم كانوا يثبتون اولاً في العلم الكلي المسمى عندهم بالفلسفة الاولى الباحثة عن احوال الموجود بما هو موجود، احوال الواجب والممكن وخواص كل منها، وان الواجب تعالى احدى الذات فرداني الوجود وان كلّ ممكن زوج تركيبى له مماثل، كل ذلك على الوجه الكلي والمفهوم العام .

ثم اثبتوا في العلم الالهي المسمى عندهم بعلم الربوبيات وفي لغة اليونانيين باثولوجيا تفسيره معرفة الربوبية وهو الباحث عن اثبات الذوات المجردة عن الاجرام وعوارضها اثبات وجوده تعالى وماله من الصفات والافعال، وذلك لانه يجوز الشك لاحد في وجود الشيء مع العلم باحواله ولوازمه .

واعلم ان للحكماء في اثبات هذا المطلب منهجين: احدهما الاستدلال على وجوده تعالى من جهة النظر في افعاله واثاره، وثانيها الاستشهاد عليه من جهة النظر في حقيقة الوجود، وانها يجب ان تكون بذاتها متحققة^١ وبذاتها واحدة وهي ذات الواجب تعالى، وان ما سواه من الاشياء التي لها ماهيات غير حقيقة الوجود به تصير موجودة، وان وجودها رشح وتبع لوجوده، فدلّت على ذاته وعلى وحدة ذاته .

والى هذين المنهجين اشير في الكتاب الالهي حيث قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في

الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق»^١، هذا منهج قوم وقال: «اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد»^٢، هذا منهج قوم اخر وهم الصديقون الذين يستشهدون من ذاته على حقيقة ذاته ومن حقيقة ذاته على احدية ذاته كما قال تعالى: «شهد الله انه لا اله الا هو»^٣، ومن احدية ذاته على سائر صفاته ومن معرفة صفاته على كيفية افعاله الاوائل والثواني واحداً بعد واحد على ترتيب الاشرف فالاشرف الى ان ينتهي الى الجسمانيات والمتحركات .
ولا شك ان هذا المنهج احكم واوثق واشرف واعلى، الا انه غامض دقيق لا يعرفه الا المقربون الراسخون في العلم، ولهذا عدل عليه السلام عنه الى المنهج الاخر في جواب هذا السائل، وفيه ايضاً طرق عديدة بعضها للطبيين وهي طريقة الحركة وانها تنتهي الى محرك غير متحرك، وبعضها للمتكلمين وهي من جهة الحدوث او من جهة الامكان بشرط الحدوث، وبعضها لاصحاب فيثاغورس والرياضيين من جهة العدد واثبات اول الاحاد، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وهذا الذي ذكره اشرف منها واحكم وهو الاستدلال من الفعل على الفاعل ومن البناء على الباني فقال: وجود الافاعيل دلت على ان صانعاً صنعها، وانما قلنا انه اشرف واحكم لانه يرجع الى البرهان اللمى، لان كون الشيء على صفة قد يكون معلولاً لما ذاته علة له، الا ترى ان البناء من حيث هو بناء لا يعرف الا بالبناء، والكاتب من حيث هو كاتب يدخل في حده الكتابة؟ وما يدخل في حد الشيء يكون سبباً له وبرهاناً عليه لَمياً .
فذاته تعالى وان لم يكن من حيث ذاته برهان عليه، اذ لا جنس له ولا فصل له وما لا جنس له ولا فصل له لا حد له وما لا حد له لا برهان عليه، الا انه من حيث صفاته وكونه مصدراً لافعاله مما يقام عليه البرهان كقولنا: العالم مصنوع مبني، وكل مصنوع مبني يقتضي ان يكون له صانعاً بانياً، فالعالم له صانع بان، واذا ثبت ان للعالم صانعاً ثبت وجوده في نفسه ضرورة، اذ ثبوت الشيء على صفة في الواقع لا ينفك عن ثبوته في نفسه واليه الاشارة بقوله: انك اذا نظرت الى بناء مشيد مبني علمت ان له بانياً وان كنت لم تر الباني ولم تشاهده .

١- فصلت ٥٣ .

٢- فصلت ٥٣ .

٣- آل عمران ١٨ .

وأما المقصد الثالث الذي في ان ماهيته تعالى انيته بمعنى ان لاماهية له سوى الحقيقة المحصنة والانية البحتة والوجود الصرف الذي لا اتم منه، فلا يشوبه عدم ولا عموم ولا خصوص. فاليه الاشارة بقوله عليه السلام: شيء بخلاف الاشياء، لان كل ما سوى حقيقة الوجود له ماهية خاصة يعرضها عدم وقصور ويلحقها كلية او جزئية، وكل منها يسلب عنه اشياء كثيرة وجودية، فهذا جسم وهذه صورة وهذا فلك وهذا انسان، فما هو فلك ليس بانسان وما هو جسم ليس بعقل وما هي صورة ليست بمادة، وهذا بخلاف ذاته تعالى. اذ هو كل الوجود وكله الوجود، وما من شيء الا وهو ذاته او تبع وشرح لذاته، وما في الوجود الا ذاته وصفاته وافعاله ولهذا قال: وانه شيء بحقيقة الشئية غير انه لا جسم ولا صورة... الى اخره، فنفي عنه النقائص والقصورات والتراكيب والكثيرات والتغيرات والامكانات، فكل ما سواه يلحقه شيء من هذه المثالب والعيوب.

فالجسم مركب والصورة متعلقة الوجود بالمادة والمادة لا توجد الا بصورة ما، لانها امر بالقوة والعرض قائم بالموضوع، وكل ما يدركه الحس او يناله الوهم فهو ذا امثال وافراد خارجية او ذهنية، وكذلك كل ما يوجد في عقل او ذهن فهو قابل للاشتراك بين كثيرين، وكل ما يوجد في المكان فهو قابل للتجزية والانقسام، وكل ما يوجد في الزمان فهو موصوف بالانقضاء والانصرام، فذاته، تعالى وتقدس عن ان يكون له مثل ونظير او تدركه الحواس او تمثله الافكار وتعظم عن ان يتوارد عليه الازمنة والساعات والدهور والاقوات. واعلم ان مطلب هل البسيطة مقدم على مطلب ماء الحقيقة، فلهذا وقع السؤال اولا عن وجوده وثانياً عن بيان حقيقته.

الحديث السادس

وهو السادس عشر والمائتان

«محمد بن يعقوب قال حدثني عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن ابيه عن علي بن النعمان عن ابن مسكان عن داود بن فرقد عن ابي سعيد الزهري عن ابي جعفر عليه السلام قال كفى لاوي الالباب بخلق الرب المسخر وملك الرب القاهر وجلال الرب الظاهر ونور الرب الباهر وبرهان الرب الصادق وما نطق به السن العباد وما ارسل به الرسل وما انزل على العباد دليلاً على الرب.

الشرح

ذكر عليه السلام اموراً ثمانية كلّ منها كافٍ لذوي العقول دليلاً على وجود الرب . احدها خلقه المسخر له ، وثانيها ملكه القاهر على كلّ مالك ومملوك ، وثالثها جلاله الظاهر من عظام الخلقه وبدائع الفطرة ، كالأجرام العالية والنفوس وغيرهما ، ورابعها نوره الغالب على نور كل ذي نور وحس كل ذي حسّ وشعور ، وخامسها برهانه الصادق وهو وجود آياته الكائنة في السموات والارض ، وسادسها ما انطق به السن العباد من العلوم والمعارف وغيرها ، وسابعها ما ارسل به الرسل من الشرائع والاحكام والسياسات والحدود ، وثامنها ما انزل على العباد من الصحائف الالهية والكتب السماوية .

باب اطلاق القول بانه شيء

وهو الباب الثاني من كتاب التوحيد

وفيه سبعة احاديث :

الحديث الاول

وهو السابع عشر والمائتان

«محمد بن يعقوب» ضاعف الله اجره «روى عن علي ابن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن عبدالرحمن بن ابي نجران قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن التوحيد فقلت اتوهم شيئاً فقال نعم غير معقول ولا محدود فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه لا يشبهه شيء ولا تدركه الاوهام كيف تدركه الاوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الاوهام انما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود» .

الشرح

اعلم ان من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شيء من الاشياء لا ذهنياً ولا عيناً ، وهي كمفهوم الشيء والموجود والمخبر عنه وغير ذلك من المعاني الشاملة ، وهي شمولها على كلّ شيء لا يكون عيناً لشيء ولا يقع في العين بل الموجود في الاعيان لا يكون الاً امراً مخصوصاً كانسان او فلك او حجر او شجر ، فيمتنع ان يقع في الوجود ما هو شيء فقط ، ولو وجد معنى الشئئية في الخارج للزم من وجود شيء وجود اشياء غيرمتناهية ، اذ كل

ما تحقق في الخارج فهو شيء وله شيئية وللشيئية ايضاً شيئية اخرى على ذلك الفرض فذهب الامر الى لا نهاية وكذا الحال في نظائره، فهذه معان اعتبارية يعتبرها العقل لكل شيء.

اذا تقرر هذا فاعلم ان جماعة من المتكلمين ذهبوا الى مجرد التعطيل ومنعوا عن اطلاق الشيء والموجود واشباههما عليه تعالى محتجين على ذلك بانه: ان كان شيئاً يشارك الاشياء في مفهوم الشيئية، وان كان موجوداً يشارك الموجودات في معنى الموجودية، وكذا ان كان ذا حقيقة يشارك الحقائق في مفهوم الحقيقة، فيلزم عليهم كون خالق الاشياء لا شيئاً ولا موجوداً ولا ذا صفة ولا ذا هوية — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً — وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الامر وما صدق عليه وبين الحمل الذاتي والحمل العرضي.

فاذا علمت هذا فنقول: قولنا البارئ شيء، المراد ان ذاته تعالى يصدق عليه انه شيء، لا ان ذاته نفس هذا المعنى الكلي الذي هو من اجلي البديهيات واعرف التصورات، كيف وذاته غير حاصل في عقل ولا وهم؟ وهذا المفهوم ونظائره اوائل البديهيات، ولهذا لما سئل ابو نجران ابا جعفر عليه السلام وقال: هل اتوهم البارئ انه شيء من الاشياء؟ اجاب بقوله: نعم غير معقول ولا محدود.

معناه ان ذاته تعالى وان لم يكن معقولاً لا لغيره ولا محدوداً بحد، الا انه مما يصدق عليه مفهوم شيء، لكن كل ما يتوهم او يتصور من الاشياء المخصوصة فهو بخلافه ولا يشبهه اصلاً شيء مما في المدارك والاهام، لان كل ما يقع في الاهام والعقول فصورها الادراكية كيفيات نفسانية واعراض قائمة بالذهن ومعانيها ماهيات كلية قابلة للاشتراك والانقسام، فهو بخلاف الاشياء وبخلاف ما يتصور في الاهام والاذهان.

وقوله عليه السلام: انما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود، اراد به انه يجب انه يتوهم ويتصور انه تعالى شيء، ليس من شأنه ان يعقله بخصوصه عاقل او يحده حاد.

فان قلت: اذا امتنع ان يتوهم او يعقل او يدرك فكيف يتوهم انه لا يتوهم او يدرك انه لا يدرك او كيف يعقل انه لا يعقل؟

قلت: هذه شبهة كشبهة ترد على قولنا: المجهول المطلق لا يخبر عنه، وكقولنا: شريك البارئ ممنوع واجتماع النقيضين محال، وقولنا: اللاشيء والآلا ممكن غير موجود في العين ولا

١ — قال اتوهم شيئاً؟ اي هل توهم البارئ انه شيء من الاشياء؟ فاجاب — ط.

هل توهم البارئ انه شيء من الاشياء قال: هل اتوهم شيئاً؟ اجاب — د. اتوهم شيئاً؟ اجاب — م.

في الوهم، وقولنا: ان الممتنع لاذات له. والفرق بان هذه الامور الباطلة لفرط بطلانها لا صورة لها في العقل والبارئ جل اسمه لفرط تحصله ونوريته لا صورة له في العقل، ولكن البرهان حاكم بما يخبر في الموضوعين، ونحن فككنا تلك العقدة في كتبنا العقلية بان موضوعات هذه القضايا عنوانات تحمل على انفسها بالحمل الذاتي الاولي ولا يحمل على شيء مّا في الاعيان او في الازهان بالحمل المتعارف، اذ لا فرد لها اصلاً الا بمجرد الفرض فيحكم بهذه الاحكام على تلك الفرضيات من الافراد.

فاذا جاز لنا الحكم بالاستحالة والامتناع او عدم الاخبار او نحوها على تلك الامور التي لا صورة لها في الذهن لفرط بطلانها، فبان نحكم بالقدوسية والاحدية والتجرد عن المثل والصورة على خالق الاشياء ومحقق الحقائق وجاعل العقول والاهام وما فيها، الذي لا صورة له في العقل والوهم لفرط تحصله وشدة ظهوره وقوة نوريته لكان اولى واحرى. فالبرهان يحكم بان مبدأ سلسلة الممكنات وافتقارها ذات احدية لا يعقل ولا يتصور، وانما المعقول منه انه ليس بمعقول والمتصور منه انه ليس بمتصور.

الحديث الثاني

وهو الثامن عشر والمائتان

«محمد بن ابي عبد الله» في الفهرست: له كتاب روى عنه ابراهيم بن سليمان، قيل: وليس قطعاً محمد بن جعفر بن محمد بن عون الاسدي. «عن محمد بن اسماعيل» وهو البرمكي «عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح» الرازي هوي بن ضبة روى عن ابي الحسن الكاظم عليه السلام، ضعيف جداً كثير التفرد بالغرائب «صه» وكذا قاله النجاشي، ويحتمل ان يكون المراد بالمدكور ههنا ما في الفهرست بكر بن صالح الرازي روى عنه ابراهيم بن هاشم ويحتمل اتحادهما «عن الحسن بن سعيد» وفي نسخة حسين بن سعيد «قال سئل ابو جعفر الثاني عليه السلام يجوز ان يقال لله انه شيء قال نعم يخرج عن الحدين حد التعطيل وحد التشبيه.

الشرح

الضمير المستكن في قوله: يخرج، راجع الى القول او الى الشيء، والضمير المفعول

راجع الى القائل المدلول عليه بالالتزام ويحتمل عوده الى الله، والا اولى .
ومعنى اخراج هذا القول عن حد التعطيل : انه اذا لم يكن الله شيئاً يلزم ان يكون لا شيئاً، وهو يوجب تعطيله عن العبادة والعبودية، ومعنى اخراجه عن التشبيه : وهو ان اطلاق مفهوم الشيء على ذاته تعالى لا يستلزم كونه شيئاً مخصوصاً محدوداً بحد كجسم او صورة او جوهر او عرض او كيف او كم او مثال محسوس او موهوم او معقول او غير ذلك من ذوات الماهيات الكلية والجزئية .

الحديث الثالث

وهو التاسع عشر والمائتان

«علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن ابي المغراء^١، اسمه حميد بن المشنى بالشاء المثلثة والنون بعدها المشددة، العجلي الكوفي الصيرفي ثقة، له اصل قال النجاشي : انه روى عن ابي عبدالله وابي الحسن عليهما السلام وكان كوفياً مولى بني عجل ثقة ثقة، ووثقه ايضاً محمد بن علي بن بابويه رحمه الله «صه» وفي الفهرست : روى عنه صفوان يحيى وابن ابي عمير . «رفعه عن ابي جعفر عليه السلام قال قال ان الله خلو من خلقه وخلقه خلوعنه وكل ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله» .

الشرح

خلو بالكسر مصدر بمعنى خال، والغرض انه تعالى لا يشارك احداً من المخلوقات في ذاته ولا في شيء من صفاته الحقيقية لانها عين ذاته، وانما الاشتراك له معهم في امور خارجة عن ذاته وهي كالسلب والاضافات والمعاني الاعتبارية، فالاولى كالقدوسية والفردية ونحوهما والثانية كالمبدئية والاولية والرازقية وغيرها والثالثة كالشيئية والموجودية والهوية والذاتية، كل ذلك بالمعنى العام كما ذكرنا في الشيئية، فان هذه الاقسام كلها خارجة عن الذات .

فان قلت : كيف يتصور عدم اشتراكه تعالى مع شيء من المخلوقات؟ والحال انها موجودات خاصة وللوجود حقيقة خارجية ليس مجرد المفهوم العام — كالشيء والممكن ونحوهما — بل الوجود نفس ما به يتحقق كل موجود .

١- عن يونس عن ابن المغراء (الكافي) .

قلت : ليس اشتراك طبيعة الوجود بين الموجودات كاشتراك المعنى الكلي بين افراده، اذا طبيعته الوجود لو كانت امراً كلياً كانت مهمة محتاجة في تحققها الى ما به يتحقق في الواقع، كحال المعنى الجنسي او النوعي او العرضي حيث ان شيئاً منها لا يتحقق بنفس معناه بل بوجود زائد عليه، فلو كان الوجود كذلك لكان للوجود وجود اخر ويتسلسل الى لا نهاية.

فاذن الوجود في كل موجود نفس تعينه الخاص ووحدته الشخصية، وليس حال طبيعته في الاشتراك والاختلاف كحال الكليات الطبيعية في اشتراكها واختلاف افرادها، اذ اشتراكها بامر واختلافها في افرادها بامر اخر زائد عليها وهذا بخلاف طبيعة الوجود، فان ما به الاشتراك فيه عين ما به الاختلاف. والتفاوت بين احاد الوجود اماً بالشدة والضعف والتام والنقص واما بعوارض خارجية ولواحق مادية فيما يقبل التكثر والانقسام.

فالوجود الصرف التام الذي لا اتم منه، لا يشوبه نقص ولا عموم، ولا معنى خارج عن الحقيقة، يمتاز عن ما سواه بنفس هو يته وتام ذاته البسيطة، وليس وجوده شيء وتمايمته وشدته شيء اخر.

فثبت انه خلو عن مخلوقاته ومخلوقاته خلو عنه، لان وجوداتها رشحات خارجة عن بحر وجوده واضواء تابعة لشمس حقيقته.

واما قوله عليه السلام : وكلما وقع عليه اسم الشيء فهو مخلوق ما خلا الله، فلان كل شيء غيره اما ماهية او وجود، اما الماهية فلكونها غير الوجود يحتاج في موجوديتها الى جاعل يجعلها موجوداً، اذ الماهية لا تقتضي وجود نفسها والا لكان وجودها قبل وجودها وهو محال، ضرورة تقدم المقتضي على المقتضي. فكل ماهية او ذو ماهية فهو مخلوق، واما الوجود فلان كل وجود غير وجوده تعالى فهو يشوبه عدم ونقص فيحتاج الى موجد، وله حد من مراتب الوجود يحتاج الى محدد، اذ لو كانت نفس طبيعة الوجود يقتضي ذلك الحد لكان الجميع كذلك وليس كذلك. هذا خلف.

فاذن كل ماله حد وجودي فله علة محددة تحدده على ذلك الحد، وهذا بخلاف الوجود الالهي الذي لا ينتهي شدته الى حد ونهاية، بل هو وراء ما لا يتناهي بما لا يتناهي، فلا قاهر فوّه ولا محدد له، اذ ليس فيه شيء الا محض الحقيقة القدسيّة، وكل وجود سواه مخلوق. فثبت ما هو المطلوب.

الحديث الرابع وهو العشرون والمائتان

«عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد البرقي عن ابيه عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان عن زرارة بن اعين قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول ان الله خلون من خلقه وخلقه منه وكلما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء تبارك الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع العليم».

الشرح

هذا الحديث مشتمل على ستة احكام: اما الثلاثة الاولى فقد شرحناها واما قوله: والله خالق كل شيء، فلان كل ما سواه لو لم يكن مخلوقاً له لكان اما واجب الوجود واما مخلوقاً لغيره، واذ قد عرفت ان لا شريك له تعالى في وجوب الوجود والالهية، فسقط الاحتمالان كلاهما، واذ قد عرفت امتناع التسلسل في الموجودات ووجوب انتهاء الاسباب والمسببات الى ما لا سبب له وهو مسبب الاسباب من غير سبب، فعلمت وجوب انتهاء الكل اليه.

فثبت انه خالق كل شيء وجاعل كل نور وظلمة وفاعل كل ظل وفيء، ونسبة جميع الاشياء اليه تعالى نسبة سائر الاضواء وظلالها الى ضوء الشمس الذي به يضيء كل شيء وهو مستغن عن غيره — لو كان لضوئها قيام بنفسه — ولكنه يغير الاقل بان الضوء يحتاج الى موضوع وهو محسوس، والوجود الاول لاموضوع له ولا هو محسوس بل معقول لذاته وعاقل وعقل لذاته ولما سواه من الانوار العقلية القاهرة والمدبرة وسائر الصور والاجرام وعوارضها، فالوجودات الفائضة منه كالانوار والماهيات التابعة لها كالظلال والاجسام كالظلمات. وله المثل الاعلى في السموات^٢.

واما قوله تبارك الذي ليس كمثلته شيء، وصفه بالبركة لان الخيرات كلها من فيض وجوده واثار كرمه وفضله، ونفى المثل لما ثبت من قوله: ان الله خلون من خلقه وخلقه خلومنه، ان لا مشاركة بينه وبين غيره لا في الماهية ولا في جزء منها، فلا يمكن ان يكون له

١- البصير (الكافي).

٢- الروم ٢٧.

مثل، اذا الماثلة هي المشاركة في تمام الماهية، كما ان المجانسة هي المشاركة في بعض الماهية، وان المشابهة هي المشاركة في صفة قارة زائدة على الذات، فالبارئ جل اسمه حيث لا ماهية له غير الحقيقة الواجبية فلا مماثل له ولا مجانس، واذ ليس له صفة حقيقية زائدة على ذاته فلا شبيه له.

واعلم ان الكاف في قوله تعالى: ليس كمثله شيء^١، ان كانت زائدة كما هو الظاهر، فلا اشكال، وان كانت غير زائدة فالمراد منه المبالغة في نفي المثل عنه، اي ليس لمثل مثله وجود فكيف لثله؟ اوليس لمثله مثل فكيف لذاته؟ وهذا كما يطلق في العرف المثل ويراد به الذات، فيقال: مثلك لا نظيره في العالم.

واما قوله: وهو السميع العليم، فانما ذكره لانه لما ذكر ان ذاته تعالى لا مثل له في الاشياء ولا مشاركة بينه وبين غيره، يتوهم من هذه التنزيه انه لا يتصف بشيء من الصفات الحقيقية والا لزم^٢ المشابهة بينه وبين غيره بل الماثلة بينهما، لان صفاته عين ذاته، فذكر انه مع تقدسه عن المثل والشبيه موصوف بانه سميع عليم.

وذلك لان كونه سميعاً عليماً ليس بجارحة ولا بكيفية نفسانية انفعالية ليلزم الاشتراك بينه وبين السامعين والعلماء او بينه وبين اسماعهم وعلومهم، بل حقيقة ذاته المقدسة التي هي محض الوجود الذي لا اتم منه ينكشف له المسموعات ويحضر لديه المعلومات، وليس معنى السماع الا حضور صورة المسموع عند قوة ادراكية يسمى بالسمع او السامعة، ولا العلم الا حضور صورة المعلوم عند قوة علمية تسمى بالعقل او العاقلة، وليس من شرط السماع ان يكون بالة ولا مجلول صورة في ذات السامع او في آلة منه، بل انما روح معناه انكشاف المسموع وحضوره، سواء بنفسه او بصورة، وكذا الكلام في العلم.

فاذن ذاته تعالى سميع اذ ينكشف عنده المسموعات وسمع، اذ به يقع ذلك الانكشاف لا بامر اخر، وهكذا قياس كونه عليماً وعلمياً، وسيأتي زيادة التوضيح لهذا المقام ان شاء الله تعالى.

١- الشورى ١١ .

٢- لزم - م - ط .

الحديث الخامس وهو الحادي والعشرون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن علي بن عطية» هذا الاسم مشترك بين ثلاثة رجال : احدها الحنات الكوفي ثقة روى عن ابي عبدالله عليه السلام «صه» والثاني من اصحاب الكاظم عليه السلام، كوفي له كتاب روى عنه ابن ابي عمير «ست» وهو ابن عطية السلمي مولا هم، والثالث علي بن عطية الكوفي من اصحاب الباقر عليه السلام، قيل : والظاهر ان الجميع واحد، والله اعلم «عن خيشمة» بالثاء المثلثة بعد الياء، ابن عبدالرحمن الجعفي، قال علي بن احمد العقيقي : انه كان فاضلا وهذا لا يقتضي التعديل وان كان من المرجحات عندي «صه» «عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله خلق كل خلقه وخلقه خلومنه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء».

الشرح

قد مضى شرح مثله فلا حاجة الى الاعادة، ولكن قد بقيت فيه دقيقة ينبغي التنبيه عليها وهي انه قال عليه السلام : كل ما وقع عليه اسم الشيء، ولم يقل كل شيء، لنكتة وهي ان المخلوق او المفعول ليس مفهومات الاشياء، بل افرادها ووجوداتها كما هو التحقيق سواء كانت في الخارج او الذهن، فان المفعول من الانسان ليس مفهوم الانسان من حيث مفهومه، بل الصادر بالذات هو وجود فرد من افراده، ثم هو بنفسه انسان ونطاق وحيوان وجسم وحساس ونام وغيرها من اجناسه وفصوله وذاتيته من غير تخلل جعل مستأنف بينه وبينها، وكذا هو بذاته شيء وذات مفهوم وممكن وغيرها من لوازم الماهيات، ولكن كل منها اذا اعتبر او لوحظ ولو بوجه انه شيء لكان موجوداً، لان صدق الشيء على شيء واعتباره او ادراكه يقتضي وجوده، فكل شيء، اي ما يطلق عليه اسم الشيء ومفهومه موجود وان لم يكن مفهوم الشيء موجوداً الا بعد اعتباره، وكل موجود ما خلا الله فهو مخلوق له، فافهم .

الحديث السادس وهو الثاني والعشرون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن العباس بن عمر الفقيمي» مجهول «عن هشام بن الحكم عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال للزنديق حين سأله ما هو قال هو شيء بخلاف الاشياء ارجع بقولي الى اثبات معنى وانه شيء بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا تدرك بالحواس الخمس لا يدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الازمان فقال له السائل فتقول انه سميع بصير فقال هو سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه و يبصر بنفسه ليس قولي انه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه انه شيء والنفس شيء اخر ولكن اردت عبارة عن نفسي اذ كنت مسؤلاً وافهاماً لك اذ كنت سائلاً فاقول انه سميع بكله لا ان الكل منه له بعض ولكني اردت افهامك والتعير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك الا الى انه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى.

الشرح

اما قوله عليه السلام: هو شيء بخلاف الاشياء الى قوله: لا تغيره الازمان، فقد مضى شرحه، واما قوله: هو سميع بصير... الى اخره، فتقول في شرحه ومعناه: انه لما توهم السائل ان تنزهه عليه السلام للبارئ سبحانه عن مشاركة غيره من الموجودات وتقديسه اياه عن كل ما يدرك بحس او وهم منقوض بكونه سمياً بصيراً — لان بعض ما سواه يوصف بهذين الوصفين — ازاح ذلك الوهم بان كونه سمياً بصيراً لا يوجب له الاشتراك مع غيره لا في الذات ولا في صفة متقررّة لذاته، لان غيره سميع بجارحة بصير بالة، وهو تعالى يسمع و يبصر لا بجارحة ولا بالة ولا بصفة زائدة على ذاته ليلزم علينا ان يكون له مجانس او مشابه، بل هو سميع بنفسه و بصير بنفسه.

وقد مر ان ذاته بذاته سمع وسميع باعتبارين، فكذلك بصر و بصير باعتبارين، وكذا القياس في كونه علماً وعلماً وقدرة وقديراً وارادة ومريداً وحيوة وحيياً وكذا في جميع صفاته الحقيقية، وهذه الاعتبارات لا توجب له كثرة في الذات ولا في الصفات لا بحسب

الخارج ولا بحسب العقل، اذ مرجع الجميع الى الذات الاحدية المنفصلة عن ما سواه بنفسه .
ثم اشار الى دفع توهم اخر وهو ان يقال : قولكم يسمع بنفسه يستدعي المغايرة بين
الشيء ونفسه — لمكان باء السببية والصلة — او يقال : حمل شيء على شيء او صدقه عليه
مما يستدعي مغايرة ما بين الموضوع والمحمول .

فاذا قلنا : انه سميع بنفسه، فيتوهم ان المشار اليه بانه شيء والسميع بنفسه شيء
اخر فقال عليه السلام : ليس قولي سميع يسمع بنفسه ... الى اخره .

والمُرَاد ان الضرورة دعت الى اطلاق مثل هذه العبارات للتعبير عن نفي الكثرة عن
ذاته حين كون الانسان مسئولاً، يريد افهام السائل في المعارف الالهية سيما في مقام التوحيد،
فانه يضطر الى اطلاق الالفاظ الطبيعية والمنطقية المستعملة التي تواطأ عليه الناس، فانه ان
قصد اختراع الفاظ اخر واستئناف وضع لغات سوى ما هي مستعملة لما كان احد يُوجد
السبيل اليها بمحدود، وهو المراد من قوله عليه السلام : ولكن اردت عبارة عن نفسي اذ كنت
مسئولاً، اي اردت التعبير عما في نفسي من الاعتقاد في هذه المسألة بهذه العبارة الموهمة للكثرة
لضرورة التعبير عما في نفسي، اذ كنت مسئولاً ولضرورة افهام الغير الذي هو السائل، والآ
فالذي في نفسي لا يقع الاحتياج في تعقله الى عبارة، اذا المرجع والمراد بقولي انه سميع ان
ذاته من حيث ذاته مصداق معنى السميع وقولي يسمع بنفسه، انه يسمع لا بغيره وكذا في
غير ذلك من الصفات الوجودية بلا اختلاف في الذات ولا اختلاف في معاني الصفات،
لانها كلها موجودة بوجود واحد بسيط من كل وجه، لانها لا تقتضي كثرة لا في الذات ولا
في الاعتبار .

فهو سميع من حيث هو بصير وبصير من حيث هو سميع وعليم من حيث هو قدير،
وذاته سمعه وبصره وعلمه وقدرته وحيوته وارادته، فهو سميع بكله عليم بكله قدير بكله بهذا
المعنى، لا ان فيه شيئاً دون شيء او جزء بوجه من الوجوه، بل المرجع فيه الى ضرورة التعبير
عما في الضمير كما مرّ .

و يوافق لهذا الكلام الصادر عن مشكوة الولاية ومعدن الحكمة ما قاله بعض الحكماء
وهو ابونصر الفارابي : انه تعالى وجود كلّه وجوب كله علم كله قدرة كلّه حيوة كلّه ارادة
كلّه، لا ان شيئاً منه علم وشيئاً اخر قدرة ليلزم التركيب في ذاته، ولا ان شيئاً فيه علم
وشيئاً اخر فيه قدرة ليلزم التكثير في صفاته، انتهى كلامه .

وقال ابو علي بن سينا: كونه تعالى عاقلاً لذاته ومعقولاً لذاته لا يوجب ان يكون هناك اثني عشرية — لا في الذات ولا في الاعتبار — فالذات واحدة والاعتبار واحد، لكن في الاعتبار تقديم وتأخير في ترتيب المعاني، ولا يجوز ان تحصل حقيقة الشيء مرتين كما تعلم، فلا يجوز ان يكون الذات اثنين، انتهى .

والمراد بقوله: لا يجوز ان تحصل حقيقة الشيء مرتين، انه لو كان كونه عاقلاً لذاته غير معقولاً لذاته يلزم حصول حقيقة الشيء الواحد مرتين وكون الذات الواحدة ذاتين وهو محال. فهكذا نقول في سائر صفاته الحقيقية، اذ كل منها عين ذاته، فلو تعددت لزم كون الذات الواحدة ذواتاً.

وقال في موضع آخر: الاول لا يتكرر لاجل تكثر صفاته، لان كل واحد من صفاته اذا حقق يكون الصفة الاخرى بالقياس اليه، فيكون قدرته حيوته وحيوته قدرته وتكونان واحدة، فهو حي من حيث هو قادر وقادر من حيث هو حي وكذلك سائر صفاته، ولنرجع الى تنمة الرواية.

«قال له السائل فما هو فقال ابو عبدالله عليه السلام هو الرب وهو المعبود وهو الله وليس قولي الله اثبات هذه الحروف الف ولام وهاء ولا راء ولا باء ولكن ارجع الى معنى وشيء خالق الاشياء وصانعها ونعت هذه الحروف وهو المعنى سمي به الله والرحمن والرحيم والعزیز واشباه ذلك من اسمائه وهو المعبود جل جلاله وعز» .

لما ذكر عليه السلام اولاً في جواب السائل الذي قال: ما هو؟ انه شيء بخلاف سائر الاشياء كلها، ثم ذكر في ذكر جواب شكه الذي اورده من ان كونه سميماً بصيراً يناقض كونه مخالفاً لما سواه: ان لا صفة فيه زائدة على ذاته، بل مرجعها كلها الى الذات الاحدية التي تخالف سائر الاشياء.

فعاد السائل الى سؤاله الاول بزيادة اقتراح بقوله: فما هو؟ اي اذا تفردت ذاته عن سائر الاشياء من حيث لا يشاركه شيء لا في الذات ولا في الصفات، فما هو وباي شيء تعرف ذاته؟ فان التعريف اما ان يكون بالحدود واما بالرسم، واذ ليس بذي اجزاء فلا حد له، واذ ليست له صفة لازمة ولا خاصة^٢ زائدة فلا رسم، وهذا بعينه كسؤال فرعون لموسى

١- جل وعز (الكافي).

٢- خاصة - م - د .

عليه السلام .

والجواب : ان التعريف غير منحصر في هذين الوجهين ، بل قد يعرف الشيء باثارة وافعاله كما في القوى حيث تعرف بافاعيلها ، وقد علمت متا سابقا كيفية اقامة البرهان الشبيه باللمي على وجوده تعالى ، فقس عليه اقامة الحد كالحود المأخوذة عن الافاعيل كحد الصانع بما هو صانع والباقي بما هو بان ، وهو المراد من قوله تعالى حكاية عن قول الكلیم عليه السلام في جواب فرعون : رب السموات والارض وما بينهما !

فقوله عليه السلام : هو الرب وهو المعبود وهو الاله اشارة الى هذا البيان الذي ذكرنا ، فانا اذا رأينا المربوبات علمنا ان لها رباً ، واذا نظرنا الى العباد علمنا ان لها معبوداً وخالقاً ، واذا ابصرنا الى وَله الاشياء وتفرعها وتوجهها نحو الغاية المطلوبة علمنا ان لها الهاً ، فنعرف ان للوجود رباً معبوداً والهاً قيوماً .

ثم اعلم ان كثيراً من الاوهام العامة يذهب الى ان قولنا : زيد انسان ، المراد به حمل لفظ الانسان ، على زيد ، واذا أُريد التنبيه على اسمه فيقال : هذا زيد ، فيتوهم انه عين اسمه ، حتى ان كثيراً من المتكلمين وقع بينهم الاختلاف في ان الاسم هل هو عين المسمى او غيره ، ومنشأ غلطهم ما ذكرت من مثل قولنا : زيد انسان وقولنا هذا زيد ، والثاني مأول بان هذا مسمى بلفظ زيد فلا حمل فيه الا في المعنى .

فاشار عليه السلام الى تحقيق الامر في هذا المقام لئلا يلزم اتحاده تعالى بالحروف وينقدح التوحيد الموجب لكونه مجرد الذات عن مشاركة الغير بانه : ليس المراد من قوله الله او الرب اثبات هذه الحروف ، ولكن المرجع فيه الى حمل المعنى والمرجع في حمل المعنى الاشارة الى شيء ومعنى هو خالق الاشياء وصانعها والى نعت هذه الحروف بازائها وهو المعنى ، اي ذلك هو معنى هذه الحروف ، سمي بذلك ذات الله كما سمي بالرحمن والرحيم والعزيز ونظائر ذلك من اسمائه الحسنی وصفاته العليا .

فقوله : الله ، اقيم مقام المفعول الاول لسمي وقوله : الرحمن ، وما عطف عليه مبتدأ خبره قوله : من اسمائه وهو المعبود ، اي ذاته المسمى باسم الله وسائر الاسماء هو المعبود ، جلّ جلاله وعز دون الاسماء .

«قال له السائل فانا لم نجد موهوماً الا مخلوقاً قال أبو عبدالله عليه السلام لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنا مرتفعاً لانا لم نكلف غير موهوم ولكننا نقول كل موهوم بالحواس مدرك به تحده الحواس وتمثله فهو مخلوق اذا كان النبي هو الابطال والعدم والجهة الثانية التشبيه اذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف فلم يكن بد من اثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار اليهم انهم مصنوعون وان صانعهم غيرهم وليس مثلهم اذ كان مثلهم شبيها بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد اذ لم يكونوا وتنقلهم من صغر الى كبر وسواد الى بياض وقوة الى ضعف واحوال موجودة لا حاجة بنا الى تفسيرها لبيانها ووجودها».

الشرح

لما ادى كلامه عليه السلام في تنزيهه تعالى عن المثل والشبه الى ان ذاته تعالى شيء ينعت بأسماء ونعوت الفاظها ومعانيها خارجة عن ذاته، الا ان معانيها مفهومات ذهنية وهمية يعرف بها ذاته تعالى كالمعبود والرحمن والرحيم وغيرها، فرجع السائل معترضاً مستشكلاً فقال: فانا لم نجد موهوماً الا مخلوقاً، اي كل ما نتوهمه او نتصوره فهو مخلوق، فكيف يوصف ويعرف به خالق الاشياء؟

فاجاب عليه السلام عن ذلك أولاً بوجه النقض بانه لو لم نتوهم ذاته بهذه المعاني الوهمية ولم نعرفه بمثل هذه المفهومات الذهنية لكان التوحيد عنا مرتفعاً، اذ لا نقدر ولا نستطيع في توحيده وتعريفه الا بوسيله هذه المعاني الوهمية.

وثانياً بوجه الحل وهو اننا وان لم نعرف ذاته الا على سبيل التوهم وبوسيلة المعاني المشتركة الكلية، ولكننا مع ذلك نرجع ونلتفت الى تلك المعاني التي كانت عنوانات ومرائياً بها عرفنا ذاته، فنحكم عليها بان كل موهوم باحدى القوى والحواس ظاهرية او باطنية وكل مدرك لنا باحدى المشاعر صورة كانت او معنى فهو محدود وممثل تحده الحواس وتمثله الافكار، وكل ما هو كذلك فهو مخلوق مثلنا مصنوع بفكرنا، وخالق الاشياء منزه عنه وعن معرفتنا ايضاً التي تحصل لنا بهذه الامور، فنعرف ذاته باننا لا نعرف ذاته.

وهذه غاية معرفتنا بذاته ما دمنا في هذا العالم، اذ ما لا سبب له لا يمكن العلم به الا بمشاهدة صريح ذاته واما من جهة اثاره وافعاله، لكن العلم الذي هو من جهتها لا يعرف بها

حقيقة ذاته بل يعرف كونه مبدأ لتلك الاثار والافعال او صانعاً او نحو ذلك من المعاني الاضافية الخارجية^١، ومع ذلك يحصل الجزم بكونه موجوداً وكونه على صفة كذا وكذا مما يليق به من النعوت الكمالية.

وقوله: اذ كان النفي هو الابطال والعدم، اراد به اثبات الحكم الكلي الذي ذكره وهو ان كل موهوم او مدرك فهو مخلوق اي موجود، لان لا يرد عليه النقص، انا نتصور اموراً لا وجود لها اصلاً، كالألأموجود واللاشيء ونحوهما، فاشار الى دفعه بان هذه الامور من حيث تمثلها في الوهم موجودة مخلوقة، والنفي المحض بما هو نفي بطلان محض وعدم صرف لا حصول له اصلاً.

وقوله: والجهة الثانية التشبيه، اراد به وجها اخر لكل ما يدرك بالحواس او يتمثل في كونه مخلوقاً مصنوعاً وهو كونه ذا مثل وشبيه، والتشبيه صفة المخلوق المستلزم للتركيب والتأليف، اذ كل ما يشبه شيئاً فله شيء به يشارك الاخر وله شيء اخر به يمتاز عنه فيكون مركباً وكل مركب مخلوق وكل مخلوق فله خالق، فلا بد ان ينتهي المخلوقات الى خالق لا شبه له، ولذا قال: فلم يكن بد من اثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار المتأدي اليهم انهم مصنوعين^٢، لان كل مركب مصنوع وان صانعهم غيرهم — لضرورة تحقق المغايرة بين الصانع والمصنوع —.

ثم لا يكفي مجرد المغايرة، اي بوجه دون وجه لاستلزام التركيب في الصانع من ذينك الوجهين، فيحتاج لتركيبه الى صانع اخر ولذا قال: وليس مثلهم، اي من كل وجه، اذ لو كان مثلهم ولو بوجه شبيها بهم في ذلك فيلزم التركيب الموجب للاحتياج الى الغير، ثم زاد في البيان استظهاراً بذكر نقائص المخلوقات من الحدوث والانفعالات والتغير في الاحوال والاعدام والملكات ليدلّ دلالة واضحة على ان صانعها ومبدعها متعال عن المثل والشبه.

فثبت وتحقق ان للانسان سبيلا الى معرفة خالق الاشياء بوسيلة معان ادراكية يثبت بها الصانع وصفاته، ثم يعلم انه وراء ما يتصوره ويدركه وينزهه به.

«قال السائل فقد حددته اذا ثبت وجوده قال ابو عبدالله عليه السلام لم احده ولكني اثبته اذ لم يكن بين النفي والاثبات منزلة قال له السائل فله انية ومائية قال نعم لا

١- الخارجية - م - د.

٢- مصنوعون - م .

يثبت الشيء الابانية ومائية قال له السائل فله كيفية قال لا لان الكيفية جهة الصفة والاحاطة ولكن لا بد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه لان من نفاه فقد انكره ودفع ربوبيته وابطله ومن شبهه بغيره فقد اثبت بصفة المخلوقين والمصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية ولكن لا بد من اثبات ان له كيفية لا يستحقها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره قال السائل فيعاني الاشياء بنفسه قال أبو عبدالله عليه السلام هو اجل من ان يعاني الاشياء بمباشرة ومعالجة لان ذلك صفة المخلوق الذي لا تحيي الاشياء له الا بالمباشرة والمعالجة وهو تعالى^١ نافذ الارادة والمشيئة فعال لما يشاء.

الشرح

ثم رجع وقال السائل: فقد حددته اذ اثبت وجوده، يعني انك اذا قلت: انه موجود، والوجود مفهوم حاصل في الذهن وكلما كان حاصلًا^٢ في الذهن فهو محدود، فيلزم كونه تعالى متصورًا محدودًا بل مخلوقًا، فاجاب عليه السلام بقوله: لم احده ولكني اثبتته، اذ لم يكن بين النفي والاثبات منزلة، معناه: ان اثبات الشيء بالمعنى العام لا يقتضي تحديده، فكثيرًا ما يثبت الانسان أمورًا لم يتصور بعد حدودها وماهياتها كالزمان والحركة والهياويل.

واعلم ان الوجود بالمعنى العام امر عقلي متصور في الذهن مشترك بين الموجودات زائد في التصور على الماهيات، واما حقيقة الوجود الذي هو ذات الواجب جل اسمه فلا حد له ولا نظير ولا شبه ولا ند، فلا يعرف الا بتنزهات وتقديسات واضافات خارجة عنه، فلا تنحونحوه الاوهام والتصورات ولا ينتهي اليه البراهين والاستدلالات، ولكن يعرف بالبرهان ان مبدأ الموجودات وصانع المخلوقات موجود بالمعنى العام ثابت، اذ لو لم يكن موجودًا بهذا المعنى لكان معدوما اذ لا مخرج عنها، ويلزم من عدمه ان لا يكون في الوجود شيء اصلا واللازم باطل بالبديهة فكذا الملزوم ضرورة افتقار الكل اليه.

قال له السائل: فله انية ومائية، اي اذا ثبت ان هذا المفهوم العام المشترك المتصور في الذهن خارج عن وجوده الخاص وذاته فقال السائل فاذن له انية مخصوصة ومائية غير مطلق الوجود هو بها هو فقال عليه السلام: نعم، لا يوجد الشيء الا بنحو خاص من الوجود

١- متعال (الكافي).

٢- وكل حاصل - م - ط .

والمائية لا بمجرد الامر الاعم .

واعلم ان المائية لها معنيان : احدهما ما بازاء الوجود كما يقال : وجود الممكن زائد على ماهيته ، والماهية بهذا المعنى مما يعرضه العموم والاشترك فليست له تعالى ماهية بهذا المعنى ، وثانيها ما به الشيء هو هو ، وهذا يصح له .

ثم قال له السائل : فله كيفية ، انما سأل ذلك لما رأى في الشاهد كل ما له انية وماهية فله كيفية ، فاجاب عليه السلام بمعنى الكيفية عنه تعالى معللاً بانها صفة متقررة كمالية زائدة على ذات ما اتصف بها ، والبارئ جلّت كبريائه مستغن بذاته عن كمال زائد ، ووصف الكيفية بالاحاطة ، لانها مما يعشى الذات الموصوفة بها ، كالبياض للجسم والنور للارض والعلم للنفس .

قوله عليه السلام : ولكن لا بد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه ، اعلم ان كثيراً من الناس لما سمعوا وتفطنوا بان ليس لله سبحانه صفة كمالية زائدة على الذات سبياً وقد تأكد .

ذلك بما ثبت من قول امام الموحدين امير المؤمنين عليه السلام : كمال التوحيد نفي الصفات عنه تعالى لشهادة كل موصوف بحسب الحقيقة غير الصفة ، زعموا ان ليس الاول تعالى عالماً وقادراً وحيّاً ومريداً وغير ذلك من صفاته الحقيقية بحسب الحقيقة بل على وجه المجاز ، بمعنى ان ذاته بلا صفة مما يترتب عليه ما يترتب على صاحب هذه الصفات ، فاطلقت عليه هذه الاسماء ، فهو عالم لانه ينكشف على ذاته بذاته حقائق الاشياء وكذا في القُدرة وغيرها ، وزعموا ان مفهومات هذه الصفات متغايرة وذاته بسيطة صرفة ، فلو صدقت عليه هذه المفهومات المتغايرة يلزم الكثرة في ذاته وهو محال .

فاذن ليس هو تعالى مما يثبت في حقه او صدق عليه بالذات معاني هذه الصفات ، بل ذاته تنوب مناب كل منها وكل متصف بها ، وهكذا زعموا في اصل صفة الوجود ومفهوم الموجود ايضاً ، حتى انهم قالوا : ان معنى كونه موجوداً ليس الا انه يترتب عليه الآثار دون ان يصدق على ذاته مفهوم الوجود والموجود ، وكلامهم هذا مغالطة نشأت من الخلط بين تغاير الحيشيات الوجودية وبين تغاير المفهومات الموجودة بوجود واحد بسيط صرف فوقعوا في مثل هذا التعطيل المحض ، فان الشيء اذا لم يكن موجوداً بهذا المعنى العام كان معدوماً واذا لم يكن عالماً كان لا عالماً . وسنزيدك ايضاحاً لبيان ان كثرة صدق المعاني والمفهومات قد لا

يُوجب مطلقاً تركيباً لا في الذات ولا في حيثية الذات .

اذا عرفت هذا فنقول : لما نفي عليه السلام جهة الكيفية والصفة الزائدة عنه وعلم أنّ ههنا مزية الاقدام ومغلطة الاوهام فإشار بقوله : ولكن لا بد من الخروج منه ، اي من نفي الكيفية الزائدة عن جهة التعطيل ، وهونفي الصفات بالكلية والوقوع في طرف سلوب هذه الاوصاف الالهية ونقائصها ، وعن جهة التشبيه ، وهو جعل صفاتها كصفات المخلوقين .

لان من نفي عنه معاني الصفات فقد انكرو وجود ذاته وعلمه وقدرته وارادته وسمعه وبصره ودفع ربوبيته وكونه رباً مبدعاً صانعاً قيوماً الهاً خالقاً رازقاً ، ومن شبهه بغيره بان زعم ان وجوده كوجود غيره وعلمه كعلمهم وقدرته كقدرتهم ، فقد اثبتة بصفة المخلوقين الذين لا يستحقون الربوبية ولا من شأنهم وشأن ماهيتهم وجنسهم القريب ولا البعيد ، لان كلّ ما له ماهية — غير حقيقة الوجود — فهو محتاج الى غيره فلا يستحق الربوبية اصلاً ، ولكن لا بد ان يثبت له علم لا يماثل شيئاً من العلوم وله قدرة لا يساوي شيئاً من القوى والقدر وهكذا في سائر الصفات الوجودية ، وهذا هو المراد من قوله له : كيفية لا يستحقها غيره ، والا فليس شيء من صفاته من مقولة الكيف التي هي من الاجناس حتى يلزم ان يكون صفته التي هي عين ذاته ماهية مركبة من جنس وفصل فيكون ذاته مركبة .

فان اردت تحقيق هذا المقام فاعلم أنّ الصفات على ضربين : ضرب منها ما هي صفات للموجود بما هو موجود فيعمّ الواجب والممكن والمجرد والمجسم ، ولا يلزم ان يكون الموصوف بها طبيعياً او تعليمياً وهي كالعلم والقدرة والارادة ونحوها ، وضرب اخر ليس كذلك ، بل يشترط في ثبوته لشيء ان يكون ذلك الشيء موجوداً خاصاً مقيداً بكونه طبيعياً ذا طبيعة متغيرة او تعليمياً ذا كمية .

فالاوّل كاللون والطعم والرائحة والصوت والحرارة والبرودة واشباهها ، والثاني كالكروية والتربيع والاستدارة والتسطيح والاستقامة والزوجية والجذر والصمم ونظائرها .
فالتى من الصفات تكون من الضرب الاوّل فحالتها بعينها حال الوجود في ان التفاوت بين اقسامها بالشدة والضعف والكمال والنقص والتقدم والتأخر والاولوية وعدم الاولوية ، وهي كلها والوجود ايها تحققت ذات واحدة موجودة بوجود واحد لا اختلاف بينها ولا بينها وبين وجودها الا باعتبار تغاير المفهومات والا لكان الفاظها مترادفة ، وقد علمت ان تغاير المفهومات الكلية لا يقدر كلياً في بساطة الذات الموصوفة بها .

فكما ان من الوجود ما هو موجود واجب بالذات، فمن العلم ما هو علم وعالم بالذات بل هو صرف حقيقة العلم فهو علم بكل معلوم، ولو كان علماً ببعض الاشياء دون بعض لم يكن صرف حقيقة العلم، وكذا من القدرة ما هو قدرة بالذات وهي صرف حقيقة التي لا اتم منها فيتعلق بكل مقدور، وهكذا في سائر الصفات الكمالية للوجود، فلكل منها فرد بسيط لا مثل له ولا شبه ولا ند ولا ضد ولا حد ولا برهان عليه، لما علمت ان لكل منها حقيقة بسيطة لا ماهية لها ولا جنس ولا فصل، والتفاوت بالاشد والاضعف لا يقتضي ان يكون ما به الاختلاف امراً غير ما به الاتفاق، كما في الحظين الطويل والقصير، فما به الفصل نفس ما به الاشتراك، وهذه النقائص لهذه الامور الوجودية أعني الامكان والماهية والمعلولية والتركيب انما يلحق لاجل قصورتها عن درجة الكمال الأتم كما حقق في مقامه، وهذه المقاصد دركها يحتاج الى ذهن لطيف وفهم ثاقب وغور نافذ وبضاعة في الحكمة غير مزجاة.

ثم لما ثبت وتبين ان ليس له تعالى امر زائد او حالة عارضة، بل جميع ما له من الصفات الحقيقية ترجع الى ذاته، وان علمه كذاته واجب الوجود بالذات وكذا قدرته وارادته وسائر صفاته الكمالية ونعوته الجمالية كذاته واجبة الوجود لذاتها، وهذا ما قاله الالهيون: واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات، فالصادر عنه تعالى من الافعال صادر عن حاق ذاته الاحدية لا بسبب قوة زائدة او بتوسط حالة اخرى.

فاستشكل السائل فتوهم انه يلزم عليه سبحانه ان يكون في فاعليته مباشراً للاشياء وقال: فيعاني الاشياء بنفسه، اي يباشر الافعال بذاته من المعاناة وهي المباشرة والمقاساة، فاجاب عليه السلام بقوله: هو اجل من ان يعاني الاشياء بمباشرة، لان ذاته سبحانه في غاية التقدّس والتجرد عن مخالطة الاجساد وملابسة المواد، فكيف يباشر ما ليس بجسم ولا جسماني لما هو كذلك؟ وحيث ان السائل المذكور ما رأى من الفواعل في هذا العالم إلا وهو محالط لفعله الذي يصدر عنه بالذات فقياس اليه فاعليته تعالى فبفه عليه السلام على فساد هذا القياس بقوله: لان ذلك صفة المخلوق الذي لا تجيء الاشياء له الا بالمباشرة والمعالجة، ويحتمل ان يكون الصلة وما بعدها صفة احترازية للمخلوق حتى يكون اشارة الى ان من المخلوقات ايضاً ما ليس هذا شأنه فكيف الواجب جلّ ذكره.

ثم اشار الى كيفية صدور الاشياء عنه من غير مزاوله ومقارنة فقال: وهو تعالى نافذ الامر والمشئئة فعال لما يشاء، بمعنى ان صدور الاشياء عنه بمجرد مشئئته لها، فنفس مشئئته

وارادته التي هي عين ذاته يصدر عنه عالمي الامر والخلق، اما عالم الامر وهي الكلمات الوجودية التامات كلها المعبر عنها بقول كن فصدورها عن نفس ذاته ومشيتها، واما عالم الخلق وهي الاجرام والمقادير ولواحقها فصدورها بواسطة الامر كما قال: انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون^١.

الحديث السابع وهو الثالث والعشرين والمائتان

«عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن محمد بن عيسى عن ذكره قال سئل ابو جعفر عليه السلام أيجوز ان يقال إن الله شيء قال يخرج عن الحدين التعطيل والتشبيه».

الشرح

قد سبق تفسيره فلا نعيده.

باب انه لا يعرف الا به

وهو الباب الثالث

من كتاب التوحيد وفيه ثلاثة احاديث:

الحديث الاول

وهو الرابع والعشرون والمائتان

«علي بن محمد عن ذكره عن احمد بن محمد بن عيسى بن حمران» النهدي ابي جعفر كوفي الاصل نزل جرجرايا وروى عن ابي عبدالله عليه السلام ثقة «صه» «عن الفضل بن السكن» مجهول «عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الامر بالامر بالمعروف والعدل والاحسان ومعنى قوله عليه السلام إعرفوا الله بالله يعني ان الله خلق الاشخاص والانوار والجواهر والاعيان^٢ والابدان والجواهر

١- يس ٨٢.

٢- والاعيان فالاعيان (الكافي).

الارواح وهو جلّ وعزلا يشبهه جسماً ولا روحاً وليس لاحد في خلق الروح الحساس الدراك أمر ولا سبب، هو المتفرد بخلق الارواح والاجسام فاذا نفى عنه الشبهين شبه الابدان وشبه الارواح فقد عرف الله بالله و اذا شبهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله» .

الشرح

اعلم ان معرفة الله بالله له وجهان: احدهما ادراك ذاته بطريق المشاهدة وصریح العرفان، والثاني بطريق التنزيه والتقديس، فان ما لا سبب له ولا جزء فيه لا بحسب الخارج بالفعل كالمادة والصورة ولا بالقوة كالأجزاء المقدرية للمتصل الواحد ولا بحسب العقل كالجنس والفصل، لانه محض حقيقة الوجود والوجوب فلا برهان عليه ولا حد له، واذ لا صفة له ولا شيء اعرف منه فلا رسم له، واذ ليست حقيقة الوجود ماهية كلية فلا صورة لها في العقل حتى يعرف بها — كما في الماهيات التي ليست هي عين الوجود — فاذن لا يمكن معرفته تعالى الا باحد الوجهين المذكورين .

اما الوجه الاوّل فغير ممكن لاحد في الدنيا ما دام تعلق النفس بهذا البدن الدنيوي الكثيف، واما قول امير المؤمنين عليه السلام: ما رأيت شيئاً الاّ ورأيت الله قبله، فذلك لظهور سلطان الاخرة على ذاته . واني يتحقق هذا المقام الا لمثله عليه السلام من الصديقين الذين يستشهدون به تعالى على الاشياء لا بالاشياء عليه كما في قوله تعالى اشارة الى الفريقين: سنريهم آياتنا... الآية .

فبقى الوجه الثاني، وهو ان يستدل اولا بوجود الاشياء على وجود ذاته ثم يعرف ذاته بنفي المثل والشبه عنه، لان ما سواه سواء كان روحاً او جسماً جوهرأ او عرضاً مخلوق له تعالى، والمخلوق لا يساوي الخالق لا في الذات حتى يكون مثلاً له ولا في الصفات حتى يكون شهبأ له، ولان صفاته ذاته فلو ساواه شيء في الصفة لساواه في الذات فيلزم ان يكون مثلاً فيلزم تعدد الخالق الاله وهو محال .

فاذا نفى عنه ما عداه وسلب عنه شبه ما سواه سواء كانت ابداناً او ارواحاً، فعرف انه منزّه عن ان يوصف بشيء غير ذاته أو يصدق عليه معنى غير ذاته، فغاية معرفته ان يعرف بالبرهان ان لا يمكن معرفته بشيء غير نفسه ولا لشيء غير نفسه، ولاجل هذا قال اعرف

الخلق به: سبحانه ما عرفناك حق معرفتك وقال: ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار، وان الملائكة الاعلى يطلبونه كما انتم يطلبونه .

فان قلت: لا حجاب بين الله تعالى وبين الملك المقرب والعقل الاوّل والروح الاعظم فكيف لا يشاهده وقد ارتفع الحجاب؟
قلنا: حجاب وجوده وبقاء انيته .

قال يعقوب بن اسحق الكندي: اذا كانت العلة الاولى متصلة بنا لفيضه علينا وكنا غير متصلين به الا من جهته، فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر ما يمكن المفاض عليه ان يلحظ المفيض، فيجب ان لا ينسب قدر احاطته بنا الى قدر ملاحظتنا له، لانها اغزر واشد استغراقا لنا. انتهى .

فما دامت هوية العبد باقية فهو بعد في حجاب انيته وذاته، لا يمكن له الوصول التام — فان تجرد نفسه عن البدن — كما قيل :

بينني وبينك انى ينازعني فارفع بلطفك اني من البين
واما اذا فنى عن ذاته وانك جبل انيته فعند ذلك يعرف الحق بالحق لاستغراقه فيه وغيبته عن كل شيء حتى عن نفسه وعن استغراقه وشهوده، لانه لو نظر الى شهوده او آثر عرفانه لانه عرفان فهو بعد محجوب بشهوده عن المشهود وبعرفانه عن المعروف به فلم يجد حق الوصول؛ فما وصفناه حال الملائكة المهيمين واعظم الانبياء والاولياء الكاملين صلوات الله على نبينا وآله وعليهم اجمعين .

ولا يبعد ان يراد بالملائكة الاعلى والعقول المذكورين في الحديث ان كان النقل صحيحاً غير المهيمين من الملائكة، بل الارواح المدبرة السماوية لوصفها بالطلب، واسم العقل انما يقع للجواهر العقلية التي هي وسائط صدور الاجرام عن الباري من جهة تعقلها لذواتها والتفتاتها بها. واسم الملك ايضاً لكونه مأخوذاً من اللوكة وهي الرسالة انما يطلق على الذين هم رسل الله النازلة الى خلقه .

ولنرجع الى ما فارقناه فنقول: ان في كلامه عليه السلام فوائد:

الاولى انه ذكر الاشخاص والانوار كأنهما امرين متقاسمين متقابلين، فاراد بالاشخاص الصور الجسمية الخارجية ذوات الاوضاع وهي ليست مدركة بذواتها ولا ظاهرة لذواتها ولا لغيرها، وانما ادركت وظهرت لغيرها بصورة اخرى حسية او عقلية، واراد بالانوار

تلك الصور الإدراكية التي هي بذواتها مدركة ظاهرة للقوة الإدراكية الحاسة او العاقلة، فحيث جعل الانوار قسيماً للشخاص نَبَّهَ على ان الاجسام الخارجية مظلمة الذوات وان لا ظهور لها في نفسها من حيث وجودها الخارجي لا لنفسها كالارواح ولا لغيرها كالعلوم والادراكات، ونَبَّهَ على أَنَّ الارواح وادراكاتها كلها انوار لانها ظاهرة بنفسها لا بصورة اخرى.

الفائدة الثانية انه جعل الجواهر قسيماً للاعيان اي الابدان، لأن عطف الابدان عليه عطف تفسيري، ثم فسّر الجواهر بالارواح تنبيهاً على ان الابدان لا تجوهر لها الآ بالارواح، لانها بالحقيقة قائمات بانفسها لا في محلّ بخلاف الاجساد، لانها مركبة من هيوولي وجودها بالقوة ومن صورة حالة فيها غير قائمة بنفسها.

الفائدة الثالثة ان قوله: ليس لاحد في خلق الروح الحساس الدرك امر ولا سبب، دال على ان وجود الارواح بابداع الله اياها بلا توسط شيء اخر وسبب قابلي او استعداد قابل او سبق حركة فلكية أو مضي زمان. فاذا ثبت ان وجود الارواح منه تعالى بلا مشاركة امر وقد علمت من قوله: الجواهر الارواح، ان وجود الابدان من الارواح كوجود الفرع من الاصل وكوجود الظل من ذي الظل، وانتج القولان: ان الارواح والابدان كليهما مخلوقان له تعالى بلا مشاركة احد مع تقدم احدهما على الاخر، ولهذا استنتج قوله: هو المتفرد بخلق الارواح والاجسام، ليظهر ان الكل اذا كان مخلوقاً له تعالى والمخلوق لا يساوي الخالق في ذاته ولا في وصفه فقد انتفى عنه شبه الارواح وشبه الابدان، فاذا انتفى هذان الشبهان، وليس في المخلوقات الا الارواح والابدان وما يعرض لهما، والاعراض بمعزل عن توهم الشبه لانها تابعة لا توجد بدون المتبوع من احدهما. فاذا انتفى عنه تعالى شبه شيء من الاشياء.

فن عرف الله بانه لا يشبه شيئاً من الاشياء ولا يشبهه شيء فقد عرف الله بالله لا بغيره، ومن وصفه بشيء او شبهه بغيره سواء كان نوراً او روحاً فلم يعرف الله بالله.

الحديث الثاني

وهو الخامس والعشرين والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن بعض اصحابنا عن علي بن عقبة

بن قيس بن سمعان عن ابي ريحة^١ « بالراء المهملة، وفي نسخة ابي زبيحة بالزاي المضمومة وبعدها الباء المنقطه تحتها نقطة المفتوحة قبل الياء المنقطه تحتها نقطتين «(مولى رسول الله صلى الله عليه وآله)» صفة لابي زبيحة وابن عقبة المذكور، مجهول كما ذكره بعض اهل الرجال. «قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم عرفت ربك قال بما عرفني نفسه قيل وكيف عرفتك قال لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه أمام كل شيء ولا يقال له امام داخل في الاشياء لا كشيء داخل في شيء وخارج من الاشياء لا كشيء خارج من شيء سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ولكل شيء مبتدأ».

الشرح

معنى قول السائل: «بم عرفت ربك؟ أي بأي وسيلة عرفت؟ فاجاب عليه السلام: بما عرفني نفسه، اي بتعريف الله اياي نفسه لا بتعريف غيره من معلم اخر او نقل رواية او سماع او شهادة أحد أو غيرها، ف«ما» مصدرية لا موصولة، ومن ههنا خرج معنى آخر لقوله عليه السلام: اعرفوا الله بالله في الحديث السابق.

فسئل عليه السلام: كيف عرفتك الله نفسه؟ فاجاب بانه: لا يشبهه صورة مجردة كانت كصور العقول والنفوس، او مادية كصور الاجسام، وان ليس من شأنه ان يدرك بحس او يتمثل في عقل او ينال بمثال او يعقل بقياس يستعمله الناس، وانما نُسب القياس الى الناس لاختصاص استعماله بهم لتوسط منزلتهم بين العقل الخالص والوهم، اذ الملائكة لا يدركون الاشياء بالقياس لارتفاع درجتهم عن الفكر وكذا الحيوانات لانحطاط درجتها عن ذلك.

ثم لما ذكر تنزيهه سبحانه عن مشاركة شيء من الاشياء، فكان في التنزيه على هذا الوجه مظنة التعطيل، وقد زلت أقدام كثير من المنزهة في هذا المقام حتى وقعوا في التعطيل، كما زلت اقدام كثير من مثبتي الصفات حتى وقعوا في التشبيه، فكل من الفريقين نظروا بالعين العوراء والحدوا وحدادوا عن الطريق المثلى.

اما المعتزلة فنظروا بالعين اليمنى وعطلوا الله عن الخلق والفعل.

واما الصفاتية فنظروا بالعين اليسرى فشبهوه بالخلق.

اراد ان يشير الى حقيقة الامر الجامع للامرین المتوسط بين الحدين ، اذ كان عليه السلام امام ائمة العرفان وسيد سادة الايقان والايمان وقد عرف الله بالله وكما قال تعالى في القران : «واذا سألك عبادي عني فاني قريب»^١ ، وقال تبارك وتعالى : «ونحن اقرب اليه من حبل الوريد»^٢ وقال : «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم^٣... الايه» ، وقال : «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»^٤ ، فقال : قريب في بعده بعيد في قربه ، اما كونه قريباً : فلان قوام الفعل بالفاعل والكل من افعاله ، واما كونه بعيداً لتجرد ذاته عن الخلق واستغناؤه عن كل شيء .

ولما كانت جهة قربه على هذا الوجه هي بعينها جهة بعده وكذلك بالعكس ، نبه عليه بهذا الكلام وقال : فوق كل شيء ، لاحاطته بالاشياء احاطة معنوية وجودية ، ولا يقال : شيء فوقه ، اذ لاحد لوجوده ووجوده فوق مالا يتناهى ، وقوله : امام كل شيء ، لانه مبدأ الاشياء ، ولا يقال له : امام ، اذ لا مبدأ له ، قوله : داخل في الاشياء ، دخول المقوم الموجود فيما يتقوم به ، لا كدخول الجزء في الكل — سواء كان جزء خارجياً او ذهنياً — بل نحو اخر لا يعرفه إلا الراسخون ، وقوله : خارج من الاشياء لانه تام الحقيقة بل فوق التمام حيث يفيض من وجوده وجود الاشياء وليس خروجه منها كخروج شيء منفصل عن شيء . واعلم ان هذه المعارف مما تقصر العبارة عن حق بيانها ولا يمكن تفهيمها لاحد ممن لم يذق هذا المشرب بالوجدان عقيب البرهان ولا يحصل ذلك الا بتعريف الله وتعليم من لدنه لمن كان على بيته من ربه .

ثم لما ذكر كيفية معيته تعالى للاشياء على هذا البيان الذي ليس فوقه بيان رجع الى التنزيه ونزهه عن ان يكون لاحد غيره مثل هذه المعية الموصوفة فقال : سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره و اشار الى برهانه بقوله : لكل شيء مبتدء ، لان الواو حالية والجملة حال والعامل فيها معنى الاشارة ، وبيانه : ان هذه المعية المذكورة معية قيومية ولا شيء غيره قيوماً للاشياء ، اذ كل شيء غيره فله مبدأ فليس شيء منها مبدأ لما سواه .

١- البقرة ١٨٦ .

٢- ق ١٦ .

٣- المجادلة ٧ .

٤- الانفال ١٧ .

فان قلت: اليست النفس الناطقة مع تجرد ذاتها ومباينتها للبدن لا يخلو عنها عضوم
الاعضاء ولا جزء من الاجزاء ولا قوة من القوى فهي ملابسها، وليست بداخلة وهي مباينها
وليست بخارجة وهي قريبة من اجزاء البدن في بُعدها وبعيدة في قُرْبها، فيكون نسبتها الى
البدن نسبة البارئ الى العالم؟

قلنا: هيهات! وجوه الفرق كثيرة بين النسبتين ذكرها يؤدي الى التطويل، ثم لو
سلم من ذكرت من كيفية النسبة فهي بالاضافة الى جرم صغير من اجسام العالم لا بالنسبة
الى الارواح الكلية والجزئية باجمعها والاجرام العالية والسافة فاين المضاهاة بين النسبتين؟
نعم! حال النفس وكيفية ارتباطها بالبدن اقرب النسب من نسبة الاله الحق الى العالم.

ومما روى عن النبي صلى الله عليه وآله في هذا الباب انه قال: انه فوق كل شيء
وتحت كل شيء، قد ملاً كل شيء عظمته فلم يخل منه ارض ولا سماء ولا بر ولا بحر ولا
هواء، وهو الاول لم يكن قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء وهو الظاهر ليس فوقه شيء
وهو الباطن ليس دونه شيء، فلودليتم على الارض السفلى لهبط على الله.

وفي كتب العامة كالمشكوة والمصاييح وغيرها احاديث متقاربة قريبة المعنى مما

ذكر.

وقد روى انه قال موسى عليه السلام: أَقْرَبُ أَنْتَ فَا نَجِيكَ أَمْ بَعِيدٌ فَا نَادِيكَ؟
فاني أَحْسَسُ حَسَنَ صَوْتِكَ وَلَا أَرَاكَ فَايْنُ أَنْتَ؟ فَقَالَ اللَّهُ: انا خلفك وامامك وعن يمينك
وشمالك، انا جليس عند من يذكركني وانا معه اذا دعاني.

الحديث الثالث

وهو السادس والعشرين والمائتان

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن منصور بن حازم
قال قلت لابي عبدالله عليه السلام اني ناظرت قوما فقلت لهم ان الله جل جلاله أَجَلٌّ وَأَكْرَمُ
من ان يعرف بخلقته بل العباد يعرفون بالله فقال رحمك الله».

الشرح

قد مضى شرحه، وقوله: يعرفون، بصيغة المجهول وهو الظاهر، او المعلوم اي العباد
يعرفون الاشياء بالله.

باب ادنى المعرفة

وهو الباب الرابع من كتاب التوحيد

وفيه ثلاثة احاديث:

الحديث الاول

وهو السابع والعشرون والمائتان

«محمد بن الحسن بن عبدالله بن الحسن العلوي وعلي بن ابراهيم عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني» الذي في رجال الفاضل الاسترابادي: المختار بن بلال بن المختار بن ابي عبيد روى عن فتح بن يزيد الجرجاني روى عنه الصفار «لم»^١ وفي نسخة: ابن بلال «جميعاً عن الفتح بن يزيد» الجرجاني صاحب المسائل لابي الحسن عليه السلام، واختلفوا ايهم هو؟ الرضا ام الثالث عليهما السلام؟ والرجل مجهول والاسناد مدخول «صه» وفي الفهرست الشيخ: فتح بن يزيد الجرجاني من اصحاب الهادي له كتاب روى عنه المختار بن بلال ابن المختار «عن ابي الحسن عليه السلام قال سألته عن ادنى المعرفة فقال الاقرار بانه لا اله غيره ولا شبه له ولا نظير له^٢ وانه قديم مثبت موجود غير فقيد وانه ليس كمثلته شيء».

الشرح

عن ادنى المعرفة اي اقل ما يحصل به الدخول في الاسلام ولا يسع لاحد من الناس التجاوز عنه وهو الاقرار بهذه الامور، وقوله: مثبت موجود، تأكيد لوجود الموصوف بعدم الشريك في الالهية وسلب الشبه والنظير مع السرمدية والدوام، فان مجرد الاتصاف بالامور الكلية العقلية لا يوجب الحصول بالفعل في العين.

فان الحكماء اثبتوا اولاً في علمهم المسمى بالعلم الكلي والفلسفة الاولى صفات واجب الوجود ووحديته واحديته ثم اثبتوا في علمهم المسمى بالالهي ومعرفة الربوبية وعلم المفارقات ذاته تعالى وصفاته.

وقوله: غير فقيد، اي غير عادم لشيء من الاشياء، لان الكل له ومنه ولهذا ليس

١- اي من الذين لم يرو عن الائمة عليهم السلام.

٢- ولا نظير (الكافي).

كمثله شيء، اذا الصّادر من الشيء لا يساويه في الوجود، والفعل لا يشابه الفاعل .
واعلم ان للتوحيد وسائر معارف الايمان اربع درجات وهي في التمثيل كقشر الجوز
وقشر قشره ولبّه ولب لبّه .

الدرجة الاولى في التوحيد ان يقول باللسان لا إله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له
كتوحيد المنافق .

والثانية ان يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما يصدق^١ به عموم المسلمين وهو اعتقاد وليس
بعرفان .

والثالثة ان يعرف^٢ ذلك بطريق الكشف بالبرهان بواسطة نور الحق وهو مقام
المقربين، وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار .
والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحداً وهو مشاهدة الصديقين، وتسميته الصوفية
الفناء في التوحيد .

فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان .
والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد
عليه قلبه، وهو عقدة على القلب وليس فيه انشراح وانفتاح^٣ ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب
في الآخرة ويصح به صلوته وصومه وسائر أعماله الحسنة ويثاب بها في الآخرة، وهذا العقد
قابل للتضعيف والتحليل بالحلل وهي البدعة، ولدفع حيلة المبتدعين حيل^٤ يقصد بها احكام
هذه العقيدة على قلوب المسلمين ويسمى كلاماً وصاحبها متكلماً، والمتكلم في مقابلة المبتدع
ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقيدة^٥ عن قلوب العامة بالمجادلة .

والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا مؤثراً واحداً، ويرى انه لا فاعل بالحقيقة الا
واحد، والوسائط مترتبة في القرب والبعد منه تعالى لصدورها منه على الترتيب الضروري لا
لكونها علل اليجاد بخلاف ما عليه الاشاعرة، وقد مر في بعض الاحاديث: انه تعالى اجل
من ان يباشر الاشياء .

١- صدق «الاحياء» .

٢- يشاهد «الاحياء» .

٣- انفساح «الاحياء» .

٤- العقدة «الاحياء» .

والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد الحق، فلا يرى الكل من حيث هو كثير بل من حيث هو واحد، لان الماهيات المختلفة لا وجود لها الا بالوجود، والوجود بذاته موجود وله حقيقة واحدة متفاوتة الدرجات والمقامات، ولكل مقام خواص ولوازم ينتزع منه ويصدق عليه وهي المسماة بالماهيات والاعيان الثابتة التي ما شمت رائحة الوجود ولا هي مجعولة، وكذا الاعدام والنقائص لا يتعلق بها جعل وتأثير اذ لا وجود لها.

فالحقيقة على صرافة وحدتها الذاتية التي لا مثل لها ولا شبه ولا ندد ولا ضد، اذ ليست هذه الوحدة وحدة عددية يحصل بتكررها العددي سواء كان في العين او في الذهن، ولا جنسية ولا نوعية ولا مقدارية ولا غير ذلك من اقسام الوحدات.

فهذا هو الغاية القصوى في التوحيد. فالاول كالقشر الخارجة من الجوز، والثاني كالقشرة الداخلة منه، والثالث كاللب، والرابع كالدهن المستخرج من اللب.

وهذا ما ذكره الغزالي في كتاب الاحياء تمثيلاً لمراتب التوحيد الاربع، وعليك بالموازنة بين المثال والممثل له في نفس المراتب ثم في احكامها ليتضح لك ويستخرج بهذه الموازنة احكام كل مرتبة ايضاً، وان كانت الاذهان قاصرة عن ادراك المرتبة الاخيرة واحكامها ولكن لا اقل من التسليم وعدم التلقي بالجوحد والانكار. والله ذو الفضل العظيم.

الحديث الثاني

وهو الثامن والعشرون والمائتان

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن طاهر بن حاتم في حال استقامته» قال الطوسي رحمه الله في فهرسته: غال كذاب اخوفارس، وفي موضع اخر: طاهر بن حاتم بن ماهويه روى عنه محمد بن عيسى بن يقطين^١ غال، وقال في كتاب اخر: انه كان مستقيماً ثم تغير واطهر القول بالغلو، وقال ابن الغضائري: طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني اخوفارس كان فاسد المذهب ضعيفاً، وقد كانت ايضاً له حالة استقامة كما كانت لآخيه ولكنها لا تثمر «انه كتب الى الرجل» يعني الكاظم عليه السلام، كانوا لا يسمونه باسمه خوفاً من اعدائه، وكان عليه السلام مستوراً محبوساً «ما الذي لا يجترأ في معرفة الخالق بدونه فكتب اليه لم يزل عالماً وسامعاً وبصيراً وهو الفعال لما يريد وسئل ابو

جعفر عليه السلام عن الذي لا يجتزأ بدون ذلك عن معرفة الخالق فقال ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء لم يزل عالماً سمياً بصيراً» .

الشرح

الاجتزاء الاكتفاء، وقد اشرنا الى ان للايمان مراتب، والذي كلف به من العقائد جميع المكلفين قوتهم وضعيفهم وعليه يتوقف صحة اعمالهم كصلوتهم وصومهم وزكوتهم وحجهم وطاعتهم وميراثهم^١ وكفهم عن معاصيهم وسيئاتهم وبدونه لا ينتفعون بالطاعات ولا يُثابون بترك السيئات ولا يقع لهم النجاة من العذاب يوم الجزاء والحساب، هوان يعتقدوا ان لهم الهاً واحداً لا شريك له في ملكه وانه دائم لا يزول وانه قادر على كل شيء فعال لما يريد عالم بالجزئيات فيسمع ويرى فيجيب الدعوات ويقضي الحاجات وانه ارفع واجل من كل شيء فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فهذه عقائد تجب على كل عاقل بالغ ان يعتقدوها، اذ يصعب على كل احد منهم دركه ولا حاجة الى تقرير الادلة الكلامية، بل الغرائز مجبولة على الاذعان بها والقبول عند القاء الملقى اياها عليهم وتلقينهم بها لولا بدع المبتدعين ووساوس المضلين، فيقع الاحتياج عند ذلك الى من يحرس هذه العقائد ويحفظها عليهم عن تحليل اهل البدع ولو بمقدمات جدلية ومسلمات عند الخصم، اذ الغرض من صنعة الكلام دفع شرهم عن عقائد القلوب ولو باستعمال الحيل الكلامية، كما ان الغرض من الجهاد والحاربة مع الكفار دفع شرهم عن الابدان ولو بالخدع، والحرب خُدعة.

واما معرفة هذه الامور من العلم بالله وتوحيده وذاته وصفاته وكيفية علمه وقدرته وسمعه وبصره ومشيئته وارادته بنور البصيرة ومشاهدة الباطن فهي امر وراء اعتقاد العامي وايمان الكلامي، وليس ذلك ممّا يتيسر لكل احد او يقع في وسع كل مكلف، بل هو نور من انوار فضل الله يختص بن من يشاء من عباده.

١- ميراثهم - م - ط .

٢- تيسر - م .

الحديث الثالث وهو التاسع والعشرين والمائتان

«محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن الحسن بن علي بن يوسف بن بقاح»،
بالباء المنقطة تحتها نقطة والقاف المشددة والهاء غير المعجمة، كوفي ثقة مشهور صحيح
الحديث روى عن اصحاب ابي عبدالله عليه السلام «صه» وفي «ست» في ترجمة معاذ بن
تابت: الحسن بن علي بن يوسف المعروف بابن بقاح «عن سيف بن عميرة» غير مذكور في
كتب الرجال التي نراها «عن ابراهيم بن عمر» اليماني «قال سمعت ابا عبدالله عليه
السلام يقول إنّ امر الله عجيب الا انه قد احتج عليكم بما قد عرفكم من نفسه.

الشرح

يعني ان معرفة ذاته وصفاته الحقيقية كما هي فوق ادراك كل احد، تكلّ العقول
والاذهان و يبهز الالباب عن كنهه جلاله وغور عزه وكماله، الا انه مع ذلك لكل احد نصيب
عن لوامع اشراقات نوره قل او كثير، فله الحجة على كل احد بما عرفه من آيات وجوده ودلائل
صنعه ووجوده فوق التكليف بمقتضى المعرفة والعمل بموجب العلم.

باب المعبود

وهو الباب الخامس من أبواب كتاب التوحيد والغرض منه ان المعبود هل هو مفهومات الأسماء
الحسنى التي امور كلية عقلية او هو الذات المسمى بها وهو المراد من المعنى في قوله الصادق عليه
السلام: ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، واما كون الاسم بمعنى اللفظ إلهاً معبوداً
فالظاهر انه لم يذهب اليه وهم أحد، وكذا المراد من اختلافهم من كون الاسم عين المسمى أو
غيره، وسيوضح لك حقيقة الحال وكنه المقال في كلا المقامين، وفيه ثلاثة احاديث:

الحديث الاول

وهو الثلاثون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن الحسن بن محبوب عن ابن رثاب

وعن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال من عبد الله بالتوهم فقد كفر ومن عبَدَ الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بايقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سر أمره^١ وعلايته فأولئك من شيعة^٢ أمير المؤمنين عليه السلام حقاً وفي حديث آخر: أولئك هم المؤمنون حقاً».

الشرح

قوله عليه السلام: من عبد الله بالتوهم، المراد من التوهم أحد معنيين: اما الاعتقاد المرجوح او نفس المعنى الذي في الوهم والذهن بان يعتقد المعبود وهو الامر المُتصَوِّر المُرتَسِم في الذهن، ولا شك ان هذا الاعتقاد كفر وكذا التوهم الضعيف الذي لم يبلغ حدَّ الادعان. وقوله: من عبد الاسم، اي مفهوم اللقب ومعنى المشتق دون المعنى، اي الهوية الالهية والذات الاحدية فقد كفر، لانه عبد الشيء الذي لا وجود له، اذا المفهوم الكلي لا يوجد نفسه الا في الوهم، والله منزه عن ان يكون مفهوماً كلياً.

وقوله: ومن عبد الاسم والمعنى، أي عبد مدلول اللفظ الكلي وعبد الذات الحقيقية جميعاً فقد أشرك، اذ عبد اثنين وضمَّ مع المعبود الحقيقي غيره في العبادة.

وقوله: ومن عبد المعنى، أي الحقيقة الالهية بايقاع الاسماء عليه بمعانيها ومدلولاتها الكلية، وهو المراد بقوله: بصفاته التي وصف بها نفسه، كما في قوله تعالى: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^٣، وهو العزيزُ الْحَكِيمُ^٤ وقوله «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»^٥، الى غير ذلك مما وصف الله به نفسه في كتابه أو في سنة رُسُلِهِ.

ولا شك انها معانٍ مختلفة ومفاهيم متكثرة لكنها مع اختلافها وكثرتها مما يصدق على ذات واحد احد ليس فيه شوب كثرة بوجه من الوجوه أصلاً، لانه محض حقيقة الوجود

١- سرائره (الكافي).

٢- فاولئك اصحاب (الكافي).

٣- البقرة ١٣٧.

٤- آل عمران ٦.

٥- الحشر ٢٢ - ٢٤.

الصرف الذي لا اتمّ منه ، وهذه الصفات ليست مما يقتضي وجودها في شيء كثيرة — لا في الذات ولا في الجهات — كما وقعت الاشارة اليه ، وسيظهر لك في تضاعيف أقوالنا في مُستأنف الاحاديث الآتية تمام ظهور إن شاء الله الحكيم . فانتظره مترقباً مفتشاً .

وقوله : فعقد عليه قلبه ، الضمير في عليه راجع الى ايقاء الاسماء ، أي اعتقد باطنه ان ذاته تعالى وإن جلّ وعظم عن أن يكتنه بكنهه أو يقع في وهم أو عقل ، الا انه مما يصدق عليه معاني هذه الاسماء وتوصف بها من غير لزوم كثرة أو تغير .

فان قلت : اذا استحال حصول الحقيقة الالهية والهوية الاحدية الوجودية في شيء من المدارك والعقول ، فن أين يُعرف اتصافه بهذه الصفات وكيف يُحكّم عليه بصدق مدلولات هذه الاسماء ؟

قلنا : البرهان العقلي يؤدي بنا الى أن نعتقد ان سلسلة افتقار الممكنات ينتهي الى مبدأ موجود بذاته بلا سبب ، وانه أحديّ الذات بلا تركيب بوجه وكونه تام الحقيقة بلا نقص وقصور ، وانه صرف الحقيقة الذي لا اتمّ منه ، وإنّ له من كل ما هو كمال الموجود بما هو موجود غاياتها ونهاياتها ، وحيث لا مخرج عن النقيضين فله من كل صفة كمالية ونعت وجودي أشرفها واتمها وأرفعها ، فله الاسماء الحسنى والصفات العظمى والامثال العلياء .

وبالجملّة ليس من شرط الحكم على امر بمحمولات عقلية واوصاف كلية ان يوجد ذات الموضوع في العقل ويتصور ويتمثل فيه بالكنه ، بل يكفي لذلك تصوّر مفهوم عنواني يجعل عنواناً لعقد حملي يجزم العقل بسراية الحكم الموقع على العنوان الى ما يطابقه في الواقع وان لم يدرك العقل كنهه ؛ وقد سبق منا مثل هذا المعنى .

قوله : ونطق به لسانه في سرّ أمره وعلائيته ، هذا الكلام يدخل بظاهره على ان الاقرار باللسان شرط تحقّق الايمان كما ذهب اليه كثير من الناس .

والتحقيق : ان الاقرار والتنطق غير داخل في حقيقة الايمان لكنه واجب في الشرع

من جهتين :

احدهما عند الامام واهل الاسلام ليجري عليه احكام المسلمين .

وثانيهما من جهة وجوب الصلوة المشتملة على ذكر الله وبعض اسمائه الحسنى ، ولا

يبعد ان يكون قوله : في سرّ أمره وعلائيته ، اشارة الى هاتين الجهتين .

قوله : فاولئك من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً ، لأنّ غيره عليه السلام من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا من أهل الشريعة الظاهرة التي عليها مدار الاحكام الاسلامية والتكاليف البدنية، وكانوا يعبدون الله بصفاته التشبيهية على مفهوماته الاولية حتى الاستواء والاتيان والمجيء والابتلاء واثبات الجوارح والاعضاء عملاً بظاهر التنزيل لجهلهم بالتأويل، ولهذا سميت أصحابهم أهل السنة والجماعة، لان غاية أعمالهم المحافظة على نظام الدنيا وضبط الجماعة بالجمعة والاعياد والجوش والعبادات التي ينوط بها المصالح الدنيوية وضرب من النجاة الأخروية التي لعامة المسلمين لو لم يكن في نفوسهم ذمائم الأخلاق وفي قلوبهم أمراض الجاهلية.

وأما أمير المؤمنين عليه السلام فكان عارفاً بالله بالحقيقة وعالماً بأسرار القرآن، عابداً له في سير القلب وعلانية البدن، عاملاً بمقتضى التأويل كما في حروبه مع أهل الزيغ من المسلمين، حافظاً لأديان الناس عن الزيغ والبدعة وأبدانهم عن الفتنة والآفة، فلا جرم أصحابه وشيعته كانوا مؤمنين حقاً عارفين بالله موحدين له عن التشبيه والتعطيل، عابدين للذات الاحدية — لا للاسماء والصفات — عبادة في السر والعلن وطاعة بالقلب والبدن، فهم لاجل ذلك صاروا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً.

الآن ترى ان كميل بن زياد النخعي الذي قال: أصبحت مؤمناً حقاً، وصدّقه رسول الله صلى الله عليه وآله فيما قال كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام^١؟

الحديث الثاني

وهو الحادي والثلاثون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام بن الحكم انه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها، الله مما هو مشتق قال فقال لي يا هشام^٢ انه مشتق من اله والإله تقتضي مألوهاً والاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت يا هشام؟ قال فقلت زدني قال ان لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن لله معنى يدل عليه بهذه الاسماء وكلها غيره يا هشام الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت

١- الله (الكافي).

٢- كذا في جميع النسخ، والظاهر: هو زيد بن حارثة.

يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله جلّ وعزّ غيره؟ قلت نعم قال فقال نفعك الله به وثبتك يا هشام، قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت بمقامي هذا» .

الشرح

الاشتقاق افتعال من الشق وهو اخذ، شق الشيء وهو نصفه، وفي الحديث: ولو بشق تمره، واشتقاق اللفظ من اللفظ اخذه منه، كأن المأخوذ له نصفان مادة وصيغة، فاخذ مادته من المشتق منه؛ تناضل فلان عن فلان اذا تكلم بعذره ورمى عنه وحاجج مع اعدائه وذَبَّ عنه، من نضله نضلاً أي غلبه، وانتضلوا وتناضلوا رموا للسبق؛ والاحاد في الاصل الميل والعدول عن الشيء ثم غلب استعماله في العدول عن الحق؛ ولحدّ القبر الشق الذي جعل في جانب القبر لموضع الميت لانه قد اميل عن الوسط .

قوله: الله مما هو مشتق، اي سأل عن الله مما هو مشتق، فلفظ الله كأنه وقع بدلاً عن اسماء الله أو عطف بيان لها، كأنه^٢ قيل لها سأل عن اسماء الله واشتقاقها وسأل خاصة عن الله ممّا هو مشتق .

قوله عليه السلام: مشتق من الله، اعلم انه اختلفت اقوال علماء اللسان في لفظ الله انه جامد او مشتق، فالخيار عند جماعة من النحاة كالحليل واتباعه وعند اكثر الاصوليين والفقهاء ان لفظ الجلالة اسم عَلَمٌ ليس بمشتق واستدلوا بوجوه ضعيفة:

احدها انه لو كان مشتقاً لكان معناه معنى كلياً لا يمتنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه، وحينئذ لا يكون قولنا: الآ الله، موجباً للتوحيد المحض ولا الكافر يدخل به في الاسلام كما يقول لا اله الا الرّحيم او الملك بالاتفاق، و يرد عليه انه يجوز ان يكون اصله الوصفية الآ انه نقل الى العَلَمِيَّة .

والثاني ان الترتيب العقلي يقتضي ذكر الذات ثم تعقيبه بذكر الصفات، نحو زيد الفقيه الاصولي النحوي، ثم انا نقول: الله الرّحمن الرّحيم ولا نقول بالعكس، فنصفه ولا نصف به، فدلّ ذلك على ان الله اسم عَلَمٌ . و يرد عليه ان هذا لا يستلزم العَلَمِيَّة لجواز كونه اسم جنس او صفة غالبية تقوم مقام العَلَم في كثير من الاحكام .

١- الملحدّين (الكافي) .

٢- بيان كأنه - م - د .

والثالث قوله تعالى: هل تعلم له سميًّا^١، وليس المراد الصفة والآ لزم خلاف الواقع، فوجب ان يكون المراد اسم العَلَم وليس ذلك الواحد الا الله؛ ولا حد ان يمنع تالي الشق الاول^٢ مسنداً بان المراد من الصفة كما لها المعرَى عن شوب النقص.

والرابع انه سبحانه يوصف بصفات مخصوصة، فلا بد له من اسم خاص يجري عليه تلك الصفات، لان الموصوف اما اخص او مساو للصفة.

وفيه اولاً ان هذه مغالطة من باب الاشتباه بين احكام اللفظ واحكام المعنى، فان الاختصاص بالنعوت والاصناف توجب مساواة نفس الموصوف او اخصيتها بالقياس الى معنى الصفة، لا وقوع لفظ مخصوص بازاء الذات، وأين هذا من ذلك؟

وثانياً انه على فرض التسليم لا نسلم لزوم العَلَمِيَّة، لان الصفات كلية^٣ وان تخصصت بعضها ببعض، وذلك لا يقتضي الانتهاء الى التعيّن الشخصي، لان انضمام الكلي الى الكلي لا يفيد التشخص، غاية ما في الباب ان يصير المجموع كلياً منحصراً في واحد. وثالثاً انه يرد عليه ما اورد اولاً على الثاني.

واقا القائلون بالاشتقاق فحجتهم امور:

منها قوله تعالى: وهو الله في السموات وفي الارض^٤، اذ لو كان عَلماً لم يكن ظاهر هذه الآية مفيد معنى صحيح لا لما وجهه بعض المعاصرين من انه يشعر بالمكانية، لان ذلك لا يتعلق بمباحث الالفاظ.

وفي القرآن الالفاظ الموهمة للتجسيم كثيرة، بل ان الاسم الجامد لا يصلح معناه للتقييد بالظروف ونحوها، فلا يصح ان يقال: زيد انسان في الارض والطير حيوان في الهواء والكوكب جسم في السماء. والجواب: ان الاسم قد يلاحظ معه معنى وصفي اشتهر مسماه به فيتعلق بالظرف كما في «أَسَدٌ عَلَيَّ» لتضمته معنى الصائل^٥ او المقدم.

ومنها انه لما كانت الاشارة ممتنعة في حقه تعالى كان العَلَم له ممتنعاً.

١- مريم ٦٥.

٢- الا الله، ولقائل ان يمنع تالي شق الاول «التفسير لآية الكرسي».

٣- مفهومات كلية «التفسير».

٤- الانعام ٣.

٥- اي: الواثب.

ومنها انّ العَلَمَ للتمييز ولا مشاركة بينه وبين غيره بوجه فلا حاجة الى العَلَمَ .
 واجيب عن الوجهين : بأنّ وضع العَلَمَ لتعيين الذات المتعينة ولا حاجة فيه الى
 الاشارة الحسية وبانه لا يتوقف على حصول الشركة .
 ثم القائلون بالاشتقاق اختلفوا ف قيل : اشتقاقه من إله بالفتح آلهة ، اي عبد عبادة
 وانه اسم جنس يقال على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق ، واما الله مجذف الهمزة
 فاختص بالمعبود الحق ولم يطلق على غيره ، ولاجل ذلك ذهب من ذهب الى عِلْمِيَّة .
 وقيل : اشتقاقه من اهت الى فلان اي سكنت ، فان النفوس لا تسكن الا اليه
 والعقول لا تقف الا لديه ، لانه غاية الحركات ومنتهى الاشواق والطلبات ، كما برهن عليه
 في الحكمة الالهية ولان الكمال محبوب لذاته ، الا بذكر الله تطمئن القلوب^١ .
 وقيل : من اله في الشيء اذا تحير فيه ، لانّ العقل وقف بين الاقدام على اثبات ذاته
 نظراً الى وجود مصنوعاته والتكذيب لنفسه لتعالى ذاته عن ضبط وهمه ودركه ، ولذلك قال
 المحققون : ان السالك الواصل الى درك الواجب لذاته هو نحو البرهان لا العقل ، كما اشرنا
 اليه سابقاً ، اذ ليس له الا ان يقتر بالوجود والكمال بالنظر الى معنى الوجود ، مع الاعتراف
 بالعجز عن ادراك الجمال .

قد تحيّرْتُ فيكَ خُذْ بيدي يا ذليلاً لِمَنْ تَحَيَّرَ فيكَ

وقوله عليه السلام : انه مشتق من اله ، يحتمل هذه الوجوه الثلاثة .

وقيل : من الوله وهو ذهاب العقل ، وهو بالحقيقة ثابتة للذوات بالنسبة الى قيوم
 الهويات وجاعل الانبيات ، سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان المستغرقون في لُجَّةِ يَمِّ
 الايقان ، والواقفون في ظلمات الجهالة من العميان المترحزون^٢ في تيه الخذلان .
 وقيل : من لاه بمعنى ارتفع ، وهو تعالى مرتفع عن شوب مشابهة الممكنات ، متعال
 عن وصمة مناسبة المحدثات .

وقيل : من لاه يلوه اذا احتجب ، لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول ، فانه إنما
 يستدل على كون الشعاع مستفاداً من الشمس بدوّرائه معها وجوداً وعدماً وطلوعاً وافولاً
 وشروقاً وغروباً ، ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل إطمئنان بكون الشعاع

١- الرعد ٢٨ .

٢- المترخزون - ط .

مستفاداً منها .

ولمّا كان ذاته تعالى باقياً على حاله ، والممكنات على نظامها تابعة له باقية ببقائه ، والماهيات معدومة بانفسها والاعيان مظلمة الذوات بذواتها ، الآ أنّها مرآي لحقيقة الاول ومجالي لظهور نوره ، فاحتفى الحق بالخلق وظهر الخلق بنور الحق ، فلا سبب لاحتجاب نوره الآ كمال ظهوره ، فالحق محتجب والخلق حجاب .

وقيل : من إله الفصيل اذا ولع بآمه ، لان العباد يتضرعون اليه في البليات «واذا مَسَّ الناسُ ضُرّاً دعوا رَهم مُنِيبِينَ اليه»^١ .

وقيل : من إله الرجل يأله ، اذا فزع من أمرٍ نزل به ، فآله اي اجره والمجير للخلائق من كل المضار هو الله ولا يجار عليه .

فهذا تحرير المذاهب والاختلافات وتقرير الوجوه المذكورة في كل طرف .

والحق الحقيقي بالتصديق ان وضع الاسم المخصوص للذات الاحدية والهووية الوجودية مع قطع النظر عن النسب والاضافات غير متصور اصلاً ، لان تلك الذات غير معقول للبشر ولا يُشارُ اليه بعقل أو حسّ ، والغرض من وضع الالفاظ والنقوش الكتابية ليس الآ الدلالة على ما في الازدهان من المعاني الذهنية الدالة على الحقائق الخارجية ، اذ لو كانت الحقيقة بنحو وجودها الخارجي حاضراً عند المخاطب فيسقط اعتبار اللفظ حينئذ ، والعيان يستغني عن البيان ، بل لا يحتاج عند ذلك الى الاشارة لا حسيّة ولا عقلية ، لانها مدرّكة بصريح المشاهدة .

ولما لم يتصور حقيقة الباري صورة ذهنية مطابقة لذاته ، فلا يمكن الدلالة عليه ، ولما لم يكن حضور ذاته الا بصريح ذاته واشراق نور وجهه الكريم ، وذلك بعد فناء السالك عن تعين ذاته واندكاك جبل انيته واماطة اذى هويته في طريق الحق من البين ، وحينئذ فلا اسم^٢ ولا رسم ولا نعت ، فالسالك ما دام في حجاب وجوده وعينه فلا فائدة للالفاظ في حقه ، واذا وصل الى الشهود الحقيقي فلا أثر منه عند الغير كما قيل :

اين مدعيان در طلبش بيخبرانند كانرا كه خبر شد خبرى باز نيامد

ومن هنا تبين ان وضع الالفاظ انما هو للمفهومات والصّور الذهنية لا للاعيان

١- الروم ٣٣ .

٢- فلا اسم له «التفسير» .

الخارجية، وقد بسطنا القول في هذا المقام في تفسيرنا لآية الكرسي .

فظهر ان اسم الله من الالفاظ المشتقة واقرب الوجوه المذكورة في اشتقاقه هو الوجه الاول من الوجوه الثلاثة المذكورة اولاً وهي أولى من البواقي، فيجب حمل كلامه عليه السلام عليه، وحينئذ يكون الاله مصدراً بمعنى المفعول، أي المألوه وهو المعبود بالحق .

فقوله عليه السلام: والاله يقتضي مألوهاً، معناه: ان هذا المفهوم المصدرى يقتضي ان يكون في الخارج موجوداً هو ذات المعبود الحقيقي ليدل على ان مفهوم الاسم غير المسمى، ولذا عقبه بقوله: والاسم غير المسمى .

قوله: فمن عبد الاسم دون المعنى الى قوله: فذاك التوحيد، قد مرّ تفسيره فلا نعيده .
الآ ان ههنا زيادة وعليها بحثاً لفظياً وهو انه قال في الشق الاول: فقد كفر ولم يعبد شيئاً، وفي الشق الثاني: فقد كفر وعبد اثنين، فيردُّ عليه انَّ عبادة الاسم ان لم يكن عبادة فكيف وقع الاشتراك في الثاني، وان كان عبادة فكيف حكم في الاول بانه لم يعبد شيئاً؟

والجواب: ان المراد في الاول انه من عبد الاسم لم يعبد شيئاً محققاً في الواقع بل امرأً وهمياً، لان المراد من الاسم هو المفهوم الذهني الذي لا ثبوت له في العين، ففي عبادة الاسم وجدت العبادة لغير معبود موجود، وفي عبادة الاسم والمعنى وجدت العبادتان: احدهما لشيء والاخرى لغير شيء، ففي الشق الثاني وقع الاشتراك في نفس العبادة .

والوجه الآخر: ان من عبد الاسم مجرداً او مع المعنى فليس يعبد شيئاً محققاً لكنه زعم العابد انه عبَدَ امرأً محققاً، فوقع في الشق الثاني في الاشتراك في العبادة والمعبود جميعاً على اعتقاده وزعمه فيكون كافراً .

قوله: أَفَهِمَّتْ يَاهِشَامُ؟ هذا الكلام ايضاً يدل على ان المراد من الاسم مفهومه الذهني لا اللفظ المسموع الحادث بارادة الالفاظ، وإلّا لَمْ يَكُنْ في فهم انه غير المسمى صعوبة ولم يحتاج الى بيان وبرهان سيّما في اسماء الله، فان المسمى قديم والالفاظ حادثة، فهذه الالفاظ المسموعة هي اسماء الاسماء وتلك الاسماء هي مفهوماتها الاولى، ولهذا وقع الخلاف في ان المشتقات هل هي عين ما صدقت عليه جعلاً وذاتاً أم لا؟

فانك اذا قلت: زيد كاتب، فقد حكمت بالاتحاد بينهما، اذ الحمل به هو عبارة عن الاتحاد بين ذات الموضوع ومفهوم المحمول، مع ان الحكماء اتفقوا على ان العرضيات موجودة بوجود آخر غير وجود موضوعاتها، فوقع الاشكال في حملها على الموضوعات .

والتحقيق ان مطلق الوجود هو مطلق الاتحاد وان اتحاد الذاتيات مع الذات اتحاد بالذات وبالْحَقِيقَةُ واتحاد العرضيات معها اتحاد بالعرض وبالمجاز، فان الموضوع كزيد مثلا اذا وجد في العين فوجوده بعينه وجود ذاتياته كالانسانية والناطقية والحيوانية والحساسة وغيرها، لان جميعها داخله في ماهيته وذاته، فيكون كلها محمولة بهو هو بالذات، لان وجوده بعينه وجودها.

واما عرضياتها كالضاحكية والكاتبية والابيضية وغيرها، فليس وجوده وجود هذه الاشياء لان معانيها خارجة عن معنى ماهيته وذاته فليست تحمل عليه حملاً بالذات، لكنه لما كانت عارضة له ووجوداتها قائمة به متحدة مع وجوده في الاشارة الحسبية فيحمل المشتقات المأخوذة عنها على موضوعها حملاً بالعرض لا بالذات.

اذا فهمت هذا المقام فاعلم: ان الحق الاول تعالى ذاته نفس الوجود الصرف بلا ماهية اخرى فجميع مفهومات الاسماء والصفات خارجة عنه، فصدقها وحملها عليه ليس كصدق الذاتيات على الماهية، اذ لا ماهية له كلية، ولا كصدق العرضيات، اذ لا قيام لافرادها بذاته تعالى، ولكن ذاته تعالى بذاته الاحدية البسيطة مما ينتزع منه هذه المفهومات وتحمل عليه، فالمفهومات كثيرة والجميع غيرها، والذات وجود واحد بسيط بنفسه موجود، فالكل بحسب المفهوم غيره وخارج عنه وبحسب المصادق عنه، ومن هذه الجهة يشبه حملها عليه حمل الذاتيات وليس بذلك، اذ لا ماهية له.

ولذلك قال: ان لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم عين المسمى لكان كل اسم إلهاً، اي لو كان مفهوم كل اسم عين الذات الاحدية المسماة به لكان كل مفهوم الهماً آخر ولكان في الوجود تسعة وتسعون الهماً، تعالى القيوم عن ذلك علواً كبيراً.

وذلك لانها من حيث مفهوماتها متكثرة متخالفة، ليس بعضها صادقاً على البعض ولا محمولاً عليه، ولكن الله بهويته البسيطة الوجودية معنى، اي حقيقة تدل عليه بهذه الاسماء، لصدقها كلها عليه، وكلها غيره من حيث مفهوماتها، اذ لا توجد بنفسها الا في الذهن.

بل التحقيق: ان ما سوى الوجود من المفهومات والماهيات الكلية ليست موجودة لا في الذهن ولا في الخارج، وانما الموجود في كل موطن ومشهد هو نحو من انحاء الوجود دون الماهية المسماة عند الصوفية بالعين الثابت، ولذلك قالوا: الاعيان الثابتة ما شمت رائحة

الوجود.

قوله عليه السلام: ياهشام الخبز اسم للمأكول... الى قوله: والنار اسم للمحرق، هذه حجة اخرى على ان مفهومات الاسماء غير ما هي بازائها من المسميات، وكذا كل ماهية وكل كليّ طبيعي ومفهوم عقلي غير ما هو موجود في العين من افراده، فان مفهوم المأكول اسم لما يصدق عليه كالخبز، ومفهوم المشروب يصدق على الماء ومفهوم الملبوس على الثوب والمحرق على التار، وكذا الرائحة على المسك واللون القابض للبصر على السواد والجوهر والقابل للابعاد والتامي والحساس والحّي والناطق على زيد.

ثم اذا نظرت الى كلّ من هذه المعاني في انفسها وجدتها غير محكوم عليها باحكامها، فان معنى المأكول غير مأكول، انما المأكول شيء آخر كالخبز، وكذا مفهوم المشروب غير مشروب، واللباس لا يلبس معنى الملبوس بل يلبس الثوب، والمحرق للاشياء ليس الامر الكليّ بل كالنار ونحوها، فالمأكول غير مأكول والمشروب غير مشروب والملبوس غير ملبوس والمحرق غير محرق.

هذا في العرضيات ظاهر والحكم في الذاتيات كذلك، فاللون — أي مفهومه — ليس بلون ولا القابض للبصر بقابض للبصر، ولا الجوهر مفهومه جوهر ولا مفهوم القابل للابعاد قابل للابعاد ولا ماهية الانسان انسان ولا لها جسميّة ولا حيوة ولا حسّ ولا حركة ولا نطق ولا كتابة ولا ضحك ولا شهوة ولا غضب.

فاذن قد ثبت لك وتحقق ان الاسامي ببدولاتها غير مسمياتها الموجودة.

ثم انظر وتأمل كيف وقعت الاشارة بهذا الكلام الصادر عن معدن الحكمة والتحقيق الى هذا المطلب الدقيق والمقصد العميق الذي عجزت عن دركه اذهان اصحاب العقول وقصرت عن فهمه افهام الفحول؟

حتى زعموا ان الماهيات مجعولة والوجود غير موجود، وزعموا ان مفهوم الانسان في الذهن انسان وهو جوهر نام حساس ناطق.

ولم يستشكلوا من جملة ذلك الا كونه جوهرًا، لزعمهم ان المفهومات حالة في الذهن والذهن محل متقوم بنفسه مستغن عما يقوم به، فيلزم عليهم عند ادراك مفهوم الجوهر صيرورته عرضاً وكون ما لا يكون في موضع كائناً فيه، فوقعوا في التفصي عنه واندفعوا في دفعه الى تمحلات ركيكة وتعسفات شنيعة شحنوا بها كتبهم وسودوا اوراقهم واطلموها بظلمات

بعضها فوق بعض كلّ ذلك لأجل ذهولهم عن الفرق بين الاسم والمسمى والمفهوم والمعنى والماهية والآنية، ولما كان المطلب دقيقاً والخوض فيه عميقاً كرّر عليه السلام استفهام فهمه من المخاطب بقوله: أَفَهِمْتَ يَا هِشَامَ؟

وقوله عليه السلام: فهما تدفع به وتناضل به أعدائنا، إشارة الى ان علامة ادراك الشيء الدقيق وفهمه على وجه التحقيق أن يكون المُدرِك بحيث يتمكن من دفاع كل شبهة ترد عليه في ذلك، وأعدائهم عليهم السلام علماء الدنيا الراغبون في ترفعاتها ورتاساتها، وهم ليسوا بعلماء على الحقيقة وإنما هم مُقلِّدَة متشبهة بالعلماء.

وقوله: والملاحدين مع الله جلّ وعزّ غيره، تقدير الكلام: والملاحدين الجاعلين مع الله جلّ وعزّ إلهاً آخر، ولما قال هشام جواباً لقوله عليه السلام: أَفَهِمْتَ فهما كذا وكذا؟ نعم، اي فهمت على الوجه الذي قلت فقال: نفعلك الله به وثبتك، دعاء له بالنفع به والتثبيت عليه لما فيه من عظيم النفع وفائدة العلم والتوحيد، لان التثبيت عليه لاحد بحيث لا يزلزله الشكوك ولا يزل قدمه الاوهام امر لا يمكن الا بتأييد الله وتثبيتته، فاستجاب الله دعائه عليه السلام في حقه حيث قال هشام: فوالله ما قهرني احد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا، اي منذ ذلك الوقت الى وقت قيامي الان في هذا الموضوع.

الحديث الثالث

وهو الثاني والثلاثون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن العباس بن معروف» مولى جعفر بن عمران بن عبد الله الاشعري القمي ثقة صحيح «صه» قال النجاشي: من اصحاب الرضا عليه السلام له كتب روى عنه احمد بن ابي عبدالله «عن عبد الرحمن بن ابي نجران قال كتبت الى ابي جعفر عليه السلام او قلت له جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الاحد الصمد قال فقال ان من عبد الاسم دون المسمى بالاسماء فقد اشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً بل عبد الله الواحد الاحد الصمد المسمى بهذه الاسماء دون الاسماء إن الاسماء صفات وصف بها نفسه».

الشرح

معنى هذا الحديث ينكشف مما ذكرنا وفسرنا به الحديث المقدم والذي قبله، وقوله: ان الاسماء صفات صريح فيما ادعيناه مرارا ان المراد من الاسماء هي المفهومات الكلية ومن

المسمى الذات الموصوفة بها.

واعلم ان الفرق بين الاسم والصفة كالفرق بين المركب والبسيط ، كما مرت
الاشارة اليه في اوائل كتاب العقل ، وبوجه كالفرق بين العرضي والعرض ، وكالفرق بين
الماهية لا بشرط شيء و الماهية بشرط لا شيء ، مثاله : ان الابيض قد يؤخذ نفس الابيض
وهو عين البياض ، وقد يؤخذ شيئاً ذلك الشيء هو الابيض ، وقد يؤخذ اعم منها فيصدق على
القسمين الاقولين ، فالابيض بالمعنى الاول صفة وعرض وبالمعنى الثاني موصوف وموضوع
ومسمى والمعنى الثالث اسم يحمل على الذات الموصوفة وعلى العارض ايضا — ان كان له
وجود زائد — كما في هذا المثال .

فان البياض العارض للجسم كما هو بياض بنفسه هو ابيض بنفسه ، واما الحال فيما
لا وجود للصفة الا وجود الذات ، كما في واجب الوجود ، فلا وجود لاسمائه وصفاته ، وجودا
زائداً على وجود الذات الاحدي الصرف الذي لا جزء له ولا ماهية ولا احد ولا اسم ولا رسم
ولا خبر عنه ولا اشارة اليه ، ومع ذلك مسمى بهذه الاسماء موصوف بهذه الاوصاف يحكم
البرهان ، فالفرق بين اسمائه وصفاته بالاعمية والاختصية على الوجه المذكور بمجرد الاعتبار لا
غير . فافهم وتثبت .

باب الكون والمكان

المراد من الكون وجود الشيء في الزمان و يعبر عنه بمتى ، ومن المكان وجوده في الحيز
و يعبر عنه بالايين ، والغرض في هذا الباب نفيها عن البارئ جلّت كبريائه .

وهو الباب السادس من كتاب التوحيد

وفيه ثمانية احاديث

الحديث الاول

وهو الثالث والثلاثون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن ابي حمزة قال سأل نافع
بن الازرق ابا جعفر عليه السلام فقال اخبرني عن الله متى كان فقال متى لم يكن حتى اخبرك
متى كان سبحانه من لم يزل ولا يزال فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا» .

الشرح

متى سؤال عن نسبة الشيء الى الزمان كما ان اين سؤال عن نسبته الى المكان، ثم أُسْتَعْمِلَا في نفس النسبتين فيقال: متاه كذا واينه كذا. وسبحان من التسبيح وهو التنزيه من النقائص يقال: سبحته تسبيحا وسبحانا، فعنى سبحان الله تنزيه الله وهو نصب على المصدر بفعل مضممر كأنه قال: ابرء الله من السوء براءة.

وأعلم ان متى نسبة المتغيرات الى مقدار تغيرها، والتغير هو الحركة والزمان مقدارها، فالواقع في الزمان اولاً وبالذات هو نفس الحركة والاستحالة، سواء من مكان الى مكان ويقال له النقلة، او من وضع الى وضع كدوران الفلك والفلكة، او من كم الى كم، فيقال له النمو والذبول، او من كيف الى كيف، فيقال له الاستحالة، وغير الحركة كالاجسام وما يتبعها انما يقع في الزمان بتبعية الحركة لا بحسب الماهية والذات، فكل ما لم يكن حركة ولا متحركا ولا لوجوده علاقة بالمتحرك فليس بواقع في الزمان فلا يصح السؤال عنه بمتى.

ولذلك نبّه عليه السلام على فساد السؤال بمتى عنه تعالى بقوله: متى لم يكن حتى اخبرك متى كان، فان من خاصية المنسوب الى الزمان انه ما لم ينقطع نسبته عن بعض اجزاء الزمان لم يُنسب الي بعض آخر، فالموجود في هذا اليوم غير موجود في الغد ولا في الامس، ولكن البارئ جل جلاله لكونه محيطاً بجميع الموجودات احاطة قيومية فنسبة معيته تعالى الى الثابت والمتغير والمجرد والمكاني نسبة واحدة لم يزل ولا يزال من غير ان يتصور في حقه تغير وتجدد بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في صفته ولا في اضافته ونسبته، فصح القول بانه لا يخلو منه زمان وانه تقديس وتعالى عن وصمة تغير وانتقال وشائبة حدوث وزوال، ولذلك ذكر كلمة التسبيح والتقديس واردفها باثبات الفردانية والصمدية ونفى اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

الحديث الثاني

وهو الرابع والثلاثون والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد بن احمد بن محمد بن ابي نصر قال جاء رجل الى ابي الحسن الرضا عليه السلام من وراء النهر بلخ فقال اني اسئلك عن مسألة

فان اجبتني فيها بما عندي قلت بامامتك فقال ابو الحسن عليه السلام سل عما شئت فقال اخبرني عن ربك متى كان وكيف كان وعلى اي شيء كان اعتماده فقال ابو الحسن عليه السلام ان الله تعالى^١ اين الأين بلا اين وكيف وكيف بلا كيف وكان اعتماده على قدرته فقام اليه الرجل فقبل رأسه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واشهد ان عليا وصي رسول الله والقيم بعده بما اقام به رسول الله وانكم الائمة الصادقون وانك الخلف من بعدهم».

الشرح

سأله الرجل عن ثلاثة اشياء كلها فاسدة في حقه تعالى: سأل عن زمانه بمتي كان وعن كيفيته وكيف كان وعن مكانه بقوله: وعلى اي شيء كان اعتماده، فان المكان في عرف الجمهور ما يعتمد الشيء عليه، فنبه عليه السلام على فساد الاولين بانه تعالى آين الاين بلا اين وكيف وكيف بلا كيف، اي انه سبحانه جعل الاين ايننا، اي ابداع وجوده الخاص الذي هو به اين، وهو به هو هو، لا بحسب ماهيته، لما بينا انفاً: ان الماهية للشيء لا تصدق على نفسها الا بالوجود الخاص بها.

وليس المراد بقوله: آين الاين، تخلل الجعل بين الماهية ونفسها ولا المراد به جعل نفس الماهية، اذ الماهيات كما علمت غير مجعولة في انفسها، لا بالجعل المركب ولا بالجعل البسيط، وانما المجعول والمفاض والمفاض عليه انحاء الوجودات، وبكل وجود يصير الماهية المتعلقة به محمولة على نفسها صادقة عليها، فهو تعالى بافاضة نحو من الوجود افاد الاين وصير الاين ايننا وبافاضة نحو اخر من الوجود افاد الكيف وصير الكيف كيفاً.

وقوله بلا اين، له معنيان: احدهما نفي الاين عن الله تعالى والثاني نفيه عن الاين وهو اولي وادق تنبيها على ان الاين الذي هو من جملة مخلوقاته مما لا اين له والا لزم التسلسل في الايون الى لا نهاية، فظهر فساد ما توهمه العامة ان كل شيء فهو في اين، فخالق الكل اجل وارفع من اين يكون له اين، وكذا القياس في قوله: بلا كيف، في جميع ما قلناه.

ثم نبه على فساد السؤال الاخير بقوله: وكان اعتماده على قدرته، اي لا اعتماد له على شيء اصلا، اذ الاعتماد للشيء على الغير انما نشأ من نقصان وجوده وقصور ذاته ونقص

جوهره كالجواهر الجسمانية وما يتبعها، والله تعالى تام الحقيقة والوجود وهو المبدع للاشياء فلا اعتماد له على كل شيء، بل كان اعتماد الكل على قدرته التي هي عين ذاته.

الحديث الثالث

وهو الخامس والثلاثون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصير قال جاء رجل الى ابي عبد الله عليه السلام فقال له اخبرني عن ربك متى كان قال وملك انما يقال لشيء لم يكن متى كان ان ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ولم يكن له كان ولا كان لكونه كون كيف ولا كان له اين ولا كان في شيء ولا كان على شيء ولا ابتدع لمكانه مكانا ولا قوي بعدما كون الاشياء ولا كان ضعيفاً قبل ان يكون شيئاً ولا كان مستوحشاً قبل ان يبتدع شيئاً ولا يشبه شيئاً مذكوراً ولا كان خلواً من الملك قبل انشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه لم يزل حياً بلا حيوة وملكاً قادراً قبل ان ينشئ شيئاً وملكاً جباراً بعد انشائه للكون فليس لكونه كيف ولا له اين ولا له حد ولا يعرف بشيء يشبهه ولا يهرم لطول البقاء ولا يصعق لشيء بل لخوفه يصعق الاشياء كلها.

كان حياً بلا حيوة حادثة ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا اين موقوف عليه ولا مكان جاور شيئاً بل حي يعرف وملك لم يزل له القدرة والملك انشأ ما شاء حين شاء بمشيئته لا يحد ولا يعرض ولا يفنى كان أولاً بلا كيف ويكون آخراً بلا اين وكل شيء هالك إلا وجهه^٢ له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين^٣ وملك ايها السائل ان ربي لا تغشاه الاوهام ولا تنزل به الشبهات ولا يجار^٤ من شيء ولا يجاوره^٥ شيء ولا تنزل به الاحداث ولا يسأل عن شيء ولا يندم على شيء ولا تأخذه سنة ولا نوم^٦ له ما في السموات وما في الارض

١- ابي جعفر (الكافي).

٢- القصص ٨٨.

٣- الاعراف ٥٤.

٤- ولا يجار (الكافي).

٥- ولا يجاوره (بعض النسخ الكافي).

٦- البقرة ٢٥٥.

وما بينهما وما تحت الثرى» ١.

الشرح

الصَّعِقُ ان يُغْشَى على الانسان من صوت شديد يسمعه وربّما مات ، ثم استعمل في الموت كثيراً ، لا يغشاه اي لا يغطيه ، والغشاء الغطاء واستغشى بثوبه وتغشى اذا تغطى . لما سئل عليه السلام عن ربّه متى كان اراد التنبيه على فساد هذا السؤال بوجه برهاني مع زيادة تقرير فقال : ويليک انما يقال لشيء لم يكن متى كان ، معناه : ان متى لما كان عبارة عن نسبة المتغيرات الى الزمان ، وهذا يستلزم ان يكون الموجود في شطر من الزمان غير موجود فيه سابقاً ولا لاحقاً ، فاذا قيل لشيء متى كان فعناه السؤال عن خصوصية الوقت الذي اتفق وجوده فيه دون سائر الاوقات ، كما اذا قيل : اين كان ؟ فعناه السؤال عن خصوصية مكانه الذي وجد فيه دون سائر الامكنة .

وبالجمله الزمان لكونه مقدار الحركة علة تغير الاشياء الزمانية ولا علة لتغيره ، لانه بنفسه متغير وهويته امر غير قار الذات ، وان المكان علة تكثر الاشياء المكانية ولا علة لتكثره وانقسامه ، لانه بنفسه قابل للتكثر وهويته ذا اجزاء متباينة في الوضع ، فالبارئ جل وعزّ لما لم يكن وجوده زمانياً ، لانه غير متغير اصلاً بل مبدع الزمان وما فيه وما معه ، فلم يجز في حقه ان يقال : كان او سيكون او كائن الا بمعنى آخر او على التجوز والاضطرار ، ولما لم يكن وجوده مكانياً لانه غير متكرر ، ولا متجز بوجه من الوجوه ، بل هو جاعل المكان وما فيه وما معه فلم يجز في حقه ان يقال : هنا او هناك او فوق شيء او تحت شيء او على شيء او في شيء الا تجوزاً و اضطراراً .

اذا تقرر هذا فنقول : في كلامه عليه السلام فوائد :

احدها الاشارة الى نفي كونه زمانياً وهو قوله : ان ربي تعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ، اي بلا حيوة زائدة ، كما في الاجساد الحية التي حياتها كيفية نفسانية ، ولفظة كان انما وقعت لضرورة الاخبار عن ثباته تعالى وعدم تغير وجوده ، وقوله : ولم يكن له كان ولا كان لكونه كون كيف ، معناه انه لم يجز في حقه تعالى ان يقال : له كان ومقابله الذي هو لا كان ، لان مثل هذا الكون الذي وقع فيه التغير هو كون امر وجوده عارض زائد على ذاته

كوجود كيف من الكيفيات الزائدة على الذات .

والثانية الاشارة الى نفي المكان عنه تعالى وهو قوله : ولا كان له اين ولا كان في شيء ولا كان على شيء ، وقوله : ولا ابتدع لمكانه مكانا ، معناه ولا اوجد مكانا لان يكون ذلك مكانا له ، بل اوجد المكان والامكنة للممكنات لا لنفسه ، لانه مجرد عن المكان .

الفائدة الثالثة الاشارة الى نفي الكيفية الزائدة عن ذاته الموجبة للتغير والانفعال كالقوة بعد الضعف بقوله : ولا قوي بعدما كَوّن الاشياء ، كغيره من الفاعلين ، الذين فعلوا افعالهم لاجل غايات كمالية تلحقهم وتقوي بها ذواتهم . وكالضعف قبل الفعل بقوله : ولا كان ضعيفا قبل ان يكون شيئاً ، ككثير من الفواعل الطبيعية التي كانت في غير اماكنها الطبيعية ضعيفة القوة ، فاذا حركت موادها الى تلك الاحياز اشتدت قوتها بعد الضعف ، كالتوحش والاستيحاش الحاصل عند التفرد عن الامثال والاشباه كما في الانسان ، وذلك لنقص جوهره وقصور وجوده عن الكمال وخلو ذاته عن الفضيلة التامة واستصحابه للاعدام والظلمات ، فيتوحش عن ذاته الخالية عن نور الفضيلة والكمال ويستأنس بغيره من امثاله واشباهه وهو المراد بقوله : ولا كان مستوحشاً قبل ان يبتدع شيئاً .

وذلك لان كل الاشياء الصادرة منه تعالى وجوداتها رشحات لبحر وجوده ولمعات لشمس حقيقته ، والبحر لا يستزيد بالرشحة والنداوة والشمس لا تستنير بلمعاتها ، فكيف يستأنس ذاته المقدسة بما يفيض عنه ؟ ولان زوال الاستيحاش وحصول الاستئناس انما يكون بوجود الاشباه ، وهو تعالى لا يشبه شيئاً مذكورا ، سواء كان موجوداً في العين اولا ، فان المذكور قد لا يكون موجوداً بعد ، فالمذكور اعم من الموجود ونفي الاعم يستلزم نفي الاخص .

الفائدة الرابعة الاشارة الى كون ذاته تعالى كل الاشياء على وجه اعلى واشرف غير فاقد لشيء من الوجود وكماله ، وانما المسلوب عنه تعالى النقائص والاعدام والشور وهو المراد بقوله : وكان خلواً من الملك ، بضم العين^١ ، قبل انشائه ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه ، ولا منافاة بين هذا الكلام والذي ذكر في بعض الاحاديث السابقة من ان ذاته خلو من خلقه وخلقه خلو منه ، لما قد اشرنا اليه من ان النقائص والاعدام مسلوبة وانما يتعين المخلوق عن الخالق بماهياتها الفارقة الذات الناقصة الوجودات ، ثم اكد ذلك بقوله : لم يزل حياً بلا حياة ، لثلا يتوهم ان في ابتداعه وانشائه للخلق يستكمل حيوته ، وبقوله : وملكاً قادراً قبل ان

١- كذا في جميع النسخ ، والظاهر : بضم الميم .

ينشيء شيئاً وملكاً جباراً بعد انشائه للكون، ليعلم ان كماله بنفس ذاته وان حاله قبل الانشاء للاشياء كحالها بعد الانشاء .

ثم لما ذكر عليه السلام هذه الاصول الكلية وبيّنها اشار الى بعض لوازمها وما يتفرع عليها، اذ ربما يذهل عن دركها الاذهان القاصرة، فنفي الكيفية عن وجوده تعالى وسلب الاين عنه والحدّ له، وان يعرف بما يشبهه وان يهرم لطول البقاء كما في المعمرين من البشر لوهن قواهم وكلاهما وضعفها بكثرة الفعل والانفعال الى ان تبطل وتدثر، لان هذه القوى جسمانية في معرض الاستحالة والدثور والفناء، وان يغشى عليه باستيلاء قاهر عليه، بل هو القاهر على كلّ شيء ولخوفه يصعق من في السموات ومن في الارض .

ونفي عنه الحيوة الحادثة كما في الانسان، فانه مما يحى بحياة اخرى بعد اولى حادثة، والوجود الموصوف بصفة زائدة وكيف محدود واين موقوف عليه وجوده ومكان خاص مجاور لمكان اخر او مجاوز عنه كما في سائر الاكوان الاينية والموجودات المكانية، حيث يتوقف وجود كل منها على اينه المخصوص ومكانه المعين المباين لسائر الامكنة، وفيه اشارة الى ان معيته تعالى للاشياء المكانية كما في قوله: «وهو معكم اينما كنتم»^١ ليست تنافي تجرده عنها ولا توجب مكانيته وتجسمه، لانها ليست على وجه التوقف والتقييد والتحديد، بل لانبساط نور وجوده وسعة رحمته لا يخلو عنه فوق ولا تحت ولا سماء ولا ارض ولا برّ ولا بحر كما سبقت الاشارة اليه.

وقوله: بل حيّ يعرف وملك لم يزل له القدرة والملك، اضراب عمّا سبق، اي حيّ بذاته لا بحياة زائدة وانه بذاته يعرف الاشياء وبذاته يوجدّها ويملكها لم يزل ولا يزال، له القدرة والملك قبل وجود الاشياء ومعها وبعدها .

الفائدة الخامسة قوله: انشأ ما شاء حين شاء بمشيئته، وهو انه لما ثبت توحيد ذاته ونفي الزائد من القدرة والعلم وغيرها، فيتوهم ان صدور الاشياء عنه يكون على وجه الايجاب لا عن ارادة ومشيئة، كفعل الطبائع العدمية الشعور المسخرة في افعالها، فازال ذلك التوهم بان يجاهده لكل ما شاء في وقته الخاص وحينه المقدر لمحض مشيئته وعلمه، الا ان مشيئته كعلمه غير زائدة على ذاته .

ثم رجع الى نفي المثالب عنه تعالى تأكيداً لما سبق وتوضيحاً فقال: ولا يحدّ، لان الحدّ انما يكون لما له جزء فيحد باجزائه، وليس هو كذلك، ولذا قال عقيبه: ولا يبغض، اي لا في الخارج ولا بحسب الذهن، وقال: ولا يفنى، لمنافاته وجوب الوجود ولاستلزامه التركيب والتبعيض^١ لان كل ما له قوة ان يفنى وفعل أن يبقى فيه قوة ان يبقى وفعل ان يبقى، واجتماع القوة والفعل في ذات واحدة بالقياس الى امر واحد يوجب التركيب الخارجي من المادة والصورة، ولهذا قالت الحكماء: ان المفارق عن المادة غير قابل للفناء، فضلا عن اله الكل الذي لا جزء له اصلا بوجه من الوجوه.

ثم قال: كان اولاً بلا كيف ويكون اخرأ بلا اين، لما كانت اوليته وآخريته بنفس ذاته الاحدية، فاوليته عين آخريته بلا صفة زائدة، وآخريته عين اوليته بلا استيجاب، كما في الاشياء المتأخرة الوجود عن غيرها، فانها لا ينفك وجودها عن الاين والمكان.

الفائدة السادسة قوله: كل شيء هالك الا وجهه له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين، الاشارة فيه: ان وجودات الممكنات لما كانت بمنزلة اشعة واطلال لوجوده تعالى فاذا قَطَعَ النظر عن ارتباطها اليه وتعلقها به الى ذاتها لم يبق لها الا الهلاك والبطلان، فليس الباقي من كل الا وجهه الكريم، واذا وجوداتها وجود تعلقي وهوياتها هويات تعلقية استنارية، فوجود الخلق والامر له تبارك وتعالى، لانه رب العالمين واله السموات والارضين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ثم رجع الى السائل بالتفريع والتوبيخ على سؤاله والاشارة الى ما يلزمه، فقال: ويملك ايها السائل ان ربي لا يعشاه الاوهام ولا ينزل به الشبهات... الى اخر كلامه، يعني ان الذي صح له ان يقال متى كان ومتى يكون فن شأنه لكونه متعلقا بالزمان والمكان مقترنا بالمادة والاكون ان يلبسه الاوهام وينزل به الشكوك والشبهات، وان يختص وجوده بالمجاورة لشيء ومجاورة شيء عنه ونزول الاحداث به، والسؤال عن اشياء لا يعلمها والتدم على شيء يفعلها، لانه لتعلقه بالمواد الجسمانية غير برئ من الجهل في القول والخطاء في العمل، وكذا عن السنة والنوم، فيأخذ هذه الحالات ويعتريه هذه النقائص والانفعالات.

ولما كان الحق سبحانه تام الحقيقة والذات مبدع الموجودات وحافظها، وله في السموات وما في الارض وما بينها، متبرئ الذات عن هذه النقائص الناشئة عن التعلق بالاجسام ومواد الأكوان فلم يجز السؤال عنه بمتى كان. والله ولي الفضل والاحسان.

الحديث الرابع

وهو السادس والثلاثون والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه رفعه قال اجتمعت اليهود الى رأس الجالوت فقالوا له ان هذا الرجل عالم يعنون به امير المؤمنين عليه السلام فانطلق بنا اليه نسأله فأتوه فقبل لهم هو في القصر فانتظروه حتى خرج فقال له رأس الجالوت جنئك نسألك فقال سل يا يهودي عما بدا لك فقال اسألك عن ربك متى كان فقال كان بلا كينونية كان بلا كيف كان لم يزل بلا كم وبلا كيف كان ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل ولا غاية ولا منقطع انقطعت^١ عنه الغاية وهو غاية كل غاية فقال رأس الجالوت امضوا بنا فهو اعلم مما يقال فيه».

الشرح

رأس الجالوت كان من احبار اليهود وعظماهم، اجتمعت اليهود عنده ملتسمين منه ان ينطلق بهم الى امير المؤمنين عليه السلام ويسأله عن مسائل امتحانية، فلما سأله عن واحدة منها وسمع منه الجواب ظهر له انه عليه السلام فوق ما يقوله القائلون فيه في باب العلم، فضوا به من عنده معتقدين انه اعلم الخلائق بالله.

واعلم ان الذي افاده سلام الله عليه عدة من مسائل شريفة الهية وغوامض لطيفة ربانية غفل عنها اكثر العلماء بل جحدها جماهير المتكلمين.

اولها ان وجوده تعالى عين ذاته وانه بحت حقيقة الوجود الاتم الذي لا يشوبه عدم ولا نقص ولا ماهية ولا امكان وهو قوله: بلا كينونية.

والثانية ان ليس لذاته صفة زائدة كمالية، بل علمه وقدرته وارادته وحيوته كلها نفس ذاته، فكما هو موجود بذاته فهو عالم بذاته قادر بذاته مرید بذاته حي بذاته وكذلك في جميع صفاته الوجودية.

والثالثة ان سرمديته ودوام وجوده ليس بحسب كمية زمانية فان الزمان بكميته العددية العارضة له وهويته الاتصالية المقدارية من مجموعلاته ومفطوراته، فيمتنع ان يتكتم بعدده بقاءه او يتقدر باتصاله دوامه تعالى، بل هو ذاته اذلي باق لا بمرور الدهور ولا بمرور الازمنة والشهور، وهو محيط بالازال والاباد، نسبتة الى الازل كنسبته الى الابد.

والرابعة ان ليس له قبل لا قبلية بالزمان والمدة، لان وجوده فوق الزمان، ولا بالمكان والترتبة، لان ذاته وراء المكان، ولا قبلية بالذات والماهية، اذ لا جزء لوجوده كالمادة والصورة ولا مقوم لماهيته كالجنس والفصل ولا بالطبع والعلية، اذ لا سبب لذاته بوجه لا ناقصا ولا تاماً، بل هو مسبب الاسباب من غير سبب كما سنشير اليه.

الخامسة انه قبل كل قبل بذاته لا بقبلية زائدة عليه، لان ذاته بذاته مبدأ المبادئ

واول الاوائل.

السادسة انه لا غاية لذاته ولا منتهى لوجوده، لان وجوده وراء ما لا يتناهى مدة وعدة بما لا يتناهى شدة، فانقطعت عنه الغاية وسلبت عنه النهاية من كل جهة.

وتوضيح ذلك وتحقيقه: ان التناهي واللاتناهي وان كانا من العوارض التي تعرض لكم او المتكتم اولاً وبالذات، الا انها مما يوصف باحدهما غير الكليات والمتكتمات بواسطة ما يتعلق به ضرباً من التعلق، ولاجل ذلك يتصف بها اي بالنهاية واللانهاية القوي والكيفيات بسبب ما يترتب عليها من الاثار والافعال، فالقوة مما يوصف باللاتناهي في العدة ان كان عدد آثارها غير متناه، وباللاتناهي في المدة ان كان زمان تأثيرها غير متناه، وباللاتناهي في الشدة ان كان تأثيرها غير متناه.

فاذا تقرر هذا فنقول: ان القوة القاهرة الالهية منقطعة الغاية مسلوقة النهاية بحسب كل من هذه الوجوه، لان المصادر من قدرته والحاصل من مشيئته اعداد غير متناهية من النفوس ومبادئ تحريكات في ازمته غير متناهية من العقول، فهو وراء ما لا يتناهى في العدة والمدة بما لا يتناهى في الشدة.

السابعة ان وجوده غاية الغايات ونهاية الاشواق والارادات ومنقطع الافعال والحركات. وشرح ذلك مما يطول واليه الاشارة في قوله تعالى: «الا الى الله تصير الامور»^١، وفي كثير من الايات؛ وسنعود الى ذكر نبد من مباحث الغاية في الحديث التالي.

الحديث الخامس وهو السابع والثلاثون والمائتان

«وهذا الاسناد عن احمد بن محمد بن ابي نصر عن ابي الحسن الموصلي» روى عن ابي عبدالله عليه السلام وروى عنه احمد بن محمد بن ابي نصر في الكافي كثيراً، لم يذكر في كتب الرجال غير هذا في وصفه لا مدح ولا ذم «عن ابي عبدالله عليه السلام قال جاء حبر من الاحبار الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين متى كان ربك فقال له ثكلتك امك ومتى لم يكن حتى يقال متى كان ربي قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد ولا غاية ولا منتهى لغايته انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية فقال يا امير المؤمنين افني انت فقال ويلك إنما انا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله وروى انه سئل عليه السلام اين كان ربنا قبل ان يخلق سماءً وأرضاً فقال عليه السلام اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان».

الشرح

الحبر بالفتح والكسر العالم وجمعه الاحبار، والثكل فقدان المرأة زوجها، وامرأة تاكل وثكلي وثكلته امه شكلا واثكله الله امه، وقد سبق في شرح الحديث السابق ما به يقع القنوع والكفاية في معنى هذا الحديث، الا انا نزيدك استبصاراً في باب انه تعالى غاية جميع الاشياء لما فيه زيادة غموض.

فنقول : ان الاسباب لوجود ماله سبب ينحصر في اربعة : الفاعل والغاية والمادة والصورة، فالاخيرتان داخلتان في وجود المسبب عنها، احدهما ما به وجود الشيء بالقوة كالخشب للسري، والثانية ما به وجود الشيء بالفعل كهيئة السري، لانها متى وجدت وجد السري بالفعل، واما الاولان فهما خارجان عن وجود المسبب، والفاعل ما يفيد وجود الشيء والغاية ما لاجله، ومن المعاليل ما لا يحتاج الى السببين الداخليين لكونه بسيطاً، واما الفاعل والغاية، فليس يمكن لشيء من الممكنات الاستغناء عنها.

ثم الغاية لها اعتباران : احدهما اعتبار كونها بحسب الوجود العلمي باعثة على فاعلية الفاعل، فهي متقدمة على الفعل وعلى كون الفاعل فاعلاً، لانها علة فاعلية لفاعلية الفاعل، فهي فاعل الفاعل بما هو فاعل، وهذا في الفواعل التي في هذا العالم من المختارين الذين يفعلون افاعيلهم بقصد زائد وداعية ارادة زائدة، مكشوف معلوم انهم مالم يتصوروا غاية

وفائدة لم يصيروا فاعلا بالفعل، فالعلة الغائية مغايرة فيهم للعلة الفاعلية^١.
 واما الاقول تعالى فلما كان علمه بنظام الخير في العالم الذي هو عين ذاته داعياً لا يجاده للعالم، فالفاعل والغاية هناك شيء واحد بلا تغاير في الذات ولا تخالف في الجهات.
 وثانيهما اعتبار كونها غاية وثمره مترتبة على الفعل، فربما يتأخر وجودها الخارجي عن وجود المعلول، فيكون وجودها معلول معلول الفاعل كما في الغايات الواقعة تحت الكون.
 والحكماء قد قسموا الغاية بهذا المعنى الى ما يكون في نفس الفاعل — كالفرح الحاصل من وقوع الفعل — والى ما يكون في القابل — كصورة الدار في الطين — والى ما يكون في غير الفاعل والقابل — كمن يفعل فعلاً لرضاء فلان — وانك اذا تأملت حق التأمل ونظرت حق النظر الى العلة الغائية وجدتها في الحقيقة عين العلة الفاعلية ولو في الفاعل الناقص المستكمل بفعله.

فان الجائع مثلاً اذا اكل ليشبع، فانه اذاً يأكل ليشبع، فانما اكل لانه يخيل الشبع، فاراد ان يستكمل له وجود الشبع فيصير من حد التخيل الى حد العين، فهو من حيث انه شبعان تخيلاً هو الذي يأكل ليصير شبعان وجوداً، فالاكل صادر من الشبع ومصدر للشبع، ولكن باعتبارين ومرجعها الى ضعف الوجود وقوته، فهو باعتبار الوجود العقلي فاعل للفاعل وعلة غائية للفعل، وباعتبار الوجود العيني غاية للفعل ومعلول.

فعلم ان الغاية ترجع الى ذات الفاعل وظهر ان في تقسيمهم الغاية الى الاقسام مسامحة، فان الباني لا يبني شيئاً الا لما يعود اليه من راحة ونحوها، والمحصل بفعله لرضاء، انسان لا تحصله الا لمصلحة تعود الى نفسه.

ثم اعلم انه قد وجد في كلام الحكماء: ان افعال الله غير معللة بالاغراض والدواعي، ووجد ايضا كثيراً في السننهم على طبق ما ورد في هذه الاحاديث: انه تعالى غاية الغايات وانه المبدأ والغاية، وفي الكلام الالهي: «الا الى الله تصير الامور»^٢ و: «ان الى ربك الرجعى»^٣ الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى.

فان كان المراد من نفي التعليل وسلب اللّمية عن فعله تعالى نفي ذلك عنه بما هو غير

١- الفاعلية — م — د.

٢- الشورى ٥٣.

٣- العلق ٨.

ذاته فهو كذلك ، لانه تام في فاعليته كما هو تام في ذاته ، لكن لا يلزم من ذلك نفي الغاية والداعي عن فعله مطلقا حتى يلزم العيب والجزاف ، تعالى عما يظنّه الجاهلون ، بل علمه بنظام الخير الذي هو نفس ذاته علّة غائية و غرض بالذات لفعله وجوده ، وهذا مما ساق اليه الفحص والبرهان وشهدت به عقول الفحول واذهان الاعيان .

قال ابو علي بن سينا في تعليقاته : ولو ان انسانا عرف الكمال الذي هو واجب الوجود بذاته ثم كان ينظم الامور التي بعده على مثاله حتى كانت على النظام والاحكام لكان غرضه بالحقيقة واجب الوجود بالذات الذي هو الكمال ، فان كان واجب الوجود هو الفاعل فهو ايضاً الغاية والغرض . انتهى ^١ .

ثم نقول : كما ان المبدأ الاول غاية الاشياء بالمعنى المذكور فهو ايضاً غاية بالمعنى الثاني ، وذلك لان جميع الاشياء طالبة لكمالها متوجهة الى الخير ومتحركة في تحصيل ذلك الكمال بحسب اقصى ما يتصور في حقها ، كما ترى المبادئ الطبيعية يتوجه الى كمالها وغاياتها المترتبة في الشرف والفضيلة ، فيتوجه دائما احسها الى اشرفها ويتقلب ادناها الى ارفعها ، وهكذا من الاخس الى الاشرف فالاشرف ، ومن الادنى الى الارفع فالارفع ، الى ان يصير اخر الاكوان الطبيعية اول الاكوان النفسانية وآخر منازل الدنيا اول منازل العقبي .

فالموجودات على ترتيبها منازل ومراحل الى الله تعالى ، فلكل منها عشق وشوق اليه ، اراديا كان او طبعياً ، ولهذا الحكماء التألهون المقتبسون انوار علومهم من مشكوة نبوة الانبياء عليهم السلام حكموا بسرمان نور العشق والشوق في جميع الموجودات على تفاوت طبقاتها في الوجود ، فلكل وجهة هو موليا ^٢ ، واليه الاشارة ايضاً في قوله تعالى : وان من شيء الا يسبح بحمده ^٣ .

وذكروا ايضاً وهو الحقيق بالتحقيق : ان الفواعل الطبيعية وغيرها لا تفعل شيئاً الا لما فوقها ، فان القوى الارضية ايضاً كالنفوس الفلكية والملائكة السفلية كالملائكة العلوية في

١- لكثرة اختلاف النسخة نقل هذه الفقرة برمتها : ولو ان انساناً عرف الكمال الذي هو حقيقة واجب الوجود ثم كان ينظم الامور التي بعده على مثاله حتى كانت الامور على غاية النظام لكان الغرض بالحقيقة واجب الوجود بذاته الذي هو الكمال ، فان كان واجب الوجود بذاته هو الفاعل فهو ايضاً الغاية والغرض «التعليقات» .

٢- البقرة ١٤٨ .

٣- الاسراء ٤٤ .

ان الغاية في افاعيلها^١ هي ما فوقها، اذ الطبائع والنفوس الارضية لا تحرك موادها لتحصيل ما تحتها من المزاج وغيره وان كان ذلك من الضرورات اللازمة، بل الغاية هي كونها على افضل ما يمكن لها ليحصل التشبه بما فوقها، كما في تحريكات النفوس السماوية اجرامها بلا تفاوت.

فكما ان تلك النفوس الكلية انما تحرك تلك الاجرام العظيمة لاجل اشراقات عقلية ترد على ذواتها تبتهج بها وتستفز^٢ وتتشبه بمبدئها العالي على الوجه الممكن ثم يلزم عنها بالتبع نفع السوافل والكائنات لا على القصد الاول، اذ العالي لا يلتفت الى السافل بالذات فحالتها كما قيل:

شربنا واهرقنا على الارض جرعة
وللارض من كأس الكرام نصيب
فكذلك بعينها حال المبادئ الجزئية من الطبائع والقوى والنفوس الارضية في تحريكاتها وتصريفاتها للمواد والاجساد، من ان غاياتها واغراضها فيها البلوغ الى مراتب كمالاتها الممكنة في حقها مما يطول تفصيل ذلك، لا اصلاح تلك المواد والابدان بالقصد الاول، بل على الاستمرار وال لزوم.

فغاية كل مبدء وغرضه من فعله الوجود الذي هو فوق وجوده، حتى ان فاعل التسكين كطبيعة الارض بثقلها الذاتي كفاعل التحريك، كطبائع^٣ الافلاك في ان مطلوبه ليس ما تحته وهو قرار الارض في الوسط الذي من باب الاين، ليلزم ان يصير العرض غرضاً للجوهر، والادنى غاية للاعلى، بل مطلوبها ليس الا محافظة على كمالها وكونها على احسن حالها وافضل ما يمكن في حقها.

قال بعض العرفاء: لعمرى ان السماء بسرعة دورانها وشدة وجدها والارض بفريط سكونها لسيان في هذا الشأن، فلعمرك لقد اتصل بالسماء والارض من لذيد ما نالتا من جمال الاول ما طربت به السماء طرباً رقصها، فهي بعد ذلك الرقص والنشاط وغشي به على الارض لقوة الوارد، فالقيت مطروحة على البساط، فسريان لذة التجلي هي التي عبدها

١- في ان غاية افاعيلها - م - ط .

٢- بما تستفر - م - بها تستغرق - بما تستقر - ط . الفرة: الابتسام .

٣- لطبائع - م .

ومشاهدة لطف الاول سلبت افئدتها، وقد قيل شعراً:

فذلك من عميم اللطف شكر وهذا من رحيق الشوق سكر
اقول : فافهم هذا المقام فهم حق يتلى لا فهم شعري فتري . ومن ههنا ينكشف عند
العاقل اللبيب ان غاية جميع المحركات والمتشوقات من القوى العالية والسافلة في تحريكاتها
وافاعيلها هو ذات البارئ او التقرب اليه والوصول الي حضرته ، لان غرض كل فاعل من
فعله ما هو ارفع منه ، لكنه يلزمه تبعاً صدور ما هو أدون منه ، وهذا ظهر سر كلام من قال :
لولا عشق العالي لانطمس السافل .

فان قلت : اذا كانت الغاية متقدمة على الفعل بحسب السببية^١ متأخرة عنه بحسب
الوجود ، فلو كان الاول تعالى غاية يلزم ان يكون متأخراً عن الممكنات ؟
قلنا : ان تأخر الغاية عن الفعل انما يكون اذا كانت من الاشياء الواقعة في عالم
الكون والحركة ، واما اذا كانت ارفع من هذا العالم فلا يلزم ، بل الغاية في الفعل الابداعي
متقدمة عليه علماً ووجوداً وفي الكائنات متقدمة عليها علماً متأخرة عنها وجوداً .

والتحقيق : ان البارئ جل اسمه اول الاوائل من جهة كونه فاعلاً للاشياء وعلّة
غائية وغرضاً ، وهو بعينه اخر الاواخر من جهة كونه غاية وكمالاً ، يقصده الاشياء وينحو
نحوه ويتشوق اليه طبعاً وارادة ويتصل اخر دائرة الوجود باولها من جهة اخر کمالات
الانسان الكامل الواصل الى مقام او ادنى «فاوحى الى عبده ما اوحى»^٢ فهو تعالى منتهى سير
السائرين وغاية قصد المسافرين ، لانه الخير المحض والمعشوق الحقيقي ، فصحح الاعتبار الاول
نفسه ذاته بذاته ، ومصحح الاعتبار الثاني صدور الاشياء عنه على وجه يلزمها عشق يقتضي
حفظ کمالاتها الاولية وشوق غريزي الى تحصيل المفقود من کمالاتها الثانية وحركة ذاتية
جوهرية اليها والى ما بعدها حتى انتهت الى غاية لا غاية لها .

قال ابو نصر الفارابي : صلت السماء بدورانها والارض برججانها^٣ والماء بسيلانه
والمطر بهطلانه وقد تصلى له ولا تشعرو لذكر الله اكبر^٤ .

١ - الشئبة - م - د .

٢ - النجم ١٠ .

٣ - برججانها «ط» .

٤ - فصوص الحكمة - فص ٢٩ .

والمقصود ان الموجودات كلها سواء كانت عقولا ونفوسا او طبائع وقوى جرمية فلكية كانت او عنصرية سماوية او ارضية فلها توجه غريزي الى المبدأ الاعلى وعشق جبلي وشوق ذاتي ودين فطري ومذهب حيني في حركتها وسعيها طاعة للعلة الاولى وقرباناً الى الله تعالى او دوراناً حول بيته المعمور وتطوفا لحريم العشق وكعبة النور، «الا الى الله تصير الامور»^١.

فهذا شطر من مباحث الغاية اردنا ان نوردها في تفسير قوله عليه السلام: انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية، ولما استشعر الحبر اليهودي من كلامه فوق ما يمكن تحصيله بالتعلم البشري او الفكر الانساني المنطقي وانما ذلك بالهام الله ونور افاضته، ظن انه نبي وليس ذلك من بعض الظن في حقه عليه السلام، لان درجته ليست نازلة عن درجة النبوة.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه واله انه قال: ان الله عبداً ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون، الا ان باب نبوة التشريع والرسالة مما قد انقطع بعد محمد صلى الله عليه وآله وانقطع منها اسم النبي والرسول ولم يبق الا الالهامات والمبشرات، فزال الاسم وبقي الحكم، قال تعالى: فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون^٢.

فالنبوة من حيث عينها وحكمها ما انقطعت وما نسخت وانما انقطع الوحي الخاص بالرسول من نزول الملك على حسه والكلام على اذنه، فهذا هو الفرقان بين النبي والولي^٣. ولهذا ما قال عليه السلام في الرد على السائل الا قوله: انا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله، لئلا يتوهم انه غير تابع للرسول صلى الله عليه وآله.

وقوله عليه السلام في الرواية الاخيرة حيث سئل اين كان ربنا قبل ان يخلق الخلق؟ بما دل على نفي المكان عنه تعالى، فهو شاهد على ان الحديث المشهور عند العامة عن النبي صلى الله عليه وآله من انه قال في الجواب عن مثل هذا السؤال: انه كان في عماء ما فوفه هواء وما تحته هواء، اما موضوع او مأوّل، فالواقع من لسان النبوة لكونه خطاباً للجمهور يجب ان يأوّل بالواقع من لسان الولاية لكونه خطاباً مخصوصاً بقوم، قال تعالى: «انما

١- الشورى ٥٣.

٢- النحل ٤٣.

٣- والولي في النبوة، فيقال فيه نبي ورسول ويقال في الولي انه وارث للنبي - ط - انه وارث من

لا وارث له - د.

انت منذر ولكل قوم هاد»^١ ولما نزلت الآية قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا علي انا المنذر وانت الهادي.

الحديث السادس وهو الثامن والثلاثون والمائتان

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن عمر بن عثمان» في النجاشي والخلاصة: انه الثقي الخزاز وقيل: الازدي، ابو علي كوفي ثقة روي عن ابيه عن سعد^٢ بن يسار، وله ابن اسمه محمد روى عن^٣ ابن عقدة، وكان عمرو بن عثمان نقي الحديث صحيح الحكايات «صه» وفي النجاشي ايضاً: خاصة له كتب روى عنه علي بن الحسن بن الفضال واحمد بن محمد بن خالد «عن محمد بن يحيى» كأنه محمد بن يحيى الخزاز كوفي، روى عن اصحاب ابي عبدالله عليه السلام، ثقة عين «صه».

«عن محمد بن سماعة» بن موسى بن رويد بالراء المضمومة، ابن نشيط بالنون قبل الشين المعجمة، الحضرمي مولى عبد الجبار بن وابل بن حجر، ابو عبدالله والد الحسن وابراهيم وجعفر وجده محمد بن الحسن، وكان ثقة في اصحابنا وجها «صه» «عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال رأس الجالوت لليهود ان المسلمين يزعمون ان عليا عليه السلام من اجل^٤ الناس واعلمهم اذهبوا بنا اليه لعلي اساله عن مسألة واخطئه فيها فاتاه فقال يا امير المؤمنين اني اريد ان اسألك عن مسألة قال سل عما شئت قال يا امير المؤمنين متى كان ربنا؟ قال له يا يهودي إنما يقال متى كان لمن لم يكن فكان متى كان هو كائن بلا كينونة كائن كان بلا كيف يكون بلى يا يهودي ثم بلى يا يهودي كيف يكون له قبل هو قبل القبل بلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية اليها انقطعت الغايات عنده هو غاية كل غاية فقال اشهد ان دينك الحق وان من^٥ خالفه الباطل».

١- الرد ٧.

٢- سعيد «جش».

٣- عند «جش».

٤- اجدل (الكافي).

٥- ما (الكافي).

الشرح

هذا الحديث مثل الحديث الذي رفعه محمد بن خالد عن امير المؤمنين عليه السلام وما قاله في جواب رأس الجالوت ومثل المسند الذي بعده وما قاله في جواب حبر من الاحبار بادنى تفاوت وقد شرحناهما بما به غنية عن شرح هذا الحديث، الا ان بعض الفاظه مما لعله يحتاج الى بيان فنقول:

قوله عليه السلام: انما يقال متى كان، اي انما يطلق هذا القول الذي هو سؤال عن نسبة الشيء الى زمانه بهذه الكلمة الاستفهامية الموضوعة لمثل هذا السؤال اعني لفظة متى كان، وقوله: لمن لم يكن فكان متى كان، يعني استعلام حال من لم يكن موجوداً حيناً من الدهر ثم كان في الوقت الذي كان، فتى الأولى الاستفهامية على الحكاية ومتى الثانية خبرية لا استفهامية.

وقد اشرنا فيما سبق ان كل ما وجوده في الزمان فلا بد ان يكون وجوده بعدما لم يكن وليس الله تعالى كذلك، ومن هذا القبيل الحركة وما يتبعها، والناس يخلطون ويغلطون كثيراً، فيزعمون ان حركة واحدة توجد في الماضي والمستقبل، ولا يعلمون الفرق ايضاً بين ما مع الزمان معية لا يوجب التغير بوجه وبين ما فيه او معه معية ترجع الى الفئضية، وقوله: هو كائن، مبتداء وخبر وقوله: بلا كينونة كائن، وقع صفة للخبر، اي هو تعالى موجود بلا وجود رآد عليه ووجود معه، وقوله: كان بلا كيف، خبر بعد خبر لقوله: هو، او خبر مبتداء محذوف دل عليه ما قبله او جملة مستأنفة لبيان نفي الصفة الزائدة عنه تعالى ليلزم تنزهه عنه مقارنة الزمان بطريق اولي.

وقوله: بلى يا يهودي، تأكيد وتسجيل لما قال بحيث لا يعتره شك ولا شبهة، وقوله عليه السلام: ثم بلى يا يهودي، اما متعلق بما بعده لتمهيداً وتأكيده ايضاً لكونه علماً غامضاً ايضاً واما تكرير للاول مبالغة في التأكيد والتحقيق، وقوله: كيف يكون له قبل هو قبل القبل بلا غاية ولا منتهى غاية، لما علمت ان كل ما يتصف بمقارنة الزمان او يقال في حقه متى كان، فيلزمه ان يكون وجوده بعد عدم وان يكون له قبل، ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم على طريقة عكس النقيض، فقال على وجه الاستفهام الانكاري الدال على النفي بابلغ وجه: كيف يكون له قبل؟ واردفه بالبرهان الدال عليه على القطع واليقين بانه قبل كل قبل او قبل طبيعة القبل، لان تلك الطبيعة ايضاً من جملة معمولاتة فهو قبل جميع الاشياء حتى

نفس القبلية بلا قبلية تعرض لذاته و بلا غاية سابقة لقبليته الذاتية ولا غاية لاحقة لمنتهاها .
 وقوله : ولا غاية اليها ، الضمير راجع الى الغاية ومعناه والله اعلم : لا غاية لما هو غاية
 الغايات ، فوقع الى بمعنى اللام ، وقوله : انقطعت الغايات عنده وهو غاية كل غاية ، اي
 انتهت الغايات المترتبة التي بعضها غاية للبعض ، لما علمت ان كل ممكن مجعول ، له غاية
 ولغايتها ايضاً غاية وهكذا يترتب الغايات وينتهي البعض الى البعض حتى ينتهي الى غاية لا
 غاية لها دفعا للدور والتسلسل .

كما ان كل معلول له مبدأ أو لمبدئه مبدأ وهكذا ترتيب المبادئ صادراً بعضها عن
 بعض حتى انتهت الى مبدأ لا مبدأ له ، فهو بعد البعد بلا بعد كما انه قبل القبل بلا قبل ، وهو
 غاية كل غاية كما هو مبدأ كل مبدأ ، فهو اول الاوائل بلا اولية وآخر الاواخر بلا آخرية ،
 واوليته عين آخريته وآخريته نفس أوليته بلا اختلاف جهة وتغير حال ، فهذا هو المشهود
 عليه عند الله بانه دين الحق ومخالفوه هم الجهلة والباطيل .

الحديث السابع

وهو التاسع والثلاثون والمائتان

«علي بن محمد رفعه عن زرارة قال قلت لابي جعفر عليه السلام اكان الله ولا شيء
 قال نعم كان ولا شيء قلت فاين كان يكون قال وكان متكئاً فاستوى جالسا وقال احلت
 يازرارة وسألت عن المكان إذ لا مكان» .

الشرح

يقال احال اي اتى بالمحال وتكلم به قوله عليه السلام نعم كان ولا شيء .
 اعلم ان تبين هذا المرام وتحقيق هذا الكلام وهو الموافق للحديث المستفيض المشهور
 عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله : كان الله ولم يكن معه شيء ، من العلوم الغامضة التي
 لم ار في مدة عمري وقد بلغ خمساً وستين على وجه الارض من كان عنده خبر عنه ولم اجد
 ايضاً في كتاب من كتب السابقين واللاحقين ان يثبت فيه ما يشفي العليل ويروي الغليل
 في هذه المسألة ، ولقد افادني الله من لدنه بفضل ورحمة وفتح باب كشفه على قلبي ،

١ - كما - م .

٢ - يترتب - د .

فاوردت هذه المسألة العظيمة والدرة الفاخرة اليتيمة في بعض كتبي ورسائلي^١ مُبرهنًا عليها كاشفًا قناع الخفاء عن وجهها حامدًا لله شاكراً لنعمته .

ولا يخفى على من التزم البراهين وتجنب عن الاخذ بالشيء على وجه المجازفة والتخمين، ان اثبات تأخر العالم كله عن العدم بالزمان مع اثبات الوجدانية له تعالى ونفي التعطيل عنه وكونه لم يزل ولا يزال فياضاً على الخلق قادراً خالقاً رازقاً جواداً رحيماً من غير تجدد صفة او سنوح ارادة او حدوث مصلحة لم تكن من قبل، امر في غاية الصعوبة وادراكه واقع في اعلى درجات القوة النظرية للنفس البشرية، لكن الله يؤتي الحكمة من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وباقي الفاظ الحديث واضحة غنية عن الشرح .

الحديث الثامن

وهو الاربعون والمائتان

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن الوليد» هذا الاسم مشترك بين جماعة منهم : محمد بن الوليد الصيرفي في شباب ضعيف «صه» ومنهم : ابن الوليد بن عمارة ابورجاء مولد قريش كوفي، ومنهم ما قال ابو عمر والكشي فيه : ان محمد بن الوليد الخزاز ومصدق بن صدقة ومحمد بن سالم بن عبد الحميد ومعوية بن حكيم هؤلاء كلهم فطحية وهم من اجلة العلماء والفقهاء والعدول بعضهم ادرك الرضا عليه السلام وكلهم كوفيون .

وقال النجاشي : محمد بن الوليد البجلي ابو جعفر الكوفي ثقة عين نقي الحديث ذكره الجماعة بهذا، روى عنه يونس بن يعقوب وحامد بن عثمان فكان^٢ في طبقتها وعمّر حتى لقيه محمد بن الحسن الصفار وسعد، والذي يظهر لي انه الذي ذكره الكشي «صه» «عن ابن ابي نصر عن ابي ابراهيم^٣ الموصلي عن ابي عبد الله عليه السلام قال اتى حبر من الاحبار الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين متى كان ربك قال و يلك انما يقال متى كان لما لم يكن فاما ما كان فلا يقال متى كان كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد ولا منتهى غاية لتنتهي غايته فقال له انبي^٤ انت فقال لامك الهبل انما انا عبد من عبيد رسول الله صلّى الله عليه وآله» .

١- المراد من كتبي : الاسفار، ورسائلي : رسالة الحدوث .

٢- ومن كان «جش» .

٣- ابي الحسن (الكافي) .

الشرح

الهبل بالتحريك الثكل، يقال: هبلته أمه تهبله هبلاً أي ثكلته، ومعنى الحديث كما علمت.

باب النسبة

اي باب نفي النسب عنه تعالى، وهذا المعنى يقال لسورة التوحيد سورة النسبة وهو الباب السابع من كتاب التوحيد وفيه اربعة أحاديث:
الحديث الاول

وهو الحادي والاربعون والمائتان

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن ابي ايوب عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا إنسب لنا ربك فلبث ثلثا لا يجيبهم ثم نزلت «قل هو الله احد... الى آخرها» .
ورواه محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن أيوب.

الشرح

كان من عادة العرب ان يحافظوا على الانساب وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الانساب او ينقص، فقالوا له صلى الله عليه وآله: انسب لنا ربك، وروى ايضا في سبب نزول السورة: ان جماعة جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: بين لنا جنس معبودك أذهب او فضة؟ فانزل هذه السورة فقالوا: ثلاث مائة وستون صنما لا تقوم بجوائجنا فكيف يقوم الواحد بجوائج الخلق؟ فنزلت والصفات... الى ان الهكم لواحد^١.

وقيل: انها نزلت بسبب سؤال النصارى. روى عطاء بن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم وفد نجران فقالوا: صف لنا ربك أزرجد ام ياقوت او فضة؟ فقال: ان ربي ليس من شيء لانه خلق الاشياء، فنزلت: قل هو الله احد، قالوا: هو واحد وانت واحد، فقال: ليس كمثل شيء^٢، قالوا: زدنا من الصفة، فقال: الله الصمد، فقالوا ما

١- الصفات ١ - ٤ .

٢- الشورى ١١ .

الصمد؟ فقال: الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج، فقالوا زدنا، فقال: فنزل لم يلد «كما ولدت مريم» ولم يولد «كما ولد عيسى» ولم يكن له كفوا احد، يريد نظيراً من خلقه .
وقيل: انها نزلت بسبب سؤال اليهود. روى عن عكرمة عن ابن عباس: ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعهم كعب بن اشرف فقالوا: يا محمد هذا الذي خلق الخلق فن خلق الله؟ فغضب نبي الله فنزل جبرئيل عليه السلام يسليه وقال: اِخْفِضْ جناحك يا محمد، فنزل قل هو الله احد، فلما تلى عليهم قالوا: صف لنا ربك عضده وكتفه وذراعه، فغضب رسول الله اشد من غضبه الاول، فاتاه جبرئيل بقوله تعالى: «وما قدروا الله حق قدره»^١.

والغرض ان جماعة كانت عقولهم على هذه الدرجة من السخافة والوهن حتى سئلوا ان ربهم من اي جنس الجواهر الجسمية المعدنية، فلا عجب منهم ان لو سألوا عن نسب إلههم من كونه والدا او مولودا او ذا صاحبة ونظير.

الحديث الثاني

وهو الثاني والاربعون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ابي ايوب وعن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسين^٢ عن ابن محبوب عن حماد بن عمرو النصيبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن «قل هو الله أحد» فقال عليه السلام نسبة الله الى خلقه احداً صمداً ازلياً صمدياً لا ظل له يسكه وهو يمسك الاشياء باظلتها عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل فردانياً لا خلقه فيه ولا هو في خلقه غير محسوس ولا مجسوس، لا تدركه الابصار علا فقرب ودنا فبعد وعصى فغفر واطيع فشكر لا تحويه ارضه ولا ثقله سمواته حامل الاشياء بقدرته ديمومي آزي لا ينسى ولا يلهو ولا يغفل ولا يلعب ولا لإرادته فصل وفصله جزاء وامره واقع لم يلد فيورث ولم يوكد فيشارك ولم يكن له كفوا احد».

الشرح

١ - الانعام ٩١ .

٢ - عن احمد بن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسين (الكافي) .

قوله : نسبة الله الى خلقه، اي معنى السورة بيان نسبة الله الى خلقه، وهي كونه منزهاً عما سواه، مسلوباً عنه شبه ما عداه من كونه احداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد، فقوله : احداً مع ما يتبعه يحتمل وقوعه حالاً والعامل فيه معنى النسبة او خبر فعل ناقص محذوف .

تقديره من كونه احداً او كان احداً، اما كونه تعالى احداً فلان كل ماهية مركبة فهي مفترقة الى كل واحد من اجزائه، وكل واحد من اجزاء الشيء غيره، فكل مركب مفترق الى غيره، وكل مفترق الى غيره متأخر عنه فهو ممكن محتاج في وجوده الى ذلك الغير، فلم يكن لها واجب الوجود، والاله الذي هو مبدأ لجميع الممكنات يمتنع ان يكون ممكناً مركباً، فهو في نفسه احد. واذا ثبت كونه احداً ثبت كونه واحداً فرداً، اذ لو لم يكن فرداً كان له مجانس او مماثل يشاركه في الوجود، ولكان امتيازه عنه بمتيز فصلّى فيعود التركيب. هذا خلف، واذا ثبت كونه احداً فرداً وجب ان لا يكون متحيزاً، لان كل متحيز جهة يمينه غير جهة شماله وكل ما كان كذلك فهو منقسم .

فالاحد يستحيل ان يكون متحيزاً او في جهة او متعلقاً بذي جهة، فلا يكون جسماً ولا عرضاً ولا صورة في جسم ولا قوة قائمة به او نفساً له، لكونها مفترقة في فعلها واستكمالها اليه فلم يكن خالفاً للجسام .

اما كونه صمداً فلانهم ذكروا للصمد وجهين : الاول انه فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المقصود اليه المصمود اليه في جميع الحوائج .

والدليل على صحة هذا التفسير ما روى عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية قالوا : ما الصمد؟ قال النبي صلى الله عليه وآله : هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج .

وقال الليث : صمدت صمدها الامراي قصدت قصده .

والقول الثاني ان الصمد هو الذي لا جوف له ومنه يقال لسداد القارورة الصماد، وشيء مصمد اي صلب ليس فيه رخاوة .

وقال ابن قتيبة : وعلى هذا التفسير الدال فيه مبدلة عن التاء وهو المصمت .

وقال بعض من اهل اللغة : الصمد هو الاملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ولا

يدخله شيء ولا يخرج منه شيء .

واعلم انه لا يمكن ان يكون المراد من الصمد هو هذا المعنى، لانه بهذا التفسير صفة

للجسام و يتعالى عن ذلك ، فيجب ان يحمل على مجازه ، وذلك لان الجسم الذي يكون كذلك يكون عديم التأثير والانفعال عن الغير ، وذلك اشارة الى كونه واجب الوجود ممتنع التغير في وجوده وبقائه وجميع صفاته .

اقول : لما كان كلّ ممكن فوجوده امر زائد على اصل ذاته ، ومقتضى ذاته وباطنه العدم واللاشيء ، فهو يشبه الاجوف ، كالحقّة الخالية عن شيء والكرة المفرغة ، لان باطنه الذي هو ذاته لا شيء محض ، والوجود الذي يحيط به ويحدده هو غيره ، واما الذي ذاته الوجود والوجوب من غير شائبة عدم وفرجة وخلل فيستعار له الصمد .

واعلم ان فائدة ذكر الصمد بهذا التفسير بعد ذكر الاحد ان الاحدية والبساطة لا يوجب وجوب الوجود كما في العكس ولهذا ذكر بعده ، وقوله : ازليا ، اي فاعلا للازل غير قابل له ولا متعلق به ، وقوله : صمدياً لا ظلّ له يمسه ، انما اعاد لفظ الصمد تمهيداً لاني الحاجة الى شيء منه وحجة على ذلك ، اذ الظل وهو ما يستمسك به كالسقوف والسحب ونحوها دفعا لاذية الحر وغيره ، كناية ههنا عن حافظ الشيء وممسكه عن الزوال والفساد .

وقوله : وهو يمسه الاشياء باظلمتها ، الباء اما بمعنى مع او السببية ، فعلى الاول يكون المعنى : انه سبحانه يحفظ الاشياء مع ما يستحفظ بها من الاظلمة والاسباب ، اي يحفظ الاسباب والمسببات جميعاً ، وعلى الثاني انه يحفظ الاشياء بواسطة ايجاده لاطلمتها واسبابها .

وقوله عارف بالمجهول ، اي بما هو مجهول للخلق من المغيبات او المعدومات التي لم تظهر او لم توجد بعد ، وقوله : معروف عند كل جاهل ، يعني ان النفوس مجبولة على معرفته بوجه والتصديق بوجوده ، وذلك لانبساط نوره وسعة رحمته وفيض وجوده ، فلولا جحود ذوي الجحود وحجب الغفلة وغشاوة الهوى لاعترف كل نفس بموجده والهه كما في قوله . : ولئن سئلتم من خلق السموات ... ٢ . الاية .

وقوله : فردانيا ، ذكره تمهيداً ودليلاً لقوله : لا خلقه فيه ولا هو في خلقه ، اي لما كان احدى الذات فرداني الهوية والماهية ، فليس فيه شيء من خلقه كما يقوله الصفاتية والا لزم التركيب ، ولا في خلقه شيء منه كما يقوله النصاري والا لزم التجزي ، قوله : غير محسوس ،

١- اي ويحفظ - د - م .

٢- العنكبوت ٦١ .

اي بشيء من الحواس الظاهرة، والا لكان جسماً او جسمانياً، ولا مجسوس اي بشيء من المشاعر الباطنة، والا لكان له صورة في الذهن تساويه فكان ذا ماهية كليّة، وهو محال كما مرّ.

وقوله: علا فقرب، كلمة «فا» للترتيب والسببية، فعنى الكلام: انه تعالى لاجل غاية علوه يكون قريباً من الاشياء، وذلك حق، لان علوه ليس بالمكان بل بكمال رتبة الوجود وشدة نوره، والنور كلما كان اشد واقوى كان اقرب وادنى، واعتبر ذلك بنور الشمس وهي في السماء الرابعة وبنور السراج او المشعل وهو عندك في وجه الارض فانظر ايهما اقرب منك، حتى تعلم ان اعلى الموجودات شرفاً ونوراً يجب ان يكون اقربها منك.

واما قوله: ودنى فبعد، فلان غاية دنوه وثباته على حالة واحدة صارا سببين لاحتجابه عن البصائر، والاحتجاب والبعد متلازمان والمحجوب عن الشيء يكون بعيداً عنه لا محالة، كما ان البعيد عن الشيء اذا امعن في البعد يصير محجوباً عنه.

اما سببية الاول فلان غاية دنو التور وغلبة اشراقه تُوجب إنقهار القوة المدركة وكلاهما، فيعرض لها ما يعرض عين الخفاش من اشراق الشمس فلا يدركه فيحجب عنها، فكذلك حال البصائر في احتجاب الحق عنها.

واما سببية الثاني فلان الاشياء قد تعرف باضدادها، ومعلوم انه تعالى لا ضد له، فلا يُعرف من هذه الطريق ايضاً، فلاجل ذلك كان محتجباً عن خلقه.

وقوله: وعصى، بصيغة المجهول، فغفر وأطيع فشكر، ان من اسماء الله: الغفور والشكور وهما متقاربان، لكن احدهما بالقياس الى المعصية والاخر بالقياس الى الطاعة، فبالاول يستر المعصية بنور الرحمة، وبالثاني يزكو عنده القليل من الطاعة فيضاعف بالكثير من الجزاء.

قوله عليه السلام: لا تحويه ارضه ولا تقله سمواته، لا تحويه اي لا تجمعها من الحواء وهو اسم المكان الذي يضم الشيء ويجمعه، ولا تقله اي لا يحمله، واصل الاقلال من القلة فان الحامل للشيء يستقله، والغرض نفي المكانية والجسمانية عنه بالكلية واثبات برائته عن الكون الجسماني، فان كل جسماني اما في الارض او في السماء، ولاجل هذا لم يقل لا تحويه سماء ولا تقله ارض كما هو المتعارف، لان ذلك لا ينفي مطلق الكون الجسماني، وازافة الارض والسموات اليه اضافة المخلوقة والملك.

وقوله: حامل الاشياء بقدرته، لما كان المطلوب في هذا الحديث اثبات فردانيته تعالى وتفسير احديته وبرائته عن الخلق وعدم مخالطته للاشياء بوجه من الوجوه وقد بين ذلك باين وجه واكده، لكن كثيراً ما وقعت في الكتاب والسنة نسبة حمل الاشياء اليه تعالى، فربما يذهب الوهم الى مباشرة الجسم، فازيح هذا الوهم بانّ حمله تعالى للاشياء ليس بمزاولة جثة بل بتأثير قدرة وقوة، وليس من شرط حامل جسم ومحركه ان يكون مباشراً له ولا ان يكون على نسبة وضعية، فان نفسك التي تحمل بدنك وتحركه من موضع الى موضع انما هي مجردة وليست بذات وضع.

قوله: ديمومي ازلي، دليل اخر على تفرد وبرائته عن الخلائق ونفي مناسبتها لها، فانها كلها حادثة زائلة وهو ازلي ابدى، قوله: لا ينسى ولا يلهو ولا يغلط ولا يلعب، لما ذكر صفات التنزيه ونعوت التقديس واثبت برائته تعالى عن الخلق غاية البرائة، فاراد ان يشير الى انّ ذلك لا يقتضي غفلته عن الخلق ونسيانه لامرهم كما يذهب اليه اوهام ضعفاء الاحلام، بل ذاته تعالى مع كونه في اعلى درجات التفرد والتجرد عن الخلق، فلا يغيب عنه ذرة من بر ولا قطرة من بحر ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء، وشيء من هذه النقائص كالتسيان والسهو والغلط واللعب انما يطرأ لمن كان ناقص الادراك ضعيف القوة والقدرة وقليل الاحاطة بالامور وعواقبها.

وقوله: ولا لارادته فصل، اي لا قاطع لارادته ولا راد لقضائه ولا فاصل لحكمه. وفصله جزاء، اي انما الذي يفصل وينقطع عنده وينتهي هو ما هو جزاؤه وغايته، وتذكير الضمير باعتبار المصدرية، وفي بعض النسخ: وفضله بالضاد المعجمة، اي فضله وقع جزاءً لأعمال العباد، ولولا فضله وكرمه لا يستحق العبد بعمله شيئاً من الجزاء الخير. قوله: وامره واقع، ازاد به الامر التكويني الذي بلا واسطة من خلقه كما في قوله: «انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون»^١.

قوله: لم يلد.. الى اخره، اعلم انه لما ثبت وتحقق انه تعالى مبدأ جميع الموجودات الممكنة وان الكل محتاجة اليه وانه المعطي لوجود جميعها، فيمتنع ان يتولد عنه مثله، دفعاً لما سبق الى بعض الاوهام من انّ هويته المقتضية لان يفيض على الكل، لعله يفيض عن وجوده وجود مثله حتى يكون والداً له، لكن البراهين قاطعة دافعة لهذا الوهم، فان مالا

ماهية له لا مماثل ولا مجانس له .

وايضاً كل ما له مثل فذاته مركّب من جزئين : احدهما جهة الاتحاد والمجانسة والثاني جهة الامتياز والاثنية، وكل ما لا يلد مثلاً او مجانساً فلا يولد ايضاً لتضاعف الافتقار، لان التولّد والتوالد انما يقعان فيما لا يحفظ نوعه ولا يبقى ذاته الا بتعاقب الاشخاص، فكلّ مولود والد، وايضاً لا يتشخص الماهية المشتركة بين الاعداد الآ بواسطة المادة الجسمانية وعلاقتها .

والحاصل : انه تعالى لبرائته عن الاجسام والمواد، ولان انيته نفس ماهيته ولم يكن له ماهية سوى الهوية المحضة الوجودية المشار اليه بقوله تعالى : قل هو الله احد، لا مثل له اصلاً، فضلاً عن ان يكون والداً له او مولوداً عنه .

وقوله : ولم يكن له كفوّاً احد، لما نفى عنه تعالى المشارك له في الماهية او في بعضها، فاريد في هذه الاية نفي المكافي في الوجود المساوي في قوة الوجود وتأكّده، وذلك لان ذلك المكافئ اما ان يكون مساوياً له في الماهية النوعية، وقد علم ان لا ماهية لواجب الوجود اصلاً فلا مساوي له فيها، او يكون مساوياً له في وجوب الوجود وكماله، فان صرف حقيقة الوجود الذي لا يتم منه لا يقبل التعدّد، اذ لا تعدّد ولا ميز في صرف الشيء وحقيقته .

الحديث الثالث

وهو الثالث والاربعون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد» زمانه غير متصل بزمان السّجاد عليه السلام، فيكون الحديث مرفوعاً «قال سئل علي بن الحسين صلوات الله عليه عن التوحيد فقال ان الله عزّ وجل علم ان يكون في آخر الزمان اقوام متممقون فانزل الله تعالى قل هو الله احد والآيات من سورة الحديد الى قوله عليم بذات الصدور فن رام وراء ذلك فقد هلك»

الشرح

أما سورة التوحيد فلا يخفى لمن تدبر وتعمق فيها اشتغالها على غوامض علوم التوحيد ولطائف اسرار التقديس، فقد علمت نبذاً من اسرارها العميقة؛ مع ان المذكور يسير من كثير ما علمناه، والذي علمناه نزر حقير في جنب ما ستر فيها من علوم الاحدية واسرار الصمدية. واعلم ان كثرة الاسامي والالقب تدل على مزيد الفضيلة والشرف كما لا يخفى. فاحدها سورة التفريد والثاني سورة التجريد وثالثها سورة التوحيد. ورابعها سورة الاخلاص، لانه لم يذكر في هذه السورة سوى الصفات السلبية التي هي صفات الجلال، ولان من اعتقدها كان مخلصاً في دين الله، ولان غاية التنزيه والتفريد والتوحيد يستلزم غاية الدنو والقرب المستلزم للمحبة والاخلاص في الدين. وخامسها سورة النجاة، لانها تنجيك من التشبيه والكفر في الدنيا وعن التاري الاخرة.

وسادسها سورة الولاية، لان من قرأها عارفاً باسرارها صار من اولياء الله. وسابعها سورة النسبة، لما روى انه ورد جواباً لسؤال من قال: انسب لنا ربك. وثامنها سورة المعرفة، وروى جابر رضى الله عنه ان رجلاً صلى فقرأ قل هو الله احد، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ان هذا عبد عرف ربه، فسميت سورة المعرفة لذلك.

وتاسعها سورة الجمال، لان الجلال غير منفك عن الجمال كما اشرفنا اليه، ولما روى انه قال صلى الله عليه وآله: ان الله جميل يحب الجمال، فسئلوه عن ذلك فقال: احد صمد لم يلد ولم يولد.

وعاشرها سورة المقشقة، يقال قشقتش وتقشقتش المريض برأ، فن عرفها برأ من الشرك والنفاق، لان النفاق مرض كما قال: في قلوبهم مرض^١. والحادي عشر المعوذة، روى انه صلى الله عليه وآله دخل على عثمان بن مظعون فعوذه بها وباللتين بعدها ثم قال: تعوذ بهنّ فما تعوذت بخير منها. والثاني عشر سورة الصمد.

والثالثة عشر سورة الاساس، لما روى قال: اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد، وما يدل عليه ان القول بالثلاثة سبب لخزب السموات والارض بدليل

قوله: تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخز الجبال هدأً، فوجب أن يكون التوحيد سببا لعمارة العالم ونظامه .

والرابع عشر سورة المانعة، لما روى انها تمنع فتاني^٢ القبر ونفحات النيران .

والخامس عشر سورة المحضرة^٣، لأن الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرأت .

والسادس عشر سورة المنفرة، لان الشيطان ينفر عند قرائتها .

السابع عشر البرائة، لأنها تبرأ من الشرك لما روى انه صلى الله عليه وآله رأى

رجلا يقرأها فقال: أما هذا فقد برأ من الشرك .

الثامن عشر سورة المذكرة، لانها تذكر العبد خالص التوحيد .

التاسع عشر سورة التور، لأن الله نور السموات والارض، والسورة في بيان معرفته

ومعرفة التور نور المعرفة، ولما روى انه صلى الله عليه وآله قال: إن لكل شيء نوراً ونور القرآن

قل هو الله احد، ونظيره: ان نور الانسان في أصغر اعضائه وهو الحدقة، فصارت السورة

للقرآن كالحدقة للانسان .

العشرون سورة الامان، قال صلى الله عليه وآله: اذا قال العبد لا إله الا الله دخل

في حصني ومن دخل في حصني امن من عذابي .

فهذه عشرون اسماً من أسامي هذه السورة، ولها فضائل كثيرة ومعان ونكات غير

محصورة .

وما روى في فضل قرائتها وثواب الصلوات المشتملة على عدد منها فلا يُعد ولا

يحصى فن فضائلها: انها ثلث القرآن، وذكروا لذلك وجوها اجودها: ان المقصود الاشرف

من جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله ومعرفة صفات الله ومعرفة أفعاله، وهذه السورة

مشتملة على معرفة الذات فكانت معادلة لثلث القرآن .

ومن فضائلها ايضاً: ان الدلائل والبراهين قائمة على إن أعظم درجات العبد وأجل

سعادته ان يكون قلبه مستنيراً بنور جلال الله وكبريائه، وهو انما يحصل بعرفان هذه السورة،

فكانت هذه السورة أفضل السور وأعظمها .

١- مريم ٩٠ .

٢- الفتانان: الدرهم والدينار ومنكر ونكير. وفي التفسير الكبير: عذاب القبر ولفحات النيران .

٣- المحضر «التفسير الكبير» .

فان قيل: صفات الله تعالى مذكورة في سائر السور.

قلنا: لكن هذه السورة خصوصية وهي انما مع وجازتها مشتملة على عظام اسرار التوحيد، فتبقى محفوظة في القلب معقولة للعقل، فيكون ذكر جلال الله حاضراً بهذه السبب، فلا جرم امتازت عن سائر السور.

واما المعاني والنكات: فمنها، ما سبق، ومنها وجوه اخرى كثيرة لو ذهبنا الى تفسير هذه السورة مستقصي لخرجنا عما نحن بصدده من شرح الاحاديث، ولكن نذكر نموذجاً يبينه على الكثير لمن هو اهله.

فتقول: قوله: هو الله احد، ثلاثة الفاظ كل واحد منها إشارة الى مقام من مقامات السالكين اليه تعالى:

المقام الاول للمقرّين وهم أعلى السائرين الى الله، فهؤلاء رأوا ان موجودية الماهيات بالوجود وان أصل حقيقة الوجود بذاته موجود وبنفسه واجب الوجود متعين الذات لا بتعيين زائد، فعلموا ان كل ذي ماهية معلول محتاج وانه تعالى نفس حقيقة الوجود والوجوب والتعين، فلماذا لما سمعوا كلمة «هو» علموا انه الحق تعالى، لان غيره غير موجود بذاته وما هو غير موجود بذاته فلا اشارة اليه بالذات.

والمقام الثاني مقام اصحاب اليمين، وهؤلاء شاهدوا الحق موجوداً والخلق ايضاً موجوداً فحصلت كثرة في الموجودات، فلا جرم لم يكن «هو» كافياً في الاشارة الى الحق بل لابد هناك من مميّز يميز الحق عن الخلق، فهؤلاء احتاجوا الى ان يقتربوا^٢ لفظة «الله» بلفظة «هو» فليل لاجله: هو الله، لان «الله» هو الموجود الذي يفتقر اليه ما عداه وهو مستغن عن كل ما عداه، فيكون احدى الذات لا محالة، اذ لو كان مركباً كان ممكناً محتاجاً الى غيره، فللفظ الجلالة دال على الاحدية من غير حاجة الى اقتران لفظ أحد به.

المقام الثالث مقام اصحاب الشمال، وهو ادون المقامات واخسها، وهم الذين يجوزون كثرة في الواجب الوجود ايضاً كما في اصل الوجود، فقورن^٣ لفظ احد بكلمة «الله»

١- تنبيهاً - م - ط.

٢- يقرون - م - ط.

٣- فقرون - م - ط.

رداً عليهم وابطالاً لمقالتهم^١، فقيل: قل هو الله احد.

وهنا بحث اخر اذق واشرف وهو انا نقول: كل ما له ماهيته غيرانيته فلا يكون هو «هو» لذاته، كما ان كلما يتوقف هويته على غيره فلم يكن «هو» مطلقاً، ومبدأ الموجودات كلها «هو» الذي هو «هو» لذاته، وكل ما يكون ماهيته عين هويته وحقيقته نفس تعينه، فلا اسم ولا حد له ولا يمكن شرحه الا بلوازمه التي يكون بعضها اضافية وبعضها سلبية، والاكمل في التعريف ما يجمع ذينك النوعين جميعاً وهو كون تلك الهوية الها، فان الالهية يقتضي ان يُنسب اليه غيره ولا يُنسب هو الى غيره، والمعنى الاول اضافي والثاني سلبى، فلا جرم ذكر الله عقيب قوله «هو» ممّا يكون كالشرح وكالكاشف عما دلّ عليه لفظ «هو».

ثم اعلم ان الذي لا سبب له وان لم يكن تعريفه بالحد الآ ان: البسيط الذي لا سبب له وهو مبدأ الاشياء كلها على سلسلة الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضاً، فن البين ان ما هو اقرب المجعولات اليه، بل اللزوم الاقرب المنبعث عن حاق الملزوم، اذا وقع التعريف به كان اشدّ تعريفاً من غيره، واقرب للوازم له تعالى واجب الوجود غنيا عما سواه وكونه مبدأ لكل ومفتقراً اليه الجميع، ومجموع هذين اللازمين هو معنى الالهية، فلاجل ذلك وقع قوله «الله» عقيب «هو» شرحاً وتعريفاً له.

ولما ثبت مطلوب الهلية البسيطة بقوله «هو» الدال على انه الهو المطلق الذي لا يتوقف هويته على غيره، ولاجل ذلك هو البرهان على وجود ذاته، وثبت مطلوب ماء الشارحة بقوله «الله» فحصلت بمجموع الكلمتين معرفة الانية والماهية اريد ان يذكر عقيبهما ما هو كالصفات الجلالية والجمالية.

فقوله تعالى: احدبالغة في الوحدة، والوحدة التامة ما لا ينقسم ولا يتكثر بوجه من الوجوه اصلاً لا بحسب العقل كالانقسام بالجنس والفصل ولا بحسب العين كالانقسام من المادة والصورة ولا في الحس ولا في الوهم كالانقسام بالاعضاء والاجزاء، ومتى كان الاكمل في الوحدة ما لا كثرة فيه اصلاً فكان الله تعالى غايةً في الوحدة.

فقوله تعالى: احد، دلّ على انه واحد من جميع الوجوه، وانما قلنا انه واحد كذلك لانه لو لم يكن كذلك لم يكن الها، لان كل ما هو مركّب فهو مفتقر الى اجزائه واجزائه غيره فيكون مفتقراً الى غيره، فلم يكن واجب الوجود ولا مبدأ الكل.

ثم ان هذه الصّفة، وهي الاحدية التامة الخالصة عن شوب الكثرة، كما توجب التنزّه عن الجنس والفصل والمادّة والصورة وعن الجسمية والمقدارية والابعاض والاعضاء والالوان وسائر الكيفيات الحسيّة والانفعالية وكلّما يوجب قوة او استعداداً او امكاناً، كذلك يقتضي كل صفة كمالية من العلم التام والقدرة الكاملة والحياة السرمديّة والارادة التامة والخير المحض والوجود المطلق.

فانّ من امعن النظر وتأمل تأملاً كافياً يظهر له ان الاحدية التامة منبع الصفات الكمالية كلها، ولولا مخافة الاطناب لبينت استلزامها لواحدة واحدة منها، لكن اللبيب يدرك صحة ما ادعيناه.

وقوله تعالى: الله الصمد، قد مرّ ان الصمدية لها تفسيران: احدهما ما لا جوف له والثاني السيّد، فعناه على الاول سلبى وهو اشارة الى نفي الماهية، فان كل ما له ماهية له جوف وباطن وكان من جهة اعتبار ماهيته قابلاً للعدم، وكل ما لا جهة ولا اعتبار له الوجود المحض فهو غير قابل للعدم، فواجب الوجود من كل جهة هو الصمد الحق، وعلى التفسير الثاني يكون معنى اضافياً وهو كونه سيّد الكل، اي مبدأ الجميع، فيكون من الصفات الاضافية.

وههنا وجه اخر وهو: ان الصمد في اللغة هو المصمد الذي لا جوف له، واذا استحال هذا في حقه تعالى فوجب جملة على الفرد المطلق اعني الواحد المنزه عن المثل والنظير، اما ابتداءً او بعد جملة على معنى الاحدية المستلزمة للواحدية كما مرّ، فيكون الصمد اشارة الى نفي الشريك كما ان الاحد اشارة الى نفي الانقسام، فانظر كيف عرف اولاً هويته وانيته ثم عرف انه تعالى خالق لهذا العالم، ثم عرف ان الامور التي لاجلها افتقر هذا العالم الى الخالق كالتركيب والامكان والماهية والعموم والاشترار والاحتياج، لا بد وان يكون منفياً عنه تعالى لئلا يلزم الدور او التسلسل.

ثم لما كان من عادة المحققين ان يذكروا اولاً ما هو الاصل والقاعدة ثم يخرجون عليه المسائل، فذكروا اولاً كونه موجوداً الهأ ثم توصل به الى كونه صمداً ثم ترتّب عليه احكاماً ثلاثة:

احدهما انه لم يلد لاستيجاب التوليد للتركيب، لانه عبارة عن انفصال بعض ناقص من ابعاضه ثم يترقى فيصير مساوياً له في الذات والحقيقة، ومن البين ان نقصان البعض

يستلزم تركيب الكل .

وثانها قوله : ولم يولد ، لاستلزامه الحدوث والنقصان والافتقار الى العلل من جهات شتى كالاعداد والاحداث والابقاء والتربية والتكميل .

وثالثها قوله : ولم يكن له كفوا احد ، وبيانه : إننا لو فرضنا مكافئاً له في رتبة الوجود فذلك المكافئ لو كان ممكن الوجود كان محتاجاً اليه متأخراً عنه في الوجود فكيف يكون مكافئاً له في رتبة الوجود؟ وان كان واجب الوجود وقد علمت ان تعدده ينافي الاحدية وانه يستلزم التركيب . فهذا النموذج من دقائق اسرار التوحيد التي تحويها هذه السورة .

واما الايات من سورة الحديد فهي ايضاً مشتملة على المقصد الاقصى واللباب الاصفى من علم التوحيد .

واعلم ان تلك السورة باجمعها في غاية الجلالة والشرف فانها بقدر حزب من القرآن ، اي ربع جزء من ثلاثين جزء منه ، وفيها لباب ما في القرآن كله من ابواب العلم واليقين ومناهج الوصول الى جوار الحق رب العالمين والارتقاء من حضيض النقص والخسران الى أوج الكمال والعرفان والارتحال من اسفل سافلين الى أوج عوالي العليين .

فان خلاصة دعوة العباد ونقاوة سياقتهم الى جوار القدس ومنزل الرشاد منحصرة في اقسام ستة : ثلاثة منها كالدعائم والاصول المهمة وعمدتها تعريف الحق المسوق اليه المصمود له وبيان الصراط المستقيم الذي يجب سلوكه للوصول اليه وبيان الحال عند الوصول ، فالاول معرفة المبدأ وعلم التوحيد والاخر معرفة المعاد وعلم الساعة والاوسط معرفة الطريق وعلم السلوك والرياضة .

واما الثلاثة الاخيرة فهي كالمعينة المتممة وكانوافل والروادف ، فاحدها تعريف السالكين الى الله المقربين المحييين دعوة الحق ، ولطائف تربية الرب لهم لصفاء جواهرهم وطهارة اعيانهم عن الخبث والشين ونقاوة مراتهم عن الطبع والرین ، وتوصيف الناكبين عن الطريق الضالين المضلين وكيفية تنكيههم وحلول غضب الله عليهم لسوء طبائعهم وكثافة جواهرهم وتراكم الطبع والرین على قلوبهم بمزاولة اعمالهم السيئة ، والمقصود اما التشويق والترغيب ، كما في احوال المحبوبين ، او الاعتبار والترهيب ، كما في احوال المبعدين المكورين .

وثانها افتضاح^١ حال الجاحدين وكشف عواقبهم وتسفيه عقولهم وتجهيلهم في تحريم

طريق الهلاك والخسران بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق، والمقصود فيه اما في جنبه الباطل، فالافضاح للتحذير والتنفير، واما في جنبه الحق، فالايضاح للتثبيت والتقدير. وثالثها تعريف عمارة المراحل الى الله تعالى وكيفية اخذ الزاد والاستعداد، والمقصود فيه بيان معاملة الانسان مع أعيان هذه الدنيا الذي اشتملت عليه علوم الفتاوي والاحكام، وانها يجب ان يكون مثل معاملة المسافر مع اعيان مرحلة من مراحل سفره البعيد الذي يطلب به تجارة لن تبور.

فهذه هي المقاصد الستة المشتملة عليها سور القرآن واياته.

وهذه السورة، أعني سورة الحديد، مع كونها من المفصلات مشتملة على كل منها على أبلغ وجه وأشرفه وأوثقه وأحكمه، ولولا مخافة الاطناب لاوردت دقائق العلوم الالهية وحقائق المعارف العقلية المتعلقة بايات هذه السورة سيما الايات الستة الواقعة في مفتحتها المتعلقة بالتوحيد، ومن اراد الاطلاع على شطر من عجائب لطائفها وغرائب شرائفها فليطالع تفسيرنا لهذه السورة.

ثم من النوادر الغريبة ان هذا العبد المسكين كان في سالف من الزمان متأملاً متدبراً على عادتي عند تلاوة القرآن في معاني اياته ورموزها واشاراتها، وكان المنفتح على قلبي من ايات هذه السورة واشاراتها اكثر من غيرها، فحداني ذلك مع ما سبق من الخواطر الغيبية والدواعي العلمية والاعلامات السرية الى ان أشرع في تفسير القرآن المجيد والتنزيل الحميد. فشرعت فكان أول ما اخذت في تفسيره من السور القرآنية هذه السورة، لفرط شعبي وقوة شوقي باظهار ما الهمني ربي من عنده، وإبراز ما علمني الله من لده، من لطائف الاسرار وشرائف الاخبار وعجائب العلوم الالهية وغرائب النكت القرآنية والرموز الفرقانية والاشارات الربانية.

ثم بعد ان وقع اتمام تفسيرها مع تفسير عدة اخرى من السور والايات كاية الكرسي واية النور واتفقت عقيب سنتين او اكثر مصادفتي لهذا الحديث والنظر فيه بعين الاعتبار فاهتز خاطري غاية الاهتزاز وانبسط نشاطي اخر الانبساط في النشاط، لما رأيت من علامة الاهتداء بما هو اصل الهدى والسلوك في المحجة البيضاء من طريق التوحيد، فشكرت الله على ما انعم وحمدته على الفضل والكرم.

ثم اعلم ان كل واحدة من هذه الآيات الستة المشار اليها في هذا الحديث متضمنة

لباب عظيم من علم التوحيد والالهية، محتوية على امر حكيم من احكام الصمدية والر بوبية، لو امهل الزمان وساعد الدهر الخوان لعارف رباني وحكيم الهى اخذ علمه من مشكاة النبوة المحمدية على الصادع بها واله افضل الصلوة والتحية واقتبس حكمته عن احاديث أصحاب العصمة والظاهرة صلوات الله عليهم والتزكية، لكان من حقه وحقها أن يكتب في تفسير كل منها ما يشحن به مجلداً كبيراً بل مجلّدات كثيرة، ولكن سنذكر في كل آية منها ما هو كالشاهد لما ادعيناه وكالانموذج لما شاهدناه.

فنقول اما الاية الاولى في الاخبار عن تسبيح كل ما في السموات وما في الارض من الموجودات حتى الجماد والنبات والاجساد والمواد والارض الموات وجثث الاموات لله تعالى، ومعرفة هذا التسبيح الفطري والعرفان الكشفي الوجودي من غوامض العلوم ودقائق الاسرار التي عجزت عن ادراكها اذهان جمهور العلماء واكثر الحكماء فضلاً عن غيرهم، وليس عندهم في هذا الباب الا مجرد التقليد ايماناً بالغيب او حمل التسبيح على ما فيها من الادلة الدالة على وحدانية الله وتزهره عن صفات النقص من التجسم والتغير والتكثر. وقال بعضهم: ان كلمة «ما» ههنا بمعنى «من» وقيل: معناه كل ما يتأتى منه التسبيح، هذا تمام كلام الاعلام في هذا المقام، ولا يخفى عدم ملائمة كل من الوجهين الاخيرين، بل كل ما قيل من التأويل والتخصيص لكثير من الآيات القرآنية والأخبار النبوية الدالة على تسبيح المسمى بالجماد والنبات من الشجر والحجر والصخر والمدرفضلاً عن المسمى بالحيوان والطيور والبشر.

منها قوله تعالى: لم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه^١، ومنها قوله: لم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس^٢، ومنها قوله: اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيسوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون^٣ وكذا نظائرها من الايات الدالة على وقوع التسبيح من جميع الموجودات حقيقة،

١- النور ٤١ .

٢- الحج ١٨ .

٣- النحل ٤٨ .

وحكاية تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه واله وسماعه واسماعه امر مشهور في السنة الرواة المذكور.

وما روى ايضاً عن ابن مسعود انه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه واله بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فاستقبله حجر ولا مدرالا ويقول: السلام عليك يا رسول الله، وامثاله كثيرة في الروايات دالة على ان هذا التسبيح والسجود والتسليم واقع على وجه التحقيق.

حتى ان كثيراً من المنتسبين الى الكشف والعرفان زعموا ان النبات بل الجماد فضلاً عن الحيوان، له نفس ناطقة كالانسان، وذلك امر باطل والبراهين ناهضة على خلافه من لزوم تعطيل والمنع عما فطر الله طبيعة الشيء عليه ودوام القسر على افراد النوع والابقاء له على القوة والإمكان للشيء من غير ان يخرج الى الفعلية والوجدان الى غير ذلك من المفاسد الشيعة المصادمة للبرهان والحكمة.

بل هذا تسبيح فطري وسجود ذواتي وعبادة فطرية نشأت عن تجل الهي وانبساط نور وجودي على كافة الخلائق على تفاوت درجاتها وتفاضل مقاماتها في نيل الوجود ودرك الشهود، ومع هذا التفاوت والتفاضل في القرب والبعد والشرف والخسة، فافراد العالم كله كاجزاء شخص واحد تنال من روح الحيوة وروح المعرفة ما ناله الكلّ دفعة واحدة، فانطقها الله الذي انطق كل شيء، فاجبته وخضعته^١ وسجدت له بسجود الكلّ وسبحت له بتسبيحات هي اجزاء تسبيح الكل، كل قد علم صلوته وتسيحه^٢.

والذي يمنع عن هذه العبادة الفطرية، الافكار الوهمية والتصرفات النفسانية لاكثر الانس الموجبة للخروج عن الفطرة الاصلية واستحقاقية العذاب كما في قوله تعالى: «وكثير حق عليه العذاب»^٣.

وبالجملة تحقيق هذا التسبيح الفطري واثبات هذه العبادة الذاتية مما يختص به الكاملون في الكشف والعرفان الراسخون في العلم والايقان، واما سماع اللفظ او اسماعه كما هو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه فذلك من باب المعجزة الواقعة لقوة نفسه

١ - فاجبته وخضعته له. النسخة البدل في بعض النسخ.

٢ - النور ٤١.

٣ - الحج ١٨.

القدسية على انشاء الاصوات والاشكال على موازنة المعاني والاحوال .
 واما الاية الثانية ففي الاشارة الى عموم قدرة الله وشمول ملكه وتوحيده في الابدان
 والتأثير والخلق والتدبير، والاشارة الى ما هو مكشوف عند اهل الكشف والبصيرة ان وجود
 المجعولات باسرها في انفسها ليس الا وجودها لجالعها وفاطرها، لان جميعها فعل الحق
 والفعل من حيث هو فعل مُتَقَوِّم لا قوام له في نفسه إلا بالفاعل، وما وجد من الاثار مستقلة
 دون ما تصدر عنها، فهي بالحقيقة ليست اثاراً لها بل لها نوع آخر من التعلق، وتحقيق هذا
 التوحيد في الخلق والابدان امرٌ غامضٌ دقيقٌ وسرٌّ غائرٌ عميقٌ .

واما الاية الثالثة ففيها إشارة الى توحيد آخر اعلى وأشرف وأغمض وادق واليق
 بالتحقيق والعرفان وهو: كونه تعالى جامعاً بوحديته وفردانيته بين فاعلية الموجودات كلها
 وغائبتها، حتى يكون ان اول الاوائل كلها وآخر الاواخر كلها، كما مرّت الاشارة اليه في
 بعض ما سبق من الاحاديث، فهو تعالى أول كل شيء، بمعنى ان وجوده حصل منه، وبمعنى
 ان الغرض في حصول ذلك الشيء منه علمه تعالى بالمصلحة الذي عين ذاته، ولكونه تماماً في
 الوجود والافاضة بلا عوض او غرض زائد، وهو أيضاً آخر كل شيء، بمعنى إنّه الغاية القصوى
 التي يطلبها الاشياء، والخير الاعظم الذي يتشوقه الكل ويقصده طبعاً وإرادةً .

والعرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبة له والشوق اليه سُبْحانه في جميع المخلوقات
 على تفاوت طبقاتهم، وان الكائنات السّفلية كالمبدعات العلوية، على اعتراف شوق من هذا
 البحر العظيم واعتراف شاهد مقرّب بوحديته الحق القديم، فهو الاوّل الذي منه ابتداء امر العالم
 حتى انتهى الى ارض الاجسام والاشباح، وهو الاخر الذي اليه ينساق وجود الاشياء حتى
 ارتقى الى سماء العقول والارواح، وهو اخر ايضاً بالاضافة الى سير المسافرين، فانهم لا
 يزالون مترقون من رتبة حتى يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفنائهم واندكاج جبال هوياتهم،
 فهو اول من حيث الوجود واخر من حيث الوصول والشهود .

والله عز اسمه حيث انبأنا عن غاية وجود العالم قال : وما خلقت الجن والانس الا
 ليعبدون^١، اي ليعرفون، وقوله في الحديث القدسي : كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان أعرف
 فخلقت الخلق لاعرف، فدلنا على انه الغاية القصوى لوجود العالم معروفاً، كما انه الفاعل

الاعلى لوجوده مكنونا، فلاجل ذاته بنى العالم ونظم النظام لا لشيءٍ آخر، وكما انه الاوّل والاخر بهذه المعاني التي ذكرناها فهو الظاهر والباطن .

أما كونه ظاهراً: فلأنّ حقيقته حقيقة الوجود، والوجود ليس الا التور والظهور كما أنّ مرجع الظلمة والحفاء الى العدم، فلا أنور ممن هو نفس حقيقة الوجود كما لا أظلم من كتم العدم، قال الله تعالى: «الله نور السموات والارض^١... الاية» .

واما كونه باطنا اي مختلفيا فلفرط نوريته وشدة ظهوره وغاية وضوحه وجلائه وضعف قوة العقول والحواس والبصائر والابصار عن احتمال نوره وعجزها عن قبول تجليه، فذاته بذاته متجلّ دائماً ولقصور بعض الذوات عن قبول تجليه مُحْتَجِبٌ عنهم، فبالحقيقة لا حجاب الا للقصور والضعف في المتجلي لهم، وليس تجليه الا حقيقة ذاته، اذ لا معنى له إلا صريح ذاته وأن صفاته ليست إلا ذاته، كما شهدت به الاحاديث الناطقة المتظافرة حسبما اوضحه الالهيون .

اولا ترى ان نور الشمس الذي هو اشدّ الانوار الحسيّة كيف احتجب لفرط ظهورها على الحسّ البصري حتى لا يمكن للبصر ملاحظته الا من وراء الحجاب كالمرأة والماء او الرقيق من السحاب؟ كما قيل:

كَالشَّمْسِ يَمْنَعُكَ اجْتِلَاؤُكَ وَجَهَّهَا
فَإِذَا اكْتَسَتْ بِرَقِيقٍ عَيْمٍ أَمَكْنَا
فسبحان من ليس لوجهه نقاب الا النور ولا لذاته حجاب الا الظهور، فاختفى عن بصائر الخلق لنوره^٢ واحتجب عن عقولهم لفرط ظهوره وهو بكل شيء عليم، لانه بكل شيء محيط، لأن ذاته اظهر الاشياء وبيده ملكوت الارض والسماء ومنه تنشأ حقائق الاشياء .

الاية الرابعة قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام .

اعلم ان من عجائب انوار التنزيل واسرار التأويل معرفة هذه الاية الواقعة في عدة مواضع من القرآن، وقد تحيّرّت عقول الناظرين وأفهام المفسّرين في وجدان السبب الداعي على كون العالم مخلوقاً في ستة ايام، دون غيره من الاعداد، وأيضاً اليوم والساعة والشهر من ابعاض الزمان، المتأخر وجوده عن الحركة المتأخرة وجودها عن الجسم، فكيف يقدر فعل الشيء بما يتأخر وجوده عنه وايضاً هذا كالمناقض لقوله: ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس

١- النور ٣٥ .

٢- نوره - م - بنوره - د .

واحدة^١، وقوله: وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر^٢.

وبالجمله قد اشكل الامر في معنى الاية على جمهور اهل النظر وتثبت الاكثرون كالفخر الرازي والزمخشري وغيرهما كما هو عادتهم بذيل القول بالفاعل المختار ونفي المرجح والداعي.

ونحن قد اوردنا في تفسيرنا لهذه السورة لتحقيق هذه الاية لمعة مما يشفي عليل السالكين وجرة من ماء يروي العطاش الطالبين، وخلاصة المذكور هناك إِنَّا نَمَهِّدُ أَوْلًا مَقْدَمَةَ هِيَ: إِنَّ مَا أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ الْكَامِلَةِ أَوْ خَلَقَهُ بِقُدْرَتِهِ التَّامَةِ لَا يَخْلُوعَنْ قَسَمِينَ: اما طبيعية جسمانية أو أمور إلهية روحانية.

اما الامور الطبيعية فحدوثها كبقائها لا يكون الا على سبيل التجدد والتدرج، لان المعنى بالطبيعي هو ما يصدر عن الطبيعة بتسخير الله اياها وتقديره، وهي بما هي طبيعته ليست حقيقتها الا منشأ الحركة وسائر الاستحالات ومقابلاتها من السكون، فجوهرها جوهر الحدوث والتجدد والتقضي والتصرم؛ وما اشتهر ان الحركة لا تكون في مقولة الجوهر مجرد دعوى لا يقوم عليه دليل فضلا عن برهان، والمتبع في هذه الاصول هي البرهان، ونحن اوردنا عدة من البراهين في رسالة الحدوث على اثبات الاستحالة والحركة في الجواهر الطبيعية ويؤيده الايات القرآنية كقوله: بل هم في لبس من خلق جديد^٣، وقوله: وترى الجبال تحسبها جامده وهي تمرمر السحاب^٤، وغيرهما.

فالطبيعة التي هي الصورة النوعية واصل الجواهر الجسمانية فاذا تجددت تجددت الهيولي والاعراض لانها تابعة والنفس ما دامت متعلقة بالبدن الطبيعي حكمها حكم الطبيعة في التجدد، والكليات الطبيعية، اعني الماهيات، لا وجود لها الا بعين الاشخاص. فاذا ثبت وتحقق ان وجود العالم الجسماني، فلكيا كان او عنصريا، تدريجي الوجود.

واما الامور الربانية والاشعة الالهية فهي من مراتب علمه الازلي وكلمات الله

١- لقمان ٢٨.

٢- القمر ٥٠.

٣- ق ١٥.

٤- النمل ٨٨.

التامات ، وكلمة الله وامره وقضائه مصون عن التجدد والحدوث .

فاذا تَقَرَّرَ ما مهدناه فنقول : ان المكشوف عند ذوي البصائر ان الحق سبحانه خلق هذا العالم ، اعني السموات والارض وما بينها ، في ستة ايام من ايام الربوبية التي كل يوم منها الف سنة مما تعدون من اصغر الايام الذي هو مقدار دورة من الفلك الاقصى ، وهي من زمن آدم الى زمان محمد صلى الله عليه وآله جميع اُزمنة خفاء كَرِّ الذات^١ واحتجابها بمحجب الاسماء ومظاهرها ، وقد علمت ان مدة عمر الدنيا وعمر كل ما في العالم الطبيعي هي مدة الحدوث دون البقاء ، اذ لا يبقى شيء منها زمانين ، كما تفتن به بعض الكلاميين في باب العرض ، ثم استوى على عرش الذات وهو الروح الاعظم مظهر اسم الرحمن ، في اليوم السابع وهو يوم الجمعة ويوم حشر الخلائق وقيامهم من الاجداث ، وذلك يوم مجموع له الناس^٢ .

وقد اشتهر بين الناس في جميع الاعصار ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة على عدد الكواكب السبعة ، وسلطانها في كل يوم كالف سنة ، ويوم السابع هو يوم الجمعة وزمان الاستواء على العرش ، لظهور احكام الاسماء الكامنة في تلك الايام ، وهذا الظهور يبتدئ في السابع مع ظهوره صلى الله عليه وآله كما قال : بَعَثْتُ اَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، وجمع بين السبابة والوسطى ، ويزداد الى زمان ظهور القائم المهدي عليه السلام ، وينقضي الخفاء بالكليّة بالظهور التام لقيام الساعة ووقوع القيامة الكبرى ، وعند ذلك يظهر فناء الخلق والطبيعة وَبَعَثَ الرُّوحَ مِنَ الْقُبُورِ لِلْحَشْرِ وَالنَّشُورِ وَتَحْصِيلِ مَا فِي الصُّدُورِ ، يوم الجمع لا ريب فيه^٣ ، ويوم العرض والحساب والميزان فيتميز الخبيث من الطيب ويتفرق اهل الجنة واهل النار ، فريق في الجنة وفريق في السَّعِيرِ^٤ ، ويُرَى عرش الله بارزاً ، وتمام هذه الامور في الاخرة ، وان كان العارفون يرونها وهم في الدنيا بعد ، كما حكى بعض عرفاء هذه الامة المرحومة من المؤمنين حقاً عن كشفه وشهوده .

فابتداء يوم القيامة الذي قد طلع فجره ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله واتَّفَقَ اهل الملل كلهم من اليهود والنصارى والمسلمين على ان الله قد فرغ من خلق السموات

١ - كَرِّ الذات والصفات - ط - خفاء الذات - م - كَرِّ . اي : الرجوع .

٢ - هود ١٠٣ .

٣ - الشورى ٧ .

٤ - الشورى ٧ .

والارض في اليوم السابع، إلا ان اليهود قالوا: انه السبت وابتداء الخلق من الاحد، وعلى ما ذكر يكون هو الجمعة، وأن جعلنا الاحد أول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء وفي السادس ابتداء الظهور، وازداد في الخواص كما ذكر انه يوم خلق آدم، أي الحقيقي^١ ويوم الساعة ويوم المزيد حتى تنتهي الى تمام الظهور وارتفاع الخفاء في اخره عند خروج المهدي القائم عليه السلام ويَعْمُ الظهور في السابع الذي هو السبت ان كان كما قالوه، والله وليّ التوفيق.

وقوله عز وجل: يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، اشارة الى علمه سبحانه بما في سلسلتي البدو والرجوع، فان الصّادر منه تعالى ابتداء وهو اصل الوجود ومنبع الخير والجلود على سنة الابداع هي سلسلة البدو، وكلها البسائط من لدن العقل الاول وعرش الرحمن، ثم سموات الارواح الكلية ثم يتنزل الامر فيها الى النفوس والصور والطبائع على ترتيب الاشرف فالاشرف حتى ينزل الوجود الى مرتبة الهيولي الاولي ويلج في ارض القوة والاستعداد ومادة الشر والفساد ونطفة المركبات والاجساد وبذر الخلائق^٢ والاكوان وأصل القوة والامكان، وان الخارج منها من القوة الى الفعل والعارج اليه سبحانه من أرض الهبوط والخسّة الى ساء الشرف والرفعة هي سلسلة الرجوع بتلاحق الصور والكمالات وترادف الفضائل والخيرات.

فكان الصّادر منه تعالى في الابتداء اولاً عقلاً ثم نفساً ثم طبيعة ثم صورة جرمية ثم مادة، فصار العائد اليه بحركة الرجوع الى الغاية والانتهاج جسماً طبيعياً ثم جماداً ثم نباتاً ثم حيواناً ثم انساناً نفسانياً ثم انساناً عقلياً ثم كاملاً إلهياً، فبالانسان الكامل يقع الوصول الى المنزل الاعلى والبلوغ الى الغاية القصوى التي نشأ سلسلة الفعل والايجاد منها وكملت بوجوده سلسلة الخير والجلود واتصلت به دائرة الوجود.

وقوله: وهو معكم اينما كنتم، اشارة الى ان انبساط نور وجوده ونفوذ قوة سلطان هويته الى اقطار العالم وحدوده، فلا ذرة من ذرات العالم الاعلى والاسفل الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب منها اقرب من نفسها اليها، فانها مع نفسها بالامكان ومع قيومها بالوجود، ونسبة الوجود اقوى واكد في المعية من نسبة الامكان.

١- ادم الحقيقي - م - ط.

٢- الحقائق - النسخة البدل في جميع النسخ.

وانما قال : اينما كنتم ، بذكر المكان ليدلّ على ان المكانية والجسمية غير مانعة له عن هذه المعية القومية ، فهو على غاية تقدسه وتوحده لا يخلوعنه اين ولا مكان ولا يفوته وقت ولا زمان ، بل غاية احديته توجب هذه المعية ونهاية تنزيهه تقتضي هذه المقارنة وكمال علوه يؤدي لهذا الدنو، وهذا ايضاً من غوامض الالهية والتوحيد الذي يختص بدركه الاعزة الاقلون .

وقوله : والله بما تعملون بصير ، اشارة الى كيفية علمه بالجزئيات المادية كاعمال بني آدم ونحوها على الوجه الجزئي الحضوري ، وان علمه يرجع الى بصره لا انّ بصره يرجع الى علمه بالمبصرات ، كما ذهب اليه اكثر الحكماء والعلماء ، وهذا ايضاً من عميق مسألة العلم ودقيق مسلكها .

الآية الخامسة : له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور ، اشارة الى ان الموجودات كلها راجعة اليه في حركتها الذاتية وسيرها الجلي ، اذ ما من وجود إلا وله قوة حافظة على كمال الاول الادنى طالبة لكمال الثاني الاعلى ، فكلها متوجهة الى رب الارباب متحركة نحو مسبب الأسباب ، وهذا ايضاً من الاسرار العجيبة الربانية والعلوم الغريبة القرآنية ، ولدقته وغموضه وعظيم فائدته وجليل نفعه تكرر ذكره في القرآن ، وكم من اية كريمة وقع فيه التنبيه على كونه غاية الغايات ومُنتهى الاشواق والحركات ، ولولا هذا السفر المعنوي في الموجودات سيما الانسان لما قضى الله بموت احد .

ومن لطائف هذا السر المخزون والدر المكنون الذي هو باب عظيم من ابواب التوحيد وهو توحيد الغاية وتوحيد الشوق والمحبة انه : مستلزم لبعثة الخلائق كلها وخراب العالم ودثوره وانه لا بد ان يمسك محرك الافلاك عن تحريكها ووقفت الافلاك عن الدوران والكواكب عن السباحة والجريان ووقف الكون والفساد في المواليد وبطل ترتيب الزمان وفسد النظام وصارت السموات وما معها مطوية والارضون بما فيها مقبوضة ثم الله ينشيء النشأة الاخرة .

وقوله : «ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون»^١ ، اشارة الى ان انشاء النشأة الاخرة وعمارتها يتوقف على زوال الدنيا وخرابها ، وتنبيه على ان عرفان الدنيا مستلزم لعرفان الاخرة لانهما متضائفان ماهية ووجوداً وقال : «وننشئكم فيما لا تعلمون»^٢ ، وهو

١- الواقعة ٦٢ .

٢- الواقعة ٦١ .

الذي : «يحي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون»^١.

الاية السادسة قوله تعالى : «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل»، اي دخل ما نقص من كل منها في الاخر حسب ما دبره في مصالح العباد والبلاد، فيه اشارة الى حكمة اختلاف الليالي والايام وتفاوت زمان النور والظلام وهو من لطائف صنع الله وعجائب رحمته للعباد كما قال تعالى : «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب»^٢.

فانظر ايها العارف المتعمق في اسرار حكمة الله وجوده انه لو لم يخلق هذه الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع به التفاوت بين الليل والنهار بأن يلج مدة من هذا في ذلك ومدة اخرى بالعكس على نظام محكم ونسق مضبوط، لما انصلحت احوال الخلائق والبلاد ولادت امزجة الحيوان والنبات الى الفساد.

الم تر كيف خلق الله اوضاع النيرات العلوية ومناطق حركاتها ومدارات سيرها على نحو ينتظم بها احوال الكائنات وينتفع بها السفليات؟ فلو ثبتت انوارها او تحركت ولكن لزمت دائرة واحدة لاثرت بافراط فيما قابلهما وتفريط فيما وراء ذلك ، ولو لم يكن لها حركة سريعة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم، ولو لم يكن ذات حركة سريعة واخرى بطيئة ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة وسمواتها مائلة عن سمت الحركة لما مالت تلك الانوار الى النواحي شمالا وجنوبا فلم ينتشر اثارها ومنافع ضوئها على بقاع الارض، ولولا حركة الشمس على هذا المنوال من تخالف سمت حركتها الذاتية لسمت حركتها العرضية السريعة لما حصلت الفصول الاربعة التي يوجبها تفاوت ازمته الليالي والايام ولما تم النظام ولم ينصلح امزجة العباد وفسد الحرث والنسل في البلاد.

وقد علمت ان نشوء الاخرة من الدنيا وان الدنيا قنطرة الاخرى وفي فساد القنطرة قبل العبور بطلان العبور والحرمان عن الوصول الى دار السرور.

فاذن قد تحقق وتبين عند اولي الالباب غاية الحكمة في اختلاف الليل والنهار وتواجههما على هذا الوجه المؤدي للنتائج والاثار.

قوله : «وهو علم بذات الصدور»، اي انما جعل نظام الاكوان على هذا الوجه لكونه

١- الروم ١٩ .

٢- آل عمران ١٩٠ .

علما بمكنونات اسرار خلقه وخفيات ضمائر عبادته، كما يعلم وجوه الخير في بناء العالم وظواهر الخلق، فخلق الاكوان ونظم الاسباب الدنيوية ورتبها على وجه يؤدي الى خير الآخرة وسعادة دار السرور، وانما هي بعمارة البواطن والصدور باكتساب العلم واليقين والطهارة عن ارجاس الكفرة والشياطين.

فهذا ما سنح بالخاطر الكليل والذهن العليل ان يرسم من عميقات معاني الآيات المصدرة بها سورة الحديد.

وقوله عليه السلام: فن رام وراء ذلك فقد هلك، اذ ليس وراء غير الكفر والتعطيل او تشبيه المجسمة والباطيل.

الحديث الرابع

وهو الرابع والاربعون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله رفعه عن عبد العزيز بن المهدي» قال النجاشي: اشعري قمي من اصحاب الرضا عليه السلام ثقة، له كتاب.

وقال الكشي: حدثني الفضل قال: حدثنا عبد العزيز وكان خير قمي رأيتاه وكان وكيل الرضا وخاصته، وعن محمد بن مسعود عن علي بن محمد عن احمد بن محمد عن عبد العزيز او عن رواه عنه قال: كتبت الى الرضا عليه السلام ان لك معي شيئاً فرني بامرِكَ فيه الى من ادفعه؟ فكتب اني قبضت ما في هذه الرقعة والحمد لله وغفر الله ذنبك ورحمني^١ واياك ورضي عنك برضاي عنك.

وفي «صه» قال الشيخ الطوسي: خرج فيه: غفر الله لك ذنبك ورحمني^١ واياك ورضي عنك برضاي عنك. انتهى. وهو جد محمد بن الحسين بن عبدالعزيز، روى عنه احمد بن ابي عبدالله، كذا في فهرست النجاشي «قال سالت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال كل من قرأ قل هو الله^٢ احد وآمن بها فقد عرف التوحيد قلت كيف يقرؤها قال كما يقرؤها الناس وزاد فيه كذلك الله ربي كذلك الله ربي».

الشرح

اعلم ان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق، وكذلك هذه السورة، سورة التوحيد، ظاهرها توحيد العوام وباطنها توحيد الخواص وباطن باطنها توحيد اخص الخواص، فتوحيد العوام قرائة قل هو الله احد والايان بها ايمانا بالغيب، وتوحيد الخواص التدبر في معانيها والمواظبة عليها بالمدارسة والمباحثة والتكرار اثناء الليل واطراف النهار ليحصل لهم العلم القطعي بانه تعالى واحد لا مثل له ولا نظير ولا شريك له في الالهية ووجوب الوجود. واما توحيد الاخصيين المقربين فبان يروا بالمشاهدة العيانية ان ليس في عالم الوجود موجود حقيقي الا الله تعالى وان كل شيء هالك الا وجهه الكريم، وافراد الناس متفاوتة في مراتب القوة والطاقة، فلو كلّفوا بما ليس في وسعهم من معرفة الله لتعطّلوا عن ما فطروا لاجله وانهدم بناء المعاش وبطل النظام وانثلم.

باب النهي عن الكلام في الكيفية

وهو الباب الثامن من كتاب التوحيد

وفيه عشرة احاديث

الحديث الاول

وهو الخامس والاربعون والمائتان

«محمد بن الحسين عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب عن علي بن رثاب عن ابي بصير قال قال ابو جعفر عليه السلام تكلموا في خلق الله ولا تكلموا^١ في الله فان الكلام في الله لا يزداد صاحبه الا تحيرا وفي رواية اخرى عن حريز تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله».

الشرح

قد علمت فيما سبق ان الله تعالى ليس مركبا من جنس وفصل وبالجملة من معاني عقلية يمكن تحديده بها، ولا ايضا ذا ماهية كلية لها خواص ولوازم ينتقل الذهن بها الى الماهية ليتمكن ترسيمه بها، ولا ايضا لهويته الوجودية صفة متقررة^٢ زائدة خاصة ليُعرف بتلك

١- تتكلموا (الكافي).

٢- منفردة - د.

الصفة، ولا له فعل مخصوص واثر معين دون غيره ليتمكن تعريفه بذلك الفعل، كما يعرف القوى باثارها المخصوصة، لان فعله عام وجوده مستفيض، وليس ايضا مما يناله الحس والوهم حتى يمكن الحكاية عنه على وجه التمثيل والتشبيه، فالكلام في ذاته عَبَثٌ محض وتعطيلٍ صرف.

وقد سبق ان الحقيقة الالهية اصل حقيقة الوجود الصرف الذي لا يتناهى قوة وشدة، لا صورة له في الازهان ولا شَبَهٌ له في الاعيان، فلا يمكن التعبير عنه بعبارة ولا الحكاية عنه ولا الاشارة اليه لا عقلية ولا حسية، ولشدة نوريته وقوة سلطانه يتلاشى عنده نور العقل وقوة البصيرة ويتدكدك لاشراقه جبل الانية، قال تعالى: وعنت الوجوه للحَيِّ القيوم^١، قيل: واليه الاشارة في قوله: ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد^٢، فانه لكمال رأفته ورحمته بهم حذّرهم عن التفكير في ذاته لانه لا يزيدهم الا تحيراً وتعطلاً.

وقوله عليه السلام في الرواية: تكلموا في كل شيء، امر اباحة ورخصة لا امر حتم ووجوب، وقوله: ولا تتكلموا في ذات الله، في مقابله نهى تحذير وزجر ومنع عن اباحة رخصة.

الحديث الثاني

وهو السادس والاربعون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابن ابي عمير عن عبدالرحمن بن الحجاج عن سليمان بن خالد قال قال ابو عبدالله عليه السلام ان الله يقول وان الى ربك المنتهى^٣ فاذا انتهى الكلام الى الله فامسكوا».

الشرح

معناه ظاهر وقد علمت وجه ذلك فتذكر.

١ - طه ١١١ .

٢ - آل عمران ٣٠ .

٣ - النجم ٤٢ .

الحديث الثالث وهو السابع والاربعون والمائتان

«علي ابن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابي ايوب عن محمد بن مسلم قال قال ابو عبدالله عليه السلام يا محمد ان الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله فاذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء».

الشرح

يعني ان شهوة المنطق والكلام غالبية على النفوس البشرية فيريد الانسان ان يتكلم في كل شيء حتى في ذات الله تعالى بانه كيف هو في حد ذاته، فاذا كنتم في مجلس وسمعتهم يقولوا كلمة التوحيد ونفي المثل عنه تعالى، وذلك لفائدتين:
احديها التنبيه على انكار ما كانوا بصده من الخوض في الكلام فيه تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره.

والاخرى الاعلام بانه تعالى احدي الذات وليس ذا اجزاء في ذاته ولا ذا كيفية في صفاته لانها منفية عنه تعالى، فلا مثل لذاته ولا شبه لصفاته، فلا يمكن لأحد ان يعرف ذاته او صفاته بشيء من الاشياء، فالكلام في ذاته وصفاته ليس له حاصل ولا يؤدي بطائل.
وبالجمله لا يمكن معرفة ذاته وصفاته التي هي عين ذاته الا بمشاهدة صريح ذاته، فليس للمحجوبين في باب^١ الآسلوب وتنزهات له عن النقائص والاضداد وتوحيد له عن الاشباه والانداد.

الحديث الرابع وهو الثامن والاربعون والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن ابن ابي عمير عن محمد بن حمران عن ابي عبيدة الخذاء قال قال أبو جعفر عليه السلام يا زياد إياك والخصومات فانها تُورثُ الشكَّ وتجبُط العمل وتردِّي صاحبها وعسى أن يتكلم بالشيء فلا يغفر له انه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به وطلبوا علم ما كفوه حتى انتهى كلامهم الى الله فتحيروا

حتى كان^١ الرجل ليدعي من بين يديه فيجيب من خلفه ويدعي من خلفه فيجيب من بين يديه. وفي رواية اخرى حتى تاهوا في الارض.

الشرح

تحبط العمل من حبط عمله بالكسر حبطا اي بطل ثوابه، وتردى صاحبها من ردى في البر وتروى اذا سقط في بر أو تهور^٢ من جبل؛ وكلوا به اي فوضوا اليه، وكفوه بالتخفيف من كفاه مؤنثه كفاية، ويحتمل كونه بالتشديد بمعنى كفوا عنه من كففت الرجل عن شيء اي منعتة، وكف يتعدى لا يتعدى، يقال تاه في الارض يتيه تيهاً وتيهاناً ذهب مُتَحِيرًا.

قوله عليه السلام: اياك والخصومات، اراد من الخصومات المجادلات الكلامية والمناظرات التعصبية قصدا للغلبة وافحام الخصم طلبا للمباهاة واظهاراً للفضل والتشرف عند الناس، وحذر عنها لانها منيع كثير من الاخلاق الذميمة بل كلها، حتى قال بعض العرفاء: إن نسبتها الى الفواحش الباطنة كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزناء والقذف والقتل، وكما ان من خيّر بين شرب الخمر وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى بقية الفواحش في سكره، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المجادلات والتعصبات دعاه ذلك الى اضرار الخبائث كلها في النفس وهيغ فيه جميع الاخلاق المذمومة، ذكر عليه السلام عدة من جملة ما يورثها وينتجها الخصومات هي كالفذلكة والاصول والمجامع:

احدها الشك في اصول العقائد، لان المجادلة والقييل والقال لا يكشف شيئاً الا زيادة الشبه والشكوك وفتح باب المناقضات والمُتَوَع، والشك في اصول الايمان مادة الكفر والنفاق.

وثانيها حبوط العمل، لان مبنى صحة العمل وترتب الثواب عليه هو اليقين في^٣ التوحيد والاخلاص في النية وسلامة القلب عن الشك والشرك والرياء.

وثالثها التردي الى الجحيم بالسقوط عن الفطرة الاصلية والتنكب عن الصراط

١ - حتى ان كان (الكافي).

٢ - او تهوي - د.

٣ - و - م - ط.

المستقيم لما يلزم المجادلة والمخاصمة لطلب المفاخرة، والمباهاة من فواحش الملكات وسيئات الاخلاق الموجبة للاحتجاب عن الحق والتباعد عن دار الكرامة والنعيم والوقوع في ظلمات دار الجحيم.

وقوله عسى ان يتكلم بشيء فلا يغفر له، اي ربما يتكلم في اثناء المناظرة بما هو كفر في الواقع ولا يشعر به فلا يغفر له، لان الخطاء في الاعتقادات غير مغتفرأ اصلاً.

قوله عليه السلام : كان فيما مضى قوم، كأنه اراد حكاية قوم كانوا في زمن بعض الانبياء السابقين عليهم السلام وكأنهم كانوا مأمورين من قبل نبي زمانهم بتعلم بعض العلوم كعلم الاعمال والعبادات وغير مأمورين او ممنوعين عن تعلم بعض اخر من العلوم كعلم الاهليات والربوبيات، ففعلوا على خلاف ما امروا به وكفوا عنه، فتركوا علم ما وكلوا به وطلبوا ما كفوه حتى انتهى كلامهم الى الله، وقد كفوا عن ذلك، فعاقبهم الله على ذلك فتحيروا وتخبطوا، حتى كان بعضهم ليدعوه من كان بين يديه فهو يجيب من كان خلفه وبالعكس، او ليستل من الامر الذي بين يديه فيجيب من الذي خلفه وبالعكس. ان كان المكتوب بصورة «من» حرفاً جارياً لا اسماً موصولاً، وذلك لغاية تحيره وتدهشه نكالاً من الله.

ويُحتمل ان يكون المراد من الذي بين يديه الامور المستقبلية أو أحوال الاخرة ومن الذي خلفه الامور الماضية أو أحوال الدنيا.

وفي رواية اخرى: حتى تاهوا في الارض، يحتمل كونه بدلاً عن «حتى» الثانية مع ما بعدها، ويحتمل ان يكون كلاماً منضمّاً الى ما ذكر، يعني كانوا على تلك الحالة من التخبط حتى ذهبوا وغابوا عن الخلق تائهين في الارض.

الحديث الخامس

وهو التاسع والاربعون والمائتان

«عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن بعض اصحابه عن الحسين بن مياح عن ابيه قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول من نظر في الله كيف هو هلك».

الشرح

اي من نظر في الله طالباً كيف هو فقد هلك لما علمت انه منزّه عن الكيف والشبه.

واعلم ان اكثر الناس بل كلهم الا القليل ضعفاء العقول قصراء الانظار لا يطيقون التفكير في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه، ولهذا وقع المنع لهم في الشريعة عنه، وقيل: تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله، لان العقول لا تطيق مدّ البصر اليه الا الصديقون فهم لا يطيقون دوام النظر، بل سائر الخلق احوال بصائرهم بالاضافة الى جلال الله كحال ابصار الخفافيش بالاضافة الى الشمس، فانه لا تطيق النظر اليها البتة بل تحتفي نهاراً وتتردد ليلاً لتنظر في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض، واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس، فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر، ونظرة المختلف يورث العمش ويفرق البصر، وكذلك النظر الى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل:

فالصواب اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله ولا في صفاته، فان اكثر العقول لا يحتمله، بل القدر اليسير من الصفات التنزيهية التي مرجعها الى السلوب عن النقائص، ككونه مقدساً عن المكان منزهاً عن الاقطار والجهات وانه ليس في داخل العالم ولا في خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه مما قد حير عقول اقوام حتى انكروه، اذ لم يطيقوا وسع معرفته، بل ضيقت افهام طائفة من احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم: انه يتعالى ويتقدس عن ان يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو، فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قبح في عظمته وجلاله، حتى قال بعض الحمقى من العوام: ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله، لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء.

لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه، فكلما لا يساويه في نوع صفاته فلا يفهم العظمة فيه، غاية الامر ان يقدر نفسه جميل الصورة جالساً على سرير السلطنة وبين يديه خدام وعبيد يمثّلون امره ويطيعون حكمه، فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق معبوده؛ بل لو كان للذباب عقل وقيل له: ليس لخالقك جناحان ولا له يد ورجل ولا له طيران، لانكر ذلك وقال: كيف يكون خالقي انقص مني، افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران؟ او يكون لي الة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري؟ وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل: وان الانسان لظلوم كفاراً.

وفي كلام الامام الهمام ابي جعفر الباقر عليه السلام: كلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم، ولعل النمل الصغار تتوهم ان الله زبانيتين فان ذلك كما لها، ويتوهم ان عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما، وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به. انتهى.

ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه عليهم السلام: لا تخبر بعبادي بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم عني بما يفهمون.

ولما كان النظر في ذات الله وصفاته محظراً من هذا الوجه اقتضى الشرع صلاح الخلق ان لا يتعرضوا لمجاري الفكر، لكن يعدل بهم الى المقام الثاني وهو النظر الى افعاله وعجائب صنعه وبدايع امره في خلقه، فانها تدل على جلاله وكبريائه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته، فينظر الى صفاته من اثار صفاته.

فانا لا نطبق النظر الى صفاته كما لا نطبق دوام النظر الى نور الشمس، ولكن نطبق النظر الى الارض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب، لان نور الارض من اثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالةً، وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر.

وجميع موجودات الدنيا اثار من اثار قدرة الله ونور من انوار وجوده، بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود، ووجودات الاشياء قائمة بذاته القيوم بنفسه، كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها، ومهما انكسف بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى يرى الشمس ويمكن النظر اليها، فيكون الماء واسطةً نقص قليلاً من نور الشمس حتى يطاق النظر اليه، فكذلك الافعال واسطة يشاهد فيها صفات الفاعل الحق لئلا يبهتنا نور الذات^٢ بعد ان تباعدنا بواسطة الافعال؛ فهذا سر قوله عليه السلام: من نظر في الله كيف هو هلك. وسر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله.

الحديث السادس وهو الخمسون والمائتان

١- من انواره - م - د - ط.

٢- يهجر بانوار الذات - د - م.

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة بن اعين عن ابي عبدالله عليه السلام قال ان ملكاً عظيماً الشأن كان في مجلس له فتناول الرب تبارك وتعالى فققد فما يدري اين هو».

الشرح

قوله: فتناول الرب، اي فتكلم فيه بما ليس بصواب فققد عن اعين الناس، فما يدري بصيغة المجهول، اي فما يدري احد اين ذهب هو وغاب فلم يكن عنه اثر ولا خبر.

الحديث السابع وهو الحادي والخمسون والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن محمد بن خالد عن محمد بن عبد الحميد عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه».

الشرح

فان الناظر اذا نظر الى نسبة بدنه الذي مشتمل على كثير من عجائب الصنع الى كل الارض بما فيها من عجائب المخلوقات واصناف الحيوانات لوجده جزءاً صغيراً منها، ثم اذا نظر الى نسبة الارض الى مجموع عالم العناصر وجدها كجزيرة في بحر عظيم، واذا نظر الى نسبة العناصر الى جرم الكل وجدها كقطرة في بحر او كحصاة في بر، ولو ادرك نسبة جرم الكل الى نفس الكل لوجدت التفاوت بينها في الصغر والعظم اعظم بكثير من كل تفاوت بين جرم وجرم.

وكذا نسبة نفس الكل الى العقول ونسبتها الى المسمى بالفيض الاعلى والعنصر الاعظم ولا نسبة الى جناب الكبرياء، فانطوت العناصر في الاجرام السماوية وانطوت الاجرام في قهر النفوس وهي في قهر العقول وهي في جبر قهر المجمعول الاول، والله من ورائهم محيط^١، وهو القاهر فوق عباده^٢، فتلاشى الكل في قهر جبروته وكبريائه.

١- البروج ٢٠.

٢- الانعام ١٨.

الحديث الثامن وهو الثاني والخمسون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله رفعه قال قال ابو عبدالله عليه السلام يا بن آدم لو اكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه تريد ان تعرف بهما ملكوت السماوات والارض ان كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت ان تملأ عينيك منها فهو كما تقول».

الشرح

الخرق في الاصل مصدر خرق الثوب ونحوه من باب ضرب ثم سمي به الثقبه، والابرة واحدة الابرة، وغطاه اي ستره تملأ من ملأت الاناء فهو مملو، ومعنى الحديث معلوم.

الحديث التاسع وهو الثالث والخمسون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن علي عن يعقوبي عن بعض اصحابنا عن عبدالاعلى مولى آل سام» الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلام. وقال الكشي: حمدوية قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد عن علي بن اسباط عن سيف بن عميرة عن عبد الاعلى قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: ان الناس يعيرون علي بالكلام وانا اكلم الناس، فقال: اما مثلك من يقع ثم يطير^١ «عن ابي عبدالله عليه السلام قال ان يهوديا يقال له سبخت جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله جئت استلك عن ربك فان انت اجبتني عما اسألك عنه والا رجعت قال: سل عما شئت قال اين ربك قال هوفي كل مكان وليس في شيء من المكان المحدود قال وكيف هو قال وكيف اصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه قال فن اين يعلم انك نبي قال فما بقي حوله حجر ولا غير ذلك الا تكلم بلسان عربي مبين يا سبخت انه رسول الله فقال سبخت ما رأيت كالיום امرا أبين من هذا ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله».

١- اي : انك لا تكون عاجزاً بل تكون مسلطاً في فنون الكلام.

الشرح

قد اشرنا فيما سبق الى معنى كونه تعالى في كل مكان وليس في شيء من المكان المحدود، فان جمهور الحكماء بغاية افكارهم ومبالغتهم في تنزيه الاول تعالى زعموا ان الله تعالى لما لم يكن جسماً ولا جسمانيا كانت نسبته الى جميع الامكنة والمكانيات نسبة واحدة، كما انه حيث لم يكن زمانياً كانت نسبته الى جميع الازمنة والزمانيات نسبة واحدة. والذي تصوره وان كان له وجه ولكن الاكتفاء على هذا القدر قصور في التوحيد، فان هذا الحكم شامل لكل مفهوم كلي وجوهر عقلي.

وان التوحيد التام ان يعتقد: ان ليس جزء من الامكنة والازمنة وذرة من ذرات الاكوان الا والحق تعالى بهوته القدسية معه معية غير مكانية ولا زمانية ومحيط به احاطة قيمية غير وضعية، فهو تعالى في جميع الاماكن والمواضع ومع كل الاوقات والساعات من غير تقدر ولا تجزء ولا تقيّد ولا انحصار.

وهذا الضرب من التوحيد ممّا عجزت عن ادراكه عقول جماهير الحكماء ومشاهير القدماء، لانه مبني على تحقيق مسألة الوجود ووحدته الذاتية التي لا تنافي كثرة شئونه وتجلياته، ومعرفة ان تعين الماهيات انما نشأ من مراتب تنزلاته، وان وجود المجهول متقوم بوجود الجاعل القيوم كتقوم الحس بالخيال والخيال بالعقل والعقل بالبارئ وان الله محيط بكل شيء، والله خلقكم وما تعملون^١، وباقي الفاظ الحديث واضح مكشوف.

الحديث العاشر

وهو الرابع والخمسون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن محمد بن يحيى الخثعمي» ابن سليم كوفي روى^٢ عن ابي عبدالله عليه السلام «صه» قال النجاشي، الا ان فيه ان ابن يحيى بن سليمان، ثم له كتاب روى عنه ابو اسمعيل السراج، وفي الاستبصار: انه عامي المذهب «عن عبدالرحمن بن عتيك القصير» مجهول «قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن شيء من من الصفة فرفع يده الى السماء ثم قال تعالى الجبار تعالى الجبار من تعاطى ما ثم هلك».

١- الصافات ٩٦.

٢- كوفي ثقة روى «صه».

الشرح

التعاطي تناول، وتعاطاه تناوله، وفلان يتعاطى كذا اي يخوض، انما قال عليه السلام ذلك تنزيهاً لله واعظاماً له عن نسبة الصفة الزائدة والكيفية اليه، اي تعالى الجبار من تناول العبد في حقه ما اوجب هلاكه هناك .

باب ابطال الرؤية

وهو الباب التاسع من كتاب التوحيد

وفيه اثني عشر حديثاً

الحديث الاول

وهو الخامس والخمسون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عن علي بن ابي القاسم» عبدالله بن عمران البرقي المعروف ابوه بما جيلويه يكنى ابا الحسن، ثقة فاضل فقيه اديب، رأى احمد بن محمد البرقي وتأدب عليه وهو ابن بنته وصنف كتباً كذا في النجاشي، وتصحيح العلامة الحلي رحمه الله طريق الصدوق طاب ثراه الى الحرث بن مغيرة يفيد توثيقه ايضاً، وفي «صه» و «ابن داود» انه علي بن محمد بن ابي القاسم، ويؤيده ما ذكر ان محمد بن ابي القاسم هو الملقب بما جيلويه لكن روى الصدوق في غير موضع عن محمد بن علي ماجيلويه^١ عن عمه محمد بن ابي القاسم فليتأمل «مح» «عن يعقوب بن اسحاق» وهو ابن السكيت ابويوسف «قال كتبت الى ابي محمد عليه السلام اسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه فوقع عليه السلام يا ابا يوسف جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى ابائي ان يرى قال وسألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه فوقع ان الله ارى رسوله^٢ من نور عظمته ما احب».

الشرح

١— عن محمد بن ماجيلويه «جامع الرواة».

٢— رسوله بقلبه من (الكافي).

التوقيع ما يوقع في الكتاب، لما كان السؤال الاول سؤالاً عن رؤية العبد مطلقاً ربه وقع الجواب منه عليه السلام بالمنع الكلي عنها تنزيهاً له تعالى، وحيث كان السؤال الثاني عن رؤية رسول الله صلى الله عليه واله ربه وقع الجواب: بأن الله ارى رسوله من نور عظمته ما احب.

والوجه في هذا الاختلاف: ان الناس كلهم الا القليل النادر نفوسهم متعلقة بابدانهم الطبيعية وجميع افعالهم وانفعالاتهم وادراكاتهم بمشاركة المادة والوضع، فلا يمكن لهم مشاهدة ما ليس في مكان ووضع مخصوصين، والله تعالى منزّه عنها، فاستحال منهم رؤية الله تعالى لا بالحس لما قلناه ولا بالعقل، لكونهم^١ عقولهم بالقوة غير حاصلة بالفعل. واما النبي صلى الله عليه واله فلكون جوهر عقله القدسي خارجاً عن مضيق عالم المكان والزمان فرأى بعين عقله نور عظمة الله وجلاله بلا جهة ومكان ووضع، وقوله: من نور عظمته ما احب، اشارة الى امرين:

احدهما ان رؤيته صلى الله عليه واله للرب تعالى لم يكن على وجه الاكتناه التام، لانّ نوره تعالى فوق ما لا يتناهى وقوة جوهر النبوة لا تسع ذلك، فقال^٢ من نور عظمة الله على مقدار وسعه وقوته.

وثانيها الاشارة الى ان الرؤية العقلية على قدر الشوق والمحبة، فانّ الاتم شوقاً اليه تعالى اتّم انجذاباً واصرح رؤية ويؤيده قوله صلى الله عليه واله: من احب لقاء الله احب الله لقاءه.

الحديث الثاني

وهو السادس والخمسون والمائتان

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال سألت ابوقرة المحدث ان ادخله الى^٣ ابي الحسن الرضا عليه السلام فاستاذنته في ذلك فاذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والاحكام حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال ابوقرة انا روينا ان

١- لكون - ط - م .

٢- فقال . م - د .

٣- علي (الكافي) .

الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم الكلام لموسى ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية فقال ابو الحسن عليه السلام فن المبلغ عن الله الى الثقلين من الجن والانس لا تدركه الابصار - ولا يحيطون به علماً^١، وليس كمثلته شيء^٢، أليس محمد صلى الله عليه وآله قال بلى قال كيف يجيء رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله وانه يدعوهم الى الله بامر الله فيقول لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثلته شيء ثم يقول أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر اماستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه عن وجه اخر قال ابوقرة فانه يقول: ولقد رآه نزلة اخرى^٣، فقال ابو الحسن ان بعد هذه الاية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كذب الفؤاد ما رأى^٤، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم اخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى^٥، فأيات الله غير الله وقد قال الله ولا يحيطون به علماً فاذا رآته الابصار فقد احاطت به العلم ووقعت المعرفة فقال ابوقرة: فتكذب بالروايات فقال ابو الحسن عليه السلام اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها وما اجمع المسلمون عليه انه لا يحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس كمثلته شيء^٦».

الشرح

إِسْتَدَلَّ ابوقرة في مجلس الرضا عليه السلام على صحة رؤية الله تعالى بما روى ان الله تعالى قسم كرامتين عظيمتين يعني الرؤية والكلام بين نبيين كريمين: فقسم الكلام لموسى عليه السلام والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله، فدلّت الرواية على صحة رؤية الله وان محمداً صلى الله عليه وآله رآه في الدنيا، فاذا جازان يراه نبي الله في دار الدنيا جازان يراه المؤمنون في دار الآخرة، فاجاب عليه السلام بقوله: فن المبلغ عن

١ - الانعام ١٠٣ .

٢ - طه ١١٠ .

٣ - الشورى ١١ .

٤ - النجم ١٣ .

٥ - النجم ١١ .

٦ - النجم ١٨ .

الله الى كافة الخلق من الجن والانس بما انزل اليه من ربه من قوله تعالى: لا تدركه الابصار وقوله: ولا يحيطون به علما وقوله: ليس كمثلته شيء؟

فهذه ايات ثلاث دلت كل واحدة منها على نفي الرؤية له عنه، اما دلالة الاولى فظاهرة، واما الثانية فلان كل من ابصر شيئاً فقد احاط به علماً بلا خلاف لاحد فيه كما سينبه عليه، واما الثالثة فلان الابصار عبارة عن حصول صورة الشيء في حس البصر، فما لا مثل له لا يمكن حصول صورته في الحس، وحيث انه تعالى ليس كمثلته شيء فاستحال تعلق الابصار به.

ثم قال على وجه الاستفهام تأكيداً وتصريحاً: اليس محمد، اي ليس محمد المبلغ؟ ولما اعترف ابو قرة بان المبلغ عن الله بهذه الايات هو محمد صلى الله عليه واله بقوله: بلى، قال: فكيف يجيء رجل الى قوله: اما تستحيون، افصح عليه السلام عن ظهور كذبهم وفساد رأيهم في باب الرؤية بوجوه من البيان من اتيانه الكلام على وجه الاستفهام الانكاري والدلالة على ان ما زعموه مستلزم لنسبة الكذب الى خير البرية على اقبح وجوه الكذب:

منها كونه كذباً على الله وهو اقبح الكذبات؛ ومنها انه متضمن لمناقضة نفسه، لان السالبة الكلية تناقضها الموجبة الجزئية والشخصية، ورب كاذب لا يكون كذبه متناقضاً، فهذا اقبح واشنع؛ ومنها انه جاء الى الخلق من عند الله للاخبار بما هو المناقض لما اخبر عن نفسه؛ ومنها انه دعاهم بامر الله الى ذلك المناقض، فالذي اخبر عن الله هو قوله: لا تدركه الابصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثلته شيء.

والذي اخبر عن نفسه بزعم هؤلاء مناقضاً لما اخبر عن الله، هو ان يقول انا رأيت به عيني، وهو موجب شخصي يناقض سالبا كلياً هو لا تدركه الابصار، ويقول احطت به علماً، يناقض لا يحيطون به علماً، وقوله: على صورة البشر يناقض ليس كمثلته شيء، لان المراد به اما كون الرائي يعني النبي صلى الله عليه واله على صورة البشرية حين كان رآه بهذا البصر الحسي، فقد علمت ان كلما ادرك باله الحس فهو ذو مثل، واما كون المرئي وهو الله على صورة البشر، بناء على ما روته العامة ان محمداً صلى الله عليه واله رأى ربه على صورة الشاب المراهق، فهو صريح في اثبات المثل له تعالى.

ولما ابان غاية كذبهم وافتراءهم على الرسول ونهاية وقاحتهم وسوء ادبهم له قال: اما

تستحيون ما قدرت الزنادقة ان يرميه ، اي ما قدروا في انفسهم ان يرموا رسول الله صلى الله عليه واله بهذا ، وقوله : ان يكون مع ما بعده بدل هذا .

ولما بطل^١ استدلاله على صحة الرؤية من هذا المأخذ وهو مأخذ الرواية شرع في الاستدلال عليها من مأخذ اخر وهو مأخذ القرآن فقال : فانه تعالى يقول : ولقد رآه نزلة اخرى ، فاجاب ، عليه السلام عنه بوجهين : احدهما الحل والاخر النقض .

اما اوجه الاول فقوله عليه السلام : ان بعد هذه الاية ما يدل على ما رأى ؟ اي ما يدل على ان الذي رآه محمد صلى الله عليه واله ماذا ؟ حيث قال تعالى : ما كذب الفؤاد ما رأى ، اذ المراد ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه والذي رأت عيناه هو آيات الله لا ذاته لما اخبر عنه تعالى بقوله : لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، ورؤية الآيات لا تستلزم رؤية الله لان آيات الله غير الله ، فهذا هو الوجه الحلّي .

واما الوجه الاخر في الجواب بالنقض وهو قوله : وقد قال الله : ولا يحيطون به علما ، وهو مناقض للرؤية ، لان الذي رآته الابصار فقد احاطت به القوى الادراكية بالعلم^٢ ووقعت المعرفة ، لان المشاهدة اتم مراتب العلم والمعرفة .

ولما وقع الزام ابي قرة وتبكيته بهذا الطريق رجع الى التمسك بالمشهور والتشبيث بما استحسنة الجمهور كما هو عادة المحجوج المبهوت فقال فتكذب بالروايات ؟ فاجاب ابو الحسن الرضا عليه السلام بقوله : اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها سيما وقد طابقه البرهان ، وقوله : وما اجمع المسلمون عليه... الى اخره ، بيان لوقوع القرآن مخالفا لما ادعاه من الروايات . واعلم ان في دفع الاشكالين اللذين ذكرهما ابوقرة وجها اخر تحقيقا مبناه على اثبات الرؤية العقلية وان محمداً صلى الله عليه واله رأى ربه بعين العقل لا بعين الحس والخيال ، وبالبصيرة القلبية^٣ لا بالبصر الحسي باخذ الشبح والمثال كما يدل عليه عدة من الاحاديث .

وبذلك يندفع كلا الاشكالين ويتضح^٤ قسمة الله الرؤية والكلام بين نبين :

١- ابطال - م - د .

٢- العلم - د - م - ط .

٣- العقلية - د - م .

٤- يستصح - ط - يصح - م .

الرؤية لمحمد صلى الله عليه واله والكلام لموسى عليه السلام، وكذا ما ورد في القرآن من نسبة الرؤية اليه صلى الله عليه واله اذا كانت بمعنى الشهود العقلي والحضور العلمي، الا انه عليه السلام عدل عنه الى ما ذكره تنزيلاً على فهم السائل وبناء للكلام على حسب ما تصوره من معنى الرؤية كماكثر الناس، لان كل احد ليس في وسعه تصور ذلك المعنى من الرؤية لغموضه وصعوبته على الازهان، وسيجيء ايضاحه.

الحديث الثالث

وهو السابع والخمسون والمائتان

«احمد بن ادريس عن احمد بن محمد بن عيسى عن علي بن سيف» بن عميرة عربي نخعي من اصحاب الرضا عليه السلام، ابو الحسن كوفي مولى^٢ هو اكبر من اخيه الحسين، روي عن الرضا عليه السلام «عن محمد بن عبيد» بضم العين والياء بعد الباء، ابن صاعد كوفي يكنى ابا عبدالله واقف «صه» وفيها ايضاً وفي كتاب النجاشي: محمد بن عبيد الكاتب وجه من الكوفيين ثقة عين، وفي النجاشي: له كتب فيها الفرائض، روى عنه محمد بن عبيد العتيقي الكندي، هذا ولم يعلم ان احدهما من اي طبقة من الرجال؟ «قال كتبت الى ابي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية وما ترويه العامة والخاصة وسألته ان يشرح لي ذلك فكتب بخط اتفق الجميع لا تمنع بينهم ان المعرفة من جهة الرؤية ضرورة فاذا جاز ان يرى الله بالعين ووقعت^٣ المعرفة ضرورة ثم لم تخل تلك المعرفة من ان تكون ايمانا اوليست بايمان فان كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية ايمانا فالمعرفة التي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بايمان لانها ضده فلا يكون في الدنيا مؤمن لانهم لم يروا الله عز ذكره وان لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية ايمانا لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب ان تزول^٤ او لا تزول في المعاد فهذا دليل على ان الله تعالى ذكره لا يرى بالعين اذا العين تؤدي الى ما وصفناه».

١ - وبناء الكلام على ما اعتقده حسب ما تصوره - م - ط .

٢ - مولى ثقة «صد» .

٣ - وقعت (الكافي) .

٤ - ولا (الكافي) .

الشرح

اقول: لا بد قبل الخوض في حل هذا الحديث من ذكر مقدمتين:

الاولى ان الغرض الاصلي من بعثة الرسل عليهم السلام وانزال الكتب الى الناس سياقة الخلق الى الحق واذهابهم من اسفل سافلين وادنى منازل الهابطين الى جوار رب العالمين، وذلك بالعلم والعمل الصالح، وغاية العمل ايضا هو العلم، لان المقصود من الاعمال ليس الا التخليص والتصقيط، واين هو من التكميل والتنوير؟ والعلم عبارة عن معرفة الله وصفاته الحسنى وفعاله العظمى من ملائكته وكتبه ورسله، فكمال رتبة الانسان الذي يستحق مجاورة الرحمن هو معرفة هذه الامور التي يجمعها العلم بالله وباليوم الآخر، وهذا بعينه هو المراد بالايمان.

الثانية ان هذا العلم الذي هو الايمان مما يضعف ويشد وينقص ويكمل، ويكون في مبدأ اكتسابه ضعيفاً ناقصاً ثم يتدرج بمزاولة الافكار والاعمال ويشد شيئاً فشيئاً ويستكمل قليلاً قليلاً، كما يقع للفحم بمجاورة النار، ويتسخن اولاً تسخناً قليلاً ثم يشد تسخنه حتى يحمر ثم يتنور ثم يضيء ويحرق ويفعل كما يفعل النار من التسخين والاضائة والاحراق، فهكذا يشد نور العلم وقوة الايمان حتى يصير العلم عيناً والايمان عيناً والمعرفة تنقلب مشاهدة ولهذا قيل: المعرفة بذر المشاهدة.

لكن يجب ان يعلم ان العلم اذا صار عيناً لم يصير عيناً محسوساً، وان المعرفة اذا انقلبت مشاهدة لم ينقلب مشاهدة بصريّة حسية، لان الحس والمحسوس نوع مضاد للعقل والمعقول ليس نسبة احدهما الى الاخر نسبة النقص الى الكمال والضعف الى الشدة، بل لكل منها في حدود نوعه مراتب في الكمال والنقص لا يمكن لشيء من افراد النوعين المتضادين ان ينتهي في مراتب استكمالته واشتداده^٢ الى شيء من افراد النوع الاخر.

فالابصار اذا اشتد لا يصير تخيلاً مثلاً ولا التخيل اذا اشتد يصير تعقلاً ولا بالعكس، نعم اذا اشتد التخيل تصير مشاهدة ورؤية بعين الخيال لا بعين الحس، وكثيراً ما يقع الغلط من صاحبه انه رأى بعين الخيال ام بعين الحس الظاهر، كما يقع للمبرسمين

١ - كلما - النسخة البديل في جميع النسخ .

٢ - اشتداداته - م - ط .

والمجانين والكهنة، وكذا التعقل اذا اشتد يصير مشاهدة قلبية ورؤية عقلية لا خيالية ولا حسية.

وبالجمللة الاحساس والتخيل والتعقل انواع متقابلة من المدارك كل منها في عالم اخر من العوالم الثلاثة ويكون تأكد كل منها حجاباً مانعاً عن الوصول الى الاخر.

اذا تمهد ما ذكرنا فلنشرع في شرح الحديث فنقول: قوله عليه السلام: اتفق الجميع لا تمنع بينهم ان المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، معناه: انه لا خلاف لاحد في ان حصول المعرفة من جهة الرؤية امر ضروري، وان رؤية الشيء متضمنة لمعرفته بالضرورة بل الرؤية بالحس نوع من المعرفة، فان من رأى شيئاً فقد عرفه بالضرورة.

قوله عليه السلام ثم لم تخل تلك المعرفة... الى قوله عز ذكره: ثم لا تخلو هذه المعرفة، الواقعة من جهة الرؤية البصرية، انها هي الايمان اوليست بايمان.

وبعبارة اخرى: لا يخلو الايمان بالله وصفاته وآياته هو نفس هذه المعرفة التي هي رؤية الله أم لا، فان كان الايمان بعينه هو هذه المعرفة التي مرجعها الادراك البصري والرؤية الحسية، فلم تكن المعرفة العلمية التي حصلت للانسان من جهة الاكتساب بطريق الفكر والنظر ايمانا لانها ضده، لانك قد علمت ان الاحساس ضد التخيل وان الصورة الحسية ضد الصورة العقلية.

ولو حققت الامر ودققت النظر لانكشف عليك حق الانكشاف واتضح غاية الاتضاح ان المدرك والمدرك دائماً من جنس واحد، بل القوة المدركة كالمادة والصورة الادراكية كالصورة التي بها تخرج المادة من القوة الى الفعل ومن حدّ النقص الى حد الكمال، وكمال الشيء تأكد ذاته، وشدة وجوده ليس بامر مبين له.

ولهذا ذهب بعض محققي الحكماء الاقدمين والكبراء الراسخين في العلم الى الاتحاد بين القوة المدركة وصورتها الادراكية، فالقوة الحاسة اذن تتحد بمحسوسها والخيالية تتحد بمتخيلها والعقلية تتحد وتستكمل بمعقوها، فكما ان الفرق ثابت معلوم بين الحس والعقل والبعد بينهما كما بين الارض والسماء، فكذلك يجب ان يكون التضاد والتخالف متحققاً بين الرؤية الحسية والادراك العقلي.

فثبت ان المعرفة القلبية المكتسبة في دار الدنيا ضد الرؤية البصرية، فاذا لم يكن الايمان بالحقيقة مشتركاً بينها ولا امراً جامعاً لها، لثبوت التضاد وغاية الخلاف بينهما، ولا

جنساً مبهماً بينها غير تام الحقيقة المتحصلة، كجنس المتضادين مثل اللونية بين نوعي السواد والبياض، لان الايمان امر محصل وحقيقة معينة فهو اماً هذا واما ذلك، فاذا كان ذلك لم يكن هذا وان كان لهذا لم يكن ذلك، فاذا فرض ان الرؤية بالبصر هو الايمان لم يكن المعرفة المكتسبة ايماناً فلم يتحقق مؤمن في الدنيا، اذ لم يروا الله جهرة بل من اقترحها اخذته الصاعقة، ولكن التالي باطل بالضرورة عقلاً ونقلًا لقوله تعالى في كثير من مواضع القرآن: يا ايها الذين امنوا، وقوله: امنوا بالله، وامنوا بربكم، اولئك هم المؤمنون حقاً، والمؤمنون كل آمن بالله^٢، وغير ذلك من الآيات، فالمقدم مثله.

قوله: وان لم يكن المعرفة التي من جهة الرؤية ايماناً... الى آخره، يعني واذا ثبت ان ليست المعرفة التي تضمنتها الرؤية البصرية ايماناً، فثبت وتحقق ان هذه المعرفة الحاصلة في العقل من طريق الاكتساب ايمان وهو الايمان بالغيب ما دام المؤمن في الدنيا كما في قوله تعالى: يؤمنون بالغيب^٣، فنقول:

هذا الايمان الذي هو المعرفة العقلية الحاصلة من طريق الاكتساب بالدليل والبرهان لا يخلو اما ان يكون زائلاً عن قلب المؤمن فاسداً بفساد بدنه وموت قلبه او غير زائل عنه بل باق معه في البعث والحشر، لكن الأول باطل وهو المراد بقوله: ولا يزول في المعاد، أي والحال انه لا يزول في المعاد بلا خلاف لاحد من اهل الاسلام، اللهم الا ان يكون ضعيفاً متزلزلاً غير متيقن، كيف وقد علمت انه المقصود الاصيلي من وضع الشرائع وبعث الرسل؟ وايضاً المعرفة ليست امراً متعلقاً بمواد هذا العالم حتى يقبل الفساد بفساد حامله، لانها قائمة بجوهر روحاني عقلي؛ في الحديث: التراب لا يأكل محل الايمان، بل هو منشأ بقاء الآخرة وهو نور الحياة في دار الحيوان وبه المشي في ارض الآخرة والانسراح في رياض الرضوان، كما ان نور الحس والحركة منشأ الحياة الطبيعية في هذا العالم دار البهائم وعالم الديدان.

فاذا ثبت ان هذه المعرفة الايمانية ثابتة مع المؤمن في المعاد وبه يستضيء قبره وبرازخ منازلته الى يوم البعث، وبقدرة نور الايمان وشدته يكون سعيه في الآخرة وسرعة مشيه

١- الانفال ٤.

٢- البقرة ٢٨٥.

٣- البقرة ٣.

على الصراط.

قوله عليه السلام: وهذا دليل على ان الله لا يُرى بالعين، اذ العين يؤدي الى ما وصفناه، وذلك لانك قد علمت ان المعرفة في الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة ونسبة الدنيا الى الآخرة نسبة الزرع الى الثمرة، بل نسبتها الى القبر نسبة النطفة الى الجنين او الجنين الى الطفل، ونسبة القبر الى البعث نسبة الجنين الى الطفل او الطفل الى الصبي او البالغ، وبالجملة نسبة النقص الى الكمال والضعف الى الشدة.

فانظر ان المعرفة العقلية التي هي عبارة عن الايمان اذا كملت وقويت واشتدت حتى يصير علم اليقين، هل يؤدي الى الادراك الحسي بهذه العين الجسدانية الدائرة؟ لا اظنك شاكاً في بطلان هذا القول. فان الحس كيف يكون كمالاتاً للعقل؟ والمحسوس انى يكون غايةً وتاماً للمعقول وهو منه في غاية التخالف والتضاد؟

فقد وضع الامر وانكشف ان الايمان الحقيقي الذي هو نور معرفة الله اذا اشتد وكمل وتم، وهو غاية سعي السالكين ونهاية ثمرة الزارعين واخر درجة المتقين وقرّة عين الواصلين كما في قوله: ربنا اتمم لنا نورنا^٢، لا يؤدي ولا ينتهي الى الاحساس بهذه الالة الجسمانية، فاذاً بطل كون هذا الاحساس ايماناً، ولا كون الايمان مؤدياً اليه ولا لشيء من الايمان وما يتعلق به من الاعمال الصالحة مناسبة ذاتية اليه ولا جهة ارتباطية به حتى يقال ان الرؤية اخرج ذلك العمل، اذ التعلق مفقود بين القلب المعنوي النوراني المحشور الى الله وبين الحس الدائر المظلم المخلوق من مواد الظلمات والزور المحجوب عن عالم النور ودار السرور.

وايضاً قد تقرر في علم الميزان: ان الاحساس بالشيء لا يكون كاسباً ولا مكتسباً، بل الذي يؤدي اليه الاعتقاد القلبي والقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، اذا اشتد وكمل ان يرفع به الحجاب بين العين العقلي والبصيرة المعنوية وبين المعبود الحقيقي والمحجوب الاصيلي.

وقوله: اذا العين يؤدي الى ما وصفناه، المراد ان الرؤية بالعين تؤدي الى ما وصفناه من لزوم احد المحالين: اما عدم تحقق مؤمن في الدار الدنيا المستلزم لعدم تحققه في دار

١- او الصبي الى البالغ - م.

٢- التحريم ٨.

الآخري، لأن: من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضلّ سبيلاً، وأما عدم دوام الايمان وبقائه في المعاد، كل ذلك للتضاد الواقع بين المعرفة الاكتسابية والرؤية البصرية.

الحديث الرابع

وهو الثامن والخمسون والمائتان

«وعنه عن احمد بن اسحق قال كتبت الى ابي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس قال فكتب ألا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء [لم] ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لان الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لان الاسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

الشرح

استدل على امتناع تعلق الرؤية به تعالى بوجهين:
احدهما ان من شرائط تحقق الرؤية وجود الهواء او ما يجري مجراه كالماء الصافي ونحوه بين الرائي والمرئي لينفذ فيه شعاع البصر ويتصل بالمبصر، فاذا انقطع الهواء عنها او عن احدهما امتنعت الرؤية.

فان قال قائل: لا نسلم اشتراط تحقق الهواء بين الرائي والمرئي من جهة توقف الرؤية عليه وان اشترط من جهة امر اخر كضرورة الخلاء ونحوها، بل الشرط عدم توسط حجاب غليظ بينهما، ونحن نرى كلما لطف ورق الحجاب كانت الرؤية اصح والمرئي اوضح، فلو فرض تحقق الخلاء ورفع الهواء لكانت الرؤية بالبديهة أشد وأقوى.

قلنا: هذا من بديهة العقل منشأه عدم الامعان في احوال العلل والمعلولات، فان ما لا وصلة بينه وبين الاخر بوجه من الوجوه لا يؤثر فيه ولا يتأثر.
فالنفس بواسطة تعلقها بلطيف هذا البدن كالقوى الادراكية والتحريرية تتصرف

١- الاسراء ٧٢.

٢- الناس، فكتب (الكافي).

في كثيفه كالروح النفساني وبتوسط^١ فيما هو اكتف منه كالروح الحيواني ثم الطبيعي ثم الاعصاب وهكذا الى اقصى القشر والجلد، كل ذلك من جهة اتصال بعضها ببعض، اذ الاتصال في عالم الابعاد والاجرام بمنزلة الاتحاد في عالم المعاني والمعقولات، فوجود الهواء بين الرائي والمرئي يجعل الجسمين والمتوسط، بمنزلة بدن واحد فيتأثر النفس بوسيلة آلة حسها من المحسوس من جهة ذلك الاتصال، كما تطلع من بعض اعضاء بدنها بواسطة آلة حسها الكائنة في عضو آخر، ولولا هذا الاتصال الطبيعي بين اعضاء البدن، من كونها في رباط واحد، لبطل التدبير وفسد البدن، فكذلك لولا الاتصال بين الرائي والمرئي بالشفاف الواقع بينهما لما حصل الاطلاع والاحساس من النفس.

والوجه الثاني من الاستدلال قوله: وكان في ذلك الاشتباه... الى آخره، معناه: لو جاز رؤية الله تعالى يلزم كونه مشابهاً لخلق، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، اذ قد ثبت بالبرهان القطعي انه ليس كمثل شئ في الذات ولا له شبه في الصفات.

اما بيان اللزوم: فان^٢ الذي هو سبب الرؤية وشرطها الذي يصحح كون الشئ رائياً من وجود الهواء بينهما وتحقق المحاذاة وعدم البعد المفرط ولا القرب المفرط، كذلك يصحح كون الشئ مرئياً وكون الرائي مرئياً لرأيه والمرئي رائياً لرأيه، لان كلاهما لا بد ان يكون جسماً كثيفاً مستضيئاً، فلولا ذلك لم يكن المرئي كثيفاً مستنيراً من شعاع الشمس ونحوه لم تقع الرؤية، وكذا لو لم يكن البصر جسماً كثيفاً قابلاً للنور لم يكن رائياً، فجاء الاشتباه والمساواة بين الرائي والمرئي ولو من جهة اصل الجسمية والوضع وقبول اللون والانارة، والشكل والتشبيه في حقه تعالى محال.

وقوله: لان الاسباب لا بد من اتصالها بالمسببات، يعني اذا تحقق السبب الموجب للمساواة والمشابهة بين الرائي والمرئي لزم تحقق المسبب، وهو وجوب المساواة بينها ضرورة، لامتناع تخلف المسبب عن السبب الموجب وانفكاك المعلول عن العلة التامة، وهو رد على النافين للعلّة والمعلول. فاذا لو جاز رؤيته تعالى يلزم التشبيه في حقه تعالى وهو محال.

واعلم ان الغزالي ذكر في كتابه المسمى بالاعتقاد بعد ما نقل استدلال اهل الحق في نفي الرؤية من انها توجب كونه تعالى في جهة وكونه في جهة يوجب كونه عرضاً

١- بتوسطه - م - د .

٢- فلان - ط .

او جوهرأ جسمانياً وهو محال وجوهاً من البحث :

الاول ان احد الاصلين من هذا القياس مسلم ، وهو ان كونه في جهة يوجب المحال ، ولكن الاصل الأول وهو ادعاء هذا اللازم على اعتقاد الرؤية ممنوع .
فنقول : لم قلت انه ان كان مرثيا فهو في جهة من الرائي؟ أعلمتم ذلك بضرورة ام بنظر؟ ولا سبيل الى دعوى الضرورة ، واما النظر فلا بد من بيانه ومنتهاه انهم لم يروا الى الان شيئا إلا وكان بجهة من الرائي مخصوصة ، ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسم ان يقول : ان البارئ تعالى جسم لانه فاعل ، فاتا لم نر الى الان فاعلا الا جسما ، وحاصله يرجع الى الحكم بان ما شوهد وعلم ينبغي ان يوافقه ما لم يشاهد ولم يعلم^١ .

اقول : دعوى كون المرثى بهذا العين مطلقا يجب ان يكون في جهة ، ليس مبناها على ان المرثيات في هذا العالم لا يكون الا في جهة حتى يكون من باب قياس الغائب على الشاهد ، بل النظر والبرهان يؤيدان اليه وهو : ان القوة الباصرة التي في عيوننا قوة جسمانية وجودها وقوامها بالمادة الوضعية ، وكل ما وجوده وقوامه بشيء فقوم فعله وانفعاله بذلك الشيء ، اذ الفعل والانفعال بعد الوجود والقوام وفرعه ، اذ الشيء يوجد أولاً إما بذاته او بغيره ثم يؤثر في شيء او يتأثر عنه .

فكلما كان وجود القوة في نفسها متعلقا بمادة جسمانية بما لها من الوضع كان تأثيرها او تأثرها أيضاً بمشاركة المادة ووضعها بالقياس الى ما تؤثر فيه او يتأثر عنه ، فلاجل هذا نحكم بان البصر لا يرى الا الماله نسبة وضعية الى محل الباصرة ، والسامعة لا تنفعل ولا تسمع الا ما وقع منها في جهة او اكثر ، فهذا هو البرهان .

البحث الثاني المعارضة برؤية الله لعباده ، قال : على ان هؤلاء غفلوا عن معارضتهم بان الله يرى نفسه و يرى العالم وهو ليس بجهة من نفسه ولا من العالم بجهة ، فاذا جاز ذلك فقد بطل هذا التخيل ، وهذا مما يعترف به اكثر المعتزلة ولا مخرج عنه لمن اعترف به .

اقول : هذه المعارضة مدفوعة ، اما رؤية الله نفسه فلا انتقاض بها ولا معارضة بسببها ، لان مرجع رؤيته تعالى لذاته الى تعقله لذاته ، ومرجع تعقله وعلمه لذاته هو نفس

١- بجهة «الاقتصاد» .

٢- ينبغي ان لا يعلم غيره الا على وفقه «الاقتصاد» .

وجوده المفارق عن المادة ولو احقها وغواشها المانعة عن كون الشيء معقولا ، فان كل وجود صوري مجرد عن المادة وعوارضها فهو معقول بالفعل كما برهن عليه في المباحث الحكيمية ، فان كان وجوده لغيره بان يكون قائما به كان معقولا لذلك الغير ، وان لم يكن وجوده لغيره بل قائما بذاته كان معقولا لذاته ، فكان ذلك الوجود بعينه عقلا ومعقولا لذاته وعاقلاً لذاته ، فذاته تعالى بذاته عقل وعقل ومعقول من غير تغاير بين هذه الامور لا بالذات ولا بالاعتبار ، وهذا معنى كونه راثياً لذاته .

وبالجملة ليست رؤيته تعالى لذاته بقوة جسمانية حسية ولا ايضا بصفة زائدة حتى يلزم المعارضة او النقص ، بل القوة الجسمانية لا يمكن ان يكون مدركا لذاتها ولا الحامل ذاتها ولا لادراكها ، فالبصر لا يمكن ان تبصر ذاتها ولا التها ولا ابصارها وكذا السمع والشم وغيرهما ، لان كل مدرك لذاته يكون قائماً بذاته مجرد عن محلّ ومادة ، وهذا يحصل الفرق بين الاحساس والتعقل ، ولو سمي تعقله تعالى لذاته رؤية او ابصارا لذاته فلا مشاحة في الاسامي بعد ظهور المعاني وتحقق الفرق بينها فلا يرد بالاسم نقضا على القاعدة العقلية .

واما المعارضة او النقص برؤيته تعالى للعالم والعالم بما فيه ذو جهة والله برئ من الجهة ، فهي وان كان اقوى شبهة واعضل عقدة في هذا المقام ، لكننا قد حللناها وفككتناها بعون الله تعالى وقوته ، وهي مثل ما اوردها بعض اتباع الحكماء على قاعدتهم الحقّة المشهورة من ان افعال القوى الجسمانية وانفعالاتها لا تكون الا بمشاركة الوضع وتوسط المادة الجسمانية فلا يفعل جسماني في روحاني ، وعليه يبتني كثير من مقاصدهم كما يظهر لمن تتبع كتبهم واقوالهم .

فاورد النقص عليهم بان ذلك لو كان حقا فلقلب ان يقلب عليهم ذلك ويقول : فغير الجسم لا نسبة له وضعية الى الجسم فلا يصدر منه الجسم ، فكذلك لا حد ان يقول في هذا المقام : اذا جاز ان يرى الله وهو غير جسم ولا في جهة العالم وهو جسم ، فليجز ان يرى الله تعالى وهو غير جسم بالعين وهو جسم .

فالجواب : ان هذه المعارضة نشأت من سوء التدبر وقلة التأمل في البرهان الذي اشرنا اليه ، وهو ان مصدر فعل القوة الجسمانية وانفعالها قوام ذاته ووجوده في نفسه يكون بالموضوع ، والمصدرية بعد القوام والوجود ، اذ الشيء ما لم يوجد لم يؤثر في غيره ولم يتأثر عنه ،

فكما ان قوام ذات المصدر بالموضوع الجسماني، فكذا قوام مصدريته وفعله وانفعاله بذلك الموضوع، ومن ضرورات الموضوع الجسماني ان يكون وجوده وجوداً وضعياً واقعاً في جهة معينة من جهات العالم، فكذا وجود ما يتقوم به من الافاعيل والانفعالات الجسمانية بتبعية ماهي فيها، فاذن لا يمكن تأثير شيء منها فيما لا وضع له ولا تأثره عما لا وضع له.

واما تأثير ما لا وضع له في وجوده ولا في فاعليته فلا يكون اولاً وبالذات وعلى سبيل المباشرة فيما له وضع، بل بواسطة امر ذي اعتبارين، كما يقال في كيفية صنعه وايجاده للاشياء على ترتيب الاشرف فالاشرف، وكذا في كيفية علمه بالاشياء على ترتيب الاسباب والمسببات، ولو فرض ايضاً تأثيره فيما له وضع فليس ذلك بمشاركة الوضع ولا من جهته، لما علمت ان ما لا وضع له في وجوده كالقوى المنطبعة في الاجسام، ولا في فاعليته ومصدريته، كالنفوس الغير المنطبعة الناطقة، ولا من جهة قابل تأثيره بالقياس اليه، فان^١ كون القابل في نفسه ذا وضع وحيز، لا يستلزم ان يكون كذلك بالقياس اليه.

وبالجمللة القوة اذا كانت جسمانية او متعلقة بها كانت المادة او الموضوع الة لفعالها وادراكها وتأثرها ومتوسط بينها وبين فاعلها او منفعلها، واما اذا كانت بريئة الذات وجوداً وتأثيراً عن الجسم فليست المادة بوضعها اللازم الة لفعالها ولا انفعالها ولا ايضاً متوسط بينها وبين ما يتأثر عنها او يؤثر فيها، بل اذا اثرت في جسم او في صفة لجسم كان اثره نفس ذلك الامر الوضعي او الذي له وضع وجهة لا بتوسط الوضع بينه وبين اثره، فظهر ان الجسماني لا صنع له في الروحاني المحض ادراكاً وتأثيراً وتأثراً بخلاف العكس، فظهر الفرق وطلت المعارضة.

البحث الثالث قوله : ومن انكر رؤية الله منهم، اي من المعتزلة فلا يقدر على رؤية^٢ الانسان نفسه في المرآة، ومعلوم انه ليس في مقابلة نفسه. فان زعموا انه لا يرى نفسه وانما يرى صورة محاكية لصورته منطبعة في ظاهر المرآة انطباع النقش في الحائط. فيقال : ان هذا ظاهر الاستحالة، فان من تباعد عن مرآة منصوبة في حائط بقدر ذراعين يرى صورته بعيدة عن جرم المرآة بذراعين وان تباعد بثلاثة اذرع فكذلك، فالبعيد

١- فان وجود ذاته يكفي في الانفعال، فان - م.

٢- انكار رؤية «الاقتصاد».

عن المرأة بذراعين او اكثر كيف يكون منطبعاً في جرم المرأة؟ وسمك^١ المرأة ربما لا يزيد على سمك شعيرة^٢.

فان كانت الصورة في شيء وراء المرأة فهو محال، اذ ليس وراء المرأة الا جدار او هواء او شخص آخر هو محجوب عنه وهو لا يراه، وكذا عن يمين المرأة ويسارها وتحتها وفوقها، وجهات المرأة الست، وهو يرى صورة بعيدة عن المرأة بذراعين، فليطلب هذه الصورة المرئية من جوانب المرأة فحيث وجدت فهو المرئي، فلا وجود لمثل هذه الصورة في الاجسام المحيطة بالمرأة الا في جسم الناظر فهو المرئي اذن بالضرورة وقد بطلت المقابلة والجهة.

قال: ولا ينبغي ان يستحقر هذا الالتزام فانه لا مخرج للمعتزلة عنه، ونحن نعلم بالضرورة ان الانسان لو لم يبصر نفسه قط ولا عرف المرأة وقيل انه يمكن^٤ ان تبصر نفسك في مرآة لحكم بانه محال.

وقال: لا يخلو اما ان ارى نفسي وانا في المرأة او ارى مثل صورتي في جرم المرأة او في جرم وراء المرأة والكل محال، اذ للمرأة في نفسها صورة وللاجسام المحيطة بها صورة^٣ ولا تجتمع صورتان في جسم واحد، اذ محال ان يكون في جسم واحد صورة انسان وحديد وحائط، وان رأيت حيث^٥ انا فهو محال، اذ لست في مقابلة نفسي فكيف ارى نفسي؟ وهذا التقسيم عند المعتزلي، ومعلوم انه باطل وبطلانه عندنا لقوله: اني لست في مقابلة نفسي فلا اراها، والا فسائر الاقسام صحيحة.

فهذا يستبين ضيق حوصلتهم عن التصديق بما لم يألفوه ولم يأنس به حواسهم. اقول: انظروا معاشر اهل العلم الى هذا التحرير الفاضل والحبر الكامل كيف يبالغ في نصرته المذهب الباطل المصادم للبرهان والقرآن المخالف لما عليه كافة اهل العلم

١- اي: ضد الرقيق.

٢- كما ان الجدار والحائط اذا انطبع رسم شيء فيه وانتفش قد يرى سمكه على سمكه الذي كان له قبل الارتسام، كما لا يخفى هذا في بعض الصور. «منه قدس سره».

٣- الصورة المرئية في «الاقتصاد».

٤- وقيل له هل يمكن «الاقتصاد».

٥- صور «الاقتصاد».

٦- نفى حيث «الاقتصاد».

والعرفان من الحكماء الراسخين والاولياء الكاملين والائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين ؟ فان نفي كونه مرثياً بهذا العين الجسماني ليس مما يختص القول به للمعتزلي فقط ، بل هذا رأي كل من سلك سبيل الحق بقوة العلم ونور العرفان لا بمجرد التقليد والظن والحسبان .

واما الاستشكال الذي ذكره في رؤية الانسان نفسه بواسطة المرآة وانه ليس في مقابلة نفسه في غاية الضعف والحقارة سبباً وقد سهل لنا طريق الجواب ، حيث ذهب الى ان المرثي ههنا نفس الامر الخارجي كما هو طريقة الرياضيين القائلين بان الشعاع البصري ينعكس من سطح المرآة الى ما له نسبة خاصة وضعية الى سطح المرآة كنسبة سطح المرآة الى البصر .

فنقول : ان المرثي بواسطة وان لم يكن مقابل للبصر لكنه في حكم المقابلة ، لانه مقابل لما يقابل البصر وهو سطح المرآة ، ومقابل المقابل مقابل ايضاً ولكن بالواسطة ، فحكمه حكم المقابل ، كما ان معلول معلول الشيء معلول له بالواسطة ، واخ الاخ لزيد وان لم يكن اخاً لزيد بالاخوة التامة حتى يرثه مع فقد العمودين^١ لكنه غير خارج بالكلية عن جهات الاخوة ، بل يرثه ميراث الاخوة بالواسطة ، فهذا القديري في رؤية الانسان نفسه او خلفه او شيء اخر مما لا يحاذيه ، فانه وان لم يحاذيه الا انه يحاذي لامر صقيل لا لون له ولا ضوء ولا خشونة ولا شيء من الهيئات المرثية محاذي ذلك الامر المبصر^٢ ، فيصير حكمه في التوسط بين الرائي والمرثي حكم الهواء الصافي ، ولاجل ذلك المتوسط صار غير المقابل في حكم المقابل .

ثم لو فرض ان الرجل العلمي لم يعرف الوجه الالهي في رؤية الانسان نفسه ، فذلك لا يوجب له القدح في الاصول البرهانية ، فان الاغلاط الحسية في هذا العالم كثيرة والامور الجزئية سيما التي في عالم التركيب والاستحالة غير منضبط من حيث جزئيتها وخصوصيتها ، وانما قلنا انه اعاننا في الجواب من جهة ذهابه الى ان المرثي بالمرآة هو نفس الامر الخارجي .
اذ لو ذهب مذهب الاشراقيين القائلين بان المرثي في هذه الصورة ليس ما في الخارج ، بل المرثي بواسطة المرآة انما هو من الصور المثالية الموجودة في عالم اخر غائب عن هذا

١- اي : الاء والامهات .

٢- للبصر - م - ط .

العالم ليس من هذا العالم في جهة من الجهات وكان المذهب ايضاً قريباً من الحق لكان الجواب من المعارضة المذكورة اغمض وادق .

لكننا نجيب عنها بان الرائي حينئذ ليس الة البصر، بل البصر كالمرآة وسائر الشرائط من جملة المعدات وانما الرائي هو النفس المجردة فلا انتقاض عند ذلك ، وانما يرد النقض او المعارضة ان لو ادركت الالة الجسمانية امراً ليس بالقياس اليه على نسبة وضعية .

ثم انه بعد ان ذكر هذه الابحاث سلك مسلكاً آخر في اثبات الرؤية وقال : المسلك الثاني الكشف البالغ وهو ان تقول : انما انكر الخضم الرؤية لانه لم يفهم ما تريده بالرؤية ولم يحصل معناها على التحقيق وظن انا نريد بها حالة تساوي الحالة التي يدركها الرائي عند النظر الى الاجسام الملونة .

وهيات ! فنحن نعترف باستحالة ذلك في حق الله تعالى ، ولكن ينبغي ان نحصل معنى هذا اللفظ في الموضع المتفق عليه ونسبكه ثم نحذف منه ما يستحيل في حق الله ، فان بقي من معانيه معنى يصح في حق الله ويسمى ذلك رؤية حقيقةً اثبتنا في حقه وقضينا بانه مرئي حقيقةً ، والا فاطلقنا اللفظ^٢ باذن الشرع واعتقدنا المعنى كما دل عليه العقل .

وتحصيله : ان الرؤية تدل على معنى له محل وهو العين ، وله متعلق وهو اللون والقدر والجسم وسائر المرئيات ، فلينظر^٣ الى حقيقة معناه الى محله الى متعلقه ولنتأمل ان الركن من جملتها في اطلاق هذا الاسم ما هو؟

فنقول : اما المحل فليس بركن في صحة هذه التسمية ، فان الحالة التي ندرکها بالعين من المرئي لو ادركناها بالقلب او بالجهة مثلا لکننا نقول : قد رأينا الشيء وابصرناه ، وصدق كلا منا فان العين محل والة لا تراد لعينها بل لتحل فيها هذه الحالة فحيث حلت فيه^٤ تمت الحقيقة وصح الاسم .

واما المتعلق بعينه فليس ركناً في اطلاق هذا الاسم وثبوت هذه الحقيقة ، فان

١- سبك الكلام : احسن ترصيفه وتهذيبه .

٢- فاطلقنا اللفظ عليه «الاقتصاد» .

٣- فلننظر - م - ط .

٤- الحالة «الاقتصاد» .

الرؤية لو كانت رؤية لتعلقها بالسواد لما كان المتعلق بالبياض رؤية، ولو كان لتعلقها باللون لما كان المتعلق بالحركة رؤية، ولو كان لتعلقها بالعرض لما كان المتعلق بالجسم رؤية، فدل ان خصوصية^١ صفات المتعلق ليس ركنا لوجود هذه الحقيقة واطلاق هذا الاسم، بل الركن فيه من حيث انه صفة متعلقة فينبغي ان يكون له متعلق موجود، اي موجود كان واي ذات كان.

فاذن الركن الذي الاسم مطلق عليه هو الامر الثالث وهو حقيقة المعنى من غير التفات الى محله ومتعلقه، فلنبحث عن الحقيقة ما هي؟ ولا حقيقة لها الا انها نوع ادراك هو كمال ومزيد كشف بالاضافة الى التخيل.

فانا نرى صورة الصديق مثلاً ثم نغمض العين فتكون صورة الصديق حاضرة في دماغنا على سبيل التخيل والتصور، ولكن^٢ لو فتحنا العين ادركنا تفرقة^٣، ولا ترجع تلك التفرقة الى ادراك صورة اخرى مخالفة لما كانت في الخيال، بل الصورة المبصرة مطابقة للمتخيلة من غير فرق بينهما، الا ان هذه الحالة الثانية كالاتكمال لحالة التخيل وكالكشف له، فتحدث فينا صورة الصديق عند فتح البصر حدوثاً اوضح واتم واكمل.

فاذن التخيل نوع ادراك على رتبة وورائه رتبة اخرى هو اتم منه في الوضوح والكشف بل هي كالتكميل له، فيسمى هذا الاستكمال بالاضافة الى الخيال رؤية وابصاراً. فكذلك من الاشياء ما نعلمه ولا نتخيله، هو ذات الله وصفاته وكل ما لا صورة جسمية له مثل القدرة والعلم والعشق والغضب والخيال والعقل، فان هذه امور نعلمها ولا نتخيلها والعلم بها نوع ادراك.

فلننظر هل يحيل العقل ان يكون لهذا الادراك مزيد استكمال نسبته اليه نسبة الابصار الى التخيل؟ فان كان ذلك يمكننا سمي ذلك الكشف والاستكمال رؤية بالاضافة الى العلم، كما سميناه بالاضافة الى التخيل رؤية.

ومعلوم ان تقدير هذا الاستكمال في الاستيضاح والاستكشاف غير محال في

١- خصوص «الاقتصاد».

٢- ولكننا - م - ط.

٣- تفرقته «الاقتصاد».

٤- والابصار «الاقتصاد».

الموجودات المعلوماتية التي ليست متخيلة كالعلم والقدرة وغيرهما، وكذا في ذات الله وصفاته، بل يكاد يدرك ضرورة من الطبع انه يتقاضى طلب مزيد استيضاح في ذات الله وصفاته وفي ذات هذه المعاني المعلومة كلها.

فنحن نقول: ان ذلك غير محال فانه لا يحيله العقل، بل العقل دليل على امكانه بل على استدعاء الطبع له، الا ان هذا الكمال في الكشف غير مبذول في هذا العالم والنفس في شغل البدن وكدورة صفاته، فاذا بعثرما في القبور وحصل ما في الصدور^١، وزكيت النفس بالشراب الطهور وصفيت بانواع التصفية والتنقية لم يمتنع ان تستعد^٢ بسببها لمزيد استكمال واستيضاح في ذات الله وفي سائر المعلومات، ويكون ارتفاع درجته عن العلم المعهود كارتفاع درجة الابصار عن التخيل، فيعبر عن ذلك بلقاء الله تعالى او مشاهدته او رؤيته او ابصاره. فاذا كان ذلك ممكنا فان^٣ خلقت هذه الحالة في العين كان اسم الرؤية بحكم وضع اللغة عليه اصدق وخلقته في العين غير مستحيل، كما ان خلقه في القلب غير مستحيل.

فاذن اذا فهم المراد بما اطلقه اهل الحق من الرؤية وعلم ان العقل لا يحيله بل يوجبه وان الشرع قد شهد له، فلا يبقى للمراوغة^٤ وجه الا على سبيل العناد او المشاحة في اطلاق عبارة الرؤية او القصور عن درك هذه المعاني الدقيقة التي ذكرنا. انتهى كلامه.

اقول: جميع ما ذكره من القاء الخصوصيات في جانب الرائي ومحل الادراك وفي جانب المرئي ومتعلق الادراك وفي كون الرؤية استكمال الادراك وان نسبتها الى العلم كنسبتها الى التخيل حق وصدق ونعم العون على ما نحن بصدده من اثبات الرؤية العقلية للعقول المجردة الكاملة، الا انه لا يفيد مطلوبه من اثبات الابصار لهذه القوة الجسمانية لذات الباري جل عزه لما ذكرنا من البرهان وما ذكره من كون خصوصية المحل غير ركن في تحقق معنى الرؤية، واطلاق الاسم واثباته بمجرد ذلك جواز رؤية ذات الله بهذا العين مغالطة نشأت من الخلط بين مطلوب ماء الشارحة ومطلوب هل البسيطة، فان بمجرد ان لو فرض انكشاف الامر العقلي او ذات الله على القوة التي في العين لكان ذلك الانكشاف رؤية

١- العاديات ٩ و ١٠.

٢- تشتغل «الاقتصاد».

٣- بان «الاقتصاد».

٤- راوغ مراوغة: صارعه - خادعه. للمنازعة «الاقتصاد».

وابصاراً لا يوجب امكان رؤية الله او الامور العقلية بالعين الحسي .

فقوله : فاذا كان ذلك ممكناً فان خلقت هذه الحالة في العين... الى اخره، نقول : العجب من هذا العظيم كيف غفل وهو اعظم من ان يجهل فساد هذا القياس وبطلانه مع تحقق الفارق، بان النفس جوهر غير جسماني لكنه محتجب في الدنيا بحجب التعلقات واغشية الحواس والظلمات، ولا يبعد ان النفس اذا تجردت عن البدن وزالت عنها الحجب وخرجت عن الاغشية الطبيعية والملابس الحسية، طالعت بقوة ذاتها الجمال الابهى وشاهدت ببصرها العقلي الجلال الاعلى والنور الانور والهياء الاقهر، لا بقوة جسمانية ولا بالخيالية، لان البرهان ان الجسماني لا يدرك الروحاني ولا القوة الخيالية مما ينال المعنى العقلي، اللهم الا بتوسط شبح او مثال للروحاني .

كما اذا رأينا شبح شخص^٣ وهو مثال لروحه وحقيقة انسانيته فصح وصدق قولنا : رأيت حقيقة زيد، وهكذا من رأى في المنامات الصادقة اشخاص الملائكة او الانبياء عليهم السلام فقد رأى حقائق ارواحهم بتوسط اشخاصهم المثالية، وكذا من رأى نبينا صلى الله عليه وآله، فقد رأى بعين الخيال حقيقة شخصه المقدس، اذ الشيطان لا يتمثل بصورته. ورؤية الله تعالى على هذا الوجه ايضا منزلة عظيمة لا يمكن ان تحصل في الدنيا بهذا البصر الطبيعي الدائر الفاتر المظلم الكدر، بل انما يجوز ذلك بعين التمثل الباطني الذي من جملة حواس الاخرة، وهذا الحواس الدنيوية كالقشور الدائرة المرمية عنها وهي الباقية.

وقوله : فلا يبقى للمراوغة^٤ وجه... الى اخره، قد علمت ان الذي يمنع ما ذهب اليه ويحيل ما زعمه هذا العظيم ليس سبيله سبيل المراوغة في البحث او العناد للحق ولا المشاحة في اطلاق العبارة، بل مبناه على اتباع البرهان المعتضد بالقرآن الحاكم بان القوى الجسمانية سيما الطبيعية تضمحل اضمحلالاً وتندك دكاً عند تحلي الامر الروحاني عليها، فكيف في مشهد النور الالهي ذي العظمة والجبروت قاهر من في الملك والملكوت؟ وعنت

١- فان - م - د .

٢- فلا يبعد ان اذا - د - انه اذا - م .

٣- رأينا شخصاً - م - د .

٤- للمنازعة «الاقتصاد» .

الوجه للحي القيوم^١.

ثم اورد طرفا اخر من الكلام في وقوعه شرعاً فقال : وقد دل الشرع على وقوعه ومداركه كثيرة ولكثرته يمكن دعوى الاجماع على الاولين في ابتاهم الى الله في طلب لذة النظر الى وجهه الكريم، ونعلم قطعاً من عقائدهم انهم كانوا ينتظرون ذلك وانهم قد فهموا جواز ذلك وسؤاله من الله تعالى بقرائن احوال رسول الله صلى الله عليه واله، وجملة من الفاظه الصريحة التي لا يدخل تحت الحصر والاجماع يدل على^٢ خروج المدارك عن الحصر.

ومن اقوى ما يدل عليه قول^٣ موسى عليه السلام : رب ارني انظر اليك^٤، فانه يستحيل ان يخفي على نبي من انبياء الله تعالى انتهى منصبه الى ان يكلمه الله تعالى شفاها ان يجهل من صفات الله^٥ ما عرفه المعتزلي.

هذا معلوم على الضرورة، فان الجهل بكونه متمتع الرؤية عند الخصم يوجب التكفير او التضليل، وهو جهل بصفة ذاته، لان استحالته عندهم لذاته، ولانه ليس بجهة، وكيف لم يعرف موسى عليه السلام انه ليس بجهة، او كيف عرف انه ليس بجهة ولم يعرف ان رؤية ما ليس بجهته محال؟

فليت شعري ماذا يضمن الخصم ويقدره من ذهول موسى عليه السلام؟ ايقدره معتقداً انه جسم في جهة ذولون؟ واتهام الانبياء عليهم السلام بذلك كفر صريح فانه تكفير للنبي، فان القائل بان الله جسم وعابد الوثن والشمس واحد، او يقول علم استحالة كونه بجهة ولكنه لم يعلم ان ما ليس بجهة فلا يرى، وهو تجهيل للنبي، لان الخصم يعتقد ان ذلك من الجليات لا من النظريات، فانت ايها المسترشد مخير بين ان تميل الى تجهيل النبي او الى تجهيل المعتزلي، فاختر لنفسك ما هو اليق بك. والسلام. انتهى.

اقول : ان الذي يصح عندنا ان يحمل طلب موسى عليه السلام رؤية الله هو انه اراد ان يحصل له من الانكشاف التام والرؤية العقلية والتمثل الباطني في الدنيا ما حصل

١- طه ١١١.

٢- لا تدخل في الحصر بالاجماع الذي يدل على «الاقتصاد».

٣- سؤال «الاقتصاد».

٤- الاعراف ١٤٣.

٥- صفات ذاته «الاقتصاد».

لمحمد صلى الله عليه وآله ليلة المعراج، لانه طلب الرؤية بهذه الالة الجسمانية الكدرة الظلمانية، لانه جل منصبه ان يطلب امرأ محالاً او ان لا يعلم ان القوة الجسمانية الحالة في عضو من الاعضاء لا تدرك خالق الارض والسماء.

واما ما ورد في الادعية الماثورة ووقع في السنة الطائفة الاسلامية في ابتهالاتهم وتضرعاتهم من طلب لذة النظر الى وجهه الكريم، فذلك لا يدل على جواز رؤيته بهذا العضو المخصوص، سيما وقد نص هذا التحريير على ان العضو المخصوص ليس بركن في حقيقة الرؤية، فاذا كانت لحقيقة الرؤية افراد متعددة بعضها صحيحة في حق الله وبعضها فاسدة في حقه، فيجب ان يحمل الوارد في الكتاب او الشريعة من الفاظ الرؤية على الوجه الصحيح في حقه لا غير، كما في سائر الفاظ الصفات المشتركة بين الحق والخلق.

الحديث الخامس

وهو التاسع والخمسون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن علي بن معبد عن عبدالله بن سنان عن ابيه» في كتاب الشيخ: سنان والد عبدالله بن سنان وكذا قال ابن داود، وفي «صه» لم يذكر الكشي غير ذلك، روى عن ابي الحسن بن ابي طاهر عن محمد بن يحيى الفارسي عن مكرم بن بشر عن الفضل بن شاذان عن ابيه عن يونس بن عبدالرحمن عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال في سنان: انه لا يزداد على الكبر الا خيرا.

وقال السيد علي بن احمد العقيقي [العلوي]: سنان بن عبدالرحمن روى ابي عن علي بن الحسن عن علي بن اسباط عن محمد بن اسحق بن عمار عن ابيه عن ابي عبدالله عليه السلام:

ان سنان بن عبدالرحمن من اهل قوله تعالى: ان الذين سبقتم منا الحسنى، ويحتمل ان يكون هذا الرجل هو الذي ذكره الكشي وان يكون غيره. انتهى.

وقال زين المحققين في الحاشية: انه ذكر الشيخ: انها غيران وكذا ابن داود^١.
«قال حضرت ابا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال: يا ابا جعفر اي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيتك؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس، موصوف بالايات معروف بالعلامات لا يجوز في حكمه، ذلك الله لا اله الا هو، قال فخرج الرجل وهو يقول: الله اعلم حيث يجعل رسالته^٢.

الشرح

كان غرض هذا الرجل من سؤاله اياه عليه السلام: اي شيء تعبد؟ تمهيد اشكال اشار اليه بقوله: رأيتك على وجه الاستفهام، يعني كيف يجوز لاحد عبادة من لم يره اصلاً؟ فان العبادة متضمنة للسؤال والخطاب والمكالمة وطلب الرحمة والمغفرة وسائر ذلك من الخضوع والخشوع والتضرع والتلق والاستكانة، وهذه كلها يستدعي حضور المعبود ومشاهدته وهي الرؤية، فيكون تعالى مرئياً فيكون جسماً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. هذه صورة الاشكال.

فاجاب عليه السلام عنه بقوله: بل لم تره العيون بمشاهدة الابصار، اي نعم رأيتك ولكن لا يستلزم مخدوراً، لان رؤيته تعالى ليست بالعين وبمشاهدة القوة البصرية الجسمية ليلزم كونه تعالى ذا وضع مادي ولا جهة حسية، ولكن رأته القلوب اي العقول الصافية عن ملابسة الابدان وغواشي الطبائع والاجرام بحقائق الايمان.

وقد مرت الاشارة سابقاً الى ان العلوم العقلية متفاوتة ظهوراً وخفاءً وانكشافاً وابهاماً، وان المعرفة اذا اشتدت وضوحاً صارت رؤية عقلية وان العلوم اذا تأكدت وضوحاً

١- وفي تعليقات رجال الطوسي: ان سنان والد عبدالله بن سنان كما عبر بذلك في باب اصحاب الصادق عليه السلام، لا ان ابا عبدالله كنية سنان وانه ابن سنان كما توهم بعض الرجالين، وذكر الشيخ في كتابه من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، وكان سنان هذا من ثقات رجال ابي عبدالله عليه السلام، يروى الكشي باسناده عن ابنه عبدالله قال: دخلت على ابي عبدالله عليه السلام انا وابي فقال عليه السلام: يا عبدالله الزم اباك فان اباك لا يزداد على الكبر الا خيراً.

وجلاءً صارت اعياناً حضورية، كما ان الخيال اذا قوي يصير حساً باطنياً والامر المتخيل اذا تأكد ظهوره ورسوخه يصير مثالا عينيا يترتب عليه الاثار الوجودية.

فنقول من الرأس : ان المدركات تنقسم الى ما يدخل تحت الخيال، كالصور الجزئية من الاجسام المتشكلة والوانها ومقاديرها واشكالها وطعومها وروائحها واصواتها، والى ما لا يدخل تحت الخيال، كذات الله وصفاته وكل ما ليس بجسم ولا جسماني، سواء كان من الصفات كالعلم والقدرة والارادة وغيرها او من الذوات كذات العقل والنفس وكطبائع الماهيات والكليات.

فالذي من القسم الاول اذا وقع في الخيال، كمن رأى انساناً ثم غمض بصره، وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر اليها، ولكن اذا فتح العين وابصر وجد تفرقة بين الادراكين، والمدرك امر واحد ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الامرين في الصورة، اذ الصورة واحدة كما قلنا وانما الافتراق لزيادة الوضوح والكشف، فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافاً، وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل طلوع الشمس وانتشار ضوئها ثم يرى عند تمام الضوء، فانه لا يفارق الحالة الاخرى للاولى الا في مزيد الانكشاف.

فاذاً الرؤية هي استكمال لادراك^١ الخيال وهو غاية الكشف، وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين، بل لو خلق الادراك الكامل لقوة في غير هذا العضو كالجبهة او كالصدر لكان رؤية ايضاً.

بل يجب ان يعلم ههنا ان القوة الخيالية للانسان هي في جوهرها اقوى ادراكاً وادوم مدركاً من هذا البصر الذي في العين وغيره من الحواس الظاهرة، لكن النفس مشغولة عنها بشواغل الطبيعة البدنية ما دامت هذه الحيوية، ولاجل ذلك يكون ادراكات هذه الحواس الظاهرة اقوى واجلى عند الانسان، فاذا خلعت عن ذاتها هذا البدن الطبيعي وتلبست بلباس الحشر وكسوة الآخرة كانت، ترى^٢ الصور الجزئية بعين الخيال ويكون رؤية الخيال عند ذلك اقوى وأوضح واصدق وأصح من رؤية البصر.

وايضاً ينبغي ان يعلم ان الصورة الخيالية اذا اشتدت وقويت لا تصير حسية طبيعية، اذا الصورة الغير المادية لا تصير بالاستكمال مادية ولا المادية بالاستعداد تصير مفارقة

١- الادراك - ط .

٢- يرى - م - د .

الآ على وجه الاستبدال وتوارد الصور كما في قوله تعالى: «وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون»^١، وتحقيق ذلك مما يطول شرحه وعليه يبتني اثبات المعاد الجسماني.

واذا فهمت ذلك في المتخيلات فاعلم ان المعقولات التي لا حصول لها في الخيال بل في العقل، ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان: احدهما اول^٢ والثانية استكمال واشتداد له، وبين الثاني والاول من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح وقوة الوجود والحصول كما بين المتخيل والمرئي، فيسمى الثاني بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاءً ورؤية، لما علمت مراراً ان الرؤية سميت رؤية لانها ادراك على سبيل المشاهدة وحضور المعلوم وزيادة الكشف، وكما ان سنة الله جارية في ان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية البصرية واشتغال النفس بشواغل هذا البدن يمنع من تمام الكشف بالرؤية الخيالية، ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية البصرية او الخيالية، لكن الحجاب في الاول خارجي عرضي يرتفع متى قصد الانسان، وفي الثاني طبيعي لا يرتفع الا بالموت.

فكذلك سنة الله جارية بان النفس ما دامت محجوبة بمقتضى الشهوات والسيئات وما غلب عليها من ردائل الاخلاق ومساوى الصفات فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن عالمي الحس والخيال، بل هذه الحيوة ايضاً حجاب عنها بالضرورة ولذا قال تعالى موسى عليه السلام. لن تراني^٣.

واما رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج^٤، فلظهور سلطان الاخرة عليه بالموت الارادي، فاذا ارتفع الحجاب بالموت فان كانت النفس عارفة غير ملوثة بالكدورات الدنياوية فعند ذلك تستعد لصفائها ونقائها عن الكدورات حيث لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ولا غبرة لان يتجلى لها الحق سبحانه متجلياً، يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما يتخيله، وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى

١- الواقعة ٦٠ و ٦١.

٢- عطف الشارح على ما قال: فنقول من الرأس: ان الملاكات تنقسم الى ما يدخل تحت الخيال... والى ما لا يدخل تحت الخيال.... وهذا قسم الثاني.

٣- الاعراف ١٤٣.

٤- اي: ما كذب الفؤاد ما رأى - النجم - ١١.

رؤية .

فاذن رؤية الله حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان، فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علواً كبيراً، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وكيف فتراه في الاخرة كذلك .

بل نقول : ان المعرفة الحاصلة في الدنيا هي التي تستكمل فيبلغ كمال الكشف والوضوح وينقلب مشاهدة، ولا يكون بين المشاهدة في الاخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من جهة زيادة الكشف والوضوح وتأكد الوجود وقوة القوام، كما في استكمال الخيال بالرؤية، واليه الاشارة بقوله : نورهم يسعى بين ايديهم وامايمهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا^١ .

وكما ينكشف له بذلك النور ذات الله وصفاته عيانا فكذلك يشاهد عالم الربوبية ويعاين الحضرة الالهية بلا كسوة المثل وصورة الخيال .

واما اذا كانت النفوس ملوثة بالكدورات الدنياوية غير منفكة عن رذائل الصفات وخبائث الملكات، فان كانت جاهلة والخبائث والاصدية متراكمة فلا تقبل الاصلاح والتهذيب، فهؤلاء هم المحجوبون عن رب العالمين ابد الابدين كما قال تعالى : كلا انهم عن ربهم يومئذ محجوبون^٢ .

وان كانت مسلمة عارفة والخبائث غير راسخة ولا منتهية حد الطبع والرین ولم يخرج عن قبول التزكية فتعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث المتدنس به، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية، واقلها لحظة واقصاها في حق المؤمنين كما في بعض الاخبار سبعة الاف سنة، فاذا اكمل الله تطهير النفس وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع فعند ذلك يستعد للقاء الله والحضرة الالهية .

فان كان ما حصله في الدنيا من الاصول الدينية علوماً حقيقية حاصلة من جهة البرهان واليقين فيلحق بالملأ الاعلى ويشرب شراب المقربين من الكأس الاوفى مطالعاً جمال الله وجلاله بعين العقل وحقيقة العرفان .

١- التحريم ٨ .

٢- المطففين ١٥ .

وان كان ما يعتقد و يأخذه من الشارع او المعلم من باب التقليد والتسليم، لا على وجه التحقيق واليقين، فدرجته بعد الخلاص دون درجة المقربين، وله ما تشتهي نفسه وتلذ عينه في كسوة الامثال، فينسرح نفسه في مواطن الجنان ومساكن الرضوان، ولا يبعد ان يتجلى الله لبعض هؤلاء على صورة معتقده بواسطة القاء شبح روحاني على حسب ما يعتقد في الدنيا مع ضرب من التجريد والتنزيه.

فهذا تحقيق القول في هذا المقام توضيحاً وتبييناً لما افاده عليه السلام بقوله: ولكن رأته القلوب بمقائق الايمان.

ثم اعلم انه قد تبين في العلوم ان الامر البسيط الذي لا مبدأ له ولا جزء بوجه من الوجوه فلا سبيل الى اكتساب معرفة ذاته الا من طريق الاستدلال بالقياس، واذ لا مشارك له في الماهية ولا يدرك من جهة الحواس، بل ذات من لا مبدأ له ولا جزء له ولا مثل، اما مجهول محض واما معلوم بصريح العرفان الكشفي، وشهود الذات المنكشفة على عين البصيرة من غير واسطة، قياس او حس، واليه الاشارة بقوله: لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس، واراد بقوله عليه السلام: ولا يشبه بالناس، ان كل ما يدركه الانسان باحدى الحواس والمشاعر فهو مشابه له لا محالة في صفته التي عليها ذلك الشيء، وهو تعالى منزه عن التشبيه.

ثم اراد ان يشير الى اندفاع شبهة اخرى وانحلال عقد اشكالها وهو: انه اذا لم يكن ذاته تعالى معلوماً لاحد من الناس، الا لواحد بعد واحد من اكابر الاولياء، فن المعبود في العبادات والمقصود في الدعوات والمرغوب اليه في نجاح الطلبات ورفع الحاجات والمرهوب عنه في النقمات وانزال البليّات؟ فاشار الى الجواب بقوله: موصوف بالايات معروف بالعلامات، وذلك لان البراهين المفيدة للقطع واليقين على قسمين:

احدهما اللمي المفيد لحقيقة المطلوب من طريق مقوماته ومباده، وهذا محال في حق

الله.

وثانيها البرهان الآني المفيد للعلم بوجود الشيء مطلقاً، لا بحقيقته المخصوصة، وهو الاستدلال من اثار الشيء واياته وافعاله وعلاماته.

فالحق الاول تعالى وان لم يكن على حقيقة ذاته برهان ولا حد، ولكن النظر في اجزاء العالم ووجود الحوادث والحركات على اتقن وجه واحكمه يعطي ان في الوجود قيوماً

ازلياً واحداً لا شريك له، عالماً قادراً حياً سميعاً بصيراً موصوفاً بالصفات الحسنى والامثال العلياء والكبرياء والالاء، فالبرهان الاتي حاكم بان في الوجود موجود كذا و كذا .
ثم هذه المعلومات اذا تأكدت ورسخت في النفس العارفة بها، استكملت النفس بها وقويت ذاتها وخرجت من القوة الى الفعل وانقلبت من حد النفسية الى حد العقل وشاهدت بعينها المكتسب وعقلها المستفاد^١ جمال الحضرة الالهية وعاينت الملائكة الاعلى واطاعها الاكوان طاعتها للملائكة^٢ المقربين .

وقوله : ولا يجوز في حكمه، اشارة الى العلم الحاصل بطريق الاستدلال بملاحظة احوال الموجودات وانتظام احوال الكائنات وارتباط السفليات بالعلويات بان مبدأ الاشياء ومبدعها عادل في الافعال بوجه لا جور في حكومته، عالم بوجه الخير فيها لا ميل في مشيئته ولا شرقي امره وقضائه، وبعده وحكمته قامت الارض والسماوات على احكم نظام وادوم قوام واحسن بقاء ودوام من غير خلل واثلام وفتور وانفصام .

وقوله : ذلك الله، اشارة الى ان الموصوف بهذه النعوت الكمالية والاوصاف الجمالية والجلالية هو الله المستجمع لجميع الكمالات الالهية بقضية العقل من جهة البرهان .
وقوله : لا اله الا هو، اشارة الى ان المدلول عليه بالالهية وصفات الربوبية هوية احدية بسيطة قدسية لا اشارة الى كنهه ولا صورة لذاته ولا قدم لعقل ولا وهم ولا حس عند ولا اطلاع لما سواه عليه الا بعد فناء التعينات واضمحلال الانيات واندكاج جبل الهويات، اذ كل شيء هالك الا وجهه^٣، لسطوة قهره وسلطانه وغلبة نوره وبرهانه . لمن الملك اليوم لله الواحد القهار^٤ .

واما قول الرجل بعد سماع هذه الكلمات منه عليه السلام : «الله اعلم حيث يجعل رسالته»، فكأنه استشم من مبادئ روائح كلماته النورية واستشعر من لطائف فوائج معانيه القدسية رائحة من اسرار الملكوت ولمعة من انوار اللاهوت، فعلم ان ما سمعه لا يتفق صدوره الا من منبع الولاية ولا يقتبس نوره الا من مشكوة الرسالة والنبوة .

١- الاستفادة - م - ط .

٢- طاعتها للملائكة . النسخة البدل .

٣- القصص ٨٨ .

٤- غافر ١٦ .

الحديث السادس وهو الستون والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن احمد بن محمد بن ابي نصر عن ابي الحسن الموصلي عن ابي عبدالله عليه السلام قال: جاء حبر الى امير المؤمنين عليه السلام: فقال: هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال فقال: وملك ما كنت اعبد ربا لم اره، قال: وكيف رأيت؟ قال: وملك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان».

الشرح

قد مضى ما يتعلق بشرح هذا الكلام فلا نعيده.

الحديث السابع وهو الحادي والستون والمائتان

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن عاصم بن حميد عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ذاكرت ابا عبدالله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فان كانوا صادقين فيملاًوا اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب»

الشرح

قوله: فيما يروون من الرؤية، اي فيما يرويه العامة من حكاية رؤية الله بهذه العين الحسية كما فهموه. قوله عليه السلام: الشمس جزء، اي نور الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي.

واعلم ان اعظم الانوار الحسية هو نور الشمس وان الانوار سواء كانت حسية او خيالية او نفسية او عقلية او الهية كلها من سنخ واحد بسيط لا تفاوت بينها الا بالشدة والضعف، لان حقيقة النور ليست الا نفس الظهور اعني به: الظاهر بذاته والمظهر لغيره، ولا شيء اظهر من النور، فلا كاشف لذاته ولا معرف له ولا فصل ولا جنس ولا حد له، فحقيقته

ترجع الى حقيقة الوجود، فلا تمايز بين احاده الا بالكمال والنقص والشدة والضعف وبامور خارجة ان وقعت في المواد الخارجية، ولا يمكن الاطلاع على هوية شيء من افراده الا بالمشاهدة الحضورية.

اذا علمت هذا فاعلم : ان ما وراء النور الشمسي الذي هو غاية الانوار الحسية ولا اشد منه في عالم الكون انوار اخرى باطنية خارجة عن ادراك البصر واحساس البصر، وتلك الانوار الباطنية بعضها فوق بعض في الصفاء والنورية، وكلما كان من تلك الانوار اشد ظهوراً واقوى وجوداً ونورية في حد ذاته، فهو باطن واخفى عن ادراك هذه الحواس الظاهرة الجسمانية، ونسبة كل طبقة الى فوقها في شدة النورية وكما لها كنسبة هذا النور الشمس الى ما هو اقرب منها من هذا العالم.

ومما اتفق عليه العرفاء ان تلك الانوار الملكوتية ادناها النفس الحيوانية المعبر عنها في القرآن بالصدر كما في قوله : افن شرح الله صدره للاسلام^١، وبعدها النفس الناطقة المعبر عنها بلسان الشريعة بالقلب لتقلبه من مرتبة النفس الى مقام الروح، وبعدها العقل النظري المعبر عنه عند الشريعة بالروح، وبعده المسمى عند العرفاء بالسر وعند الحكماء بالعقل الفعال.

ثم انه ليس لهذين الجوهرين^٢ من الجواهر الاربعة النورية الملكوتية التي هي كالعناصر الاربعة لعالم الملكوت وهما كطبقتي النار والهواء من ذلك العالم مظهر في هذا العالم لغاية علوهما وارتفاعهما فلا تعلق ولا التفات لهما بشيء من هذه الاجرام العلوية او السفلية، واما النورين الاقربين^٣ فلكل منهما مظهر ومتعلق به في هذا العالم.

فللنفوس الحيوانية مظاهرها في هذا العالم هي ابدان الحيوانات الارضية وصدر الانسان الصغير، واعظم المظاهر لا عظم افراد هذه النفس هو الكرسي وهو صدر الانسان الكبير. وكذا للنفس الناطقة وهي القلب المعنوي مظاهرها في هذا العالم هي قلوب بني ادم لمن كان له قلب، واعظم مظاهرها هو العرش الذي هو قلب العالم الكبير وبين مظهر النور النطقي، وذلك النور مستوى اسم الرحمن ومظهر سر الله.

١- الزمر ٢٢.

٢- اي : الروح والسر.

٣- اي : الصدر والقلب.

فاذا تصورت هذه المعاني فنقول: حاول عليه السلام التنبيه على فساد من زعم جواز رؤية الله بهذا العين، فانه متى كَلَّتْ هذه القوة وضعفت عن ادراك النور الشمسي — وهو من ادنى طبقات الانوار المتفاضلة في شدة النورية — ونسبته الى انزل تلك الطبقات كنسبة جزء واحد من سبعين جزءاً، وهكذا نسبة كل طبقة منها الى ما فوقها، ثم لا نسبة لاعلى تلك الطبقات الى نور الانوار لانه في شدة النورية فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى^١، فما اضل وغوى وكذب وافترى من زعم وادعى انه يمكن رؤية الله بهذه العين؟ وهو ممن يعجز عن تحديق بصره الى جرم الشمس واملاء عينه من نورها حين لا حجاب من دونها ولا سحاب.

الحديث الثامن

وهو الثاني والستون والمائتان

«محمد بن يحيى وغيره عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابي نصر عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لما اسرى بي الى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قط جبرئيل فكشف له فاره الله من نور عظمته ما احب» في قوله: لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار^٢.

الشرح

السَّرِّي السِّرِّي في الليل، وَسَرَيْتُ سَرَيْتُ وَمَسَرَيْتُ من باب صَرَبَ، وَأَسَرَيْتُ اذا سِرْتُ لَيْلاً وَأَسْرَاهُ وَأَسْرَى به مثل اخذ الخنظام وبالخنظام، وطأَ الموضع يوطأه والوطأة موضع القدم^٣.

قوله عليه السلام: فكشف له، اي كشف الله لمحمد صلى الله عليه واله، كأنه كلام الرضا عليه السلام وكذلك فاره الله من نور عظمته، الضمير الاول^٤ راجع الى الرسول صلى الله عليه واله. وقوله: ما احب، يحتمل ان يكون فاعل احب هو الرسول صلى الله عليه واله وفيه اشعار بان قوة الرؤية على قدر قوة المحبة وسعة ادراك المحب، فان المحبة عين ادراك

١ — لانه في شدة النورية فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى في هذه النورية — د — لانه طبقة فوق ما لا يتناهى

بما لا يتناهى في شدة النورية — م — لانه في شدة النورية فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى في شدة النورية — ط .

٢ — الانعام ١٠٣ .

٣ — وطأَ الشيء برجله: داسه، ووطئ يوطئ وطاءة ووطوءة الموضع: صار وطيئاً .

٤ — اي: ضمير اراه .

الملائم، فاذا كان ادراك المحبوب نفس رؤيته للمحبوب لما علمت ان ادراك النور الاحدي لا يمكن الا بالمشاهدة الحضورية، كانت قوة هذه الرؤية في مثل هذا المرئى المحبوب على قدر قوة نور الناظر المحب وقوة محبته لا على قدر شدة نور المحبوب الاحدي لانه غير متناه في شدته، فلا يحيطون به علماً.

وهذا عجيب. فان ذاته تعالى نور احدي لا انقسام ولا تبعض فيه، ثم المشاهدة والرؤية لم تقع الا لذاته من غير حجاب ولا اخذ صورة، اذ صورته ذاته ولا مثل له، ومع ذلك لم تتعلق الرؤية بكنهه ذاته وقام حقيقته ولم يتعلق ايضاً إلا بذاته وحقيقته. فاذن منشأ هذا القصور والنقصان في الرؤية من قبل الراي وقصور الناظر ونقصه عن درجة التمام واللاتناهي في المنظور.

ويحتمل ان يكون الفاعل له هو الله، اي اراه الله من نور عظمته ما اراد واحب ان يعطيه في ذلك الوقت اعني ليلة الاسراء، ولعل الذي يعطيه يوم الاخرة اضعاف ذلك من قوة الرؤية ونور البصيرة، اذ قد بقي له صلى الله عليه واله بعد من حجاب البشرية شيئاً، فاذا ارتفعت البشرية يوم القيامة وزال الحجاب بالكلية، تم حينئذ نور الرؤية واليه الاشارة بقوله: ربنا اتمم لنا نورنا^٢، فما لم يفن السالك عن نفسه بالكلية فهو بعد في حجاب نفسه، فاذا فنى عن ذاته بالكلية وهلك وجهه الفاني في وجه الله الباقي، كان عند ذلك تمام النور وغاية الحضور كما قيل: اذا تم الفقر فهو الله. وقال بعض الفقهاء:

بيني وبينك اني ينازعني
فارفع بلطفك اني من البين
وقد بلغ الكلام الى حد يدق عن الافهام وربما يحرك سلسلة المجانين ويوجب شناعة الجهال واللئام فلنمسك عنه عنان الكلام.

وقوله عليه السلام: في قوله: لا تدركه الابصار... الى اخره، متعلق بقوله ما احب او على تقدير كما او مثل او نحوهما^٣، والغرض انه لم تقع الاراتة والرؤية على وجه الاحاطة والاكتناه باتمام كما في الحديث التالي لهذا الحديث انه سئل ابو عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: لا تدركه الابصار، قال: احاطة الوهم. والله ولي الهداية والاتمام.

١ - طه ١١٠.

٢ - التحريم ٨.

٣ - والظاهر: ان هذه الآية عنوان مستقل لحديث التالي وبعدها، والكلام في تفسيرها غير مرتبط بهذا الحديث ولا تكملة لها. والله اعلم بحقائق الامور.

الحديث التاسع وهو الثالث والستون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن ابي نجران عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: لا تدركه الابصار، قال احاطة الوهم الا ترى الى قوله: قد جائكم بصائر من ربكم^١ ليس يعني به بصر العيون. فمن ابصر فلنفسه^١، ليس يعني من ابصر بعينه. ومن عمى فعليها^١، ليس يعني عمى العيون، انما عنى احاطة الوهم كما يقال: فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدرهم وفلان بصير بالثياب، الله اعظم من ان يرى بالعين»

الشرح

لما سئل عليه السلام ما في معنى قوله تعالى: لا تدركه الابصار، وما زعمته العامة من ان المراد نفي الرؤية المعتادة بهذا البصر الحسي، حاول ان ينبه على ان المراد ليس ما رعموه، لانه امر مستغن عنه وذاته تعالى اجل واعظم من ان يحتمل في حقه ذلك المعنى حتى تصير الاية محمولة على نفيه، فاشار الى ان المراد من الاية نفي احاطة الوهم به عنه وان الابصار ليست ههنا بمعنى العيون بل بمعنى العقول والاهام.

ثم استدل على ذلك بما جاء في القرآن وفي عرف اهل اللسان^٢، منه قوله تعالى: قد جائكم بصائر من ربكم، وهي جمع البصيرة اطلقت على ما يبصره ويزيد في القوة، والمراد بها آيات الله المنزلة التي يتجلى الحق فيها ويبصرها، ومعلوم انه ليس يعني بها ابصار العيون، اذ ليست الايات مبصرة بالعين الحسي بل مدركة بالعقول، وتذكير الضمير في قوله يعني باعتبار لفظ البصائر لانه لفظ مفرد وجمعيته باعتبار المعنى. ومنه قوله: فمن ابصر فلنفسه، وظاهر ان ليس المراد به من ابصر آيات الله بعينه، لانها ليست محسوسة بهذا الحس العيني. ومنه قوله تعالى: ومن عمى فعليها، على قياس ما ذكر في فمن ابصر، ليس المراد عمى العيون ولكن عمى القلوب كما في قوله تعالى: لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في

١- الانعام ١٠٥.

٢- البصر من القلب نوره الذي به يدرك حقائق الاشياء وباطنها وهو الذي يستميه الحكماء القوة القدسية والعاقلة النظرية كالبصيرة. الجمع: ابصار وبصائر «طراز اللغة».

الصدور^١.

وإذا علم من هذه المواضع الثلاثة مطابقة والتزاماً ان المراد من البصر الادراك الباطني، فكذا المراد في قوله: لا تدركه الابصار، احاطة الوهم واكتناه العقل. واعلم ان جوهر الوهم بعينه جوهر العقل ومدركاته بعينها مدركات العقل والفرق بينها بالقصور والكمال، فما دامت القوة العقلية ناقصة كانت ذات علاقة بالمواد الحسية منتكسة النظر اليها لا تدرك المعاني الا متعلقة بالمواد مضافة اليها، وربما يدعن احكام الحس لضعفها وغلبة الحواس والمحسوسات عليها فيحكم على غير المحسوس حكمها على المحسوس، فما دامت في هذا المقام يطلق عليها اسم الوهم، فاذا استقام وقوى صار الوهم عقلاً وخلص عن الزيغ والضلال والافاة والوبال.

الحديث العاشر

وهو الرابع والستون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن ابي هاشم الجعفري عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: اما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: اما تقرأ قوله تعالى: لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الابصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: ابصار العيون، قال: ان اوهام القلوب اكبر من ابصار العيون، فهو لا تدركه الاوهام وهو يدرك الاوهام»

الشرح

قول السائل: هل يوصف؟ معناه: هل يوصف بالرؤية، فاراد عليه السلام التنبيه والارشاد على نفي الرؤية مطلقاً عنه تعالى باية من القرآن، ولما ظهر من حال السائل انه قرأ القرآن وقرأ قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار استفسر عليه السلام منه هل تعرف معنى الابصار في هذه الآية؟ ولما ظهر من حاله انه لم يعرف من الابصار الا ابصار العيون، عرّفه بان اوهام القلوب اكبر واقوى في باب الادراك من ابصار العيون، لان الوهم رئيس الحواس الظاهرة والباطنة ومستخدمها ومستعملها، كما ان القلب اعني العقل رئيس الوهم ومخدمه، فالاولى ان يكون معنى الآية: لا تدركه الاوهام وهو يدرك الاوهام ليدل على

نفي الرؤية عنه تعالى مطلقاً، اذ كل ما لا يدركه الوهم فلا يدركه البصر لا محالة، بخلاف العكس، ومن يدرك الوهم فهو يدرك البصر على وجه الاولي.

الاترى ان سلطان الوهم اقوى من الحس ومدركااته اكثر وميدان ادراكه افسح وابسط؟ فان ادراك الحس مقصور على الامر المحصور في مادة معينة وفي جهة خاصة من الجهات ووضع خاص من الاوضاع بخلاف الوهم، حيث يدرك كل ما يدركه الحواس باستعمالها ثم يدرك بنفسه اموراً اخرى خارجة عن المواد والجهات والاضاع.

الحديث الحادي عشر وهو الخامس والستون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عن ذكره عن محمد بن عيسى عن داود بن القاسم عن ابي هاشم الجعفري قال: قلت لابي جعفر عليه السلام لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار، فقال: يا ابا هاشم اوهام القلوب ادق من ابصار العيون، انت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، واوهام القلوب لا تدركه فكيف ابصار العيون؟»

الشرح

قوله: اوهام القلوب ادق، مراده عليه السلام من اوهام القلوب جميع الادراكات الباطنية ومبديها، وبالجملة كل ما هو غير ادراكات الحواس الظاهرة ومحسوساتها وانما هي ادق، لان مدركاها الطف وموطنها ارفع من هذا العالم الطبيعي.

واياك ان تعتقد ان الذي ادركته القوى الباطنة كالخيال، هو بعينه الذي ادركه الحس الظاهر، وان زيداً الذي يدركه البصر في الخارج هو زيد الذي حضر في عالم الخيال، او تزعم ان عالم الخيال من اجزاء هذا العالم او تظن كما هو المشهور عند الجمهور من الحكماء وغيرهم ان الصور التي تدركه القوة الخيالية هي مرتسمة في اجزاء الدماغ وبطونه وتجاويفه؟ او ان تلك القوة نفسها قائمة بجوهر الدماغ. وانما الخلق كلهم غافلون عن ذلك الا ما شاء الله.

بل الحق كما هدانا الله سبيله وارشدنا دليله: ان القوة الخيالية وهي احدى جنود العقل جوهر مجرد عن هذا العالم، عالم المواد الطبيعية والجهات الوضعية، وكذا مدركاها خارجة عن هذا العالم، وليست الصور التي تدركها الخيال في الارض ولا في السماء ولا فيما

بينها، فان الهند والسند والبلدان النائية التي لم تدركها الحواس بل التي يخترعها الوهم والخيال، ليست بموجودة^١ في جهة من الجهات او في صقع^٢ من الاصقاع اصلاً.

ثم التي ادركتها الحاسة من خارج وفي مادة مخصوصة ليست هي بعينها في صقع الخيال والتي في الخيال، لا تدرك بهذه الحواس ولا تلمس ولا يشار اليها ولا بينها وبين جزء من هذا العالم امتداد خطي ولا اتصال بُعدي، ولعل الف رجل في ليلة واحدة لحظة واحدة ادركوا بلداً واحداً كالسند مثلاً على جهات واطراف مختلفة، او رجلاً واحداً استحضر في خياله سبع سموات واضعافاً مضاعفة منها بحيث يشاهدها كمشاهدة الحس المحسوسة، فكيف تكون هذه الصور موجودة في هذا العالم؟ والتي من اصور الحسية تكون في مادة خارجية اذاوردت الاخرى بطلت الاولى كالماء اذا صار هواء، وكذا المرسم في لوح مادي من النقوش او الارقام اذا طرأت عليه نقوش وارقام اخرى تشوش الكل وبطل بخلاف جوهر القلب وصفحة الصدر، فكلمها ازدادت الصور ادركت بلا مزاحمة.

فهذه وامثالها دلائل على ان قوة الخيال وصورها الادراكية مجردة عن هذا العالم قائمة بذواتها وذات مبدعها وقيومها، واذا كانت هذه القوة مجردة فما قبلها من العقول اولى، واذا كانت اوهام القلوب وادراكات العقول قاصرة عن البلوغ اليه تعالى كما مريبانه فكيف حال ابصار العيون؟

الحديث الثاني عشر

وهو السادس والستون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن بعض اصحابه عن هشام بن الحكم قال: الاشياء لا تدرك الا بامرین: بالحواس والقلب، والحواس ادراكها على ثلاثة معان: ادراكاً بالمداخلة وادراكاً بالتماسة وادراكاً بلا مداخلة ولا تماسة، فاما الادراك الذي بالمداخلة فالاصوات والمشام والطعوم، واما الادراك بالتماسة فعرفة الاشكال من الترتيب والتثليث ومعرفة اللين والخنش والحر والبرد، واما الادراك بلا تماسة ولا مداخلة فالبصر فانه يدرك الاشياء بلا تماسة ولا مداخلة في حيز غيره ولا في حيزه، وادراك البصر له سبيل وسبب، فسبيله الهواء

١- موجودة - م - ط .

٢- صقع - م - ط - د .

وسببه الضياء، فاذا كان السبيل متصلًا بينه وبين المرئي والسبب قائم ادرك ما يلاقي من الالوان والاشخاص، فاذا حمل البصر على ما لا سبيل له فيه رجع راجعاً فحكى ما ورائه، كالناظر في المرآة لا ينفذ بصره في المرآة، فاذا لم يكن له سبيل رجع راجعاً يحكي ما ورائه، وكذلك الناظر في الماء الصافي يرجع راجعاً فيحكي ما ورائه اذ لا سبيل له في انفاذ بصره، فاما القلب فانما سلطانه على الهواء وهو يدرك جميع ما في الهواء ويتوهمه، فاذا حمل القلب على ما ليس في الهواء موجوداً رجع راجعاً فحكى ما في الهواء، فلا ينبغي للعاقل ان يحمل قلبه على ما ليس موجوداً في الهواء من امر التوحيد جل الله وعز، فانه ان فعل ذلك لم يتوهم الا ما في الهواء موجود كما قلنا في امر البصر، تعالى الله ان يشبهه خلقه».

الشرح

قوله: الاشياء لا تدرك الا بامرین، اي المدارك على كثرتها منحصرة في امرين، لان العوالم على كثرتها منحصرة في عالمين: احدهما عالم الشهادة والدنيا وثانيها عالم الغيب والاخرة، فالمدرك لما في عالم الشهادة هو احدى الحواس الخمس والمدرك لما في عالم الغيب هو القلب، والمراد بالقلب مجمع المشاعر الباطنية اعني الخيال والوهم والعقل.

قوله: والحواس ادراكها على ثلاثة معان، اي على ثلاثة انحاء، لانها متفاوتة في اللطافة والكثافة، فالتى في غاية الكثافة هي الحاسة اللمسية وهي ادنى درجات الحيوانية وانزلها حيث لا يخلو عنه حيوان، وقد يخلو عن ما سواها كالحراطين والحلزونات، وهي ايضاً منبثة في جميع الاعضاء الكثيفة وتمام الجلد واللحم. وادراكها بالماسة ومباشرة الملموس من غير توسط شيء بينها، وهذا ايضاً دليل كثافتها وبعدها عن صقع الملكوت.

والتي في غاية اللطافة من جملتها هي الحاسة البصرية وهي ارفعها درجة من حيث ان ادراكها ليس بالماسة ولا بمدخلة شيء عليها، ومن حيث ان ادراكها يتعدى الى عالم السماويات فتدرك الكواكب التي في الفلك الثامن، ومن حيث ان التها التي بمنزلة البدن الطف. الاعضاء واشفها واقبلها لقبول النور واصغرها قدراً، فان قلة الجرم ولطافة الالة مع كثرة الادراك وشدته علامة قوة القوة وقرها الى افق التجرد والاستقلال في الوجود.

والتي هي متوسطة بين ادنى الحواس التي هي اللمس واعلاها التي هي البصر، هي الثلاث الباقية التي ادراكها بمدخلة شيء اليها وورود متوسط بينها وبين مداركها اليها،

فهي ليست بتلك الكثافة حتى تنال المادة الكثيفة الظلمانية بذاتها ولا بتلك اللطافة حتى لا تباشر بنفسها المادة الكثيفة ولا المتوسط المتأدي إليها، فهي لا تباشر كل المباشرة ولا تباين كل المبائنة، فلتوسطها بين الطرفين تباشر ولكن لا للمادة الكثيفة بل للامر المتوسط كالهواء او الماء.

وهذا ثلاث قوى: السامعة لادراك الاصوات بتوسط الهواء الحامل للكيفية الصوتية والحرفية وال كلامية، والشامة للمشام والروائح بتوسط البخار الحامل للكيفية الشمية، والذائقة للطعوم بتوسط الماء اللعابي الحامل للكيفية الذوقية.

وهذه الثلاثة ايضا متفاوتة في الكثافة واللطافة، الطفها السمع ثم الشم ثم الذوق، حسب تفاوت الاوساط، فالهواء الصافي الطف من البخار وهو الطف من الماء.

واما مدركات قوة اللمس التي معرفتها بالمماسه فهي كالاشكال من التريبع والتثليث والاستدارة والتقيب^١ للسطح، ومن التكعيب والكروية والاسطوانة والمخروطية للجسم، وكالملاسه^٢ والخشونة للسطح، وكاللين والصلابة للجسم، وكالحارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

واما مدركات البصر الذي يدرك الاشياء لا بمباشرة وتماس ولا بمواصلة امر اليه، وبالجملة لا بدخوله في حيز غيره ولا بدخول الغير في حيزه، فهي الاضواء والالوان والاشكال والاوزاع والاشخاص الجسمية وحركاتها وسكناتها.

وقوله: وادراك البصر له سبيل وسبب، اراد بالسبيل المسافة التي بينه وبين المبصر، فان ادراكه ليس بالمماسه فلا بد من بُعد بينها، وذلك البعد لا يمكن ان يكون خلاءً لاستحالتة ولما ذكرنا سابقاً، ولا ان يكون ملاءً غليظاً يحجب البصر عن المبصر، بل جسماً لطيفاً وهو الهواء وما يجري مجراه في اللطافة، وتسميته بالسبيل اما على مذهب من يرى ان الابصار بخروج شعاع من البصر الى المبصر فذاك، واما على مذهب غيره فن جهة توجه النفس الى جهة المرئي، و اراد بالسبب ما به يخرج البصر من القوة، اذ ليس في جوهر الباصرة التي في العين كفاية في ان تصير مبصرة بالفعل ولا في جواهر الالوان وما يتبعها كفاية في ان تصير مبصرة بالفعل، فاذا وقع ضوء الشمس على البصر واتصل به وعلى الالوان واتصل بها

١- قب: بناء سقفه مستدير مقعر.

٢- الملاسه: ضد خشن فهو املس.

يصير البصر بالضوء الذي استفاد من الشمس مبصراً بالفعل وتصير الالوان بذلك الضوء مبصرة مرئية بالفعل بعدما كانت كذلك بالقوة.

قوله: فاذا حمل البصر... الى اخره، اعلم ان الشعاع البصري الذي هو آلة الابصار اذا نفذ في الهواء الى جانب المرئي، فان كان هناك جسم صقيل غير ذي خلل ومنافذ كالمرآة ونحوها فلا يمكنه ان ينفذ فيه فينعكس راجعاً ويقع على خلاف جهة ذلك الصقيل، فيرى ويحكي ذلك الشيء كأنه في مقابل البصر وهو في ورائه، والا فينفذ الشعاع في الجسم المقابل ويرى بعينه لكثافته وقبوله الشعاع الشمسي والنور البصري.

وقوله: فاما القلب فانما سلطانه على الهواء... الى اخره، المراد من الهواء الفضاء ما بين الارض والسماء، فان ادراكه غير مقصور على مدركات الحواس ولا مشروط بشرائط ادراك الحواس، فيدرك جميع ما في الهواء بوساطة الحس ولا بوساطته بالتوهم، فاذا حمل القلب على ادراك ما ليس بموجود في الهواء، اي في العالم الجسماني، يعود راجعاً فيخترع صورة من عنده فيحكي لما ليس بموجود في العين بما يخترع في وهمه، وهكذا عادته في المرايا والمواضع المظلمة والمخاوف.

فلا بد للعاقل ان لا يحمل قلبه على ادراك ما ليس بموجود كحمله على الموجود، ولا يحمل على ما ليس بمحسوس كحمله على المحسوس لان يقع في غلط الوهم، وكذا من طلب ادراك الحق من طرق الحواس وقع في الزيغ والضلال، فانه تعالى اجل واعظم من ان يطلب وينال من سبيل الحس والخيال او يضرب له الامثال، فان فعل ذلك تجريباً لعرفانه فلم يثمر للطالب شيئاً الا وجدان امثاله وعبادة اقرانه، كما ذكر في امر البصر من تمثل المعدوم في جهة له^١ عند حمله لها تلك الجهة.

باب في النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه جل وتعالى

وهو الباب العاشر من كتاب التوحيد

وفيه اثنا عشر حديثاً:

الحديث الاول

وهو السابع والستون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن عباس بن معروف عن ابن ابي نجران عن حماد بن عثمان عن عبدالرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبدالملك بن اعين» قال علي بن احمد العقيقي: انه عارف، قال الكشي: يكنى ابا الضريس بالضاد المعجمة والراء والسين المهملة بعدا الياء، وروى انه ترجم الصادق عليه السلام عليه، ثم روى ان الصادق عليه السلام قال له: لم سميت ابنك ضريساً؟ فقال له: لم سماك ابوك جعفرأ؟ وروى ابو جعفر بن بابويه: ان الصادق عليه السلام زار قبره بالمدينة مع اصحابه «صه».

قال الكشي بسند تقدم في عبدالرحمن بن اعين: انه كان مستقيماً مات في حيوة ابي عبدالله عليه السلام، عن حمدويه عن محمد بن عيسى عن ابي بصير عن الحسن بن موسى عن زرارة: ان ابا عبدالله عليه السلام رفع يده ودعا له واجتهد في الدعاء وترحم عليه، علي بن الحسين عن علي بن اسباط عن علي بن الحسن بن عبدالملك بن اعين عن ابن بكير عن زرارة قال: قال ابو عبدالله عليه السلام بعد موت عبدالملك بن اعين: اللهم ان ابا الضريس كنا عنده خيرتك من خلقك فصيره في ثقل محمد صلواتك عليه وآله يوم القيامة ثم قال عليه السلام: سبحان الله اين مثل ابي الضريس لم يأت بعد؟

عن حمدويه عن يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن علي بن عطية قال ابو عبدالله عليه السلام لعبد الملك بن اعين: كيف سميت ابنك ضريساً؟ فقال: كيف سماك ابوك جعفرأ؟ قال: ان جعفرأ نهر في الجنة وضريس اسم شيطان.

«الى ابي عبدالله عليه السلام: ان قوماً بالعراق يصفون الله تعالى بالصورة والتخاطيط^١، فان رأيت جعلني الله فداك ان تكتب الى بالمذهب الصحيح من التوحيد،

فكتب اليّ سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب اليه من قبلك ، فتعالى الله الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون بخلقه المفترون على الله. فاعلم رحمك الله: ان المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه. هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان».

الشرح

التخاطيط الاشكال. قوله: من قبلك، اما بفتح القاف وسكون الباء، اي من كان قبلك، او بكسر القاف وفتح الباء، اي من كان من جهتك وتلقائك، يُعني به اهل العراق.

قوله عليه السلام: . فانف عن الله البطلان والتشبيه، امر بنفي التعطيل والتشبيه، فان جماعة ارادوا تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في التعطيل ونفي الصفات رأساً، وجماعة اخرى ارادوا ان يصفوه بصفاته العليا واسمائه الحسنى فاثبتوا له صفات زائدة على ذاته فشبّهوا بخلقه، فاكثر الناس الا القليل النادر منهم بين المعطل والمشبّه.

قوله: فلا نفي ولا تشبيه، اي يجب على المسلم ان لا يقول بنفي الصفات ولا باثباتها على وجه التشبيه.

وقوله: هو الله الثابت الموجود، اشارة الى نفي التعطيل والبطلان، وقوله: تعالى الله عما يصفه الواصفون، اشارة الى نفي التشبيه، فان الواصفين هم الذين يصفون الله بصفات زائدة ويقال لهم الصفاتية، وكل من اثبت لله صفة زائدة فهو مشبهي لا محالة.

وقوله: ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان، اي فلا تجاوزوا ما في القرآن بان تنفوا عن الله ما ورد في القرآن حتى تقعوا في ضلالة التعطيل والله يقول: ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير^١، او تثبتوا لله من الصفات ما يجب التنزيه عنها حتى تقعوا في زيغ التشبيه والله يقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون^٢.

١- الشورى ١١ .

٢- الصفات ١٨٠ .

الحديث الثاني وهو الثامن والستون والمائتان

محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن ابي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن ابي حمزة قال: قال لي علي بن الحسين عليه السلام: يا ابا حمزة ان الله لا يوصف بمحدودية، عظم ربنا عن الصفة فكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير».

الشرح

اعلم ان كثيراً من الناس ذهبوا الى صدق المشتقات كالعالم والقادر والمجيد والكريم وغيرها على شيء، واتصافه به يستدعي به قيام شيء من مبدأ الاشتقاق لذلك الشيء كالعلم والقدرة والمجد والكرم، فلا يطلق عندهم اسم العليم الاعلى من له علم زائد على ذاته ولا القادر الاعلى من له قدرة زائدة ولا المجيد الكريم الاعلى من له مجدودية وكرامة زائدة، فناطق صدق الاسامي المشتقات عندهم تحقق الصفات الزائدة عندهم، وهذا منهم مجرد دعوى بلا بيّنة والبرهان.

والمحققون من الحكماء وموافقوهم على خلاف ما ذهب اليه هؤلاء و بينوا ذلك بوجود من الشواهد والاعتبارات فقالوا: ليس من شرط الموجود او الواحد مثلا ان يكون له وجود زائد ووحدة زائدة، والا لذهب الامر متسلسلاً الى غير النهاية، بل الموجود قد يؤخذ نفس الموجود بما هو موجود، وقد يؤخذ شيء اخر كإنسان او ماء او هواء وذلك الشيء هو الموجود، وكذا الواحد قد يؤخذ على المعنى البسيط الذي هو نفس الواحد بوحدة هي غير زائدة على ذاته، وقد يؤخذ بشيء اخر موصوف بصفة الوجدانية كالإنسان الواحد والشجر الواحد والماء الواحد.

فاذا فهمت هذا فاعلم: انّ غرضه عليه السلام التنبيه على انّ اتصاف الله بصفاته العلياء انما هو على المعنى الاوّل البسيط، فهو موجود بذاته لا بصفة الوجود، واحد بذاته لا بصفة الوحدة، عليم لا بعلم زائد، وهكذا في جميع صفاته.

فقله عليه السلام: لا يوصف بمحدودية، اشارة الى انه مجيد بنفس ذاته لا بصفة المحدودية، لانه لو وصف بصفة زائدة يلزم ان يكون محدودا مدركا بالاوهام، لان تلك الصفة ليست بواجبة الوجود والا لزم تعدد الاله، تعالى الله عن الشريك علواً كبيراً، بل كانت ممكنة مخلوقة، فلزم اتصافه بصفات المخلوقات وسمات المحدثات، فكيف يوصف بصفة زائدة ممكنة من لا يدركه بصائر العقول ولا تمثله ابصار العيون وهو البصير يدرك البصائر والابصار قبل خلق القوى والمشاعر وهو اللطيف؟ فكيف يدركه الكثيف من عقل وحس وهو الخبير قبل ايجاد صفة العلم والخبر فكيف يوصف بزائد من الصفة؟

الحديث الثالث

وهو التاسع والستون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عن محمد بن اسمعيل عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد عن ابراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالوا دخلنا على ابي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ان محمدا رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة وقلنا ان هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي اسمه احمد بن حسن بن اسمعيل بن شعيب بن ميثم التمار مولى بني اسد الميثمي قال الشيخ في رجاله: من اصحاب الكاظم عليه السلام واقفي، وقال الشيخ في «ست» كوفي صحيح الحديث سليم، وفي الكشي عن حمدويه عن الحسن بن موسى: انه واقف، وقال النجاشي بعد نقل الوقف عن الكشي: وهو على كل حال ثقة صحيح الحديث معتمد عليه، وقال العلامة في «صه» وعندني فيه توقف، واعترض عليه المحشي رحمه الله بقوله: العجب من توقف المصنف في شأن الميثمي لفساد مذهبه مع مبالغة النجاشي في تعديله ومشاركة ابن فضال له في فساد المذهب وغيرها؟

وقد تقرر في القسم الاول^١ انه يعتمد على روايتهم وسيأتي في هذا القسم ترجيحه للعمل برواية يحيى بن القاسم بن ابي بصير وان كان مذهبه فاسداً، «يقولون انه اجوف الى السرة والبقية صمد فخر ساجداً لله ثم قال سبحانه ما عرفوك ولا وحدوك فمن اجل ذلك وصفوك سبحانه لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك سبحانه كيف طاعتهم انفسهم

ان يشبهوك بغيرك اللهم لا اصفك الا بما وصفت به نفسك ولا اشبهك بخلقك انت اهل لكل خير فلا تجعلني مع القوم الظالمين ثم التفت الينا فقال ما توهمتم من شيء فتوهما الله غيره ثم قال نحن آل محمد النمط الاوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي يا محمد ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر الى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق وفي سن أبناء ثلاثين سنة يا محمد عظم ربي وجل عن ان يكون في صفة المخلوقين قال قلت جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة قال ذلك محمد كان اذا نظر الى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب ان نور الله منه اخضر ومنه احمر ومنه ابيض ومنه غير ذلك يا محمد ما شهد له الكتاب والسنة فنحن القائلون به».

الشرح

الموفق الرشيد، والتوفيق تفعيل من الوفاق، والتوافق هو تناسب الامور، وتظاهرها في حصول الخير المطلوب يقال: وفقت امرك تفق بكسر الفاء فيها صادفته موافقا كما رشدت امرك، من ابناء ثلاثين سنة وهي سن تمام الحلقة الانسانية الجامعة بين كمال الصورة وجمال المعنى.

وانه اجوف الى السرة والبقية صمد، زعم بعض الناس ان العالم كله شخص واحد وذات واحدة وله جسم وروح، فجسمه جسم الكل اعني الفلك الاقصى بما فيه وروحه روح الكل والمجموع صورة الحق الاله، فقسمه الاسفل اجوف لما فيه من معنى القوة الامكانية والظلمة الهيولية والشبيهة بالخلا والعدم، وقسمه الاعلى صمد، لان الروح العقلي موجود بالفعل بلا جهة امكان استعدادي ومادة ظلمانية، تعالى عن التشبيه والتمثيل.

وخر يخر بالضم والكسر خروراً اذا سقط من علو، والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي، كذا في الصحاح الجوهري.

ولما سمع عليه السلام مقالهم الناشئة عن عدم العرفان وجرئتهم في حق الله الصادرة عن الجهل والعصيان خرّ ساجداً لله تعظيماً له تعالى واستبعاداً عما وقع منهم من الاجترار والافتراء في حقه تعالى وتحاشياً عن ذلك، ثم سبّحه تعالى تنزيهاً له وتقديساً عما يصفه الجاهلون وينعته المشبهون لعدم عرفانهم وقصورهم عن رتبة العرفان ودرجة التوحيد. ثم تعجب من انسلاخ نفوس هؤلاء المشبهين عما فطرهم الله على فطرة التوحيد

واعوجاج غرائزهم عن سنن الحق حتى وقعوا في مثل هذا الضلال البعيد والزيف الشديد، ثم خاطب الله وناداه ببرائة نفسه القدسية عن مثل ما يصفه المشبهون وعن توصيفه الا بما وصف به نفسه واستدعا منه ان لا يجعله من القوم الظالمين في حقه الضالين عن طريقه، ثم اخذ في التعليم والارشاد وحل الشبهة وفك العقدة، فهد لهم اولاً قاعدة كلية بقوله: كل ما توهمتم من شيء فتوهّموا الله غيره، لما مر سابقاً موافقاً لما روى عن محمد بن علي الباقر ان كل ما تصوّره احد في عقله او وهمه او خياله فالله سبحانه غيره وورائه، لانه مخلوق والمخلوق لا يكون من صفات الخالق.

ثم اشار الى ان الذي ورد عنه صلى الله عليه واله: خير هذه الامة النظ الاوسط، المراد نحن آل محمد الجامعون بين التنزيه والتوصيف المتوسطون بين طرفي الغلو والتقصير وجانبي التعطيل والتشبيه والبطلان والتجسيم، لا يدركنا الغالي لخروجه الى جانب التعطيل والبطلان ولا يسبقنا التالي لقصوره وعدم خروجه عن عتبة باب الصورة والتشبيه.

وانما ذكر هذا ليعلم ان معرفة صفات الله واسمائه مطلب عال ومقصد غال، وتحقيق هذا المقام العزيز المرام وتوضيحه على وجه التمام مما سيأتي عليك من ذي قبل في احاديث الاسماء وغيرها ان شاء الله.

ثم افاد تأويل ما بلغ اليهم وقرع اسماعهم من هيئات التجسيم وصفات التشبيه فذكر انها كانت من صفات محمد صلى الله عليه وآله حين ما شاهد ربه بعين قلبه وسره، فالمعنى: رأى محمد ربه رؤية عقلية حين كان محمد الرائي في هيئة الشاب الموفق وسن ابناء ثلاثين سنة، ولا بد من هذا التأويل ان كانت الرواية ثابتة، لان الرب اعظم واجل من ان يكون في صفة المخلوقين.

ثم سئل عليه السلام عن تنمة ما في الرواية وهي: وكانت رجلاه في خضرة وقيل له من كانت رجلاه في خضرة؟ فقال: ذلك محمد صلى الله عليه واله فان له قدم صدق عند ربه، وكان حين نظر الى ربه بقلبه نظراً روحانياً في مقام نوراني من حجب نور الانوار، وتلك الحجب الالهية متفاوتة النورية بعضها أخضر ومنه احمر وابيض ومنه غير ذلك.

فالنور الابيض ما هو اقرب من نور الانوار والاحضر ما هو ابعد منه فكأنه ممتزج بضرب من الظلمة لقربه من ليالي حجب الاجرام الفلكية وغيرها، والاحمر هو المتوسط بينهما، وما بين كل اثنين من الثلاثة من الانوار ما يناسبها، فاعتبر بانوار الصبح والشفق المختلفة في

الالوان لقربها وبعدها من نور الانوار الحسية اعني نور الشمس ، فالقريب من النهار هو الابيض والبعيد منه الممتزج بظلمة الليل هو الاخضر والمتوسط بينهما هو الاحمر ، ثم ما بين كل اثنين الوان اخرى مناسبة كالصفرة ما بين الحمرة والبياض والبنفسجية ما بين الخضرة والحمرة ، فتلك الانوار الالهية واقعة في طريق الذهاب الى الله بقدمي الصدق والعرفان ، لابد من مروره عليها حتى يصل اليه تعالى ، فربما يتمثل لبعض السلاك في كسوة الامثلة الحسية وربما لا يتمثل .

ثم قال : يا محمد ما شهد له الكتاب والسنة فنحن القائلون به ، معناه : ان كل ما شاهد منها فنحن العارفون بسر معناه كشفاً واهاماً ، لا انهم قائلون به تقليداً وتسليماً من غير بصيرة ، فان ذلك شأن غيرهم من احاد المسلمين .

وفيما ذكره عليه السلام اشعار بان المروي من حديث الرؤية مما ثبت نقله عنه صلى الله عليه واله عنده ، لكن القوم حملوه على ظاهر التجسيم ولذلك استبعده واستوحشه وعظم الله عنه واستعلاه علواً كبيراً .

الحديث الرابع وهو السبعون والمائتان

«علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن احمد بن بشير البرقي» هو واحمد بن الحسين روى عنها احمد بن محمد بن يحيى ضعيفان ، قال الشيخ الطوسي : ذكر ذلك ابن بابويه «صه» قيل : عبارة الشيخ في كتاب الرجال هكذا : ان الذي روى عنها محمد بن احمد بن يحيى وهو الصواب «قال حدثني عباس بن عامر» بن رباح ابو الفضل الثقفي «القصباني» الشيخ الصدوق : الثقة كثير الحديث «صه» قال النجاشي : له كتب روى عنه سعد بن عبدالله .

«قال اخبرني هارون بن الجهم» بن ثوير بن ابي فاخنة سعيد بن جهمان مولى ام هاني بنت ابي طالب ، وابن الجهم روى عن ابي عبدالله عليه السلام كوفي ثقة «صه» وقال النجاشي : القرشي الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلام روى محمد بن خالد البرقي عنه بكتابه .

«عن ابي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال قال لو اجتمع اهل السماء والارض ان يصفوا الله بعظمته لم يقدروا» .

الشرح

قوله : يصفوا الله بعظمته ، اي يصفوه على ما هو عليه من العظمة ، وقد مضى البرهان على هذا من ان الذات الاحدية والهوية القيومية ممّا لا ماهية له ولا جزء لذاته فلا حد له ولا صورة تساويه فلا حكاية عنه ، ولان وجوده الذي عين ذاته غير متناهي الشدة في النورية ، فلا يكتننه لاحظ ولا يستقر لادراكه ناظر .

الحديث الخامس

وهو الحادي والسبعون والمائتان

«سهل عن ابراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت الى الرجل عليه السلام ان من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فنهّم من يقول جسم ومنهم من يقول صورة فكتب بخطه سبحان من لا يحد ولا يوصف ليس كمثل شيء وهو السميع العليم او قال البصير» .

الشرح

الظاهر ان الذي نسب الى اصحاب أمتنا عليهم السلام ومواليهم من القول بالتجسيم او التصوير كان من باب الرموز، كما ان لا فاضل الاقدمين من الحكماء رموزا وتجوزات في باب المبدأ والمعاد، ولعل النقلة لكلامهم ايضاً تصرفوا في الالفاظ وحرفوا الكلم عن مواضعها، اذ ما من صورة امكانية وصفة خلقية الا ولها حقيقة اصلية في عالم الالهية وعالم الاسماء الربانية لكن على وجه اعلى واشرف، الا ترى ان الوجود حقيقة واحدة نوعية وهو في مرتبة جسم وفي مرتبة طبيعة وفي مرتبة نفس وفي مرتبة عقل وفي مرتبة حق؟ تعالى عن المثل والشبه، وكذا حكم كل حقيقة وجودية، اذ الاختلاف بالشدة والضعف قد ينتهي الى غاية التخالف .

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد
حكى عن هشام بن الحكم انه قال : ان بين معبوده وبين الاجسام تشابه ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه . انتهى . واراد بالتشابه التناسب كما دلّ عليه قوله بوجه من الوجوه .

وحكى الكعبي عنه انه قال : هو ذو جسم وابعاض له قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء ، وانه متحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان . وقال محمد بن عبدالكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل بعدما نقل ان هشام

بن الحكم غلا في حق علي عليه السلام حتى قال : انه اله واجب الطاعة : وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الاصول لا يجوز ان يغفل عن الزاماته على المعتزلة ، فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه ، وذلك انه الزم ابا هذيل العلاف فقال : انك تقول : الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في انه عالم بعلم وبيانها في ان علمه ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين ، فلم لا تقول انه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالأقذار ؟

ونقل ايضاً في الكتاب المذكور في مقالة غلاة الشيعة انهم قالوا : ظهور الروحاني في الجسماني^١ امر لا ينكره عاقل ، اما في جانب الخير كظهور جبرئيل عليه السلام ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر ، واما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة انسان وظهور الجن بصورة البشر حتى يتكلم بلسانه ، ولذلك نقول : ان الله تعالى ظهر بصورة الاشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه واله شخص افضل من علي عليه السلام وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم ، ومن هذا اطلقنا اسم الالهية عليهم وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلي عليه السلام دون غيره لانه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله بما^٢ يتعلق بباطن الاسرار.

قال النبي صلى الله عليه واله : انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، وعن هذا كان قتال المشركين الى الرسول صلى الله عليه واله وقاتل المنافقين الى علي عليه السلام ، وعن هذا شبهه بعيسى عليه السلام وقال : لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا . وقال : فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ، الا وهو خاصف النعل . فعلم التأويل وقاتل المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خير لا بقوة جسدية ، ادل دليل على ان فيه جزءاً الهيا وقوة ربانية ، او هو^٣ الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيديه وامر بلسانه ، وعن هذا قالوا كان موجوداً قبل خلق السموات والارض ، قال : كنا اظلة عن يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا . فتلك الظلال والصورة العرية عن الاضلال هي حقيقة^٤ وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقاً لا ينفصل عنها ، سواء كانت في هذا العالم او في

١- بالجسد الجسماني «الملل» .

٢- فيما «الملل» .

٣- ويكون هو «الملل» .

٤- فتلك الظلال وتلك الصور التي تنبئ عن الظلال هي حقيقته «الملل» .

ذلك العالم . انتهى .

فهذه جملة من مقالة هؤلاء الموالي، يظهر عند التأمل والانصاف ان صدورها عنهم ليس عن محض الجهالة والغفلة عن معنى الالهية والتوحيد الخالص عن شوب الكثرة، سواء كانت في باب تروح الجسماني او تجسم الروحاني، ولهذا قالوا فيما هو من القبيل الاول: جسم كالأجسام، وفيما هو من القبيل الثاني: فيه جزء الهي وقوة ربانية، ولم يقولوا انه اله او رب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الحديث السادس

وهو الثاني والسبعون والمائتان

«سهل عن محمد بن عيسى عن ابراهيم عن محمد بن الحكيم» الحثمي، روى عن ابي عبدالله وابن الحسن عليهما السلام يكنى ابا جعفر، له كتاب روى عنه ابنه جعفر كذا قال النجاشي، وفي الفهرست: له كتاب روى عنه حسن بن محبوب ثم ابن حكيم، له كتاب روى عنه القاسم بن اسمعيل. «قال: كتب ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام الى ابي: ان الله اعلى واجل واعظم من ان يبلغ كنه صفته، فصقوه، بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك».

الشرح

إعلم لكل واحدة من صفات الله تعالى مفهوماً كلياً عاماً من شأنه ان يعقل و يتصور في الذهن، ولها نحواً من الوجود لا يمكن ان يعقل و يتصور في ذهن من الازهان، ووزان كل واحدة من صفاته الكمالية الايجابية كوزان وجوده، وكما ان للوجود معنى مشتركاً بينه تعالى وبين الحوادث ولكن وجوده الخاص به لكونه في غاية الشدة والبهاء بما لا يبلغ احد كنهه ولا يحيطون به علماً.

فكذلك العلم معنى مشترك بين القديم والحادث، وعلم الله موجود لذاته قديم لذاته، ولكمالية وجوده علم بجميع الاشياء لا يعزب عنه ذرة في الارض ولا في السماء ولا يمكن تصور علمه لاحد، وكذا قدرته متعلقة بجميع المقدرات لشدة وجودها وفرط كماليتها مع اشتراكها مع سائر القوى، والقدر في المفهوم من معنى القدرة وكذلك في سائر الصفات الالهية.

فهكذا يجب عليك ان تعرف كون صفاته تعالى اجل واعظم من ان يبلغ احد كنهها

حتى لا يقع في التعطيل ولا في التشبيه، فلما كان الامر في صفاته على هذا المنهاج من ان لكل منها الحقيقة الالهية والوجود الرباني من حيث لا كثرة، امر عليه السلام بالتوقيف الشرعي والقصر فيها على ما ورد في الكتاب والسنة والكف عما سواه.

الحديث السابع

وهو الثالث والسبعون والمائتان

«سهل عن السندي بن الربيع» قال النجاشي: روى عن ابي الحسن موسى عليه السلام له كتاب روى عنه صفوان بن يحيى وغيره، وفي الفهرست: الكوفي: ضا. رى^١، البغدادي، له كتاب روى عنه الصفار «عن ابن ابي عمير عن حفص اخي مرازم» من اصحاب الصادق عليه السلام «عن المفضل قال سألت ابا الحسن عليه السلام عن شيء من الصفة فقال لا تجاوز^٢ ما في القرآن».

الحديث الثامن

وهو الرابع والسبعون والمائتان

«سهل عن محمد بن علي القاساني قال كتبت اليه عليه السلام ان من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد قال فكتب سبحانه من لا يحد ولا يوصف ليس كمثل شيء وهو السميع البصير».

الشرح

اما كونه تعالى منزها عن ان يحد او يوصف فقد مضى بيانه وبرهانه وكذا كونه مقدساً عن المثل والنظير، واما كونه سمياً بصيراً فيجب ان يعلم: ان السمع والبصر في حقه تعالى كلاهما على وجه اعلى واشرف من ما يفهم منها في حق المخلوقات، فان بصره يرجع الى كون ذاته بذاته بحيث يفيض عن الموجودات كلها مشاهداً اياها مكشوفة لديه مشهودة له، وكذا سمعه عبارة عن ايجاده للمسموعات، والحروف والاصوات حاضرة عنده منكشوفة^٣.

١- اي: لاصحاب الرضا والعسكري عليهما السلام، هو ابان بن محمد البجلي البزاز ويعرف بالسندي ويكنى ابا بشر، وهو ابن اخت صفوان بن يحيى ومن الكوفيين «التعليقات له - جخ».

٢- تجاوزوا (الكافي).

٣- مكشوفة - ط.

الحديث التاسع وهو الخامس والسبعون والمائتان

«سهل عن بشر بن بشار النيشابوري» وهو عم ابي عبدالله الشاذاني من اصحاب الهادي عليه السلام «قال كتبت الى الرجل ان من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد فمهم من يقول انه جسم ومنهم من يقول انه صورة فكتب اليّ سبحان^١ من لا يحد ولا يوصف ولا يشبهه شيء وهو السميع البصير».

الحديث العاشر وهو السادس والسبعون والمائتان

«سهل قال كتبت الى ابي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول^٢ جسم ومنهم من يقول^٢ صورة فان رأيت يا سيدي ان تعلمني من ذلك ما اقف عليه ولا اجوزه فعلت متطولا على عبدك فوقع بخطه سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول الله واحد احد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد خالق وليس بمخلوق يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الاجسام وغير ذلك وليس بجسم و يصور ما يشاء وليس بصورة جلّ ثناؤه وتقدست اسماؤه ان يكون له شبه هو لا غيره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

الشرح

التطول التفضيل وتطول عليه امتن عليه، قوله عليه السلام: وهذا عنكم معزول، اشارة الى انه ليس على كل احد ان يخوض في امر التوحيد لقصور اكثر الناس عن دركه، بل يكفيه ان يعتقد ان الله واحد احد... الى اخر ما ذكره.

وفي قوله: يخلق تبارك وتعالى من الاجسام، اشارة الى نفي كونه جسماً بالبرهان. اذ قد ثبتت وتحقق في موضعه: ان العلة الموجدة ومعلوها لا يجوز ان يكونا من نوع واحد، والا لزم أن يكون الشيء علة لنفسه، وذكر بيان هذا اللزوم هناك مفصلاً. وايضاً وجود العلة

١- فكتب الي: سبحان (الكافي).

٢- من يقول هو (الكافي).

الموجدة اقوى واشد من وجود المجعول، والتفاوت بالشدة والضعف في الوجودات يستلزم الاختلاف في الماهيات.

فظهر ان خالق الاجسام يمتنع ان يكون جسما من الاجسام وكذا مصور الصور يستحيل ان يكون صورة من نوعها، ومع ذلك لابد ان يكون في الافعال والاثار ضرب من المناسبة بينها وبين فاعلها وموثرها ليصير دلالات وحكايات لاسمائه وصفاته التي كلها موجودة بوجود الذات واليه الاشارة بقوله: ان يكون له شبه هو لا غيره، اي جل عن ان يكون له شبه ليس غيره من كل وجه، لا كسائر اشباه المخلوقات التي لابد بين كل شبهين منهما من اتحادهما فيما به المشابهة، والله تعالى ليس كذلك، اذ لا مساوي له لا في الذات ولا في شيء من الصفات، فكما ان وجوده لا يماثل الوجودات فعلمه لا يماثل العلوم وقدرته لا تساوي القدر وسمعه لا يشبه الاسماع وبصره لا يشبه الابصار وكذا غيرها من الصفات.

الحديث الحادي عشر وهو السابع والسبعون والمائتان

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبدالله عن الفضيل بن يسار» بالسين المهملة بعد الياء المنقطه تحتهما نقطتين، النهدي ابو القاسم عربي صميم بصري ثقة عين جليل القدر، روى عن الباقر والصادق عليهما السلام ومات في ايام الصادق عليه السلام.

وقال الكشي: حدثني علي بن محمد بن قتيبة عن الفضل بن شاذان ومحمد بن مسعود قال: كتبت الى الفضل بن شاذان عن ابن ابي عمير عن عدة من اصحابنا قال: كان ابو عبدالله عليه السلام اذا نظر الى الفضيل بن يسار مقبلا قال: بشر المخبتين، وكان يقول: ان فضيلا من اصحاب ابي واني لاحب الرجل ان يحب اصحاب ابيه، وقال الكشي ايضا: انه ممن اجتمعت العصابة على تصديقه والاقرار له بالفقه «صه».

وقال النجاشي: قال ابن نوح: يكنى ابا مسور، روى عنه هارون بن عيسى وحماد بن عيسى، وله كتاب روى عنه جماعة، وروى الكشي في مدحه روايات كثيرة من غير ذم نقلها يؤدي الى التطويل «قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول ان الله لا يوصف وكيف

يوصف وقد قال في كتابه وما قدروا الله حق قدره^١، ولا يوصف بقدر إلا كان اعظم من ذلك».

الشرح

ليس لاحد ان يصف الله الا بما يصف به نفسه، لان صفاته ذاته ولانه قال تعالى: وما قدروا الله حق قدره، ولان كل ما يتصوره الواصفون في حقه وان كان جليلا عظيما فهو اجل واعظم من ذلك، لان ذلك صفة الواصفين لا صفة الرب تعالى.

الحديث الثاني عشر

وهو الثامن والسبعون والمائتان

«علي بن محمد عن سهل بن زياد وعن غيره عن محمد بن سليمان عن علي بن ابراهيم عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام قال ان الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته ولا يبلغون كنه عظمته لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ولا يوصف بكيف ولا اين ولا حيث ولا كيف وكيف اصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف ام كيف اصفه باين وهو الذي اين اين حتى صار ايننا فعرفت اين بما اين لنا من اين ام كيف اصفه بحيث وهو الذي حيث حيث حتى صار حيثنا فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث فالله تعالى داخل في كل مكان وخارج من كل شيء لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار لا اله الا هو العلي العظيم وهو اللطيف الخبير».

الشرح

هذا الكلام مشتمل على عدة معارف الهية ومباحث حكيمية:

الاولى انه تعالى عظيم ومعنى كونه عظيماً: ان قوة الالهية^٢ التي هي شدة وجوده بلغت الى اللاتناهي بل وراء الآلاتناهي، وقد سبق الكلام في ان القوة كيف يتصف بالعظم والصغر والتناهي واللاتناهي، وهي من صفات المقادير والكميات اولا وبالذات، وانما ذلك باعتبار مقادير الاثار والافعال وكمياتها، فيقال: قوة هذا اعظم من قوة ذاك او اصغروضعفه او نصفه او عشره او عشرة امثاله او متناهية او غير متناهية. فهذا

١- الانعام ٩١.

٢- ان قوة الهية - م - د.

المعنى يطلق عليه تعالى اسم العظيم وانه غير متناه في العظمة، لا بمعنى يلزم الجسمية وقبول الانقسام، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والثانية انه رفيع، اي عالي الدرجة عن الخلائق بعيد المناسبة عنها، لا بمعنى الرفعة المكانية كالفلك الاقصى، فبينه وبين خلقه درجات وجودية ومنازل ومعارج من الحق الى الخلق ومن العبد الى الرب بعضها ظلمانية وبعضها نورانية لا بد للسالك من قطع جميعها حتى يصل الى باب الربوبية، وفي الحديث: ان لله تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة... الحديث.

والثالثة انه لا يقدر العباد على صفته، اي على توصيفه وقد مرّ بيانه.

والرابعة انهم لا يبلغون كنه عظمته، اي لا يعقل احد كنه ذاته وقد سبق برهانه.

والخامسة انه لا تدركه الابصار، لا ابصار العيون ولا ابصار الاوهام كما مر.

والسادسة انه يدرك الابصار فضلاً عن المبصرات، اذ الابصار لا تدرك انفسها ولا

الاتها ولا رؤيتها للمرئيات، لان قوتها متعلقة بتلك المواضع والالات فلا حصول لها لانفسها، والادراك مطلقاً عبارة عن حصول شيء لشيء.

والسابعة انه لطيف خبير، اي عالم بالاشياء لكونه لطيفاً، اي مجرداً عن كثافة

الجسمية وظلمة المادية، وكل مجرد عالم بذاته فهو كدعوى الشيء بيئته، واما كونه عالماً بسائر

الاشياء كلها فلان ذاته سبب لكل شيء اما بغير وسط او بوسط حصل هو ايضاً منه، والعلم

بالسبب يوجب العلم بمسببه، وما من شيء الا ويرتقى في سلسلة الاسباب اليه تعالى، فاذا

علم ذاته علماً تاماً هو ذاته، علم من ذاته ما هو سبب له علماً تاماً، واذا علم المجعول الاول

علماً هو عين ذاته علم من ذات المجعول الاول ما هو سبب له كذلك، وهكذا الحال في علمه

بالثالث من الثاني وبالرابع من الثالث وبالخامس من الرابع، فيعلم الاسباب الاولى

ومسبباتها وهكذا الى آخر الموجودات وأدنى المعلولات، واليه الاشارة بقوله تعالى: الا يعلم

من خلق وهو اللطيف الخبير!

والثامنة انه لا يوصف بكيف، اي بعرض قار لا يقبل القسمة ولا النسبة

لذاته، لانه يلزم ان يكون ذاته قابلاً وفاعلاً.

والتاسعة انه لا يوصف باين، وهو الحصول في مكان من الامكنة ولا بحيث وهو

الحصول في جهة من الجهات، لانه يلزم من ذلك كونه جسماً او في جسم.
والعاشرة البرهان على امتناع ان يوصف بكيف، وهو ان الكيف ماهية امكانية
وكل ماهية إمكانية مفتقرة الى الجعل حتى تصير موجودة، فما لم يصير وجودها مجعولا لم
يكن الماهية ماهية فلم يكن الكيف كيفاً، لان ماهية الشيء ذي الماهية فرع وجودها، وما
لم يكن الكيف كيفاً لم يعرف الكيف وما لم يعرف الكيف لا يمكن وصف الله به، ولو
فرض له تعالى في حد ذاته كيف اوانه ذو كيف لزم توقف الشيء على نفسه، فقله عليه
السلام: وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفاً، معناه ما ذكرنا من جعل الوجود واتباع
الماهية له في الموجودة.

والحادى عشر البرهان على امتناع ان يوصف تعالى باين وحيث بمثل المساق المذكور
في الكيف.

والثانية عشر في انه تعالى داخل في كل مكان ولكن لا كدخول الجسم في المكان
ولا كدخول الشيء في الزمان ولا كدخول الجزء في الكل ولا كدخول الكلي في الجزئي ولا
كدخول النوع في الشخص او الماهية في الوجود والمادة في الصورة او النفس في البدن او ما
يجري مجرى هذه الانحاء، بل هذا نحو اخر من الدخول مجهول الكنه انما نشأ من غاية عظمته
وسعة قيوميته، فلو خلى منه مكان لكان فاقد الشيء والفقد ضرب من النقص والقصور
ومرجعه الى العدم والعدم يناهى حقيقة الوجود، وقد علمت مراراً ان ذاته تعالى محض حقيقة
الوجود، وحقيقة الوجود لا يمكن ان يكون وجوداً لشيء و عدماً لشيء آخر والا لم يكن نفس
حقيقة الوجود، بل مركبا من وجود و شيء اخر يخالف الوجود، كسائر الاشياء الناقصة
الوجود. فافهم.

والثالثة عشر انه تعالى خارج من كل شيء ولكن لا كخروج شيء من مائل لشيء
فاقد اياه، ومنشأ هذا الخروج هو ايضا بعينه منشأ ذلك الدخول وهو غاية عظمته وكمالته في
الوجود، فان غاية العظمة كما يستلزم الدخول في كل شيء فكذا يستلزم الارتفاع عن كل
شيء.

فهذه ثلاثة عشرة مسألة عن المسائل الالهيات ذكرها (ع) استدلالاً وتأكيذاً على
تنزيهه تعالى عن ان ينال وصفه احداً ويدرك جماله بصر عين او بصيرة عقل، ثم عاد الى
ذكر ماهو كالفلكة والنتيجة لها بقوله لا تدركه الابصار.

باب النهي عن الجسم والصورة

وهو الباب الحادي عشر من كتاب التوحيد وفيه ثمانية احاديث:

الحديث الاول

وهو التاسع والسبعون والمائتان

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن علي بن ابي حمزة قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم: ان الله جسم صمدي نوري معرفته ضرورة بين بها على من يشاء من خلقه، فقال: سبحان من لا يعلم احد كيف هو الا هو، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس ولا يحس ولا تدركه الابصار ولا الحواس ولا يحيط به شيء ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد».

الشرح

قوله: ان الله جسم صمدي نوري، اي جسم لا كالاكاسم المخلوقة مادية ظلمانية، لاشتمالها على الاعدام والامكانات والنقائص والاستعدادات، واما الجسم العقلي كالانسان العقلي الذي اثبتة افلاطن وشيعته الذي هذا الانسان الطبيعي ظله ومثاله، فوجوده وجود صمدي، لانه مفارق عن معنى القوة والاستعداد، وانه نوري لانه ظاهر بذاته لذاته غير محتجب عن ذاته كهذه الاجسام المظلمة ذوات الايون والاضواء والجهات والحركات واليه الاشارة بقوله: معرفته ضرورة، وفي بعض النسخ: ضروري. وهذا الانسان العقلي الذي اثبتة افاضل الحكماء المتقدمون كافلاطن الالهي وشيعته مثال للبارئ تقدست اسمائه يتجلى به على من يشاء من عباده، والله تعالى منزه عن المثل لا عن المثل. وله المثل الاعلى في السموات^١.

ثم ان الذي اكتحلت عين بصيرته بنور الحق يعلم ان العالم العقلي كله مثال للحق وهذا العالم الطبيعي بسماؤه وارضه وما فيها وما بينهما مثال مثاله، وان الغيب بما فيه كان كأنه يحوي^٢ على صورة مطابقة لعالم الشهادة، اذ كان علمه سبحانه بذاته هو علمه بالعالم، فبرز العالم على صورة العالم به من كونه عالماً به.

١- الروم ٢٧.

٢- يجري - النسخة البدل.

فصورته من الجواهر او الجسم هي ذاته، ومن حيث الكم المتصل القار شدة وجوده، ومن حيث الكم المتصل الغير القار وهو الزمان سرمديته، ومن حيث الكم العددي هي عدد اسمائه، ومن حيث الكيف كونه سمياً بصيراً، ومن حيث الالين كونه مستويا على العرش، ومن حيث المتى كان الله في الازل، ومن حيث الوضع وضعه للشرايع وانه باسط اليدين بالرحمة، ومن حيث الاضافة كونه خالق الخلق، والجدة: مالك الملك، ومن ان يفعل: كل يوم هو في شأن، سنفرغ لكم ايها الثقلان^١. ومن ان يفعل: هو الذي يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات^٢، ويسمع الدعاء

فهذه كلها صورة العالم على وجه اعلى واشرف مما يوجد في كون او يتوهم او يتصور في عقل او وهم او حس، فكل ما سوى الله ظهر على صورة موحدها، فما اظهر الانفسه، والعالم مظهر الحق على الكمال فليس في الامكان ابداع من هذا العالم في رتبة وجوده الكوني، اذ ليس اكمل من موحده الحق تعالى، ولو كان في الامكان اكمل من هذا العالم لكان ثم من هو اكمل من موحده وما ثم الا الله، فليس في الامكان الا ما ظهر في الكون لا اكمل منه. فتدبر فانه لباب المعرفة اشار اليه بعض الكاملين في العرفان.

ثم ان الله اختصر من هذا العالم مختصراً مجموعاً وكتاباً وجيز النظم جامعاً يحوي على معانيه كلها من اكمل الوجوه سماه ادم وقال كما هو المروي انه خلقه على صورته، فالانسان خليفة الله وانه مجموع العالم وهو الانسان الصغير والعالم الانسان الكبير، وان شئت سم الانسان العالم الصغير

اذا عرفت الامر كما هو ثم انظر الى قوله تعالى: الم تر الى ربك كيف مد الظل^٣، لتعلم^٤ ان العالم الجسماني ظل الرب الممدود ومثاله الموجود وسينقبض الظل ويرجع بالحركة الذاتية من الشهادة الى الغيب كما دل عليه قوله تعالى: ولو شاء لجعله ساكناً، وقوله: ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً^٥

١- الرحمن ٢٩ و ٣١.

٢- التوبة ١٠٤.

٣- الفرقان ٤٥.

٤- ليعلم - م - د - ط.

٥- الفرقان ٤٥.

وبالجملة هذا الرجل اعني هشام بن الحكم اجل رتبة من ان يجهل ما يعرفه اكثر الناس في حقه تعالى من سلب الجسمية والصورة عنه سبحانه او يفترى مثل هذا الافتراء على الائمة الاولياء عليهم السلام، فبقى ان لكلامه وجهاً صحيحاً ومسلكا دقيقا ومعنى عميقا سواء انكشف ذلك له وانفتح على قلبه بابه ام لا والعلم عند الله، لكن لما كان فهم هذه المعاني في غاية الصعوبة والغموض ورأى عليه السلام اذهان الناس قاصرة عن دركها وانهم لا يعلمون من الجسم الا المحسوس، اضرب عنها الى تنزيه الله تعالى عما يصفونه من التجسيم والتحديد وتقديسه عن صفات النقص ولوازم الامكان واحوال الحدثان فقال: سبحان من لا يعلم كيف هو الا هو، تنبيهاً على ان كل ما يدركه احد غيره في نعته فهو مخلوق مصنوع وهو تعالى مجرد عنه، وان كل ما يتصوره احد فهو من باب الكيفية النفسانية، فله مثل وانه ليس كمثله شيء.

ثم اشار الى نفي الجسمية عنه تعالى على صورة قياس مضمّن من الشكل الثاني وهو: ان الله تعالى ليس بمحدود ولا محسوس، وكل جسم فهو محدود ومحسوس، فليس الله بجسم. وقوله: لا يدركه الابصار ولا الحواس، تفسير لقوله لا يحس، وقوله: ولا يحيط به شيء، تفسير لقوله لا يحد، وقوله: ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد، كالنتيجة لما سبق وهي نفي الجسمية والصورة بزيادة نفي التخطيط والتحديد العارضين لهما.

الحديث الثاني

وهو الثمانون والمائتان

«محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن حمزة بن محمد قال: كتبت الى ابي الحسن عليه السلام اسأله عن الجسم والصورة فكتب: سبحان من ليس كمثله شيء لا جسم ولا صورة. ورواه محمد بن ابي عبدالله الا انه لم يسم الرجل.»

الشرح

نفي الجسم والصورة عنه تعالى على وجه الاشارة الى برهانه وهو: ان الله لا مثل له اذ لا ماهية له، وكل جسم له مثل، فلا شيء من الجسم باله.

الحديث الثالث وهو الحادي والثمانون والمائتان

«محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن محمد بن اسمعيل بن بزيع عن محمد بن زيد» الرزامي خادم الرضا عليه السلام روى عنه محمد بن حسان الرازي. «قال: جئت الى الرضا عليه السلام اسئله عن التوحيد، فاملى علي: الحمد لله فاطر الاشياء انشاءً ومبتدعها ابتداءً بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعله فلا يصح الابتداء، خلق ما شاء كيف شاء متوحداً بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته، لا يضبطه العقول ولا تبلغه الاوهام ولا تدركه الابصار ولا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار وضل فيه تصاريف الصفات، احتجب بغير حجاب محبوب واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم. لا اله الا الله الكبير المتعال».

الشرح

فاملى علي، اي انشاءً، يقال: امليت الكتاب املاءً وامللت؛ فاطر الاشياء اي مخترعها ومبتدعها اي موجدتها من غير مثال؛ وكلت اي وهنت وضعفت، ورجل كليل اللسان وكليل الطرف، والكليل ضد الحديد، ضل فيه تصاريف الصفات اي لم يهتد اليه وصف الواصفين بانحاء تصاريفهم الصفات؛ والرؤية الفكر وهو انتقال الذهن في تصوراته.

اقول: انه عليه السلام قدم في جواب السائل عن التوحيد حمد الله باعتبار صفاته في الالهية والخالقية ليدل على سلب التجسيم والتشبيه عنه احكم دلالة واوثقها وذلك من وجوه: الاول انه فاطر الاشياء ومبتدع الذوات من نفس ذاته لا بزيادة ملكة او صنعة، كما يكتب الانسان او يني بيتا بملكة الكتابة وصنعتة البناء ولا بعبادة او ارادة زائدة او صلوح وقت او شركة احد، بل كونه هو وكونه لها فاطراً شيء واحد بلا اختلاف ذات او اختلاف جهة واعتبار.

والثاني ان ليس ايجاده للاشياء متوقفاً على وجود اصل يصنع فيه و مادة يفعل منها، فلم يكن عند ذلك مخترعاً مبتدعاً، بل هو يشيء الاشياء لا من شيء، اذ المادة وما يتعلق

بها كلها من صنعه^١ وجوده، على ان المادة ابعد الموجودات منه و احسها رتبة، فكيف يتوقف فعله المطلق على مادة او موضوع او اصل متقدم عليه؟

والثالث انه خلق الاشياء بقدرته وحكمته اللتين هما عين ذاته، اما ان ايجاده بالقدرة والحكمة: فللدلالة افعاله المحكمة المتقنة وكون العالم على اشرف نظام واحكم ترتيب واحسن تقويم عليه، واما كونهما عين ذاته: فلما علمت من نفي الزائد و بطلان التسلسل . الرابع ان ليست له في فعله وجوده غاية تدعوه اليه غير ذاته كما في سائر الفاعلين الذين لهم في فعلهم غاية يقصدونها وغرضاً يأمنونه^٢ فيتصور صورة تلك الغاية اولاً عندهم ويرتسم في ذاتهم فيقصدونها ويفعلون افعالهم لاجل حصولها ثم يستكمل ذواتهم بها، فكل فاعل ليقصد و صانع لمطلب غير ذاته فهو ناقص في ذاته، والفاعل الاول تعالى اجل من ان يصنع شيئاً لاجل شيء غير ذاته، لبرائته عن النقص والشين، بل ذاته^٣ غاية كل شيء بلا غاية كما انه مبدأ كل شيء بلا مبدأ.

والخامس وهو كالنتيجة لما سبق، انه خلق ما شاء كيف شاء متوحداً بذلك، اي خلق الموجودات بمشئته ومحبته التي هي نفس ذاته ووجوده من غير كثرة من تركيب صفة او تشريك احد.

السادس ان ايجاده للاشياء ليس الا اظهار حقيقته وانارة حكمته، فان ذاته نور الانوار فانبجست منه الانوار والاضواء وحكمته حكمة الحكم فانبعثت عنه صور الاشياء كما هي، ومن خاصية النور الاظهار ومن خاصية الحكمة الافادة والافاضة، وقد مر ان العالم اظل الحق ومثاله، وكل يعمل على شاكلته^٤.

فهذه ستة من اوصاف الربوبية ونعوت الالهية حمد الله باعتبارها.

ثم شرع في نعته ببعض محامد الذات وهو: ان وجوده تعالى لكونه حقيقة الوجود الصرف الذي لا اتم منه وهو اصل سائر الوجودات الذي لا يتناهى وجوده شدة وفوق الذي لا يتناهى عدة ومدة وكل وجود رشح وفيض وتبع عن وجوده فلا يساويه وجود ولا يدانيه

١- صنعة - م - د - ط .

٢- الامنة : الاطمئنان وسكون القلب . يؤمنونه - م .

٣- بذاته . النسخة البدل .

٤- الاسراء ٨٤ .

قوة، اذ المفاض والمفاض عليه لا يمكن ان يساوى او يدانى المفيض فضلاً عن ان يضبطه او يحفظ او يحيط به او يحده، بل هو الحافظ المحدث للاشياء المحيط بما يشاء ذاتا وعلما. فاذن لا عقل يضبطه ولا وهم يبلغه ولا بصير يدركه ولا مقدار يحيط به، فعجزت دون وصف جماله عبارة البلغاء وكلت دون ادراك جماله ابصار الناظرين ولم يهتد الى درك صفاته تصاريف اوصاف الواصفين وانحاء نعوت الناعتين.

وقوله : احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور، لما ذكر من صفات جلاله ونعوت احديته انه غير معقول لاحد ولا محسوس، ولا شك ان كلما كان هو مجهول مختلف عن الحواس والعقول فذلك لاحد من ثلاثة امور: اما لقصور واهام في ذاته، واما لحجاب من خارج و ستر بينه وبين مدركه، واما لغاية ظهوره وشدة نوره بحيث يكمل عنه الابصار او البصائر، فاشار الى ان السبب في كونه سبحانه محجوبا عن العقول مستورا عن الحواس هو الشق الثالث، بان نفى شق الثاني والشق الاول بديهي الانتفاء لا يحتاج الى البيان.

فن عرف ذاته من العرفاء الراسخين والاولياء الكاملين لم يعرفه الا بذاته لا بشيء اخر من قوة او روية^١ او صورة واليه الاشارة بقوله : عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم، اي بغير الة جسمانية. وقوله لا اله الا الله الكبير المتعال كالنتيجة لما سبق والمجموع ليا تفرق والمجمل لما فُصّل والثمرة لما اصحل

الحديث الرابع

وهو الثاني والثمانون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عمن ذكره عن علي بن العباس» الجراذيني بالراء بعد الجيم والذال المعجمة بعد الالف وقبل الياء المنقطة تحتها نقطتين وبعدها النون، الرازي روى بالغلو وغمز عليه، ضعيف جداً، له تصنيف في الممدوحين والمذمومين يدل على خبثه و تهالك مذهبه لا يلتفت اليه ولا يعبا بما رواه «صه» قال النجاشي : روى عنه احمد بن ابي عبدالله^٢.

١ - كذا في جميع النسخ والظاهر: رؤية.

٢ - روى عنه محمد بن الحسن الطائي الرازي «جش».

«عن احمد بن محمد بن محمد بن ابي نصر عن محمد بن الحكيم قال: وصفت لابي ابراهيم عليه السلام قول هشام بن سالم الجواليقي وحكيت^١ قول هشام بن الحكم انه جسم، فقال: ان الله لا يشبهه شيء اى فحش او خناء اعظم من قول من يصف خالق الاشياء بجسم او صورة او بخلقه^٢ او بتحديد او باعضاء. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الشرح

الخناء الفحش في القول.

نقل في كتاب الملل والنحل والنحل عن هشام بن الحكم مقالات في التشبيه وواقفه فيها هشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله، ونقل انه قال: هو سبعة اشبار بشبر نفسه، وانه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة.

ونقل عنه ابو عيسى الوراق انه قال: انه مماس لعرشه لا يفصل^٣ منه شيء من العرش^٤، وان مذهبه: ان الله لم يزل عالماً بنفسه و يعلم الاشياء بعد كونها بعلم، لا يقال فيه محدث او قديم لانه صفة والصفة لا توجب، ولا يقال فيه هو هو او غيره او بعضه، وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم، لانه^٥ لا يقول بحدوثها، وقال: ويريد الاشياء وارادته حركة ليست غير الله^٦ ولا هي غيره.

وقال هشام: انه تعالى على صورة الانسان^٧ اعلاه مجوف واسفله مصمت وهو ساطع يتلأأ^٨، له حواس خمس ويد ورجل وانف واذن وعين وفم وله وفرة سوداء، هو نور اسود لكنه ليس بلحم ولا دم.

فهذه وامثالها مقالات منسوبة الى هذين الرجلين، ولا شك انها بحسب الظاهر اقوال باطلة وآراء سخيصة متناقضة، لكن الرجلين ممدوحان مقبولان وردت في مدحهما

١- حكيت له (الكافي).

٢- بخلقه (الكافي).

٣- نفضل «الملل».

٤- العرش شيء عنه «الملل».

٥- الا انه «الملل».

٦- ليست هي عين الله «الملل».

٧- انسان «الملل».

٨- وهو نور ساطع يتلأأ وله «الملل».

روايات، ولعل هذه الاقوال رموزات وتجاوزات ظواهرها فاسدة وبواطنها صحيحة ولها تأويلات ومحامل، اولهما في التقول بها مصلحة دينية او غرض صحيح. والله اعلم بسرائر عباد.

الحديث الخامس

وهو الثالث والثمانون والمائتان

«علي بن محمد رفعه عن محمد بن الفرغ الرخجي» بالراء المهملة والخاء المعجمة المفتوحة والجيم، من اصحاب ابي الحسن الرضا عليه السلام ثقة. وفي رجال الشيخ رحمه الله: من رجال الجواد والهادي ايضا. وفي النجاشي: روى عن ابي الحسن موسى له كتاب روى محمد بن هلال «قال: كتبت الى ابي الحسن عليه السلام اسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة، فكتب: دع عنك حيرة الحيران واستعد بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهشامان».

الشرح

حار يحير حيرة فهو حيران، ورجل حائر اي متحير في امره لا يدري كيف يهتدي فيه، وتحير الماء اجتمع ودار. اقول: ليس في هذا الحديث قدح صريح في الهشامين، انما القدح في القول المنقول عنهما، ورب قول فاسد من قائل صحيح الاعتقاد.

الحديث السادس

وهو الرابع والثمانون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عن محمد بن اسمعيل عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد عن عبدالله بن مغيرة عن محمد بن زياد» العطار من اصحاب الصادق عليه السلام، وفي رجال ابن داود: ثقة روى ابوه عن ابي عبدالله عليه السلام، ولعله بناء على ان المراد به ابن الحسن بن زياد العطار فانه يقال له محمد بن زياد ايضا كما اتفق في سند النجاشي في رواية كتابه.

«قال سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على ابي عبدالله عليه السلام فقلت له: ان هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً الا اني اختصرت^١ لك منه احرفاً، فزعم ان الله جسم لان الاشياء شيئات: جسم و فعل الجسم، فلا يجوز ان يكون الصانع بمعنى الفعل ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل، فقال ابو عبدالله عليه السلام: و يله^٢ اما علم ان الجسم محدود متناه والصورة محدودة متناهية؟ فاذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان، واذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً، قال: قلت له: فما اقول؟ قال: لا جسم ولا صورة، وهو مجسم الاجسام ومصور الصور، لم يتجزء ولم يتناه ولم يتزائد ولم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ولا بين المنشيء والمنشأ، لكن هو المنشيء، فرق بين من جسمه وصوره وانشأه، اذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً».

الشرح

قوله: لان الاشياء شيئات، اي الاشياء الشخصية والنوعية منحصرة في شيئين هما جنسان عاليان او عرضان عامان لها، ومنشأ هذا الوهم ان الموجود عند اكثر الناس منحصر في المحسوس وما في حكمه، وكل ما لا وضع له ولا اشارة اليه فعندهم فرض وجوده مستحيل، ولو كان ما زعموه وتوهموه من كون الموجود منحصراً في المحسوس حقا لكان القول بان الشيء اما جسم واما فعل الجسم قولاً صواباً والقول بالجسمية الباريء جل مجده لازماً، وهذا اللزوم مما لا محيص عنه لكل من أنكر وراء المحسوسات وان لم يشعر به.

فهذا الاصل اي تجرد الباريء عن الجسم والجسماني في باب التوحيد ركن عظيم واكثر الناس ذاهلون عنه، ومن تصدى منهم لا ثباته لم يذكر فيه دليل يشفي العليل ويروي العليل.

وغاية ما ذكره: ان الجسم مركب من الاجزاء وليس كذلك، او من المادة والصورة ولم يثبت تركيباً خارجياً، وعلى تقدير ثبوته لم يفد الانفي كونه جسماً، فبقى احتمال كونه جسمانية اعني كونه قوة لجسم او صورة له، وليس كل قوة او صورة لجسم عرضاً قائماً به، اذ من القوى والصور ما لم يكن عرضاً ولا قائماً بالجسم من حيث ذاته ولا محتاجاً اليه من كل وجه، فيجوز ان يكون ذات الصورة امراً مقوماً للجسم مقدماً عليه ثم يتوقف في افعاله

١- اختصر (الكافي).

٢- ويحه (الكافي).

ولوازمه وتعيناته على ذلك الجسم.

وبالجملة هذا الاحتمال قائم ليس بسهل الاندفاع، وان اندفع لا يندفع الا بخوض شديد وبحث طويل وبعد تمهيد اصول عقلية وقواعد غامضة يستنكرها بل ينكرها الاكثرون.

وما ذكره في نفي الجسمية انه تعالى لو كان جسماً لشارك الاجسام في الجسمية، فلا بد من امتيازه عنها بشيء فيلزم تركبه تعالى مما به الاشتراك وما به^٢ الامتياز وكل مركب محتاج الى الجزء، هذا محال عليه تعالى.

ويرد عليه ان الامتياز قد يكون بنفس الكمالية والنقص في الامر المشترك الذاتي كامتياز الخط الطويل من الخط القصير، فانه بنفس طبيعة الخطية المشتركة بينهما لا بفصل ذاتي او خاصة عرضية، فيجوز ان يكون مرتبة كاملة من الجسم متميزاً بكماله عن سائر الاجسام وسبباً لها ولا حواها.

فان قيل: فيلزم ان يكون تأثيره، تعالى فيما بعده بمشاركة الوضع ولا وضع لشيء بالقياس الى ما لم يوجد بعد، لا ذاته ولا موضوع ذاته، ولهذا حكموا بان جسماً لا يوجد جسماً اخر ولا يوجد عن جسم اخر.

يقال: هذه القاعدة غير ثابتة عند المتكلمين، واما الذي افاده عليه السلام في نفي الجسمية عنه تعالى بقوله: اما علم ان الجسم محدود متناه والصورة محدودة متناهية، فهو افضل البراهين واجودها في هذا المطلب.

وبيانه: ان كل جسم متناه، كما دلت عليه البراهين القطعية المقدمات، واذا كان متناهياً كان محدوداً بحد واحد معين او حدود معينة فيكون مُشكَّلاً، فذلك الحد المعين والشكل المخصوص اما ان يكون من جهة طبيعة الجسمية بما هي جسمية او لاجل شيء اخر، والاول باطل والآلزم ان يكون جميع الاجسام محدودة بحد واحد وشكل واحد لا اشتراكهما في معنى الجسمية، بل يلزم ان يكون مقدار الجزء والكل وشكلهما واحداً، فيلزم ان لا جزء ولا كل ولا تعدد في الاجسام وهو محال، والثاني ايضا باطل، لان ذلك الشيء اما جسم او جسماني او مفارق عنهما، والكل محال.

١- ذلك الجسم، وهذا - م - د - ط .

٢- وما به - م - د - ط .

لأنه ان كان جسم اخر فيعود المحذور ويلزم التسلسل ، وان كان جسمانيا فيلزم الدور ، اذ وجوده لكونه جسمانيا يتوقف على تحدد ذلك الجسم ، لان الجسم ما لم يتحدد لم يوجد ، واذا كان وجود ذلك الجسم وتحدده متوقفين عليه ، كان وجوده متوقفا على ما يتوقف عليه وجوده ، فيتوقف وجود ذلك الشيء على وجوده ، وكان تحدد الجسم متوقفا على ما يتوقف على تحده ، فيتوقف تحدد ذلك الجسم على تحده فيلزم تقدم الشيء على نفسه ، هذا محال

وان كان امرا خارجا عن الاجسام والجسمانيات فيلزم كون الجسم المفروض الها مفتقراً في وجوده الى امر مفارق عن عالم الاجسام فيكون هو الاله لا الجسم ، وقد فرض الجسم الها ، هذا خلف ، مع انه عين المطلوب ، وهو نفي كونه جسماً ولا صورة في جسم .
فقوله : فاذا احتتم الحد احتمل الزيادة والنقصان ، اشارة الى ما ذكرنا من ان الجسم لا يقتضي بذاته حدا معيناً ، بل نسبته الى سائر الحدود والمقادير نسبة واحده فليس له الا القبول والاحتمال ، فلا بد في تحده بشيء من التناهي والتشكل الى سبب خارج عنه مفارق عن الجسم ، فيكون كل جسم مخلوقا ويكون الاله منزها عن التحدد والتصوير ، فلم يكن جسماً ولا صورة جسمانية .

وقوله : وهو مجسم الاجسام ومصور الصور ، اشارة الى برهان اخر على نفي الجسمية والصورية وهو : ان موجد الشيء يتمتع ان يساويه في الموجدية ، بل لا بد ان يكون وجوده اقوى واشد من وجود الشيء المعلوم ، والا لم يكن وجود احدهما بالعلية والاخر بالمعلولية اولى ، بل وجود المعلوم رشح وتبع لوجود علته المنشئة له ، واختلاف الوجودات قوة وضعفا وكمالا ونقصا منشأ اختلاف الماهيات ومعانيها الذاتية ، فمجسم الاجسام ومصور الصور ، اي جعلها نفسها ومنشئها ذاتها كيف يكون جسماً او صورة لجسم ؟ والا لكان يلزم المساواة بين الجاعل والمجوعول في الماهية وفي رتبة الوجود ، واليه الاشارة : لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ولا بين المنشئ والمنشأ .

وقوله : لكن هو المنشئ ، الظاهر انه بصيغة المفعول وضمير هو راجع الى الجسم ، وان قوله : فرق بين من جسمه وصوره ، مشتمل على حذف ، على ان الكلام في صورة قياس استثنائي صغراه مطوية ، والتقدير : انه متى كان الجسم منشأ كان بينه وبين منشئه الذي جسمه وصوره وانشأه فرق ، لكن هو المنشئ لما ترى من حدوث كثير من

الاجسام وصورها، ففرق بينه وبين من جسمه وصوره وانشأه. فثبت انه تعالى لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً، اذ الاشياء كلها مخلوق والمخلوق لا يشبه الخالق.

الحديث السابع

وهو الخامس والثمانون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عن محمد بن اسمعيل عن علي بن عباس عن الحسن بن عبدالرحمن الحماني» الذي في بعض كتب الرجال الحسن بن عبدالرحمن الانصاري الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلام «قال: قلت لابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ان هشام بن الحكم زعم ان الله جسم ليس كمثله شيء عالم سميع بصير قادر متكلم ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقاً، فقال: قاتله الله اما علم ان الجسم محدود والكلام غير المتكلم؟ معاذ الله وابره الى الله من هذا القول، لا جسم ولا صورة ولا تحديد، وكل شيء سواه مخلوق انما يكون الاشياء بارادته ومشيئته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان».

الشرح

المعاذ مصدر عاذ يعوذ ومعاذ الله، اي اعوذ بالله معاذاً به. الخطاء والغلط في الكلام المنقول عن هشام^١ في شيئين: احدهما ان الله جسم والثاني ان الكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد، فقوله عليه السلام: اما علم ان الجسم محدود، اشارة الى ابطال الاول وقوله: والكلام غير المتكلم، اشارة الى ابطال الثاني، فان العلم يجوز ان يكون عين العالم وكذا القدرة يصح كونها عين القادر بخلاف الكلام، سواء كان نفسياً او خارجياً فانه غير المتكلم فلا يجري مجرى العلم والقدرة فلا يكون الا مخلوقاً، وقوله: معاذ الله وابره الى الله من هذا القول، اي اعوذ بالله وابره اليه من القول بانه تعالى جسم وان كلامه عين ذاته، وقوله: لا جسم ولا صورة ولا تحديد، ناظر الى نفي الاول،

١- كل مانسب الى الهامين في التشبيه والتجسيم فظني انه انما نشأ من سوء الفهم لكلامهما والا فهما اجل قدراً من ذلك، واما قول الامام عليه السلام: قاتله الله، فانما ذلك لتكلمهما بمثل ذلك عند من لا يفهم وكان لهما ولا مثالهما موالي ائمتنا مرموزات كمرموزات الحكماء الاوائل وتجزوات كتجزواتهم ولا تصل اليها افهام الجماهير، ولذا نسبوهم الى التصوير والتجسيم (الوافي).

وقوله : وكل شيء سواه مخلوق ، ناظر الى نفي الثاني .
 وقوله انما يكون الاشياء بارادته ومشيئته من غير كلام ، اشارة الى دفع شبهة نشأت
 من قوله تعالى : انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، وهي ان الكلام لو كان
 مكونا مخلوقا لكان مسبوقا بكلام اخر وهو قوله تعالى : كن ، فيلزم التسلسل .
 والجواب : ان المراد منه ارادته ومشيئته . قال الزمخشري في معنى قوله : كن : انه مجاز
 من الكلام (تمثيل ، لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد
 عليه امر الامر المطاع .
 اقول : ان لنا في تحقيق كلام الله وقوله وامره خوفاً عظيماً ليس ههنا موضع كشفه
 وبيانه ولعلك تسمع منا في موضع اخر البيق به من هذا الموضوع .
 وقوله : ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان ، اشارة الى قسمي الكلام النفسي
 واللساني .

الحديث الثامن

وهو السادس والثمانون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن محمد بن حكيم قال : وصفت
 لابي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق ووصفت له قوله
 هشام بن الحكم . فقال : ان الله لا يشبهه شيء» .

الشرح

قد علمت ان علة الشيء وموجده يجب ان يكون وجوده نحو اخر من الوجود اقوى
 واشد واشرف ، ولا شك ان الجسم وصورته من جملة المخلوقات والله تعالى خالقها وموجدها ،
 فلم يكن جسماً ولا صورة لجسم ولا شيئاً اخر من الجواهر والاعراض .

تحقيق عرشي وتوحيد مشرقي

يبتنى على مقدمة وهي :

إنه قد يكون لمعنى واحد وماهية واحدة انحاء من الوجود بعضها اقوى واكمل من

بعض كماهية العلم ومفهومه، اذ من العلم ما هو عرض كعلم الانسان بغيره ومنه ما هو جوهر كعلمه بذاته ومنه ما هو واجب الوجود كعلمه تعالى بذاته وبغيره.

وبعبارة اخرى: قد يكون الشيء موجوداً بوجود يجمعه^١ وبغيره كماهية العلم والقدرة، فان العلم فينا - كيفية نفسانية غير القدرة، والقدرة غير الارادة وكلها غير الحياة، وعلم الله بالاشياء عين قدرته عليها وهما عين ارادته والجميع عين حيوته وهي كلها موجودة بوجود الذات وفينا زائدة على وجود ذاتنا.

وبعبارة اخرى: ان الشيء قد يكون له وجود تفصيلي وقد يكون له وجود اجمالي كالسواد الشديد والخط الطويل، فالاول مشتمل على السواد الضعيفة المتخالفة الحدود التي كل منها نوع مخالف للآخر عند الحكماء صارت موجودة بوجود مجمل، والثاني مشتمل على خطوط كثيرة قصيرة متفاوتة القصر والطول وجدت بوجود واحد.

اذا تمهدت هذه المقدمة فنقول: ان ماهية الجسم ومعناه، يعني الجوهر القابل للابعاد له، انحاء من الوجود بعضها اخس وادنى وبعضها اشرف واعلى، فن الجسم ما هو جسم هو ارض فقط او ماء فقط او هواء او نار، ومنه ما هو جماد فيه العناصر الاربعة موجودة بوجود واحد جمعي كما حققناه، لكنه جماد فقط من غير نمو ولا حس ولا حياة^٢ ولا نطق، ومنه ما هو جسم هو بعينه متغذ نام مولد، فجسميته اكمل من جسمية الجمادات والمعادن، ومنه ما هو مع كونه جسماً حافظ للصورة متغذياً نامياً مولداً حساساً ذو حياة حسية، ومنه ما هو مع كونه حيواناً ناطقاً مدركاً للمعقولات، فيه ماهيات الاجسام السابقة موجودة بوجود واحد جمعي لا تضاد بينها في هذا الوجود الجمعي، لكونها موجودة على وجه اللفظ واشرف وهو وجود الانسان.

ثم الانسان يوجد في عوالم متعددة وبعضها اشرف واعلى، فن الانسان ما هو انسان طبيعي ومنه ما هو انسان نفسي ومنه انسان عقلي.

اما الانسان الطبيعي: فله اعضاء محسوسة متباينة في الوضع، فليس موضع العين موضع السمع ولا موضع اليد موضع الرجل ولا شيء من الاعضاء في موضع العضو الاخر. واما الانسان النفسي: فله اعضاء متميزة لا يدرك شيء منها بالحس الظاهر،

١- يخصه - د - م .

٢- ولا صورة - م - د .

وانما يدرك بعين الخيال والحس الباطن المشترك الذي هو بعينه يبصر ويسمع ويشم ويدوق ويلمس، وتلك الاعضاء غير متخالفة الجهات والاضاع، بل لا وضع لها ولا جهة ولا يقع نحوها اشارة حسية، لانها ليست في هذا العالم وجهاته، كالانسان الذي يراه الانسان في النوم والنوم جزء من اجزاء الاخرة وشعبة منها، ولهذا قيل: النوم اخ الموت.

واما الانسان العقلي: فاعضائه روحانية وحواسه عقلية، له بصر عقلي وسمع عقلي و ذوق وشم ولمس عقلية. اما الذوق: فايث عند ربي يطعمني ويسقيني، واما الشم: فاي لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن، واما اللمس: فوضع الله يده بكتفي... الحديث، وكذلك له يد عقلية وقدم عقلي ووجه عقلي وجنب عقلي، وتلك الاعضاء والحواس العقلية كلها موجودة بوجود واحد عقلي، وهذا هو الانسان المخلوق على صورة الرحمن وهو خليفة الله في العالم العقلي مسجود الملائكة، وبعده الانسان النفساني وبعده الطبيعي.

فاذا تصورت هذه المعاني وانتقشت في صفحة خاطرك علمت ان المعنى المسمى بالجسم له انحاء من الوجود متفاوتة في الشرف والحسة والعلو والدنو من لدن كونه طبيعياً الى كونه عقلياً، فليجز ان يكون في الوجود جسم الهي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير المسمى بالاسماء الالهية المنعوت بالنعوت الربانية، على ان الواجب تعالى لا يجوز ان يكون له في ذاته فقد شيء من الاشياء الوجودية وليس في ذاته الاحدية جهة بنا في جهة وجوب الوجود وليس فيه سلب الال سلب الاعدام والنقائص.

وايضاً وجوده علم بجميع الاشياء فجميع الاشياء موجودة في هذا الشهود الالهي بوجود علمه الذي هو وجود ذاته ووجود اسمائه الحسنی وصفاته العلياء بمعانيها الكثيرة الموجودة بوجود واحد قيومي صمدتي.

باب صفات الذات

وهو الباب الثاني عشر

من كتاب التوحيد

وفيه ستة احاديث:

الحديث الاول

وهو السابع والثمانون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن محمد بن خالد الطيالسي» قال الشيخ في الفهرست : من اصحاب الكاظم عليه السلام له كتاب يروي عنه محمد بن علي بن محبوب، وقال النجاشي : روى عنه علي بن الحسن فضال وسعد بن عبدالله ثم ابن خالد الطيالسي ابو عبدالله روى عنه حميد اصولا كثيرة ومات سنة تسع وخمسين ومائتين وله سبع وتسعون سنة .
 «عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن ابي بصير قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما احدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور، قال : قلت : فلم يزل الله متحركا؟ قال : فقال .: تعالى الله عن ذلك، ان الحركة صفة محدثة بالفعل، قال : قلت : فلم يزل الله متكلمًا؟ قال : فقال : ان الكلام صفة محدثة ليست بازلية، كان الله عز وجل ولا متكلم».

الشرح

هذا الحديث مشتمل على ثلاثة مقاصد : الاول كون صفاته الحقيقة عين ذاته، والثاني كونها موجودة في الازل قبل ان توجد متعلقاتها، والثالث ان كلام الله مخلوق .
 اما المقصد الاول فنقول : ان الصفات على ثلاثة اقسام : منها سلبية محضة كالقدوسية والفردية، ومنها اضافية محضة كالمبدئية والرازقية، ومنها حقيقية سواء كانت ذات اضافة كالعالمية والقادرية اولا كالحياة والبقاء .

ولا شك ان السلوب والاضافات زائدة على الذات وزيادتها لا توجب انفعالا ولا تكثراً، لان اعتبارها بعد اعتبار السلوب عنها والمضاف اليها، لكن يجب ان يعلم ان السلوب عنه تعالى كلها راجعة الى سلب الامكان، فانه يندرج فيه سلب الجوهرية وسلب الجسمية وسلب المكان والحيث والشريك والنقص والعجز والاقفة وغير ذلك .

والاضافات في حقه تعالى كلها راجعة الى الموجدية التي يصحح جميع الاضافات كالرازقية والخالقية والعالمية والقادرية والكرم والجود والرحمة والغفران، ولو لم يكن له تعالى اضافة واحدة اتحدت فيها جميع الاضافات اللاتقة به لادى تخالف حيثياتها الى اختلاف حيثيات في الذات الاحدية .

واما الصفات الحقيقية فكلها غير زائدة على ذاته، وليس معنى عينيتها وعدم زيادتها

مجرد نفي اضدادها عنه تعالى حتى يكون علمه تعالى عبارة عن نفي الجهل وقدرته عبارة عن نفي العجز، وعلى هذا القياس في السمع والبصر وغيرهما ليلزم التعطيل، ولا ايضاً معنى كونه عالماً وقادراً أنه^١ يترتب على مجرد ذاته ما يترتب على الذات مع الصفة بان ينوب ذاته مناب تلك الصفات، ليلزم ان لا يكون اطلاق العلم والقدرة وغيرهما عليه تعالى على سبيل الحقيقة فيكون عالماً قادراً حياً سميعاً بصيراً بالمجاز فيصح سلبها عنه، لانه علامة المجاز ولازمة.

فان قلت : فما معنى قول امير المؤمنين عليه السلام : كمال التوحيد نفي الصفات

عنه ؟

قلت : معناه نفي كونها صفات عارضة موجودة بوجود زائد كالعالم والقادر في مخلوقات، فان العلم فينا صفة زائدة على ذاتنا وكذا القدرة فينا كيفية نفسانية وكذلك غيرها من الصفات

والمراد ان هذه المفهومات ليست صفات له تعالى بل صفاته ذاته وذاته صفاته، لا ان هناك شيئاً هو الذات وشيئاً اخر هو الصفة ليلزم التركيب فيه ؛ تعالى عنه علواً كبيراً. فذاته وجود و علم وقدرة وحيوة وارادة وسمع وبصر، وهو ايضاً موجود عالم قادر حي مريد سميع بصير.

فان قلت : الموجود ما قام به الوجود والعالم ما قام به العلم وكذا في سائر المشتقات .

قلنا : ليس كذلك بل ذلك متعارف اهل اللغة، لما رأوا ان اكثر ما يطلق عليه اسم المشتق لا بد فيه من صفة زائدة على الذات، كالابيض والضاحك والكاتب وغيرها، حكموا على الاطلاق ان المشتق ما قام به المبدأ، والتحقيق والاستقراء يوجبان خلافه، فانا لو فرضنا بياضاً قائماً بنفسه قلنا انه مفرق للبصر وانه ابيض، فكذا الحال فيما سواه من العالم والقادر، فالعالم ما ثبت له العلم، سواء، كان بثبوت عينه او بثبوت غيره.

فان قلت : ذاته مجهول الكنه لنا ومفهوم العلم معلوم لنا، فكيف يكون احدهما عين

الآخر؟

قلت : المعلوم لنا من العلم مفهومه الكلي المشترك المقول بالتشكيك على افراده الموجودة بوجودات مختلفة، والذي هو ذات البارئ هو فرد خاص منه، وذلك الفرد لشدة

نوريته وفرط ظهوره مجهول لنا محتجب عن عقولنا وابصارنا، وكذا القياس في سائر الصفات، ففهوماتها المشتركة معلومة، ووجودها القدسي الواجبي مجهول.

وبالجملة: الوجود معنى مشترك، في الواجب واجب وفي الممكن ممكن وفي الجوهر جوهر وفي العرض عرض، والعلم والقدرة ونظائرهما كمالات للوجود وللأشياء بما هي موجودة، وكل كمال يلحق للأشياء بواسطة الوجود فهو للوجود التام الإلهي أولاً وبالذات، فهو تعالى الحي القيوم العليم القدير المريد السميع البصير بذاته لا بصفة زائدة على ذاته، كما يقوله الصفتيون، والا يلزم الاقتدار في إفاضة هذه الكمالات على ذاته إلى حيوة وعلم وقدرة وإرادة أخرى، إذ لا يمكن إفاضة إلا من الشيء الموصوف بها.

وأما المقصد الثاني: فتحقيقه في غاية الغموض والدقة، فإن العلم والقدرة والسمع والبصر من الصفات الحقيقية التي يلزمها الإضافة، وقد علمت أن إضافاته تعالى كلها راجعة إلى الإضافة القيومية، فكيف يتصور علم ولا معلوم وقدرة ولا مقدور وسمع وبصر ولا مسموع ولا مبصر وقيوم ولا متقوم به؟ وهذه بعينها مسألة ربط الحادث بالقديم التي تحيرت فيها أفكار العلماء النظارة ولم يأتوا في تحقيقها بشيء يعتد به.

لكن يجب أن تعلم أن لكل شيء نحواً من الوجود لا ينفك عنه، فن الأشياء ما يكون وجوده تجديداً، مثل الحركة والزمان الذي مقدارها، فوجود الحركة ليس إلا تجدد أمر وتقضيته، فذلك الأمر نحو وجودها الخاص حدوث وتجدد، فيكون ثباته عين التجدد وبقاؤه عين التبدل والانقضاء.

وإذا علمت هذا فاعلم أن الحركة والتجدد كما يجري في الإين والوضع والكم والكيف يجري في الجوهر، وليس لجمهور الحكماء برهان على نفيها عن الجوهر وما ذكره مقدوح مدفوع؛ ونحن قد أقمنا البراهين على إثبات الحركة الذاتية للجواهر الجسمانية، وإن طبائع الأجسام الفلكية والعنصرية كلها حادثة الذوات متجددة الهويات لا يمكن وجودها الأعلى نحو الحدوث، فالعالم الجسماني وجوده حدوثه لا غير، فالمفيض قديم والفويض حادث والمعية ثابتة بينها، كما بين الذاتين اللذين هما معان متضائفان، لأن القدم نفس ذات الأولى والحدوث نفس ذات الثانية، وهذا في التمثيل كمعية القطرة مع البحر، فانها تقتضي لعظم

احدهما وصغر الاخر مفارقتهما .

واما المقصد الثالث فنقول : التكلم ليس الا انشاء ما يدل على ضمير المتكلم ، فالدال هو الكلام والمدلول هو المعاني والمنشيء لما يدل عليها هو المتكلم ، والمتكلمية هي ذلك الانشاء ، فان اريد بالكلام المعنى المصدرى اعني المتكلمية ، يكون من باب الاضافات ومن الصفات الاضافية ، وان اريد به الدال على المعنى ، يكون من قبيل الافعال ، وان اريد به كون الذات بحيث ينشأ منها ما يدل على المعنى ، يكون من الصفات التي هي غير زائدة في حقه تعالى على الذات ، لكن الظاهر من كلامه عليه السلام انه جعله بمعنى المتكلمية ومن الصفات الاضافية حيث قال : ان الكلام صفة محدثة ليست بازلية ، لان اضافته تعالى لا توجد الا مع وجود الفعل ، والفعل حادث فالإضافة حادثه ، ولهذا قال : كان الله عز وجل ولا متكلم ، اي الموصوف بالفعل باضافة المتكلمية^١ .

الحديث الثاني

وهو الثامن والثمانون والمائتان

«محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : كان الله ولا شيء غيره ، ولم يزل عالما بما يكون ، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه» .

الشرح

الضمير في «به» راجع الى غيره .

واعلم ان علمه تعالى بالاشياء التي هي غيره تعالى وغير صفاته واسمائه على اربع

مراتب :

احدهما مرتبة ذاته ونفس هو يته الاحدية وهو العلم الاجمالي البسيط الذي لا ايسر

منه ، وقد اشرنا الى ان ذاته تعالى كل الاشياء من حيث لا كثرة فيه .

والثانية مرتبة قضائه وعلمه التفصيلي الذي بعد الذات وهو ام الكتاب وفيها صور

جميع الاشياء معقولة مفصلة محفوظة عن التغير وهو عالم القضاء الرباني المشار اليه بقوله : وان

١- اي : لا يكون موصوفاً بالفعل بتلك الاضافة في مرتبة الذات .

من شيء الا عندنا خزائنه^١.

والثالثة مرتبة القدر وهو كتاب المحو والاثبات لقوله تعالى: يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب^٢، وفيها صور جميع الموجودات على الوجه الجزئي النفساني المتغير واحدة بعد واحدة.

والرابعة وهي اخيرة المراتب وفيه الصور الكونية المادية بعوارضها الجسمانية واحوالها الشخصية واوقاتها واحيازها المعينة واوضاعها واشكالها المحسوسة.

فاذا تقرر هذا فنقول: العلمان الاولان احدهما المسمى بالعناية والثاني المسمى بالقضاء لا يتغيران اصلا، فعلم الله بغيره اي بغير ذاته وعلمه القضائي قبل كونه ومع كونه وبعد كونه علم واحد لا يتغير ولا يتبدل، واما العلمان الاخران فكل منهما متغير لان كلاً منهما زماني جزئي.

لكن يجب ان يعلم ان هذه الصور المتعاقبة لها اعتباران: اعتبار كونها في انفسها واعتبار كونها مكشوفة مشهودة لله مرتبطة به منسوبة اليه، فهي بالاعتبار الاول متغيرة وبالاعتبار الثاني ثابتة، لان ذاته تعالى محيط بالاشياء ونسبته اليها نسبة واحدة، فالزمان بجميع اجزائه وما فيها وما معها موجودة عنه تعالى وله مرة واحدة بالقياس اليه وعلمه وعالم قضائه.

الحديث الثالث

وهو التاسع والثمانون والمائتان

«محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن الكاهلي» هو عبد الله بن يحيى كما في «صه» وربما يقال الكاهلي لآخيه اسحق وفي الفهرست: عبد الله بن يحيى، له عن البخري روى عنه احمد بن ابي عبد الله^٣ «قال: كتبت الى ابي الحسن عليه السلام في دعاء: الحمد لله منتهى علمه، فكتب الى: لا تقولن منتهى علمه فليس لعلمه منتهى ولكن قل: منتهى رضاه».

١- الحجر ٢١.

٢- الرعد ٣٩.

٣- له كتاب عن البخري «ست» الكاهلي روى عنه احمد بن محمد بن ابي نصر، وهذا الذي روى

عن البخري غير الكاهلي، وفي «مع» وكأنه الكاهلي، والله اعلم.

الشرح

هذا الحديث دال على ان الاشياء الغير المتناهية المتخالفة الماهيات في الخارج يصح كونها موجودة بوجود واحد هو الوجود الالهي ، فان معاني صفاته واسمائه ولوازمها ولوازم لوازمها كلها موجودة بوجود الذات الاحدي ، وذلك ان كان المراد بعلمه تعالى الاجمالي الكمالي الذي هو عين ذاته ، وان كان المراد علمه القضائي العقلي فيكون المعلومات الغير المتناهية اشخاصا موجودة بوجود عدة صور عقلية متناهية هي اصول كلية لتلك الاشخاص والجزئيات.

الحديث الرابع

وهو التسعون والمائتان

«محمد بن يحيى عن سعد بن عبدالله» بن ابي خلف الاشعري القمي يكنى ابا القاسم جليل القدر واسع الاخبار كثير التصانيف ، ثقة شيخ هذه الطائفة وفقهها ووجهها ولقي مولانا ابا محمد العسكري ، قال النجاشي : رأيت بعض اصحابنا يضعفون لقائه لابي محمد ويقولون : هذه حكاية موضوعة عليه ، والله اعلم ، توفي سعد رحمه الله سنة احدى وثلاث مائة وقيل : سنة تسع وتسعين ومائتين وقيل : مات يوم الاربعاء لسبع وعشرين من شهر شوال سنة ثلاث مائة في ولاية رستم.

« عن محمد بن عيسى عن ايوب بن نوح » بن دراج النخعي ابو الحسين ثقة ، له كتب وروايات ومسائل عن ابي الحسن الثالث عليه السلام ، وكان وكيلاً لابي الحسن وابي محمد عليها السلام عظيم المنزلة عندهما مأمونا شديد الورع كثير العبادة ثقة في روايات ، وابوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة صحيح الاعتقاد واخوه جميل بن دراج «صه».

نقل الشيخ في كتاب الغيبة عن عمر بن سعيد المدائني انه قال : كنت عند ابي الحسن العسكري عليه السلام اذ دخل ايوب بن نوح ووقف قدماه فامر به بشيء ثم انصرف فالتفت الى ابو الحسن عليه السلام وقال : يا عمر^١ : ان احببت ان تنظر الى رجل من اهل الجنة فانظر الى هذا «انه كتب الى ابي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل اكان يعلم الاشياء قبل ان خلق الاشياء وكونها او لم يعلم ذلك حتى خلقها واراد خلقها وتكونها ؟

فعلّم ما خلق عندما خلق وما كون عندما كون؟ فوقع بخطه: لم يزل الله عالماً بالاشياء قبل ان يخلق الاشياء كعلمه بالاشياء بعدما خلق الاشياء».

الشرح

قد سبق منا ان لعلّمه تعالى اربع مراتب، ولنعد ذلك بعبارة اوضح واصرح فنقول: قد قرع سمعك منا فيما مضى ان للاشياء وجودات مختلفة ونشآت متعددة، وان لها وجوداً كونياً ووجوداً نفسياً ووجوداً عقلياً ووجوداً إلهياً، وان الوجود كلما كان اشرف واعلى كان اكثر جمعا للمعاني والماهيات واشد حيطة بالموجودات.

فاعلم ان العناية عبارة عن احاطة علم الله بالاشياء على ما هي عليها احاطة كلية وجمعية تامة ولا محل لها، اذ ليس علم الله تعالى المستأثر لذاته الا حضور ذاته لذاته بوحدته الذاتية ولما يحضره من معاني الصفات والاسماء التي نسبتها الى وجود ذاته نسبة الماهية الى الوجود في الممكن التي هي بعين وجوده موجودة، لكن الواجب لذاته لا ماهية له ولا حد لوجوده. والصوفية اصطلاحوا عن وجوده تعالى بالاحدية وغيب الغيوب وعن صفاته واسمائه بالواحدية والاهية.

وتلك الحقيقة اول ما اقتضت بالمشيئة الذاتية جوهرأ قدسيا يسمّى بالروح الاعظم والعقل الاول والقلم الاعلى والحقيقة المحمدية على ما وردت به الاحاديث النبوية ونطقت به الحكمة الالهية وشارت اليه الايات القرآنية، قال تعالى: ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي^١ وقال: وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم^٢ وقال: اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم^٣، وله مراتب عقلية ودرجات قدسية تسمى بالجواهر العقلية والانوار القاهرة لانها مؤثرة بتأثير الله فيما تحتها من النفوس والاجرام، فقاهريتها التي هي تأثيرها بتأثير الله في غيرها صورة صفة قاهرية الله ومظهر رسمه القهار، وانها ليست من جملة العالم وما سوى الله، اذ ليس وجودها وجود الافعال، كالنفوس والاجرام، لانها خزائن علم الله ومفاتيح الغيب.

واما العالم والسوي: فهو عبارة عن مجموع الاجرام ونفوسها وقواها المتعلقة بموادها، لانها حادثة متجددة في كل حين، ثم بتوسط تلك الجواهر القدسية وما يطوها ويحملها من

١- الاسراء ٨٥ .

٢- الزخرف ٤ .

٣- العلق ٣ و ٤ .

الحقائق والصور القضائية توجد جواهر نفسانية مع اجرامها السماوية وعناصر جسمانية مع قواها وصورها الطبيعية بموادها الكونية، والكل متغيرة متجددة، فتلك النفوس السماوية هي كتاب المحو والاثبات، وكما ان العالم الروحاني العقلي بجوهره المجرد القدسي محل للقضاء الالهي باعتبار انه محل صور جميع ما في علم الله وقلم رباني باعتباره يكتب به في اللوح القدرية صوراً نفسانية كلية واخرى جزئية.

فالعالم النفساني بجرمها السماوي محل القدر، اذ الصور الكلية في عالم القضاء وهو اللوح المحفوظ في غاية الصفاء، كأنها لا يترأى ولا يتمثل، لانها موجودة بوجود تلك الجواهر العقلية، كما ان صفات الله ومعاني اسمائه موجودة بوجود الذات الالهية، فينتسخ^١ من تلك الصور في النفوس السماوية الكلية التي هي قلب العالم الجسماني الكبير كما ينتسخ^٢ بالقلم في اللوح صوراً معلومة مضبوطة بعللها واسبابها، كما يظهر في قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية، كالصور النوعية وكبريات القياس عند الطلب للرأي الجزئي المنبعث عنه العزم على الفعل.

ثم تنتقش منه في النفوس السماوية الجزئية التي هي قواها الخيالية نقوشاً جزئية متشخصة بأشكال وهيئات معينة مقارنة لاوقات مخصوصة ومقادير واطوار حسية على طبق ما يظهر في الخارج، كما ينتقش في قوتنا الخيالية الجزئية، كالصورة الجزئية وكصغريات القياس مثلاً ليحصل بانضمامها الى الكبريات رأي جزئي يحصل عنه القصد الجازم الى الفعل المعين، فيجب عنه الفعل على طبق ما في القضاء كلياً وما في القدر جزئياً.

وذلك العالم هو لوح القدر وخيال العالم وسماء الدنيا الذي اليه الكائنات اولاً من غيب الغيوب ثم يظهر في عالم الشهادة، وهو ايضا كتاب مبين كما اشير اليه في قوله تعالى: وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين^٣، وقوله: ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرئها^٤، ثم حصول تلك الصور المعينة في موادها الوضعية واوقاتها واطوارها وامكنتها هو الوجود الكوني

١ - فينسخ - م - د .

٢ - ينسخ - م - د .

٣ - هود ٦ .

٤ - الحديد ٢٢ .

الديوي الذي هو اخر المنازل .

اذا عرفت هذا فنقول : قوله عليه السلام : لم يزل الله عالماً بالاشياء ... الى اخره ، صالح لان يراد به علمه الكماي الذي هو ذاته المسمى بالعناية الالهية وصالح ايضاً ان يراد به صورة قضائه ، لان كل واحدة من المرتبتين مصونة عن التغير والنسخ ، واما المراتب الباقية فهي غير مصونة عن المحو والزوال والتغير والانتقال ، وقد ذكرنا ان عالم النفوس والاجرام كله حادث متغير .

فان قلت : فما تقول في النفوس الناطقة الفلكية وصورها الكلية وكيف تحكم

بحدوثها ؟

قلت : لم يثبت عندنا ان لها سوى النفوس الحيوانية امراً متوسطاً بينها وبين العقول الفعالة الفياضة عليها ، نعم ! تلك النفوس الجزئية لها اتصالات وتشبهات الى تلك المبادئ في حركاتها وانفعالاتها ، فناطقيتها وادراكها للكليات من جهة اتصالها بتلك العقول الفياضة باذن الله عليها ، مثل الكليات على سبيل الحكاية وصور الجزئيات على سبيل التحقق ، ونحن قد اثبتنا في مواضع من كتبنا : ان نفوس السماوات باقية الحقائق متبدلة الطبائع ، ولها من جهة اتصالها بعالم الامر والوحي بقاء ودوام ، ومن جهة اتصالها بطبائع الاجرام تجدد وحدوث وانصرام .

فهذا تحقيق علم الله بالحوادث قبل كونها وبعدها على وجه لا يلزم منه تغير لا في ذاته ولا في قضائه الازي .

الحديث الخامس

وهو الحادي والتسعون والمائتان

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد بن حمزة قال : كتبت الى الرجل اسأله ان مواليك في اختلافوا في العلم ، فقال بعضهم : لم يزل الله عالماً قبل فعل الاشياء وقال بعضهم : لا نقول لم يزل الله تعالى عالماً لان معنى يعلم يفعل ، فان اثبتنا العلم فقد اثبتنا في الازل معه شيئاً ، فان رأيت جعلني الله فدائك ان تعلمني من ذلك ما اقف عليه ولا اجوزه ، فكتب بخطه عليه السلام : لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره» .

الشرح

الموالي جمع المولى والمولى على وجوه: المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والمتصرف في امر واحد^١، والمراد ههنا الناصر، فعنى مواليك اي انصارك وشيعتك .
واعلم ان سبب هذا الاختلاف صعوبة هذه المنزلة وغموضها، فان هذا الاختلاف بعينه قد وقع بين اعاضم الفلاسفة المتقدمين، فان المشائين تبعاً لمعلمهم ارسطاطاليس ذهبوا الى ان علمه بالاشياء متقدم عليها وهو فاعل بالعناية، وان الاشراقيين تبعاً لمعلمهم افلاطن رأوا ان علمه بالاشياء مع الاشياء وان اضافة علمية هي بعينها اضافة فاعلية وان معلومية الشيء ليس الا حضور ذاته الموجودة عند العالم، وقبل الوجود لا حضور فلا علم.
ثم الطائفة الاولى ذهبوا الى ان عالميته تعالى بالاشياء بتقرر صورها العقلية وارتسام رسومها الادراكية في ذاته تعالى، واعتذروا عن ذلك بان تلك الصور وان كانت اعراضاً قائمة بذاته، الا انها ليست بصفاته، وذاته لا ينفعل عنها ولا يستكمل بها، لانها بعد الذات وهي من قبيل اللوازم المتأخرة والاثار لا من الصفات والاحوال، وايضاً لا تخلكثرتها بوحدة الذات، لانها كثرة على ترتيب السببية والمسببية وكرتتيب الواحد والاثنين والثلاثة وما بعدها، فلا تنثلم بها وحدة الذات كما لا تنثلم وحدة الواحد بكونه مبدأ للاعداد الغير المتناهية، اذ الترتيب يجمع الكثرة في وحدة.
ولما كان القول بارتسام صور الموجودات في ذاته قولاً فاسداً ومعتقداً رديئاً انكره المحقق الطوسي قدس سره القدوسي وشنع في شرحه للاشارات عليه وبين مفساده، ثم اخذ طريقاً اخر في علم الله موافقاً لما رأى الاشراقيون ولكن فات عنه تحقيق علمه تعالى بالاشياء قبل كونها، بل المسلكان كلاهما عاطلان عن اثبات علمه تعالى بالاشياء في مرتبة ذاته الاحدية، لان ذلك سر دقيق وبحر عميق والحوض فيه لم يتيسر لاحد بطريق الفكر واستعمال المقدمات، وانما ذلك بعون الله وفضله على من يشاء، فلذلك لم يأتوا عليهم في الجواب عن هذه المسألة في هذه الاحاديث المتعاقبة الا بكلام مجمل من غير تفصيل، لما رأوا من قصور الافهام والمدارك عن دركها تفصيلاً.

الحديث السادس وهو الثاني والتسعون والمائتان

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عبد الصمد بن بشير»، بالياء قبل الرءاء، العراقي بضم العين المهملة، العبدى مولا هم كوفى، ثقة ثقة، روى عن ابي عبدالله عليه السلام، «صه» وفي النجاشي والفهرست: له كتاب روى عنه عيسى بن هشام «عن فضل بن سكرة» كوفى من اصحاب الصادق عليه السلام، وفي كتاب سعد: ابو محمد «قال قلت لابي جعفر الصادق عليه السلام جعلت فداك ان رأيت ان تعلمني هل كان الله جل وجهه يعلم قبل ان يخلق الخلق انه وحده؟ فقد اختلف مواليك فقال بعضهم: قد كان يعلم قبل ان يخلق شيئاً من خلقه وقال بعضهم: انما معنى يعلم يفعل فهو اليوم يعلم انه لا غيره قبل فعل الاشياء فقالوا: ان اثبتنا انه لم يزل عالماً بأنه لا غيره فقد اثبتنا معه غيره في ازلته فان رأيت يا سيدي ان تعلمني ما لا أعدوه الى غيره؟ فكتب ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره.

الشرح

قول القائل الثاني: فهو اليوم يعلم انه لا غيره قبل الاشياء يعني لم يكن الله عالماً قبل وجود كل شيء انه كان غيره حتى يوجد، فاذا اوجده فعند ايجاده وحدوثه يعلم انه كان غيره سابقاً ولاحقاً، اذ لو علم قبل ايجاده للاشياء انه غيرها لكان اثبت معه في الازل غيره من الاشياء، وبالعكس النقيض: اذا لم يكن معه في ازلته شيء غيره، فلم يكن عالماً في الازل بانه ليس غيره، وهذا في نفسه شبهة.

والجواب: ان علمه تعالى بذاته لما كان نفس ذاته، فكما يكفي وجود ذاته في انه هو هو وليس هو غيره، فكذلك علمه بذاته الذي هو عين وجود ذاته هو بعينه علم بانه ليس غيره، ولا حاجة في هذا العلم الاجمالي بانه ليس غيره الى صورة ذلك الغير، كما لا حاجة في كون كل شيء انه ليس غيره الى وجود الغير.

وقوله: معنى يعلم يفعل، هذا يوافق مذهب الحكماء الاشراقيين، فان اضافة العالمية عندهم بعينها اضافة اليجاد، وهذا صحيح في علمه تعالى الذي هو مع الاشياء وهو علمه الذي بعد الذات.

والبرهان عليه : ان الاول تعالى عالم بذاته من غير تغاير بين ذاته وعلمه بذاته في الوجود الا بحسب المفهوم واعتبار المعتبرين ، وقد حكموا بأن علمه تعالى بذاته علة علمه بالعقل الاول وبتوسطه بسائر المجعولات ، كما ان وجود ذاته علة لوجود العقل الاول وبتوسطه لسائر المجعولات .

فاذا حكمت بكون العلتين ، اعني ذاته وعلمه بذاته ، شيئاً واحداً بلا اختلاف الا في العبارة والمفهوم ، فاحكم بكون المعلولين ايضاً ، اعني وجود العقل الاول وعلمه تعالى به ، شيئاً واحداً من غير تغاير يقتضي كون احدهما مبايناً للاول والثاني متقررأ فيه .

فاذن وجود المعلول الاول هو نفس علمه تعالى به من غير صورة اخرى مستأنفة ، وهكذا الكلام في المعلول الثاني والثالث الى تمام الجواهر العقلية التي هي كلمات الله التامات التي وقعت الاستعاذة بها في الادعية النبوية عن الشرور والافات ، وهي عالم امر الله ، فهي بالحقيقة كلام الله الذي قال قوم : انه مقارعة وقعت بين العلم والقدرة ، لان تلك الكلمات كل منها علم وقدرة معاً وبتوسطها يعلم سائر الاشياء ويوجد ، لان تلك الجواهر تعقل ما ليس بمعلولات لها بمصول صور فيها ، وهي تعقل الاول وما يصدر عنه ، ولا موجود الا وهو مقدور مجعول للاول تعالى ، كأن جميع صور الموجودات الكلية والجزئية على ما هو عليه الوجود حاصلة فيها ، وهي صورة القضاء الالهي الذي ذكرنا في الحديث السابق ، فالله تعالى يعقل تلك الجواهر مع تلك الصور وكذلك الوجود على ما هو عليه ، فاذن لا يعرب عن علمه مثقال ذرة .

هذا ما ذكره المحقق الطوسي موافقاً لمذهب الاشراقين^١ ولا شك في صحته ، الا ان الاكتفاء في حق علم الله بهذا القدر تقصير وتفريط ، فاين علمه السابق على جميع الاشياء الذي هو من صفاته الكمالية ؟ واين عنايته تعالى بما سواه ؟ فاذن المصير الى ما ذكرناه واليه الاشار بقوله عليه السلام : ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ، قولاً مجملاً لليلة التي ذكرناها ، وهي قصور الافهام عن درك علم الله بالاشياء قبل كونها .

١- هذا ملخص ما ذكره المحقق الطوسي في شرحه على النمط السابع من كتاب الاشارات مع تصرف

باب اخر وهو من الباب الاول

لان كلاهما في صفاته تعالى والفرق بينهما: ان المذكور في الاول ان صفاته تعالى ثابتة في الازل قبل وجود الاشياء بلا تجدد وتغير، والمذكور في الاخر ان كل صفة حقيقية عين الاخر بلا تغاير. وهو الباب الثالث عشر من كتاب التوحيد وفيه حديثان:

الحديث الاول

وهو الثالث والتسعون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام انه قال في صفة القديم: انه واحد صمد احدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك، يزعم قوم من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر و يبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا والحدوا وشبهوا، تعالى الله عن ذلك، انه سميع بصير يسمع بما يبصر و يبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون انه بصير على ما يعقله، قال: فقال: تعالى الله، انما يعقل ما كان بصفة مخلوق ليس الله كذلك».

الشرح

قوله عليه السلام: واحد، اي فرد لا ثاني له في الذات ولا في الالهية ولا في وجوب الوجود، وصمد، اي ليست في ذاته جهة امكانية، وجميع ماله من الصفات واجب الوجود بالذات. واحدي المعنى، اي لا جزء له لا عينا ولا عقلا بحسب الوجود العقلي ولا ذهنيا بحسب التحليل الذهني.

وقوله: ليس بمعاني كثيرة مختلفة، اي معاني يقتضي كثرتها تركيبا من الاجزاء أو اختلافا في الجهات والحشيات، بل جميع نعوته وصفاته موجودة بوجود ذاته وحيثية ذاته بعينها حيثية علمه وقدرته وسائر صفاته الايجابية.

وقوله: الحدوا، اي حادوا عن طريق التوحيد والايان، وقوله عليه السلام: شبهوا، لان التشبيه جعل الشيء شبيها بغيره، والمشابهة هي الاتحاد في الكيف، والعلم مثلا فيما زاد عليه من المخلوقات كيفية نفسانية، فكل من جعل علمه تعالى زائداً على ذاته وجعله غير قدرته فقد شبهه وكذا الكلام في السمع والبصر وغيرهما، فان كلاً من هذه الصفات كيفية نفسانية

في المخلوقات وهي في الاول ذاته، فكل من جعلها صفة زائدة له فقد شبهه بغيره، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وقوله عليه السلام يسمع بما يبصر و يبصر بما يسمع، هذا القول اعني اتحاد الصفات الالهية وعينيّتها في وجود الذات مما اطبق عليه رأي جميع الحكماء السابقين واتباعهم من اللاحقين.

قال ابو علي بن سينا : الاول تعالى لا يتكثر لاجل صفاته، لان كل واحد من صفاته اذا حقق يكون الصفة الاخرى بالقياس اليه، فيكون قدرته حيوته وحيوته قدرته وتكونان واحدة، فهو حيّ من حيث هو قادر وقادر من حيث هو حي وكذلك سائر صفاته . انتهى^١.

واما الذي ذكره محمد بن مسلم : انهم يزعمون انه بصير على ما يعقلونه، وفي بعض النسخ : يفعلونه، وكأنه سهو من الناسخ، فهو اشارة الى مذهب جماعة رأوا ان بصره تعالى يرجع الى علمه بالمبصرات على وجه كلي، وان علمه تعالى عندهم صور عقلية حاصلة في ذاته، فاشار عليه السلام الى بطلانه بقوله : انما يعقل، اي عقلاً زائداً على ذاته، ما كان بصفة المخلوق، ليس الله كذلك، اي ليس بصفة^٢ المخلوق، وليس ان يعقل الاشياء عقلاً زائداً، بل الحق ان علمه بالاشياء يرجع الى بصره، لان بصره يرجع الى علمه .

الحديث الثاني

وهو الرابع والتسعون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن العباس بن عمرو» في رجال الشيخ : العباس عمر همداني^٣ «عن هشام بن الحكم قال في حديث الزنديق الذي سأله ابا عبد الله عليه السلام انه قال له : أتقول انه سميع بصير فقال ابو عبد الله عليه السلام : هو سميع بصير، سميع بغير جارحة وبصير بغير الة بل يسمع بنفسه و يبصر بنفسه وليس قولي: انه سميع بنفسه انه شيء

١- المقالة الثامنة من قسم الالهيات .

٢- ذاته بصفة - م - د .

٣- من اصحاب الجواد عليه السلام .

والنفس شيء آخر ولكنني اردت عبارة عن نفسي اذ كنت مسؤولاً وإفهامك^١ إذ كنت سائلاً فأقول: يسمع بكلمة لا أن كلاً له بعض، لان الكل لنا بعض ولكن اردتها افهامك والتعبير عما^٢ في نفسي وليس مرجعي في ذلك كلاً الا انه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى».

الشرح

هذا الحديث بعض من الحديث الذي وقع فيه الاجوبة عن سؤالات الزنديق، وقد مر في الباب الثاني من هذا الكتاب وشرحناه.

باب الارادة انها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل

وهو الباب الرابع عشر من كتاب التوحيد

وفيه سبعة احاديث:

الحديث الاول

وهو السابع والتسعين والمائتان

«محمد بن يحيى العطار عن احمد بن محمد بن عيسى الاشعري عن الحسين بن سعيد الاهوازي عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن ابي عبدالله عليه السلام قال قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: ان المرید لا يكون الا مراد معه، لم يزل عالماً قادراً ثم اراد».

الشرح

هذا الحديث يدل بظاهره على ان ارادته تعالى حادثة كما رآه قوم ذهبوا الى انها مع حدوثها من صفات الذات وان ذاته تعالى محل للارادات الحادثة، وذهب قوم اخر الى ان الله ارادتين: احدهما قديمة هي عين ذاته واخرى حادثة هي متجددة متكررة وارادة على ذاته، وان ذاته محل هذه الحوادث، والكل باطل وظلم، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. والتحقيق: ان الارادة تطلق بالاشتراك الصناعي على معنيين:

احدهما ما يفهمه الجمهور وهو الذي ضدّه الكراهة، وهي التي قد تحصل فينا عقيب

١- افهاماً لك (الكافي).

٢- عن (الكافي).

تصور الشيء الملائم وعقيب التردد حتى يترجح عندنا الامر الداعي الى الفعل او الترك فيصدر احدهما منا، وهذا المعنى فينا من الصفات النفسانية، وهي والكراهة فينا كالشهوة والغضب فينا وفي الحيوان ولا يجوز على الله، بل ارادته نفس صدور الافعال الحسنة من جهة علمه بوجه الخير وكراهته عدم صدور الفعل القبيح عنه لعلمه بقبحه.

وثانيهما كون ذاته بحيث يصدر عنه الاشياء لاجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته، لا كاتباع الضوء للمضيء والسخونة للمسخن ولا كفعل الطبايع لا عن علم وشعور ولا كفعل المجبورين والمسخرين ولا كفعل المختارين بقصد زائد او ارادة ظنية يحتمل الطرف المقابل.

وقد تحققت ان قيوم الكل انما يفعل الكل عن علم هو نفس ذاته العليم الذي هو اتم العلوم، فاذن هو سبحانه فاعل للاشياء كلها بارادة ترجع الى علمه بذاته، المستتبع لعلمه بغيره المقتضي لوجوده غيره في الخارج، لا لغرض زائد وجلب منفعة او طلب محمدة او ثناء او التخلص من مذمة، بل غاية فعله محبة ذاته.

فهذه الاشياء الصادرة عنه كلها مرادة لاجل ذاته، لانها من توابع ذاته وعلمه بذاته، فلو كنت تعشق شيئاً لكان جميع ما يصدر عنه معشوقاً لك لاجل ذلك الشيء، وقد ذكرنا سابقاً انا نحن نريد الشيء لاجل الشهوة واللذة لا لاجل ذات الشيء المراد، ولو كانت الشهوة واللذة او غيرها شاعرة بذاتها مصدراً لافعال عن ذاتها لكانت مريدة لتلك الاشياء لذاتها، لانها صادرة عن ذاتها، واليه الاشارة بما ورد في الحديث الالهي عن نفسه تعالى: كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف.

والحاصل ان كل ما يصدر عن فاعل فانه اما ان يكون بالذات او بالعرض، وما يكون بالذات يكون اما طبيعياً او ارادياً، وكل فعل يصدر عن علم فانه لا يكون بالعرض ولا بالطبع، فاذن يكون بالارادة، وكل فعل يصدر عن فاعل والفاعل يعرف صدور عنه ويعرف انه فاعله، فان ذلك الفعل صدر عن عمله، وكل فعل صدر عن ارادة فبدأ تلك اما ان يكون علماً جازماً او ظناً او تخيلاً، ولا يجوز ان يكون فعل واجب الوجود بحسب الظن او التخيل، فان ذلك يكون لغرض زائد ويكون معه انفعال، فان الغرض يؤثر في ذي الغرض وهو يفعل عنه.

وقد مر ان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع جهاته، فاذن يجب ان

يكون ارادته للاشياء علمه بها لا غير، فهذه هي الارادة الخالية عن الشين والانفعال ولا مقابل لها الا النبي المحض .

ولما كان فهم الجمهور لا يصل الى الارادة بهذا المعنى بل الى النحو الذي في الحيوان وضده الكراهة ويكون حادثاً عند حدوث المراد، جعلها عليه السلام من صفات الافعال ومن الصفات الاضافية المتجددة كخالقية زيد ورازقته، حذراً عن كونه تعالى محلاً للحوادث^١ — لو كانت الارادة الحادثة من صفات الذات — وهي كالعلم الحادث الذي هو اضافة عالميته تعالى بالحوادث الكونية وهي اخيرة مراتب علمه تعالى .

الحديث الثاني

وهو السادس والتسعون والمائتان

«محمد بن ابي عبدالله عن محمد بن اسمعيل عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح عن علي بن اسباط عن الحسن بن الجهم عن بكير بن اعين» مشكورات على الاستقامة، روى الكشي عن حمدويه عن يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير والفضل وابراهيم بن محمد الاشعري: ان الصادق عليه السلام قال فيه بعد موته: لقد انزله الله بين رسوله وامير المؤمنين عليهما السلام^٢.

«قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: علم الله ومشيتته هما مختلفان او متفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة، الا ترى انك تقول: سافعل كذا ان شاء الله ولا تقول سافعل كذا ان علم الله؟ فقولك: ان شاء الله، دليل على انه لم يشأ، فاذا شاء كان الذي شاء كما شاء، وعلم الله السابق للمشيئة».

الشرح

المشيئة مهموزة الارادة، وقد شئت الشيء اشأؤه. فرق عليه السلام بين علم الله ومشيتته بوجهين: احدهما ان الانسان يقول: سافعل كذا ان شاء الله ولا يقول سافعل كذا

١ — للحادث — ط .

٢ — عن الفضل وابراهيم ابني محمد الاشعريين قالوا ان ابا عبد الله عليه السلام لما بلغه وفاة بكير بن اعين قال: اما والله لقد انزله الله بين رسول الله وامير المؤمنين صلوات الله عليهما «كش» .

ان علم الله، والثاني ان قولك ان شاء الله، يدل بمفهومه على انه لم يشأ في الواقع اولى يمكن لنا علم بانه شاء، مع علمنا بانه عالم بكل شيء وبانه اذا شاء شيئاً كان الذي شاء كما شاء.

فظهر ان علمه غير مشيئته وان علمه الازلي سابق للمشيئة، لكن يجب ان يعلم ان لله مشيئة ازلية اجمالية هي عين ذاته وعين علمه الازلي الاجمالي وبتلك المشيئة شاء كل خير ومصالحة ونظام في العالم، ومن الخيرات التي في العالم ما يلزمها شروور قليلة لوم توجد لاجلها كان يلزم حينئذ شروور كثيرة، فهذه الشروور والافات التي في عالمنا هذا داخلة في مشيئة الله الازلية بالعرض وعلى سبيل التبع لا بالذات وعلى سبيل القصد الاول.

فكما ان لعلمه تعالى مراتب فكذا لارادته ومشيئته^١، وهذا الفرق الذي ذكره عليه السلام بين العلم والمشيئة ليس في وجودهما السابق الازلي بل في مفهوميهما او في بعض متعلقاتها واكوانها التفصيلية. والله اعلم.

الحديث الثالث

وهو السابع والتسعون والمائتان

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال: قلت لابي الحسن عليه السلام: اخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق، قال: فقال: الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، واما من الله تعالى فارادته احداثه لا غير^٢، لانه

١- قال القيصري في شرحه لفصوص في الفص الادمي: مشيئة الله تعالى عبارة عن تجليه الذاتي والعناية السابقة لايجاد المعدوم او اعدام الموجود، وارادته عبارة عن تجليه لايجاد المعدوم، فالمشيئة اعم من وجه الارادة، ومن تتبع مواضع استعمالات المشيئة والارادة في القرآن يعلم ذلك، وان كان بحسب اللغة يستعمل كل منهما مقام الآخر، اذ لافرق بينهما فيها.

وقال في الفص الشيء: المشيئة متعلقة بالفيز الاقدس كما قال الله تعالى: الم ترى الى ربك كيف مد الظل، اي الوجود الخارجي، ولو شاء لجله ساكناً، اي منقطعاً متناهياً، والارادة متعلقة بالفيز المقدس كما قال: انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون. انتهى.

قال صاحب الوافي: الفرق بين المشيئة والارادة بالكلية والجزئية والتقدم والتأخر. انتهى.

قال بعض المتأخرين: الفرق بين المشيئة والارادة: ان المشيئة الى ماهية المعلول والارادة بالنسبة الى وجوده، وايضاً: المشيئة هي العزم الكلي المتعلق بالفعل، والارادة هي العزم الجزئي.

٢- لاغير ذلك (الكافي).

لا يروى ولا يهيم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه تعالى وهي صفات الخلق، فارادته^١ الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما لا كيف له».

الشرح

يبدو، اي يظهر، والروية التفكير، والهمة القصد، الارادة فينا كيفية نفسانية تحدث عقيب تصور الشيء الملائم والتصديق بثبوتة ونفعه تصديقا علميا او جهليا او ظنياً او تخيلياً راجحاً، وربما يحصل ذلك التصديق الراجح بعد تردد واستعمال روية، فاذا بلغ حد الرجحان وقع العزم الذي هو الارادة، فاذا حصلت الارادة، سواء كانت مع شوق حيواني كالشهوة او الغضب ام لا، يصدر الفعل لا محالة ويبدو في الوجود صورته.

واما ارادة الله الحادثة فليست صفة له، لاستحالة حدوث صفة او كيفية في ذاته، فهي ليست الا اضافة احداثه لامر كائن لا غير، لتعاليه عن الروية والهمة والفكر، لما علمت ان هذه منفية عنه لكونها صفات المخلوقين، وكما لا مثل لذاته لا شبه لصفاته، بل صفاته الحقيقية ذاته.

فارادة الله المتجددة هي نفس افعاله المتجددة الكائنة الفاسدة، فارادته لكل حادث بالمعنى الاضافي يرجع الى ايجاده^٢ وبمعنى المرادية ترجع الى وجوده، وهذا كعلمه الحادث التفصيلي، فانه بالمعنى الاضافي اي العالمية يرجع الى ايجاد الحادث لا غير، وبمعنى ما به العلم والانكشاف يرجع الى وجوده لا غير.

وقوله عليه السلام: يقول له كن فيكون بلا لفظ... الى اخره، دال على ان قوله تعالى وكلامه عبارة عن ايجاده لشيء، فان «كن» كلمة وجودية مشتقة من الكون وهو الوجود وعبر بها عن الاقتضاء الذاتي والتوجه الالهي لوجود الشيء، والذي بمنزلة المخاطب في توجه هذا الامر التكويني وتعلق هذا الخطاب الایجابي اما في الكائنات الزمانية، فالمواد والقوابل المستعدة، واما في العقول والارواح السابقة، فالماهيات والاعيان الثابتة.

١- فارادة الله (الكافي).

٢- بارادته لكل حادث، فبالمعنى الاضافي يرجع الى ايجاد الحادث لا غير - ط.

الحديث الرابع وهو الثامن والتسعون والمائتان

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن عمر بن اذينة عن ابي عبدالله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشيئة.»

الشرح

نحن اذا فعلنا شيئاً بقدرتنا واختيارنا فاردناه اولاً ثم فعلناه بسبب الارادة، فالارادة نشأت من انفسنا بذاتها لا بارادة اخرى، والآ لتسلسل الامر الى ما لا نهاية فالارادة مرادة لذاتها والفعل مراد بالارادة، وكذا الشهوة في الحيوان مشتبهة لذاتها لذينة بنفسها وسائر الاشياء كالاكل الهنيء والشرب المرئ والنكاح البهي لذينة مرغوبة بالشهوة. فعمل هذا المثل حال مشيئة الله المخلوقة وهي نفس وجودات الاشياء، فان الوجود خير ومؤثر لذاته ومجوعول بنفسه والاشياء بالوجود موجودة والوجود مشيء بالذات والاشياء مشيئة بالوجود.

كما ان الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص، وكذا الخيرية والمشيئة والخير الذي في الصلوة غير الخير الذي في الصوم والخير الذي في الروح والعقل غير الخير الذي في الجسم والطبع، وليس الخير المحض الذي لا يشوبه شر إلا الوجود البحت الذي لا يمازجه عدم ونقص وهو ذات البارئ جل مجده، فهو المراد الحقيقي والارادة المحضة يطلبه جميع الاشياء طبعاً واردة.

قال ابو علي بن سينا: هو عاشق لذاته وذاته مبدأ كل خير ونظام، فيكون نظام الخير في الاشياء معشوقاً له في القصد الثاني، والخير بالحقيقة هو كمال الوجود وهو واجب الوجود بالذات والشر هو عدم ذات الكمال^١.

الحديث الخامس وهو التاسع والتسعون والمائتان

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن محمد بن عيسى عن المشريقي حمزة بن

١- الفصل الخامس من المقالة الثامنة من قسم الالهيات مع تصرف.

المرتفع عن بعض اصحابنا قال: كنت في مجلس ابي جعفر عليه السلام اذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له: جعلت فداك قول الله تعالى: ومن يجلل عليه غضبي فقد هوى^١ ما ذلك الغضب فقال ابو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو، انه من زعم ان الله قد زال من شيء الى شيء فقد وصفه صفة مخلوق وان الله تعالى لا يستفزه شيء فيغيره».

الشرح

استفزه اي استخفه وازعجه من مكانه، فقال: افزته اي افزته وازعجته وطيرت فؤاده.

وليس في الاول تعالى انفعال وحدوث امر في ذاته والا لكانت فيه قوة امكانية فيتركب ذاته من قوة وفعل وهو محال، بل هو فعل محض بلا قوة ووجوب بلا امكان، وهذه الانفعالات والتغيرات التي تنسب اليه تعالى كلها باطلة، فانه لا يغيره شيء ولا ينفعل عن شيء فيزعجه فيغضب او يكره، فلو كان يغضب فيجب ان يكون ابدأ غضباناً لانه يكون ابدأ عالماً.

والغضب فينا حالة انفعالية شبه المرض معها ثوران دم القلب ارادة للانتقام وغايته تشفي النفس عن الم الغيظ، والله متعال عن الانفعال مطلقا، فغضب الله على قوم نزول عقابه وعذابه عليهم وهو من تبعات افعالهم ولوازم سيئاتهم لا غير.

الحديث السادس

وهو ثلاث مائة

«علي بن ابراهيم عن أبيه عن العباس بن عمرو عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي سئل ابا عبدالله عليه السلام فكان من سؤاله: ان قال له فله رضو وسخط فقال ابو عبدالله عليه السلام: نعم! ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك ان الرضا حال يدخل عليه فينقله من حال الى حال لان المخلوق اجوف مُعْتَمِلٌ مركب، للاشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للاشياء فيه لأنه واحد واحدي الذات واحدي المعنى فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهبجه وينقله من حال الى حال لأن ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين».

الشرح

معتمل من اعتمل اي اضطرب في العمل، هاج الشيء يهيج هيجاناً اي ثار وانبعث، وهيجه غيره اي يثيره ويبعثه.

كما ان لعلم الله وارادته مراتب بعضها ازلي واجب الوجود ولا ضد له ولا شوب ولا نقص وبعضها حادث، وكذلك لرضاه مراتب:

فنها: رضاً ازلي هو عين ذاته لا يقابله سخط ولا يمازجه شوب، وهو كونه بحيث يصدر عنه الاشياء موافقاً لعلمه بها على افضل وجه واتمه.

ومنها: ملك مقدس روحاني هو رضوان الله بالفعل، اذ وجوده عين الرضاء من الله، وكذا كل جوهر عقلي لا يشوبه شر ومعصية وكان فعله طاعة لله.

ومنها: ثواب الله والجنة ويقابله سخط الله والنار.

اذا ثبت هذا فظهر ان رضاء الله ليس كما يوجد في المخلوقين، لان رضاء المخلوق حال يدخل نفسه من خارج فينقله من حالة التي هي عدم رضاه او سخطه الى حالة اخرى تقابلها هي الرضاء، واما رضاء الله فكما ذكرنا ما وجود ذاته واما فعله، كرضوان والجنة، او اضافة ثوابه ورحمته ويقابله سخطه وعقابه، وكل نعيم ولذة وراحة من اثار رحمة الله وكل ألم وعذاب وغصة فن اثار غضبه وهو قوله: ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى.

ولكن يجب ان يعلم ان الرحمة ذاتية والغضب عرضي، فلولا الكفر والمعصية لم يكن غضب ولم يخلق جحيم كما دل عليه قوله: ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي!

وقوله عليه السلام: لان المخلوق اجوف الى قوله: واحدي المعنى، بيان للسبب اللتمي في كون المخلوق ممّا يجوز ان يرد عليه حال يدخله ويغيره وهو يفعل عنها بخلاف الخالق، وذلك لان كل مخلوق جسماني فيه امر عدمي هو جهة فقره وحاجته ويقال له الامكان والقوة الاستعدادية، ولكونه امراً عديمياً نسبياً لا يقوم بنفسه فيحتاج الى ما يقوم به وهو الصورة.

فكل صورته جسمانية لها مادة عدمية بها تقبل كل ما يرد عليها من الاحوال، ولو كانت الصورة مجردة بلا مادة لم تقبل شيئاً اخر اصلاً ولم يتغير من حال الى حال، فكلّ مخلوق جسماني اجوف معتمل مركّب. اما كونه اجوف فلاشتمال صورته على امر عدمي

خال في ذاته عن كلّ صفة وحلية الا قبول الاشياء وامكانها، واما كونه معتملاً فانه مما يتغير و يضطرب، واما كونه مركباً لتركبه من القوة والفعل ومن المادة التي بها بالقوة والصورة التي بها بالفعل.

واما الخالق جلّ اسمه فقد علمت أنه محض حقيقة الوجود الذي لا اتم منه بلا شوب امكان ونقص، فهو واحد لا مثل له ولا شريك، وهو احدي الذات لا جزء له بوجه واحدي الصفة اذ ليست صفاته غير ذاته.

فثبت بالبرهان أنه لا توجد له حالة حادثة، فرضاه وسخطه الحادثان ليسا الآ ثوابه وعقابه كما علمت، من غير تغير في ذاته ولا في صفاته الحقيقية، لأنّ ذلك من صفة المخلوقين ذوي النفوس الناقصة المحتاجة في استكمالها الى الابدان الكائنة المستحيلة المنقلبة في الاحوال.

الحديث السابع وهو الحادي وثلاث مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن محمد بن مسلم عن ابي عبدالله عليه السلام قال المشيئة محدثة^١».

[جملة القول في صفات الذات وصفات الفعل: ان كل شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة فعل وتفسير هذه الجملة: انك تثبت في الوجود ما يريد وما لا يريد وما يرضاه وما يسخطه وما يجب وما يبغض فلو كانت الارادة من صفات الذات مثل العلم والقدرة كان ما لا يريد ناقضاً لتلك الصفة. ولو كان ما يجب من صفات الذات كان ما يبغض ناقضاً لتلك الصفة. الا ترى انا لا نجد في الوجود ما لا نعلم ونقدر^٢ عليه وكذلك صفات ذاته الازلي لسنا نصفه بقدرة وعجز وذلة ويجوز ان يقال: يجب من اطاعه و يبغض من عصاه ويوالي من اطاعه ويعادي من عصاه وانه يرضى ويسخط ويقال في الدعاء: اللهم ارض عني ولا تسخط عليّ وتولني ولا تعادني ولا يجوز ان يقال: يقدر ان يعلم ولا يقدر ان لا يعلم و يقدر ان يملك ولا يقدر ان لا يملك و يقدر ان يكون عزيزاً حكماً ولا يقدر ان لا يكون

١- قال ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني: - ط .

٢- يعلم وما لا يقدر (الكافي).

عزیزا حکما و یقدر ان یكون جوادا ولا یقدر ان لا یكون جوادا و یقدر ان یكون غفورا ولا یقدر ان لا یكون غفورا ولا یجوز ایضاً ان یقال: اراد ان یكون ربا و قدیما و عزیزا و حکما و مالكا و عالما و قادرا لان هذه من صفات الذات و الارادة من صفات الفعل . ألا ترى أنه یقال انه تعالى ^١ أراد هذا ولم یرد هذا و صفات الذات تنفی عنه بكل صفة منها ضدها یقال: حیّ و عالم و سمیع و بصیر و عزیز و حکیم غنی ملک حلیم عدل کریم؛ فالعلم ضده الجهل و القدرة ضدها العجز و الحیوة ضدها الموت و العزة ضدها الذلة و الحکمة ضدها الخطأ و ضد الحلم العجلة و الجهل و ضد العدل الجور و الظلم].

الشرح

ذكر الشیخ رحمه الله فی هذا الحدیث قاعدة علمية بها یعرف الفرق بین صفات ذاته تعالى و صفات افعاله وهي: ان كل صفة وجودية لها مقابل وجودي فهي من صفات الافعال لا من صفات الذات، لان صفات الذاتية كلها ممّا لا ضد له كما علمت، فكذلك كلها هو عين ذاته.

وهذا قانون جملي فی معرفة صفات الذات و صفات الفعل، ثم فسره و مزجه ^٢ بذكر الامثلة المخصوصة المندرجة تحت الجملة، فانك ^٣ اذا قلت: هذا ما یرید الله و هذا ما یكرهه او لا یریده، فلو كان مثل هذه الارادة من صفات الذات كالعلم و القدرة كان مقابله ناقضا للذات الاحدية فكان فی الوجود ما هو ضد له تعالى، و كذلك تثبت فی الوجود ما یرضاه كالايمان و الطاعة و ما لا یرضاه بل یسخطه كالكفر و المعصية.

فلو كان هذا الرضاء صفة ذاتية له تعالى كان السخط المقابل له ناقضا لتلك الصفة، فكان فی الوجود ما هو ضد له تعالى، وكذا الحكم فيما یحب و ما یبغض و نظائرهما كاللطف و القهر و التوفیق و الخذلان و الولاية و العداوة و غيرها من الصفات المتقابلة الواقعة فی الوجود بكلا الطرفين، بخلاف الصفات الالهية التي ليس لها مقابل فی الوجود و أنّ مقابله ليس الا التقي الحض و الممتنع بالذات وهي كعلم الله و قدرته.

فان علمه متعلق بكلّ شيء و ليس فی الوجود ما لا یكون معلوما له تعالى، وكذا

١- یقال اراد (الكافي).

٢- شرحه . النسخة البدل .

٣- بانك - م - د .

قدرته متعلقة بكل شيء موجود وليس في الوجود ما لا يكون مقدوراً له تعالى ، وهكذا حكم جميع صفاته الذاتية والازلية ، ولهذا لا يجوز ان يقال له علم و جهل او قدرة وعجز او حكمة وسفه او عزة وذلة ، ويجوز ان يقال له رضاء وسخط وله ولاية وعداوة بالقياس الى امرين مختلفين كما في القرآن قوله : لقد رضى الله عن المؤمنين ^١ ، وقوله : سخط الله عليهم ^٢ ، ولا يرضى لعباده الكفر ^٣ ، وقوله : الله ولي الذين امنوا ^٤ ، وقوله : فان الله عدو للكافرين ^٥ ، وفي الادعية الماثورة : اللهم ارض عني ولا تسخط عليّ وتولّي ولا تعادني .

وقوله : ولا يجوز ان يقال يقدر ان يعلم الى قوله : غفوراً ، اشارة الى وجه اخر في بيان الفرق بين صفة الذات وصفة الفعل ، وهو ان القدرة صفة ذاتية تتعلق بالممكنات لا غير ، ونسبتها بما هي قدرة الى طرفي الشيء الممكن على السواء ، فلا تتعلق بالواجب ولا بالممتنع ، فكل ما هو صفة الذات فهو ازلي غير مقدور ، وكلما هو صفة الفعل فهو ممكن مقدور ، وهذا يعرف الفرق بين الصفتين .

فاذن نقول : لما كان علمه تعالى بالاشياء ضرورياً واجباً بالذات وعدم علمه بها محالاً ممتنعاً بالذات ، فلا يجوز ان يقال : يقدر ان يعلم ولا يقدر ان لا يعلم ، لان احد الطرفين واجب بالذات والاخر ممتنع بالذات ومصحح المقدورية هو الامكان ، وكذا الكلام في صفة الملك والعزة والحكمة والجود والمغفرة والغفران وغيرها ^٦ من صفات الذات كالعظمة والكبرياء والجلال والجمال والجبروت وامثالها ، وهذا بخلاف صفات الفعل ، فانه يجوز ان يقال انه يقدر ان يثيب و يعاقب و يقدر ان لا يثيب ولا يعاقب و يقدر ان يجبي و يقدر ان يميث و يقدر ان يهدي و يقدر ان يضل وهكذا في سائر صفات الافعال ، فمن هذا السبيل يعلم الفرق بين صفة الذات وصفة الفعل .

واعلم ان النسخ ههنا مختلفة ، ففي بعضها يوجد في بعض الفقرات الثانية بدل يقدر

١- الفتح ١٨ .

٢- المائدة ٨٠ .

٣- الزمر ٧ .

٤- البقرة ٢٥٧ .

٥- البقرة ٩٨ .

٦- والمغفرة وغيرها - م - د .

ان لا يكون، لا يقدر ان يكون، وفي بعضها لا يقدر ان لا يكون، والظاهر ان المراد واحد كما ذكرنا.

وقوله : ولا يجوز ان يقال ، اراد ان يكون رباً الى قوله : قادراً، وجه اخر للفرق ، وذلك انه لما كانت الارادة فرع القدرة لأنها عبارة عن الاختيار من احد طرفي المقدور والعزم عليه لاجل تحقق الداعي ، فما لا يكون مقدوراً لا يكون مراداً، وقد علمت ان الصفات الذاتية غير مقدورة فهي غير مرادة ايضاً، ولكونها غير مرادة وجه اخر وهو قوله : لأن هذه من صفات الذات والارادة من صفات الفعل ، معناه : ان الارادة لكونها من صفات الفعل فهي حادثة وهذه الصفات يعني الربوبية والقدم والعزة والحكمة والملك والعلم والقدرة ونحوها لكونها من صفات الذات فهي قديمة، ولا يؤثر الحادث في القديم فلا تعلق للارادة بشيء منها، وقوله : الا ترى انه يقال اراد هذا ولم يرد هذا؟ توضيح لكون الارادة لا تعلق بالقديم، بان ارادة شيء مع كراهة ضده، والقديم لا ضده.

ثم اشار رحمه الله الى قاعدة كلية كالنتيجة لما سبق من الكلام وهي ان صفة الذات هي التي ضدها منتف في الواقع كما قال : وصفات الذات تنفي عنه بكل صفة منها ضدها، اي صفات الذات هي التي تنفي ثبوت كل واحدة منها له تعالى ضدها عنه تعالى ازلاً وابدأً كالحيوة مثلا، فانها تقتضي نفي ضده الذي هو الموت عنه تعالى ضرورة ازلية، وكالعلم فان ضده وهو الجهل منفي عنه تعالى ازلاً وابدأً وهكذا فيما عدده من الصفات، وهذا بخلاف صفات الفعل حيث لا يقتضي ثبوت شيء منها له تعالى نفي ضدها عنه تعالى دائماً.

تنبيه عرشي

ومما يجب ان يعلم ان من الصفات ما يشمل الذات والفعل والاضافة كالعلم مثلا فان من علمه ما هو عين ذاته كعلمه الاجمالي، ومنه ما هو عين فعله كعلمه التفصيلي بهويات الاشياء الموجودة عنده، ومنه ما هو اضافة اشراقية علمية لذوات الاشياء، اذ الحق يعلم الاشياء بعين ما يعلم به ذاته لا بامر اخر، والعلم حقيقة واحدة لها مراتب اجمال وتفصيل، فكونه عين ذاته لا ينافي كونه صفة ذات اضافة في بعض الاشياء واطافة محضة في بعضها وصورة حادثة في بعضها، فكل صفة تكون حالها كذلك لكانت من صفات الذات والفعل جميعاً، فكان الذي منها في الذات حكمه حكم تلك الصفات الذاتية من انها لا ضد لها في الوجود ولا ند ولا شبه ولا حد ولا برهان عليها وسائر احكام الذات الالهية، لأنها موجودة

بذلك الوجود الواجبي الاحدي، والذي منها في الافعال كان حكمه حكم صفاتها من قبول التّضاد والحدوث والزوال وغير ذلك .

وبالجمله يكون في القديم قديماً وفي الحادث حادثاً، وكثير من الناس لما نظروا في بعض الصفات ورأوا فيها اثار الحدوث حكموا بان الله تعالى محل الصفات الحادثة وضمّوا ضلالاً بعيداً، وذلك لقصور فهمهم عن ادراك الوحدة الجمعية في الوجود وصفاته الكمالية .

اذا عرفت هذا فنقول : انّ ارادة الله ومشيئته يمكن اخذها واعتبارها على وجه تكون من صفات الذات والفعل جميعاً ويكون في القديم قديماً وفي الحادث حادثاً، كالعلم الاجمالي والتفصيلي، وتكون الارادات الفعلية تفاصيلاً للارادة الذاتية الاجمالية، ولعلّ الذي وقع في هذا الحديث وغيره من ان المشيئة حادثة وانّ الارادة الذاتية الاجمالية من صفات الفعل، انما وقع بحسب مرتبتها التفصيلية الواردة في الآيات القرآنية او بحسب ما يصل اليه فهم الجمهور كما اوأنا اليه .

باب حدوث الاسماء

وهو الباب الخامس عشر من كتاب التوحيد

وفيه اربعة احاديث:

الحديث الاول

وهو الثاني وثلاث مائة

«علي بن محمد عن صالح بن ابي حماد» ابي الخير الرازي، واسم ابي خير زاد به وهو بالزاي والبدال المهملة والباء المنقطة تحتها نقطة هكذا في «صه» وفي الايضاح : زادوبه بالزاي والذال المعجمة وبعدها واو وبعدها باء^١، لقي ابا الحسن العسكري. قال النجاشي : وكان امره متلبساً يعرف وينكر، وقال ابن الغضائري : انه ضعيف .

وروى الكشي عن علي بن محمد القتيبي قال : سمعت الفضل بن شاذان يقول في ابي الخير: وهو صالح بن ابي سلمة بن حماد الرازي كما كتني، وقال علي : كان ابو محمد الفضل يرتضيه ويمدحه ولا يرتضي ابا سعيد الادمي و يقول : هو احمق، والمعتمد عندي

١ - بعدها ياء «نضد الايضاح» .

التوقف فيه لتردد النجاشي وتضعيف ابن الغضائري له «صه» وقال الشيخ في الفهرست :
له كتب روى عنه سعد بن عبدالله واحمد بن ابي عبدالله .

«عن الحسين بن يزيد» بن محمد بن عبد الملك النوفلي نوفل النخح مولا هم كوفي،
ابو عبدالله كان شاعراً اديباً وسكن الري ومات بها وقال قوم من القميين : انه غلا في اخر
عمره ، والله اعلم . قال النجاشي : وما رأينا له رواية تدل على هذا ، واما عندي ، اتوقف في
روايته لمجرد ما نقل عن القميين وعدم الظفر بتعديل الاصحاب له «صه» .

«عن الحسن بن علي بن ابي حمزة» ، واسم ابي حمزة سالم البطائي^١ مولى الانصار ابو
محمد واقف ، قال الكشي : حدثني محمد بن مسعود قال .: سئلت علي بن الحسن بن فضال
عن الحسن بن علي بن ابي حمزة البطائي^١ قال : كذاب ملعون رويت عنه احاديث كثيرة
وكتبت عنه تفسير القرآن من اوله الى اخره ، الا اني لا استحل ان اروي عنه حديثاً واحداً ،
وحكى ابو الحسن حمدويه بن نصير عن بعض اشياخه انه قال : الحسن بن علي بن حمزة رجل
سوء .

قال ابن الغضائري : انه واقف بن واقف ، ضعيف في نفسه وابوه اوثق منه ، وقال
علي بن الحسن بن فضال : اني لاستحيي من الله ان اروي عن الحسن بن علي ، وحديث
الرضا عليه السلام فيه مشهور «صه» وقال النجاشي : رأيت شيوخنا يذكرون انه كان من
وجوه الواقفة ، له كتب وكان ابوه قائد ابي بصير ، وفي الفهرست : روى عنه احمد بن ميثم .
«عن ابراهيم بن عمر عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً
بالحروف غير مصوّت وباللفظ غير منطوق وبالشخص غير مجسّد وبالتشبيه غير موصوف
وباللون غير مصبوغ منفي عنه الاقطار ومبعد عنه الحدود ومحجوب عنه حس كل متوهم ،
مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة اجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر ، فظاهر
منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق اليها وحجب واحدا منها^٢ وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه
الاسماء التي ظهرت ؛ فالظاهر هو الله تبارك وتعالى وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الاسماء
اربعة اركان فذلك اثني عشر ركناً ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً اليها
فهو : الرحمن الرحيم الملك القدوس الخالق البارئ المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم

١- البطائني «صه» .

٢- منها واحداً (الكافي) .

العليم الخبير السميع البصير الحكيم العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارئ المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرازق المحيي المميت الوارث . فهذه الاسماء وما كان من الاسماء حتى تتم ثلاثمائة وستين اسما فهي نسبة هذه الاسماء الثلاثة وهذه الاسماء الثلاثة اركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى: قل ادعوا الله وادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى»^١.

الشرح

هذا من الاحاديث المشككة ونحن نستعين بفضل الله في حله فنقول مستمداً بلفظه

واحسانه :

ان لله تعالى اسماء وصفات كلها مع كثرتها وتفصيلها غير زائدة على ذاته، ولا هي اجزاء ذاته ليلزم النقص او التركيب، وليس المراد بالاسم ههنا هو اللفظ بل المعنى الكلي كمفهوم العالم والقادر والمريد، والفرق بين الاسم والصفة بوجه كالفرق بين العرضي والعرض او بين الفصل والصورة، فالابيض مثلا اذا اخذ مطلقا لا بشرط شيء فهو عرضي محمول واذا اخذ بشرط لا بشيء كان عرضاً غير محمول وكذا الناطق بمثل هذين الاعتبارين فصل وصورة، وكذلك الاسماء الالهية اسماء باعتبار وصفات باعتبار.

فالاسماء كالحَيِّ والعالم والقادر والمريد والسميع والبصير، والصفات كالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر، الآ انها بكلا الاعتبارين عين الذات الاحدية اذا كانت حقيقة وجودية.

واما السلبيات والاضافيات فبأديها سلوب واضافات خارجة كالفردية والقدوسية والاولوية والمبدائية، والاسماء المشتقة كالفرد والقدوس والاول والمبدأ صادقة عليه وجميعها الالهية ولكل منها حظ من الوجود، لان الوجود لعموم شأنه يعرض العدم والمعدوم ايضا من وجه وهي اول كثرة وقعت في الوجود وليست قاذحة في احدية الذات كما مر مراراً، اذ ليست عارضة لذاته كما زعمته الصفاتية، ولا مقومة له ولا حادثة في ذاته كما عليه جماعة، ولا موجودة في انفسها ليلزم تعدد القدماء، بل هي في انفسها لا موجودة ولا معدومة ولا قديمة ولا حادثة ولا مجعولة ولا لا مجعولة ايضاً، بل جعلها تابع لجعل الوجود ولا جعلها تابع للاجعل

١- الاسراء ١١٠ .

٢- نشأته - النسخة البدل .

الوجود الالهي ، فهي مع القديم قديم ومع الحادث حادث ، ومن هنا يعلم ان المراد بان الاسم عين المسمى ما هو؟

وقد يقال الاسم للصفة باعتبار ما ذكرنا ، اذ الذات مشتركة بين الاسماء كلها والتكثّر فيها بسبب تكثّر الصفات ، وذلك باعتبار شئونه الالهية ومعانيه الغيبية التي هي مفاتيح الغب ، وبها يصحح علمه تعالى بالاشياء كلّها بنحو من التفصيل في اجمال الهوية الالهية .

اذ الوجود كما علمت بسيط احدي الذات ولهذا قال : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ولم يقل وفيه مفاتيح الغيب ولاوله ولاومنه ليدل على أنّها غير داخله ولا عارضة ولا صادرة ، لانها ليست مجعولة ، وانما هي معان معقولة في غيب الوجود الحق تعالى يتعين بها شئون الحق وتجلياته واطواره ، وليست بموجودات عينية ولا داخله في الوجود اصلا .
فهي موجودة في العقل تارة وفي العين اخرى لا بالاستقلال ، لكن لها الحكم والاثر فيما له الوجود العيني كما اشار اليه الشيخ المحقق محي الدين الاعرابي الحاتمي الاندلسي في الفص الادمي من فصوص الحكم بقوله : اعلم انّ الامور الكلية وان لم يكن لها وجود في عينها فهي معقولة^٢ بلا شك في الذهن ، فهي باطنة لا تزال عن الوجود العيني ولها الحكم والاثر في كل ما له وجود عيني ، بل هي عينها لا غيرها ، اعني اعيان الموجودات العينية ، ولم تزل عن كونها معقولة في نفسها ، فهي الظاهرة من حيث اعيان الموجودات كما هي الباطنة من حيث معقولها ، فاستناد كل موجود عيني لهذه الامور الكلية التي لا يمكن دفعها عن العقل ولا يمكن وجودها في العين ، وجوداً تزول به عن ان تكون معقولة . انتهى .

ثم نقول : كما انّ الوجود حقيقة واحدة لها مرتبة كاملة احدية الهية ولها مراتب اخرى امكانية نازلة ، هي رشحات فضله وجوده ، وكذلك ما يتبعها ويلزمها من الصفات الذاتية والاسماء كالعلم والقدرة وغيرها ، والموجودات الامكانية انما لزمها الامكان والحاجة لاجل نقصاناتها وقصوراتها بالضرورة عن درجة الوجود الواجبي ، اذ التابع والمعلول كيف يساوي المتبوع والعلة وهي متفاوتة المنازل في الشدة والضعف والكمال والنقص والقرب والبعد من ينبوع الوجود ونور الانوار؟ ولكل مرتبة ايضاً معان معقولة مناسبة من جنس

١- الانعام ٥٩ .

٢- فهي معقولة معلومة «فصوص» .

الاسماء والصفات، وكل ما هو اقرب من نور الانوار كان له من الاسماء والصفات ما هو اقرب وانسب من صفاته تعالى واسمائه .

وقد علمت ان الاسم بوجه عين المسمى ، وعلمت ايضاً ان العلم والعالم من جملة اسمائه وصفاته الحقيقية، والعلم حقيقة واحدة مشتركة قد يكون واجباً بالذات وقد يكون جوهرأ عقلياً وقد يكون ذات اضافة وقد يكون اضافة محضة .

فعلى هذا لو اطلق على جوهر عقلي عاقل لذاته ولما بعده كالعقل الاول انه اسمه العليم لم يكن بعيداً، وعلى هذا الوجه جرت عادة الصوفية بانهم يقولون لبعض الممكنات انه اسم كذا ولبعض اخر انه اسم كذا اطلاقاً لاسماء الله تعالى على مظاهرها، فيقولون: هذا هو الاسم الهادي كالمملك وهذا هو الاسم المضل كابليس اللعين، ويقولون للملك الحيوة ومملك الموت انها اسماء المحي والمميت وعلى هذا القياس، فان للاسماء والصفات ثبوت جمعي للذات الالهية وهي متفرقة في الممكنات، الا ان بعض الممكنات كالصادر الاول لغاية قربه من الحق يكون له مظهرية جملة الصفات، فهو الاسم الجامع باعتبار ومظهر الاسم^١ «الله» باعتبار وليس لغيره من الممكنات هذه الجامعة للاسماء .

ثم نقول : ان للاشياء في الوجودية ثلاث مراتب :

الاولي الموجود الصرف الذي لا يتعلق وجوده بغيره ولا يتقيد بقيد وهو المسمى عند العرفاء بالهوية الغيبية والغيب المطلق والذات الاحدية، وهو الذي لا اسم له ولا نعت ولا يصل اليه معرفة ولا عقل، ولا وهم .

اذ كل ما له اسم ورسم فهو مفهوم من المفهومات الموجودة في العقل والوهم، وكل ما يتعلق به معرفة وادراك فله اشتراك وارتباط بغيره، والاول ليس كذلك لكونه قبل جميع الاشياء ولا يقبل الاشتراك، فهو الغيب المحض والمجهول المطلق الا من قبل اثاره ولوازمه .

والمرتبة الثانية الموجود المقيد بغيره والمحدود بمحده المقرون بالماهية والعين الثابت، وهو ما سوى الحق الاول من الموجودات العالمية^٢ كالعقول والنفوس والطبائع والاجرام الفلكية والعنصرية واعراضها .

والمرتبة الثالثة هو الوجود المنبسط المطلق الذي ليس عمومه وشموله على سبيل

١- لاسم - م .

٢- العالية - م - ط .

الكليّة والاشترك كالمعاني المعقولة بل على نحو آخر.

فإنّ الوجود سواء كان مقيداً او مطلقاً هو عين التحصّل والفعلية، والكليّ سواء كان منطقياً او عقلياً او طبيعياً يكون مهتماً يحتاج في تحصّله وتشخّصه الى انضمام وجود اليه، وليست وحدته عددية، اذ هو مع كل شيء بحسبه فلا ينحصر في حد معين ولا ينضبط بوصف خاص من القدم والحداث والتقدم والتأخر والتجرد والتجسم والكمال والنقص والعلو والدنو، فهو مع القديم قديم ومع الحادث حادث ومع المجرّد مجرد ومع الجسم مجسم ومع الجوهر جوهر ومع العرض عرض، مع أنّه بحسب ذاته وسنخ حقيقته برئ عن هذه التعينات وأنّه كما جرى على لسان صاحب الولاية التامة: عين كل شيء لا بمزاولة^١، وغير كل شيء لا بمزائلة، ومع المعقول معقول ومع المحسوس محسوس لانه ظل الله، واليه الاشارة في قوله تعالى: الم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً^٢، ولكونه عين كل شيء يتوهم أنّه كلي وقد علمت بطلانه.

والعبارات عن بيان انبساطه على الماهيات واشتماله على الموجودات قاصرة الا على سبيل التمثيل والتشبيه، وهذا يمتاز عن الوجود المقدّس الذي لا يدخل تحت التمثيل والتشبيه وهذا يصحح الايات الواردة في التشبيه، وكلما قيل في تمثيله تقريباً للافهام من وجه فهو تبعيد لها من وجه اخر كما قيل: ان نسبتة الى الموجودات العالمية نسبتة الهويي الاولي الى الاجسام الشخصية والصور النوعية، او كنسبة البحر الى الامواج والتشكلات، او نسبة الكلي الطبيعي كجنس الاجناس الى الانواع والاشخاص المندرجة تحته الى غير ذلك من التمثيلات.

واعلم ايضاً ان هذا الوجود غير الوجود الانتزاعي الاثباتي العام البديهي كما مر مراراً انه من المعقولات الثانية والمفاهيم الاعتبارية التي لا وجود لها الا في الذهن، والوجود الحقيقي بمراتبه الثلاث موجود في نفسه، اما بنفسه كاولال تعالى او بغيره كما سواه، والوجود الانتزاعي كسائر المفاهيم الاعتبارية التي لا وجود لها الا باعتبار وانما هي عنوانات ذهنية للاشياء الموضوعة ليحكم العقل عليها باحكامها وخواصها، وهذا وان خفي على اكثر اصحاب البحوث من المتأخرين لكن القدماء من الحكماء وسائر المحققين من العرفاء شاهدون على ان

١- مع كل شيء لا بمقارنة «نهج».

٢- الفرقان ٤٥.

للموجود حقيقة عينية، بل هو اصل الحقائق وان له مراتب، ومن مراتبه ينشأ الماهيات والمفهومات.

قال بعض العرفاء^١ بعد ان بين الوجود بالمعنى الثالث ومثله بالمادة بقوله: الوجود مادة الممكن والهيئة المهيأة له بحكمة الموجد العليم الحكيم على وفق ما كان في علمه مهيةً بهذه العبارة، والعرض العام هو الضعيف اللاحق به عند تقيده بقيد الامكان وبعده عن حضرة الوجود واسره في ايدي الكثرة. انتهى.

اراد بالعرض العام الوجود الذي بمعنى الموجودية النسبية، ووصفه بالضعيف لانه ضعيف الوجود كسائر المعاني النسبية وهو نسبة تلحق الماهية الممكنة عند حصولها في العقل دون العين.

واعلم انه اطلق في عرفهم الوجود المطلق على الحق الواجب يكون مرادهم الوجود بالمعنى الاول، اي الحقيقة بشرط لا شيء والتنزيه لا المعنى الاخير، والا يلزم عليهم المفسد الشنيعة كما لا يخفى على ذوي البصيرة، وما اكثر ما ينشأ لاجل الاشتباه بين المعنيين من الضلالات والعقائد الفاسدة من الاحاد والاباحة والحلول والتشبيه واتصاف الحق تعالى بصفات الحادثات وصورته محل النقائص والافات^٢.

فعلم ان التنزيه المحض والتقديس الصرف كما رآه المحققون من الحكماء والمحققون من اصحاب الشرائع والاسلاميين باق على الوجه المقرر المبرهن عليه بلا شك وريب، بعد ان يعرف الفرق بين مراتب الوجود على ما اوضحناه كما قيل:

١- هو صدر الدين القونوي قدس سره.

٢- قال فاضل الاصفهانى في حواشيه على الشوارق: اعلم ان الوجود قد يطلق ويراد به المعنى المصدرى النسبى الذي هو من المعقولات الثانية التي لا يكون وجوده الا في العقل. وقد يطلق ويراد به المعنى الحقيقى الذي هو من مبدأ الآثار ومنشأ الاحكام، ويعبر عن الاول بالوجود النسبى وعن الثاني بالوجود الحقيقى وهو حقيقة بسيطة شخصية. ثم اعلم ان الوجود الحقيقى قد يؤخذ بشرط لا، والمراد سلب جميع التعينات والنقصانات، وقد يؤخذ لا بشرط التعين، وقد يؤخذ بشرط التعين. الثالث وجود الممكن والاوّل وجود الواجب تعالى والثاني امره، وقد يعبر عنه بالوجود المطلق، والمراد سلب جميع التقيدات حتى التقيد بالاطلاق ويعبر عن الثاني بالوجود المطلق ايضاً والمراد التقيد بالاطلاق، ولما قيل: ان الوجود المطلق هو الواجب توهم جمع كثير ان المراد هو الثاني وليس كذلك، بل المراد هو الاول، فمن قال بان الوجود لا بشرط التعين واللاتعين هو الواجب فقد اخطأ وضل ولم يفهم المراد بل عنه غفل، فاستقم كما امرت فلا تكون من الجاهلين.

من يدر ما قلتُ لم يخذل بصيرتهُ وليس يدريه الا من له البصر والى هذه المراتب الثلاث اشار السمباني^١ في حاشيته على الفتوحات: الوجود الحق هو الله والوجود المطلق فعله والوجود المقيد اثره. لم يرد بالوجود المطلق، العام الانتزاعي، بل الفيض الانبساطي، واراد بالوجود المقيد وجود كل واحد من الممكنات كالعقل والنفس والفلك والانسان وغيرها، فان كلا منها مقيد محدود بماهية خاصة.

فاذا تحققت وتصورت لك هذه المراتب الثلاث علمت ان اول ما ينشأ من الذات الاحدية والوجود الحق الذي لا وصف له ولا نعت ولا اسم ولا رسم هو هذا الوجود المنبسط الذي يقال له الحق المخلوق به ونفس الرحمن، وربما يقال له حقيقة الحقائق وحضرة الاسماء ومرتبته الواحدية واحدية الجمع واسم الله، وهذه النشوء والمنشئية ليست فاعلية ومفعولية ولا عليية ولا معلولية، لانها تقتضي المباينة، والوجود سنخ واحد ذو مراتب، والمراتب الوجودية بحيث ينطوي بعضها في بعض ويحيط بعضها ببعض، وانما يتحقق الجاعلية والمفعولية بين الوجودات المقيدة باعتبار تعييناتها وامتيازاتها بالماهيات والاعيان الثابتة.

فالوجود الحق الاحدي من حيث الاسم^٢ الله، المتضمن لسائر الاسماء على وجه الاجمال، منشأ لهذا الوجود المطلق، باعتبار وحدته الذاتية ليست كسائر الوحدات العددية او الجنسية او النوعية او غيرها وباعتبار اتصافه بسائر الاسماء الالهية المندرجة في الاسم^٢ الله الموسوم بالمقدم الجامع وامام الائمة، وبواسطته يؤثر في الاشياء بوجوداتها الخاصة التي لا تزيد على الوجود المطلق^٣ المنبسط، كالحروف والكلمات الانسانية التي لا تزيد على النفس الخارج من جوفه من الروح البخاري الحيواني المنبسط على الاعضاء المارّة على مخارج الحروف ومنازها الثمانية والعشرين، والمناسبة بين الحق والخلق انما هي بسبب هذه الواسطة كالمناسبة بين النفس والبدن بواسطة الروح الحيواني، اذ ليس من الوجودات المقيدة ما يكون له جمعية الاسماء.

١- وهو الشيخ علاء الدولة السمباني قدس سره احد اقطاب الصوفية .

٢- اسم - م .

٣- عبارة الاسفار هكذا : فالوجود الحق الواجب من حيث اسم الله المتضمن لسائر الاسماء منشأ لهذا الوجود المطلق الشامل باعتبار ذاته الجمعية وباعتبار خصوصيات اسمائه الحسنی المندمجة في اسم الله الموسوم عندهم بالمقدم الجامع وامام الائمة يؤثر في الوجدات الخاصة التي لا تزيد على الوجود المطلق، فالمناسبة بين الحق والخلق انما تثبت بهذا الاعتبار....

وقول الحكماء : ان الصّادر الاوّل هو العقل موافقا لما ورد في الحديث من : انّ الله عزّ وجلّ خلق العقل وهو اوّل خلق من الرّوحانيين عن يمين العرش ، لا ينافي ما ذكرناه ، لأنّ ذلك بالقياس الى الموجودات المقيدة المتباينة الذوات كالكلمات ، وآلا فعند تحليل الذهن : العقل الاوّل الى الوجود والماهية المخصوصة وهما اللذان باعتبارهما الوجوب والا مكان ، يحكم بتقدم الوجود بما هو وجود مطلق على الماهية بما هي محدودة ، وان الشيء اعني الماهية مالم يجب لم يوجد .

فاوّل ما ينشأ من الحق هو الوجود المطلق ويلزمه بحسب كل مرتبة من المراتب ومنزل من المنازل ماهية مخصصة ومكان خاص مظهر اسم خاص ، فعالم الغيب مظهر الاسم الباطن وعالم الشهادة من الاسم الظاهر والمجردات من الاسم القدوس والماديات من الاسم المذل وعلى هذا القياس .

وكما أنّ الذات الاحدية باعتبار ذاته وهويته مقدس عن الاوصاف والاعتبارات ، ولكن يلزمها باعتبار الواحدية والالهية وبحسب مرتبة الاسم الله جميع الاسماء والصفات التي ليست خارجة عن ذاته ولا متأخرة ولا مجعولة بل هي مع الذات والذات مع احديتها جامعة لمعانيها المعقولة بلا لزوم كثرة وانتلام وحدة ، فكذلك الوجود المطلق باعتبار حقيقته وسنخه غير الماهيات والاعيان الخاصة ، الا أنّ له في كل مرتبة من المراتب الدّاتية ماهية خاصة واسم خاص وهو عينه الثابت في تلك المرتبة ، وتلك الماهيات والاعيان كما علمت مراراً غير مجعولة ولا موجودة في نفسها ولها الحكم والاثر من جهة الوجود الخاص الذي هي معه ، فالاحدية الواجبية منشأ الوجود المطلق والواحدية الاسمائية اله العالم وجوداً وماهية .

فسبحان من ربط الوحدة بالوحدة والكثرة بالكثرة ، والالم يكن بين المؤثر والمتأثر مناسبة ، وذلك ينافي التأثير والايجاد .

قال الشيخ العارف المحقق محيي الدّين في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات الملكية : اعلم أنّ الموجودات هي كلمات الله التي لا تنفذ كما في قوله : قل لو كان البحر مدادا...^٢ الآية ، وقال تعالى في حق عيسى : وكلمته القاها الى مريم^٣ ، وهو عيسى

١- مظهر الاسم - م .

٢- الكهف ١٠٩ .

٣- النساء ١٧١ .

عليه السلام، فلهذا قلنا: ان الموجودات كلمات الله من حيث الدلالة السمعية، اذ لا يصدقنا كل احد فيما ندعي به الكشف والتعريف الالهي، والكلمات المعلومة في العرف انما تتشكل عن نظم الحروف من النفس الخارج من المتنفس المتقطع في الخارج، فيظهر في ذلك التقاطع اعيان الحروف على نسب مخصوصة فيكون الكلمات، وبعد ان نهتك على هذا لتجعل بالك لما نوره في هذا الباب.

ثم قال بعد كلام: فلما علمنا ان له نفساً وانه الناطق لا وان له كلاماً وان الموجودات كلماته، علمنا انه تعالى ما علمنا بذلك الا لنقف على حقائق الامور، فنقبل جميع ما ينسبه اليه على السنة رسله وكتبه المنزلة، وجعل النطق في الانسان على اتم الوجوه، فجعل ثمانية وعشرين مقطوعاً للنفس يظهر في كل مقطع حرفاً معيناً هو عين الاخر ما هو عينه مع^٣ كونه ليس غير النفس، فالعين واحدة من حيث انها نفس وكثيرة من حيث المقاطع والمنازل وجعلها على ثمانية وعشرين، لان العالم على ثمانية وعشرين من المنازل التي تجول السيارة فيها وفي بروجها وهي امكنتها من الفلك المستدير كمامكنه الخارج للنفس الانسان لايجاد العالم وما يصلح له.

ثم ساق الكلام في التطبيق والموازنة بين النفس الرحماني والنفس الانساني الى ان قال في هذا الباب ايضاً: وكل ذلك كلمات العالم تقسم في الانسان حروفاً من حيث احادها وكلمات من حيث تركيبها، كذلك اعيان الموجودات حروف من حيث احادها وكلمات من حيث امتزاجها من المعاني. انتهى كلامه.

اذا تمهدت هذه المبادئ والاصول وتصورت فلنعد الى المقصود فنقول: قوله عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير مصوت الى قوله: غير مستور، اشارة الى اول ما نشأ منه تعالى، وظاهر انه ليس من جنس الاصوات والحروف المسموعة ولا من جنس الجواهر الجسمانية ولا من القوى والتفوس المتعلقة بها ولا من قبل الاعراض لكونها من التوابع، فان جميع هذه الامور التي ذكرناها عارية عن رتبة الاولية في الخلق ساقطة عن درجة التقدم لما عداها من الممكنات وعن الاتصاف بهذه النوع المذكورة.

١- فيه «الفتوحات».

٢- الباطن «الفتوحات».

٣- ما هو عين الآخر ميزه المقطع مع «الفتوحات».

فلم يبق في الاحتمال العقلي الا احد امرين : اما الوجود المطلق الانبساطي والفيض الرحماني او العقل المفارق ، وكل منها صالح محتمل في جليل النظر لصدق هذه النعوت والاصاف عليه ، الا ان دقيق النظر يرجح الاول بوجوه من الترجيح بعضها ذكر وعلم وبعضها سيظهر .

اما كونه غير مصّوت بالحروف وغير منطوق باللفظ : فلان الاصوات والحروف والالفاظ من الاعراض الضعيفة الوجود المتعلقة بالاجسام المستحيلة الكائنة الفاسدة .

واما كونه غير مجسد بالشخص : فلتقدس ذاته عن قبول الانقسام والتركيب .

واما عدم اتصافه بالتشبيه : فلخلو ذاته عن الكيفيات المحسوسة وغير المحسوسة فضلا عن الالوان والاصباغ العارضة للاجسام المركبة الكثيفة .

واما كونه مسلوباً عنه الاقطار والابعاد فلكونها من صفات الاكوان المكانية والزمانية ، وهو قبل المكان والزمان ، لكونها من توابع المادة وهي احسن خلق الله وابعدها عن عالم الربوبية .

واما كونه بعيداً عنه الحدود : لان الوجود المطلق لا حد له .

واما كونه محبوباً عنه حس كل متوهم : فلارتفاعه عن درجة المحسوسات

والموهومات .

واما انه مستتر غير مستور : فلان اختفاء الوجود لغاية ظهوره .

واما كونه كلمة : فلما علمت من صحة اطلاق كلمات الله على الموجودات الصادرة

عنه تعالى لكونها مظاهر اسمائه وصفاته .

واما كونه كلمة تامة : فلجامعيته واشتماله على معاني الاسماء والصفات وكونه

مظهر الاسم الله المندرج فيه جميع الاسماء وكون الاسم عين المسمى بوجه وكون المظهر عين الظاهر بوجه .

واما كونه على اربعة اجزاء ليس منها واحد قبل الاخر : فاعلم ان تلك الاجزاء

ليست اجزاء خارجية ولا مقدارية ولا حدية كالجنس والفصل او كالمادة والصورة ، سواء

كانتا ذهنية او خارجية ، بل انما هي معان واعتبارات ومفاهيم اسماء وصفات .

فيمكن ان يقال بوجه : ان المراد منها صفة الحياة والعلم والارادة والقدرة ، فان اول

الصّوادر سواء اعتبر كونه عقلا او وجوداً منبسطاً يصدق عليه انه حي عليم مرید قادر .

فهذه الاربعة هي امهات الاسماء الالهية وما هو سواها كلها مندرجة تحت هذه الاربعة، ثلاثة منها مضافة الى الخلق، لان العلم والارادة والقدرة من الصفات الاضافية فهي طالبة لمعلوم ومراد ومقدور، وواحد منها ليس كذلك واليه اشار بقوله عليه السلام: فاطهر منها ثلاثة لفاقة الخلق اليها وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون.

وفيه وجه اخر وهو: انه قد ذكر في كتب الحكمة: ان الصادر الاول له اربعة حيثيات: الوجود والوجود والماهية الامكانية والتشخيص، فمن حيثية وجوده الواجب بالحق تعالى صدر بواسطته جوهر قدسي اخر، ومن حيث ماهية^١ الامكانية وتشخصها صدر^٢ جرم الفلك الاقصى ونفسه، فحيثية الوجود لما كانت راجعة الى الحق فليس اثرها الاولي الا وجود الصادر الاول، ثم وجوده وماهيته وتشخصه صارت مصادر ثلاثة لامور ثلاثة: فالاول هو الاسم المكنون المخزون والثلاثة الباقية هي الاسماء البارزة لحاجة الخلق.

وقد علمت ان اطلاق الكلمة التامة على الجوهر العقلي واقع في لسان القرآن ومطابق لدلالة البرهان، وان المراد بالاسماء هي المعاني المعقولة وانها قد تطلق على مدلولاتها ومظاهرها الخارجية ولو باعتبار الجهات والحيثيات.

وكما ان من الاسماء ما هو كالجنس لطائفة منها، كالمدرک للعلم والسميع والبصير والحكيم والخير وما هو كالنوع، كاحد هذه الخمسة وما هو كالعرض اللازم لبعض، كالقادر للحي او العرض الغير اللازم، كالغافر للقدیر وما هو كالمركب العقلي من الاجزاء العقلية، كالحكيم وما هو كالمركب الخارجي، كالحی القيوم والعلی العظيم وما هو كالبيسط الحقيقي، كالموجود الى غير ذلك من الاقسام، فظاهرها ومربوباتها كذلك حذو القذة بالقذة.

وكما ان الاسم الجامع وامام الائمة هو الاسم الله المتضمن لجميع الاسماء، تضمن المحدود للحد، حتى ان الاسماء المفصلة الالهية كلها شرح لذلك الاسم الجامع، فكذلك خليفة الله في الارض والسماء مختصر جامع لمدلولات الاسماء وكلمة جامعة لمعانيها، والعالم كله تفصيل ذاته بصورها القائمة بالنفس الرحماني والفيض الانبساطي بحسب مراتبه ومنازله، واليه الاشارة بقوله: فهذه الاسماء التي ظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى، لما علمت ان

١- ماهيته - م . .

٢- صدر عنه - م .

الاسم عين المسمى بوجه والظاهر عين المظهر بوجه .

واما قوله عليه السلام : وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الاسماء اربعة اركان ، فنقول على وجه التأويل لا على وجه الحكومة والتسجيل : ان لكل من العلم والارادة والقدرة ، اربعة مراتب هي كالاركان لمبنى واحد : فراتب العلم : تعقل وتوهم وتخيل واحساس ، فالتعقل للعقل الكلي والتفكر للنفس الناطقة والتخيل للنفس الحيوانية والاحساس للطبيعة الحسية ، ومراتب الارادة : عشق وهوى وشوق وشهوة ، فالعشق للعقل والهوى للنفس الناطقة والشوق للنفس الحيوانية والشهوة للطبع الحسي ، ومراتب القدرة : الابداع والاختراع وهو التصوير والفعل وهو الاعداد والتحريك ، فالابداع من العقل والتصوير من النفس الناطقة والفعل من النفس الحيوانية والحركة من الطبيعة ، ولهذا قيل في تعريف الطبيعة : انها مبدأ اول الحركة ماهي فيه وسكونه بالذات .

ونقول : ههنا وجه اخر اقرب وهو : ان هذه الاسماء الثلاثة لما كانت اسماء لكلمة واحدة ومعاني عقلية لعين واحدة وكلها في مرتبة واحدة لا تقدم لواحد منها على الاخر ، فالمسخر المربوب لكل واحد منها هو بعينه المسخر المربوب للاخر ، فالاركان الاربعة المسخرة لهذه الاسماء الثلاثة تجب ان تكون اعيانها بازاء العين لهذه الكلمة واوصافها الاسمية بازاء هذه الاسماء الثلاثة ، فالكلمة من الكلمة والاسم من الاسم .

فاذا تقرر هذا فنقول : الاركان الاربعة المسخرة للكلمة الالهية واسم الله الاعظم هي العقل والنفس والطبع والجرم ، بل ما من جوهر من جواهر هذا العالم الا وله عقل ونفس وطبع وجرم وهي اركان العالم ، ما من جزء من اجزاء العالم الا ويندرج تحت واحد منها وكل منها كلمة من الكلمات كما مرّ وجهه ، لكنها متفاضلة مترتبة في الشرف والمنزلة ، فكل منها مشتمل على معاني الاسماء الثلاثة من العلم والارادة والقدرة ، ولكن على وجه التفاوت في الظهور والخفاء والقوة والضعف كما اشرنا اليه .

قال الشيخ العربي في الفص السليماني من كتاب فصوص الحكم : وكما ان كل اسم الهي اذا قدمته سميته بجميع الاسماء ونعته بها ، كذلك فيما ظهر من الخلق فيه اهلية كل ما فوصل به ، فكل جزء من اجزاء العالم مجموع العالم اي هو قابل لحقائق متفرقات العالم كله ، فلا يقدر قولنا ان زيدا دون عمرو في العلم ، ان هوية الوجود عين زيد وعمرو

ويكون في عمره واكمل^١ منه في زيد، كما تفاضلت الاسماء الالهية وليست غير الحق. وقال الشارح القيصري في شرح هذا الكلام: اي كما ان الاسماء الكلية اذا قدمتها صارت مسماة بجميع الاسماء التالية لها ومنعوتة بكل توابعها في مثل قولك: ان الله هو السميع العليم، انه هو التواب الرحيم، فهي متفاضلة، ومع ذلك هوية الحق مع كل منها، سواء كان اسماً كلياً متبوعاً او جزئياً تابعاً، واذا كانت الهوية مندرجة في كل منها كأن كل واحد منها مجمعاً لجميع الاسماء، كذلك المظاهر الخلقية وان كان بعضها أفضل من بعض، لكن المفضل فيه اهلية كل فاضل عليه لان الهوية الوجودية^٢ سارية فيه، فهو بحسب ذلك الاندراج يجمع لجميع الاسماء، فخصائصها ايضاً مندرجة فيه فله الاهلية لجميع الكمالات، فكل جزء من اجزاء العالم فيه مجموع ما في العالم بوجه. انتهى.

والغرض من هذا النقل ان يعلم كون كل واحد من هذه الاركان والكلمات الاربعة متضمناً لمعاني الاسماء الثلاثة التي هي مجامع تفاصيل سائر الاسماء الالهية ومُظهر لها. فاذا اعتبرت انقسام كل واحدة من هذه الكلمات الاربعة بتلك الاسماء الثلاثة صار المجموع اثني عشر ركناً لهذا العالم، ولهذا المناسبة انقسمت الافلاك بما فيها باثني عشر قسماً هي البروج المشهورة على وجه الترتيب الثلاثي، وكان اصل العالم جوهرًا واحداً مخلوقاً على صورة الاسم الرحمن الذي بمنزلة الاسم الله في جامعته للاسماء الحسنی كما في قوله تعالى: قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی^٣، فانقسم باربع حقائق هي اصول العناصر، كل منها انقسم ثلاثة اقسام فصارت اثني عشر قسماً وصارت الفروض المقدره في الفلك الاطلس اثني عشر فرضاً.

لان منتهى اسماء العدد الى اثني عشر اسماً وهي من الواحد الى التسعة ثم العشرة ثم المائة ثم الالف، وليس ورائها الى لا نهاية مرتبة اخرى لها اسم اخر، وانما يكون التركيب فيها بالتضعيف لهذه الاسامي الى غير نهاية، وكان الواحد اصل العدد، فالعالم ايضاً كثره من وحدة وتفصيل بعد اجمال وفتق عن رتق. قال تعالى: ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي^٤.

١ - اكمل واعلم «فصوص».

٢ - الالهية «شرح الفصوص».

٣ - الاسراء ١١٠.

٤ - الأنبياء ٣٠.

فنظم هذه الطبائع الاربع : فالنار بازاء العقل لكونه فوق الباقية، والهواء للنفس والماء للطبع والارض للمادة، فظهر حكم كل من الاربع في ثلاثة مواضع من الفلك الاقصى وجسم الكل، فالنار البسيطة المعقولة التي هي اصل النيرانات واسفلها واكتنفها هذه النار المحسوسة عندنا، ظهر حكمها في ثلاثة اماكن من كل سماء وهي الحمل والاسد والقوس وهي البروج النارية، وظهر سلطان الهواء البسيطة في ثلاثة اماكن منها وهي الجوزاء والميزان والدلو وهي البروج الهوائية، وظهر حكم الماء البسيط في السرطان والعقرب والحوت وهي البروج المائية، وظهر سلطان الارض البسيطة العقلية في البروج الترابية: الثور والسنبلة والجدي.

فهذه الحقائق الاثنا عشرية لا بد ان يكون اربابها اثني عشر اسماً من الاسماء الالهية.

واذا جرى في كل من هذه الاسماء ومر بوباتها حكم الاسماء الثلاثة الاصلية التي هي الائمة الكبراء بعد امام الائمة صارت ستة وثلاثين عدد الاسماء المذكورة في هذا الحديث من الرحمن الى الوارث، واذا ضوعف كل منها عشرة باعتبار الاسماء التي للمقولات العشر: الجوهر والكم والكيف والايين والمتى والوضع والفعل والانفعال والملك والجدّة — وقد مرّ ان بازاء كل منها حقيقة ربانية واسم الهي — ارتقى عدد الاسماء ومر بوباتها الى ثلاث مائة وستين عدد الدرجات الفلكية، فيكون تحت كل اسم من الاسماء الاثني عشر ثلاثون اسماً من الاسماء الفعلية التي هي دون اسماء القضائية والقدرية، ولذلك انقسم كل برج فلكي وركن سماوي الى ثلاثين جزء، واليه الاشارة بقوله: ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً اليها.

فظهر ان العالم كله مخلوق على صورة الاسماء الالهية وان بين الاسماء تفاضلاً كما بين المخلوقات، ولبعضها السلطنة والحكومة والامامة على البعض وبعضها كالحدّمة والسندنة لبعض، مع ان لجميها ذات واحدة وانها موجودة بوجود واحد حق بلا كثرة فيسرى اثرها وحكمها في العالم، فما من العالم شيء الا وهواثر اسم او اسماء كثيرة باعتبار بساطته وتركيبه وشرفه وخسته، ففي الموجودات كلما هو اعلی رتبة واقوى وجوداً فهو اكثر جمعا للمعاني واشد وحدة، لانه تحت اسم هو اكثر حيطة لغيره من الاسماء، وكلما هو ادنى رتبة واضعف وجوداً فهو اقل جمعية للمعاني واضعف وحدة واكثر قبولاً للتفرقة، لانه تحت اسم يناسبه.

فاعلم من ههنا ان الاسماء الغير المحصورة واقعة تحت الاسماء الثلاث مائة والستين ، وان هذه واقعة تحت حيطة الاسماء الاثني عشر، كل ثلاثين منها واقعة تحت واحد من هذه وهذه الاثني عشر واقعة تحت حيطة تلك الاسماء الثلاثة الائمة ، كل اربعة منها تحت كل واحد^١ من الائمة الثلاثة اي باعتبار الغلبة واكثرية الظهور.

فقد علمت ان لكل اسم من الاسماء نصيباً وحظاً من البواقي اذ جميعها اسماء لذات واحدة، وكذلك هذه الثلاثة الاصول لا بد ان تكون واقعة تحت الاسم الواحد المكنون المخزون .

ولما كان كل معلول وفعل واثر حجابا على علته وفاعله واصله ، فالاسماء الثلاث مائة حجب على الاثني عشر وهي حجب على الثلاثة وهي حجب على الاسم الواحد .

احتجب الواحد اولاً بهذه الثلاثة ثم بالاربعة ثم بالاثني عشر ثم بالثلاثين ثم بالثلاث مائة ثم بغيرها مما لا يحصى ، وذلك الواحد الذي هو امام الائمة ومرجع الكل هو الله او الرحمن كما في قوله تعالى : قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى^٢ ، فان الرحمن حكمه في السعة والشمول حكم اسم الله^٣ ، حتى ان وجود الغضب وعينه ايضاً من الرحمة الواسعة ، لان الرحمة ذاتية والغضب عارض .

قال الشيخ الاعرابي في الفص الزكرياوي : اعلم ان رحمة الله وسعت كل شيء وجوداً وحكماً ، فان وجود الغضب من رحمة الله بالغضب ، فسبقت رحمته غضبه ، اي سبقت نسبته الرحمة اليه . انتهى .

وذلك لان الوجود هي الرحمة الشاملة لجميع الماهيات والاعيان ، ومن جملتها ماهية الغضب وما يترتب عليه من الالام والاسقام والبلايا والمحن مما لا يلائم الطبع ، فوسعت الرحمة كما وسعت لغيرها ، فوجود الغضب من رحمة الله على عين الغضب ، فسبقت نسبة الرحمة اليه تعالى على نسبة الغضب^٤ ، وذلك لان الرحمة كما سبق ذاتية للحق تعالى وعين الغضب ناشئة

١- تحت واحد - م - د .

٢- الاسراء ١١٠ .

٣- قال مولانا صدرالدين القونوي في مفتاح الغيب : الرحمن اسم لصورة الوجود الالهي من حيث ظهوره لنفسه . وقال ايضاً : الرحمن للوجود والاسم لله للمرتبة والحقيقة الجامعة . قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ماتدعوا فله الاسماء الحسنى .

٤- الغضب اليه «شرح القيصري» .

عن عدم قابلية بعض الاشياء لبعض الكمالات فيسمى شقاوة وشرأ، وانت اذا نظرت الى جميع ما يعد من الشّرور والمؤلمات والمؤذيات والعلل والامراض وجدتها في انفسها خيرات وجودية وكمالات، وانما شريتها بالقياس الى اضدادها التي لا تجتمع معها لقصور ذواتها عن الجمع بين اطراف الوجود.

ثم قال : والاسماء الالهية من الاشياء وهي ترجع الى عين واحدة، فاول ما وسعته رحمة الله شيئية تلك العين الموحدة للرحمة بالرحمة، فاول شيء وسعته الرحمة شيئية نفسها ثم شيئية^١ كل موجود يوجد الى ما لا نهاية له دنيا واخرة. انتهى.

اقول : قد اشرنا سابقاً الى ان الذات الاحدية والوجود المحض الواجبي بسيط محض ليس بمفهوم كلي ولا جزئي اضافي ولا يدركه عقل، وهذه الاسماء معان كلية لكن الجميع بحسب اعيانها وشيئياتها ناشئة عنه نحو اللزوم، فهي على كثرتها وتفصيلها نعوت و اسما هوية واحدة، فللذات الاحدية رحمتان : رحمة وجودية ورحمة شيئية اسمية، وكذا في العلم والقدرة وسائر الصفات، لانّ الوجود واحد للجميع والمعاني المعقولة الاسمائية شيئيات ذلك الوجود، فالرحمة الوجودية منشأ شيئية الرحمة الاسمية وبواسطتها منشأ شيئيات سائر الاشياء واعيائها وكذا الكلام في العلم وغيرها.

ومما يجب ان يعلم ان اطلاق الخلق والايجاد له تعالى بالقياس الى الاسماء والصفات الحقيقية كما وقع في هذا الحديث وغيره من الاحاديث من باب التوسع والاضطرار، وآلا فلا تغاير في الوجود بينه تعالى وبين معاني اسمائه وليست هي من قبيل اللوازم للماهية، اذ لا ماهية له تعالى ولا من لوازم الوجود له تعالى، لان لوازم الوجودات متأخرة الوجود عن وجودات ملزوماتها وتلك المعاني ثابتة في مرتبة الذات. نعم ! نسبتها الى ذاته تعالى كنسبة ماهية الممكن الى وجوده الآ انها ليست ماهية له تعالى لكونه غير محدود وكل ممكن محدود.

فكما أنّ ماهية الممكن مجعول بالعرض لاتحادها مع الوجود المجعول بالذات كذلك معقولات الاسماء والصفات الالهية لا مجعولة بالعرض لاتحادها بالآل المجعول بالذات وهو الوجود الواجبي. فافهم ذلك ان شاء الله.

١ - الرحمة نفسها ثم الشيئية المشار اليها ثم شيئية «فصوص».

الحديث الثاني وهو الثالث وثلاث مائة

«احمد بن ادريس عن حسين بن عبدالله عن محمد بن عبدالله وموسى بن عمر»
بضم العين ابن بزيع، بالباء المنقطة تحته والزاي والياء المنقطة تحته نقطتين والعين
المهملة، مولى المنصور من اصحاب ابي جعفر الثاني عليه السلام ثقة كوفي «صه» وفي
الفهرست: له كتاب روى عنه عبدالله بن حماد ويحيى بن زكريا.

«والحسن بن علي بن عثمان عن ابن سنان قال: سئلت ابا الحسن الرضا هل كان
الله عز وجل عارفا بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟ قال نعم! قلت يراها ويسمعها؟ قال: ما
كان محتاجا الى ذلك لانه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة
فليس يحتاج ان يسمي نفسه ولكنه اختر لنفسه اسماء لغيره يدعوها لانه اذا لم يدع باسمه لم
يعرف فاول ما اختار لنفسه العلي العظيم لانه اعلى الاشياء كلها فعناه الله واسمه العلي
العظيم هو اول اسمائه علا على كل شيء».

الشرح

كونه تعالى عارفا بذاته هو نفس ذاته، فذاته بذاته عارف ومعروف وعرفان من غير
تغاير بين هذه الامور كما عرفت سابقا، وكذلك كونه رايياً لذاته ومرئياً ورؤية لا يوجب
تغائراً في الذات ولا في الجهات والحيثيات، اذ شهود الشيء ليس الآ حضوره، وذاته
حاضرة لذاته، وكل مجرد كذلك، كعلمنا بنفوسنا الذي هو بعينه نفوسنا، ولكن نحن قد
نتصور نفوسنا بعلم زائد على نفوسنا.

وقد نتكلم نحن في انفسنا حديثاً نفسياً فنسمع منها الحديث ونسئله وذلك لنقص
ذواتنا وكونها محتاجة بالقوة، ولو كانت نفوسنا تامة بالفعل من كل الوجوه كان جميع ما
نطلبه وندعوه غير خارج عنها، فلم نحتاج الى تصور زائد ورؤية زائدة وسماع كلام وانشاء
حديث في النفس للتفلس.

فاذن هذه المعاني الزائدة مسلوقة عنه تعالى، لكونه تام الذات من كل وجه، فلا
يسئل ذاته ولا يطلب منه شيئاً، لان ما يطلبه هو نفسه ليس بخارج عنه بل هو فوق التمام،
لانه بقدرته يفعل الاشياء ويفيض وجودها منه، ونفسه هو قدرته وقدرته نافذة من دون

استعمال الة او فكر او روية او تردّد خاطر لا كقدرتنا الناقصة .

قوله عليه السلام : فليس يحتاج ان يسمّى نفسه ، كأنّ قائلاً يقول : اوليست ذاته تعالى قبل ان يخلق الخلق مسمّى بهذه الاسماء والاسماء مسموعة فيلزم عليه تعالى ان يكون ذاته يسمع عن ذاته ؟ فاشار الى دفعه بانّه تعالى غير محتاج الى ان يسمّى ذاته باسمه^١ ، لكونه متميزاً بذاته عن ما سواه وحيث هو في مرتبة من الوجود لا مشارك له ولا مكافئ في تلك المرتبة .

قوله عليه السلام : ولكته اختار لنفسه اسماءً لغيره يدعوه بها ، الضمير في ولكنّه للشأن ، اي ولكن اختار لنفسه اسماءً لائقة بذاته وصفاته ، وانما وضعها لاجل غيره لحاجته الى ان يدعوه بها ويسأل مآربه ومقاصده عنه تعالى ولان يعرف الله بتلك الاسماء ، اذ ليس كل احد ان يعرف المعاني الالهية والمعارف الربوبية الا بوسيلة الاسماء المسموعة .

قوله عليه السلام : فاول ما اختار لنفسه العلي العظيم ، لانه اعلى الاشياء كلها ، اعلم ان المراد بالاسماء في هذا الحديث الاسماء المفضولة التي هي اسماء الاسماء في الحقيقة كما عرفت مراراً ، وسيظهر لك ايضاً زيادة ظهور في ان العرف جار عند اهل الله واهل بيت النبوة عليهم السلام خاصة على اطلاق الاسماء المفضولة على معاني الصفات كما مرّ ، وعلمت ايضاً انها غير مجعولة ولا مخلوقة ، وانما هي معاني معقولة ثابتة بالاجعل الثابت للذات الاحدية وليس للاختيار فيها مدخل ولكن له مدخل في التسمية بالاسماء المفضولة المسموعة لحاجة الخلق .

فنقول : لابد اذن في اختيار العلي العظيم اولا لذاته تعالى دون سائر الاسماء من مرجح ، فاشار الى المرجح بان مدلول العلي الاعلى من خواصه تعالى لا يشاركه غيره ، ولان غيره من الاسماء مفهوماتها اضافية لا تعقل الآ مع تعقل الغير ، فانه العلي لذاته وكل ما عداه دونه في الرتبة وليس لاحد غيره علو الآ بالاضافة الى بعض ما عداه ، وعلوه الاضافي انما يستفيد منه تعالى ولقربه منه تعالى ، وكل ما هو اقرب منه تعالى فهو اعلى رتبة في الوجود .

وقوله عليه السلام : فعناه الله واسمه العلي العظيم ، يعني ان «الله» لما كان بازاء الذات وليس لاحد ان يناله او يدركه ، والغرض من الاسم ان يكون وسيلة الى ان فهم مدلوله ومسماه ، والعلّي العظيم معناه مفهوم لنا ولفظ الله غير مفهوم المعنى للخلق ، فهو بمنزلة الذات

والاسماء الإلهية جارية عليه، فانك تقول: هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى^١، والعلوي العظيم اسم الخاص لانه اول الاسماء كما مر من انه علي في نفسه وغيره مستفيد العلو النسبي منه، فيلزمه لكونه علياً في ذاته ان يكون اعلى الاشياء وان يكون اعلا على كل شيء، فهذا العلو النسبي له على سائر الاشياء من لوازم علوه الحقيقي الذاتي الثابت له قبل وجود من يعلو عليه من الممكنات.

قال الشيخ محي الدين الاعرابي في الفص الادريسي من كتابه: فالعلوي لنفسه هو الذي يكون الكمال الذي يستغرق به جميع الامور الوجودية والنسب^٢ بحيث لا يفوته نعت فيها^٣، وليس ذلك الا لمسمى الله خاصة، واما غير مسمى الله خاصة مما هو مجمل^٤ له او صورة فيه، فان كان تجلي^٥ وان كان صورة^٦ فتلك الصورة عين الكمال الذاتي لانها ظهرت^٧ فيه، فالذي لمسمى الله هو الذي لتلك الصورة، ولا يقال، هي هو ولا هي غيره. انتهى منه.

وهنا دقيقة لطيفة وهو: انّ عليا عليه السلام هو الانسان الكامل اكمل المخلوقات، اذ لافرق بينه وبين حبيب الله محمد صلى الله عليه وآله في باطن النبوة والولاية، والانسان الكامل مخلوق على صورة اسم الله وفيه ايات الربوبية ومظهرية الاسماء والصفات، وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم من بين الاسماء مشتقاً من اسمه العلي الاعلى، فعلم من ذلك ان لهذا الاسم مزيد اختصاص به تعالى.

الحديث الثالث

وهو الرابع وثلاث مائة

«وهذا الاسناد عن محمد بن سنان قال سألته» اي سئلت ابا الحسن الرضا عليه

١- الحشر ٢٤.

٢- والنسب العدمية «فصوص».

٣- لا يمكن ان يفوته نعت منها «فصوص».

٤- مجلي «فصوص».

٥- فان كان مجلي له فيقع التفاضل بين مجلي ومجلي «فصوص».

٦- صورة فيه «فصوص».

٧- عين ما ظهرت «فصوص».

السلام «عن الاسم ما هو قال صفة لموصوف».

الشرح

هذا كتصريح بما ادّعيناه مراراً من أنّ المراد من الاسماء في لسان الحديث وعرف اهل العرفان هي المعاني العقلية والنعوت الكلية الدالة على ذات الشيء وحقيقته، ونسبتها الى الذات نسبة الماهية، وان الاسماء الموضوعه انما وضعت اولاً وبالذات لهذه المعاني الكلية المعقولة لا للهويات الوجودية التي ليس للفهم سبيل الى ادراكها الا بالمشاهدة الحضورية.

الحديث الرابع

وهو الخامس وثلاث مائة

«محمد بن ابي عبد الله عن محمد بن اسمعيل عن بعض اصحابه عن بكر بن صالح عن علي بن صالح» الذي ذكر في «صه» والنجاشي: علي بن صالح بن محمد بن يزداد بالزاي بعد الياء المنقطة تحته نقطتين والدال المهملة بعدها، ابن علي بن جعفر الواسطي العجلي «الرفا» ابو الحسن، سمع فاكثرت ثم خلط في مذهبه «صه».

«عن الحسن بن محمد بن خالد بن يزيد عن عبد الاعلى عن ابي عبد الله عليه السلام قال: اسم الله غيره وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله، فاقاً ما عبرته الالسن او عملته الايدي فهو مخلوق والله غاية من غاياته والمغى غير الغاية والغاية موصوفة وكلّ موصوف مصنوع وصانع الاشياء غير موصوف بحدّ مسمى لم يتكوّن فيعرف كينونيته بصنع غيره ولم يتناه الى غاية الا كانت غيره. لا يذل^١ من فهم هذا الحكم ابدا وهو التوحيد الخالص فادعوه^٢ وصدقوه وتفهموه باذن الله. من زعم انه يعرف الله بحجاب او بصورة او بمثال فهو مشرك لانّ حجاب ومثاله وصورته غيره، وانما هو واحد موحد وكيف يوحد من زعم انه عرفه بغيره وانما عرف الله من عرفه بالله فن لم يعرفه به فليس يعرفه انما يعرف غيره، ليس بين الخالق والمخلوق شيء والله خالق الاشياء. لا من شيء كان، والله يسمى باسمائه وهو غير اسمائه واسمائه^٣ غيره».

١- لا يزل (الكافي).

٢- فارعوه (الكافي).

٣- والاسماء (الكافي).

الشرح

في هذا الحديث عدة مسائل ربوبية :

الاولى ان اسم الله غيره سواء اريد به اللفظ او الكتابة او المفهوم، اما اللفظ او الكتابة فظاهر، واما المعنى المفهوم فإنه امر كلي والكلي محتاج في وجوده وتعلقه الى غيره. الثانية ان كلّ شيء وقع عليه اسم شيء — سواء كان وجوداً او ماهية او ذاتاً او صفة او اسماً له تعالى او لغيره — فهو مخلوق ما خلا الله، اي ما خلا الذات الاحدية المسمى بالاسم الله، فإنّ ما عداه وان كانت اسماء له تعالى او معاني لاسمائه مخلوق اي تابع، سواء كان صادراً مجموعلاً او لازماً غير مجموعل.

الثالثة ان كلّ ما عبّرت به الالسن كالاسماء الملفوطة او عملته الايدي كالاسماء المكتوبة فهو مخلوق، وفيه اشارة الى رد مذهب من زعم انّ القرآن قديم حتى مَقْرُوءه ومكتوبه، وكذا من زعم انّ الكلام عين المتكلم.

الرابعة ان «الله» اي اسم الله، لانّ الكلام فيه كما دلّ عليه صدر الحديث غاية من غاياته، اي علامة من علاماته، اذ الغاية بمعنى الراية وهي العلامة، وفي بعض النسخ : غاية من غاية، والمعنى غير الغاية، اي المقصود غير العلامة.

الخامسة انّ كل غاية موصوفة بصفة زائدة وكل موصوف بصفة زائدة فهو مصنوع، فالكلام في صورة قياس برهاني، من افضل ضروب الشكل الاوّل المنتج بموجبة^١ كلية وهو قولنا : كل غاية مصنوعة، اما الصغرى : فلان الذي يجعل علامة فله ذات في نفسه غير ما هي علامة له، وقد عرضه كونه علامة لانّها من جنس المضاف، وذات الشيء غير اضافته الى ما هي علامة له، فاذن كلّ علامة لشيء فهو موصوف بصفة عارضة، واما الكبرى : فلانّ كل ما عرض له امر ففيه تركيب من امر بالقوة وامر بالفعل، وكلّ مركب مصنوع مخلوق.

السادسة انّ صانع الاشياء غير موصوف بجد مسمى، يريد بيان : انّ الحقيقة الالهية شيء غير معاني الاسماء والصفات، والكلام في صورة قياس مطوى الكبرى من الشكل الثاني، وهو انّ صانع الاشياء لاحد له وكل اسم وصفة فهو محدود فصانع الاشياء غير اسمائه وصفاته.

اما القضية الاولى : فلما مرّ مراراً أنّ الوجود المحض لا حدّ له ولا جزء ولا برهان عليه ، اذ الحدود والبراهين مأخوذة من ذاتيات الشيء وصفاته الكلية ، وعلمت ايضا أنّ الاسامي بازاء المفهومات وحدودها ، فذاته تعالى من حيث هويته الوجودية غير محدود ولا مسمى .

واما القضية الاخرى : فإنّ كل اسم وصفة واقع تحت جنس من عوالي الاجناس ، والصفات الاضافية واقعة تحت مقولة المضاف ، والصفات الحقيقية ايضاً ، كالعلم والقدرة مفهوماتها ، واقعة تحت مقولة الكيف ، وكل ما له جنس فله فصل وكلما له جنس وفصل فله حد ، فجميع الاسماء والصفات موصوف بحدّ وله اسم ، فالواجب تعالى الذي هو بذاته صانع الاشياء هو غير كل اسم وصفة .

السابعة قوله : لم يتكوّن فيعرف كينونيته بصنع غيره ، يريد بيان : أنّه تعالى لا يمكن ان يكون مدركا لغيره ، اذ ادراك الشيء اقا بمحصول صورته او بحضور ذاته ، وكلّ ما يدرك بمحصول صورته فهو امر كلي وله احتمال الشركة بين الامثال .

والوجود كما مرّ ليس بكلي ولا جزئي له امثال ، فلا يمكن معرفة شيء من الهويات الوجودية الا بنفس هويته وحضور ذاته ، ولا حضور للشيء الوجودي الا لنفسه او لصانعه ، فدرك كلّ وجود اما ذاته او صانع ذاته لا غير ، فكلّ معروف لغيره فذلك الغير صانعه وموجده ، وواجب الوجود حيث لم يتكون من غيره فلا يعرفه غيره ، لما ذكرنا ان لا حضور للشيء الوجودي الا لذاته او لصانعه ومكونه ، فإنّ صانع الشيء محيط به ، لانه تمام ذاته ، واما المصنوع فهو غير مدرك لصانعه ، اذ ليس عنده من الصانع الا وجه من وجوهه وحيثية من حيثياته كنسبة ضوء او ظلّ من الشمس الى الشمس .

فظهر من ههنا أنّ ذاته تعالى لا يعرفه غيره ، ثبت أنّ ذاته غير اسمائه وصفاته لانها معروفة وهذا هو المطلوب .

الثامنة ان كلّ ما ينتهي اليه معرفة احد فهو تعالى غيره ، لما مرّ ان كلّ ما يتصوّر في عقل او وهم او حسّ من المعاني والماهيات فله امثال واشباه والله ليس له مثل ولا شبه ، فهذه ايضاً حجة على أنّ اسمائه وصفاته ليست هي بحسب المفهوم ذاته . نعم ! لا وجود لها فيه تعالى الا وجود الذات ، على أنّها غير موجودة في حدود انفسها ؛ فهذا من الغوامض ، فانها

لا موجودة ولا غير موجودة لا واحدة ولا غيراً واحدة.

قال الشيخ الاعرابي في الفص الاسماعيلي : اعلم انّ مسمّى الله احدي بالذات كل بالاسماء، وكل موجود فما له من الله الآ ربه خاصة يستحيل ان يكون له الكلّ، واما الاحدية الالهية فما لأحدٍ فيها قدم. انتهى.

ولمّا كان علم الاسماء الالهية علماً غامضاً دقيق المسلك قد زلت فيه اقدام كثير من الناس، وقد ذكر في هذا الحديث ما يفتح به باب المعرفة لمن كان له قلب و يثبت به قدمه في التوحيد اشار الى ذلك بقوله: لا يذل من فهم هذا الحكم ابدأ، وهو التوحيد الخالص اي عن شوب كثرة ونقيضة^٢ وحدث وامكان، ثم امر بطلبه وتصديقه وتفهمه بقوله: فادعوه، اي اطلبوه بالبحث والتفتيش وصدقوه بالاذعان واليقين وتفهموه بالتعلم والسؤال كما قال تعالى: فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون^٣، باذن الله اي بتوفيقه وتأيدده.

المسألة التاسعة انه لا يمكن معرفة الله الا به، وقد سبق انه لا يمكن العلم به الا بشهود ذاته وصريح هويته الاحدية، اذ لا صورة تساويه ولا جنس ولا فصل ولا جزء ولا ماهية، ولا سبب له ولا برهان عليه ولا حد له ولا معرف له، اذ ذاته اظهر من كل شيء فلا يظهره غيره، وايضا كل ما فرضت انه سبب ظهوره فهو سبب ذاته، اذ ظهوره عين ذاته وذاته لا سبب له، فكذا لا سبب لظهوره، فن زعم انه يعرف الله بحجاب اي بمتوسط بينه وبين خلقه او بصورة عقلية او بمثال خيالي فهو مشرك غير موحد، اذ جعل غيره من كل الوجوه مثله، وكل ما عرف بشيء فلا بد بين المعرف والمعرف من مماثلة ومن جهة اتحاد، وآ فليس ذلك الشيء معرفة اصلاً.

الا ترى انك اذا قلت الانسان حيوان ناطق فوجدت بين المعنيين اتحاداً بالذات؟ واذا قلت الضاحك كاتب فبينها اتحاد بالموضوع؟ والله سبحانه مجرد الذات عن كل ما سواه، فحجابه ومثاله وصورته غيره من كل وجه، اذ لا مشاركة بينه وبين غيره في جنس او فصل او مادة او موضوع او عارض، وانما هو واحد موحد فرد عما عداه.

قوله: فكيف يوحد من زعم انه عرفه بغيره، اي من زعم انه عرف الله بغيره فقد

١- ولا لاواحدة. النسخة البدل.

٢- نقيصة - م - د.

٣- النحل ٤٣.

ناقض نفسه في دعوى التوحيد، لان توحيده حينئذ عين الاشراك ، فالموحد الخالص عن الشرك من عرف الله بالله لا بغيره، فن عرفه بغيره فما عرفه ولا وحده، اذ ليس بين خالق الاشياء والاشياء شيء مشترك لا ذاتي لكونه بسيط الحقيقة ولا عرضي اذ ليس له امر عارض الا السلوب والاضافات، والاشترك بين امرين في السلب المحض او الاضافة المحضة لا يصحح كون احدهما معرفاً للآخر.

فان قلت : أليس الوجود أمراً مشتركاً بين الخالق والمخلوق ؟

قلنا : اما الوجود بالمعنى العام البديهي فهو امر اعتباري ذهني من المعقولات الثانية والاعتبارات الشاملة العامة كالشيئية ونحوها، واما الوجود الحقيقي فليس بطبيعة مشتركة بين الخالق ومخلوقه، لان وجوده تعالى حقيقة الوجود المحض الذي لا اتم منه ولا تناهي له في الشدة ولا يشوبه عدم وقصور ونقص ولا يمازجه ماهية وحد، واما وجود الممكن فهو كشرح وفيض له من وجوده تعالى وقد خالطه الاعدام والنقائص والافات والامكانات، فاين المشاركة بينهما في نحو من الوجود ؟

وقوله : والله خالق الاشياء لا من شيء كان، لتلا يتوهم انه مادة الممكنات، فلا يكون متبرئ الذات عنها فيقدح في فردانيتها، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. فظهر وتبين من جميع هذه المباحث كما ثبت وتحقق : ان ذاته تعالى المسمى بالاسماء الحسنى هو غير اسمائه واسمائه غيره على الوجه الذي مرّ بيانه بلا تعطيل وتشبيه.

باب معاني الاسماء واشتقاقها

وهو الباب السادس عشر من كتاب التوحيد وفيه اثني عشر حديثاً :

الحديث الاول

وهو السادس وثلاث مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن القاسم بن يحيى» مولى المنصور روى عن جده، ضعيف «صه» قال التجاشي : له كتاب فيه اداب امير المؤمنين عليه السلام، روى عنه احمد بن ابي عبدالله واحمد بن محمد بن عيسى بن عبيد «عن جده الحسن بن راشد» الطفاوي والظفاويون منسوبون الى حبال^١ بن منبه، هو اعصر بن سعد بن قيس

١- في نضد الايضاح : حيان بن منبه.

بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ومسكنهم البصرة وامهم الطفاوة بنت حرم بن ريان ولدت لحبال جرياً وسرياً وسناناً، وكان الحسن ضعيفاً في الرواية، وقال ابن الغضائري: الحسن بن اسد الطفاوي البصري يروي عن الضعفاء ويروون عنه وهو فاسد المذهب، وما اعرف شيئاً اصلح فيه الا روايته كتاب علي بن اسمعيل بن شعيب بن ميثم، وقد رواه عنه غيره.

والظاهر ان هذا هو الذي ذكرناه وانّ الناسخ اسقط الراء من اسم ابيه، وقال ابن الغضائري: الحسن بن راشد مولى المنصور ابو محمد روى عن ابي عبدالله وابي الحسن موسى عليهما السلام، ضعيف في روايته، وههنا ذكر الراء في الاول، والظاهر ان هذا ليس هو ذلك وليس هو الذي ذكرنا في القسم الاول من كتابنا عن الشيخ الطوسي رحمه الله، فانه قال: الحسن بن راشد يكنى ابا علي مولى آل المهلب بغدادى من اصحاب الجواد عليه السلام ثقة، الى ههنا كلام صاحب «صه» وفي فهرست: الحسن بن راشد له كتاب الراهب والراهبة، رواه القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد المنصور ابو محمد روى عن ابي عبدالله وابي الحسن موسى عليهما السلام، ضعيف في روايته؛ وابن داود حمل جميع ذلك من حسين مصغراً وقال: اني رأيت بخط الشيخ ابي جعفر في كتاب الرجال كذا، ثم قال: فرما التبس الحسين بن راشد بالحسن بن راشد، ذلك مولى بني العباس وهذا مولى آل المهلب، وذلك من رجال الصادق عليه السلام وهذا من رجال الجواد عليه السلام.

وقال بعض اصحاب الرجال^٢: والحق ان حمل ما في «ظم»^٣ على السهو من الشيخ اقرب من وقوع السهو عنه وعن غيره في مواضع، على انه لا ريب ان في رجال الصادق عليه السلام الحسن بن راشد كما هو معلوم من سند الروايات وكذلك في كتب الرجال والحديث في القاسم بن يحيى بن الحسن بن راشد مع التصريح في الرجال بانه مولى المنصور والراوي عن الصادق والكاظم عليهما السلام بلا شك، والفرق بين الثقة والضعيف بالمرتبة

١- هذا هو ابو علي الحسن بن راشد مولى آل المهلب البغدادي، الثقة، جد القاسم بن يحيى ومن اصحاب الجواد عليه السلام. والسابق هو ابو محمد الحسن بن راشد الصغوي، الضعيف، الذي يروى عن الصادق والكاظم عليهما السلام، فلا يتوهم التعدد وان كانا في طبقة واحدة او متقاربة.

٢- وهو الفاضل الزكي ميرزا محمد الاسترابادي رحمه الله في كتابه: تلخيص المقال، وهو رجاله الاوسط ومرزها «مع».

٣- اي: هو من اصحاب الكاظم عليه السلام.

والكنية والمروي عنه «عن عبدالله بن سنان قال سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن تفسير بسم الله الرحمن الرحيم قال : الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله». قال الشيخ الجليل جامع الكافي رحمه الله : «وروى بعضهم : الميم ملك الله والله اله كل شيء والرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة».

الشرح

اما تفسيره عليه السلام للحروف الواحداً التي في بسم الله فذلك من باب التوقيف لا سبيل للعقل اليه ، واما قوله : والله اله كل شيء ، يرجح قول من قال : انه مشتق ، وقد مر ذكر الاقوال في معناه .

وقوله : الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة ، اعلم أنّهما اسمان بنيا للمبالغة من رحم يرحم كالغضبان من غضب والعليم من علم ، والرحمة في اللغة قيل أنّها رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ، والحق انها فينا حالة نفسانية تكون مع رقة القلب وبها تفعل المودة والاحسان ، كما أنّ الغضب حالة نفسانية تكون في الاكثر مع مساواة القلب وجوده تصدر منها الاسائة والجور ، وهكذا العلم والحلم والحياء والصبر والعفة والمحبة وغيرها فينا صفات نفسانية يناسبها احوال القلب ومزاج البدن وهي مبادي الافعال واثار يناسبها .

وإذا اطلق بعض هذه الصفات على الله فلا بد ان يكون هناك على وجه اعلى واشرف ، لأنّ صفات كل موجود على حسب وجوده ، فصفات الجسم كوجوده جسمانية وصفات النفس نفسانية وصفات العقل عقلانية وصفات الله الهية ، لا كما عليه كثير من اهل التمييز ان ينكر هذه الصفات في حق الله رأساً ويقال ان اسماء الله أنّما تطلق باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات ، وهذا من قصور العلم وضيق الصدر وعدم سعة التعقل ، حيث لم يدركوا مقامات الكمالية من صفات الوجود ومعارجه^٢ ومنازله واحواله في كل موطن ومقام ، فوقعوا في مثل هذا التعطيل الخالي عن التحصيل .

وبالجملّة العوالم متطابقة ، فما وجد من الصفات الكمالية في الادنى يكون في الاعلى

١- الاله - م - د .

٢- مقامات الوجود ومواطنه ومعارجه - م - د مقامات الوجود من الصفات الكمالية - ط .

على وجه ارفع وابسط واشرف . فافهم هذا التحقيق واغتنم فأنه عزيز جداً .
ثم ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ، لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما
ذكره الزمخشري وغيره ، وذلك انما يعتبر تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية ، فعلى
الاول قيل : يا رحمن الدنيا ، لانه يعم المؤمن والكافر ، ورحيم الاخرة ، لانه يخص المؤمن ،
وعلى الثاني قيل : يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ، لان النعم الاخروية كلها جسام
عظام وان النعم الدنيوية فيكون جليلة وحقيرة وانما قدم ، والقياس يقتضي الترتي من الادنى
الى الاعلى لتقدم مرحلة الدنيا على مرحلة الاخرة ، ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف
به غيره من الصفات^١ .

لان معناه : المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها ، وذلك لا يصدق على غيره ، لان ما
عداه مستفيض فهو مفيض بلطفه وانعامه ، يريد جميل ثناء او جزيل ثواب او يزيل رقة
الجنسية عن قلبه وحب المال عن نفسه ، ثم انه كالواسطة في ذلك ، لان ذات المنعم ووجود
النعمة والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة له عليه والتكن من الانتفاع بها والقوى والالات
التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره تعالى .

الحديث الثاني

وهو السابع وثلاث مائة

«عليّ بن ابراهيم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام بن الحكم انه سأل ابا
عبدالله عليه السلام عن اسماء الله واشتقاقها ، الله مما هو مشتق ؟ فقال يا هشام ! الله مشتق
من إله وإله تقتضي مألوها والاسم غير المسمى ، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد
شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك
التوحيد أفهمت يا هشام ؟ قال قلت : زدني قال : لله تسعة وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو
المسمى لكان لكل اسم منها اله^٢ ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الاسماء وكلها غيره .
يا هشام الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والتار اسم للمحرق

١ - الاشياء - م .

٢ - كل اسم منها لها (الكافي) .

افهمت ياهشام فهما تدفع به وتناقل^١ به اعدائنا الملحدين^٢ مع الله عز وجلّ غيره؟ قلت نعم! فقال: نفعك الله وثبتك ياهشام! فوالله ما قهرني احد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا».

الشرح

هذا الحديث بعينه قد مرّ في الباب الخامس المعنون بباب المعبود وقد شرحناه، ولا تفاوت بينهما لا في المتن ولا في السند الا في لفظة واحدة هي لفظة تناقل ههنا بدل تناضل هناك، وهو من المناقلة في المنطق وهي ان تحدّثه ويحدّثك، ورجل نقل وهو حاضر الجواب، وناقلت فلانا اذا حدثته وحدّثك، وفيما ذكرناه هناك كفاية في شرحه فلا نعيده.

الحديث الثالث

وهو الثامن وثلاث مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد البرقي عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألت عن معنى الله فقال: استولى على مادق وجل».

الشرح

هذا من باب تفسير الشيء بلازمه، فان معنى الالهية يلزمه الاستيلاء وعلى جميع الاشياء دقيقتها وجليلها وغييبها وشهادتها وملكها وملكوها ودنياها واخراها.

الحديث الرابع

وهو التاسع وثلاث مائة

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن يعقوب بن يزيد عن العباس بن هلال» الشامي من اصحاب الرضا عليه السلام روى عن الرضا عليه السلام وروى عنه محمد بن الوليد الخزاز بنسخة وهي تختلف بحسب الرواة، قال النجاشي «قال سئلت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجلّ: الله نور السموات والارض^٣، فقال هادي^٤ لاهل السموات

١- تناضل (الكافي).

٢- المتخذين - في بعض النسخ.

٣- النور ٣٥.

٤- هاد (الكافي).

وهادي لاهل الارض . وفي رواية البرقي هدى من في السماء وهدى من في الارض» .

الشرح

كما أنّ النور المحسوس كنور الشمس هدى يهتدي به اهل الارض في ظلمات البرّ والبحر، فالله تعالى نور يهتدي به اهل السموات واهل الارض في ظلمات بر الجسمانيات وبحر الروحانيات، فهو تعالى هاد وهدى ايضاً باعتبارين، لانه بنفس ذاته يهتدي^١ الخلائق .
وحقيقة التور ومعناه: هو الظاهر بذاته والمظهر لغيره، وما حقيقته الظهور لا بد ان يكون بسيطاً لا تركيب فيه، اذ لو كان ذا ماهية مركبة من جزئين لكانا اما نورين او ظلمتين او احدهما ظلمة والاخر نوراً، وان كان الاوّل: ففي احد الجزئين كفاية في تحقق ماهيته فلم يكن ماهية مركبة وقد فرضت مركبة، هذا خلف، وان كان الثاني: فالعقل الصريح شاهد بامتناع حصول حقيقة النور المحض من الظلمات، وان كان الثالث: فيلزم حصول الواحد الطبيعي من امرين بينها غاية الخلاف، وكيف يجوز تألف ماهية وحدانية من ظلمة محضة ونور محض؟ اذ لا واسطة بين النور والظلمة لانها ليست الا عدم النور مطلقاً كما هو التحقيق، واذا بطل التالي باقسامه بطل المقدم .

فثبت أنّ النور حقيقة بسيطة^٢ لا جنس لها ولا فصل لها ولا مادة لها ولا صورة، فلا حدّ له بل لا معرف له مطلقاً، لأنّ الكاشف للشيء لا بد ان يكون اظهر منه ولا اظهر مما حقيقته الظهور، وربّما يكون شدة الظهور سبب خفائه .

واذا ثبت أنّ التور بسيط لا حدّ له ولا معرف فالتفاوت بين اقسامه ليست بفصول ولا بمشخصات زائدة يفتقر اليها في وجوده الذي هو عين^٣ ظهوره، بل الوجود والنور حقيقة واحدة والاعتبار مختلف، فالتفاوت بين الانوار انما يكون بالشدة والضعف، فغاية شدّته ان يكون نور الانوار والتور الغني، وغاية ضعفه ان يكون ظلاً وضوءاً محسوساً .

بل نقول: التور كالوجود منقسم الى نور لنفسه ونور لغيره كنور الاجسام، سواء كان عرضاً لازماً كنور الشمس ونور النار او عرضاً مفارقاً كنور القمر ونور الارض، وسواء كان عرضاً محسوساً كالامثلة المذكورة او غير محسوس كادراكات القوى الحسية والخيالية والعقلية،

١ - يهدي - م - د .

٢ - حقيقة امر بسيط - م - د .

٣ - غير ظهوره - م .

فان كل صورة ادراكية او علمية هي ظاهرة بذاتها مظهرة لغيرها، وهي المدركات الخارجية، والنور لنفسه ما لا يلون.

ثم النور لنفسه اما نور لنفسه بنفسه كواجب الوجود، او نور لنفسه بغيره كما سواه من الانوار القاهرة والمدبّرات العقلية والنفسية.

فنور الانوار هونور في نفسه لنفسه بنفسه واما ما سواه من الانوار سواء كانت انواراً لانفسها كالجواهر التورية اولا، كالعلوم والادراكات والانوار الحسية، فليس شيء منها نوراً بنفسه بل كلّها بنور الانوار كانت انواراً، بمعنى أنّ ذواتها النورية فائضة منه تعالى مجعولة جعلاً بسيطاً، وشدة نوريتها على ترتيب الاقرب فالاقرب منه تعالى كترتب اضواء الشمس شدة وضعفا حسب ترتبها قرباً وبعداً منها، فهنا وصلت في الضعف والنقص الى حدّ الغسق والظلام، وهناك نزلت في النقص والبعد عنه تعالى الى حدّ الهيوالي والاجسام، اذ كما اشرنا يرجع مراتب الانوار الى مراتب الوجودات كما يظهر لمن امعن النظر وخاض.

فاذن ذاته بذاته لما كان موجد الاشياء^٢ كلّها ومظهر ماهياتها بافاضة انوار وجوداتها كان منور السموات والارض، اي لاهل السموات واهل الارض، وحيث أنّ منوريته بنفس ذاته لا بنور عارض، فكان نور السموات والارض بالحقيقة، وكل نور هادٍ بنفسه وهدى، فتفسير نور السموات والارض بهادٍ لاهلها او هدى لمن كان فيها كما في الروايتين تفسير باللازم المساوي.

الحديث الخامس وهو العاشر وثلاث مائة

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن فضيل بن عثمان» الصيرفي قال الشيخ في الفهرست: له كتاب روى عنه الحسن بن محمد بن سماعة، قال: واظن انها واحد وهو فضل الاعور^٣. «عن ابن ابي يعفور قال: سئلت ابا عبد الله عليه

١- والمدبرة - م - د.

٢- موجداً للاشياء - م - د.

٣- الفضل بن عثمان هذا يسمى تارة مكبراً واخرى مصغراً. وعده الشيخ في رجاله من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام وذكره مكبراً في رواية في التهذيب ومصغراً في الاستبصار. وفي رجال بوعلی: قد جاء في كتب الرجال فضيل بن عثمان الصيرفي يروي عنه الحسن بن محمد بن سماعة، ولا بعد في الاتحاد، يعني مع الاعور.

السلام عن قوله الله عز وجل: هو الاول والاخر^١ وقلت: اما الاول فقد عرفناه واما الآخر فبين لنا تفسيره فقال: انه ليس شيء الا يبيد او يتغير او يدخله التغير والزوال او ينتقل من لون الى لون ومن هيئة الى هيئة ومن صفة الى صفة ومن زيادة الى نقصان ومن نقصان الى زيادة الا رب العالمين فانه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، هو الاول قبل كل شيء وهو الآخر على ما لم يزل ولا يختلف عليه الصفات والاسماء كما تختلف على غيره، مثل الانسان الذي يكون تراباً مرة ومرة لحمياً ودمياً ومرة رفاتا ورمياً وكالبسر الذي يكون مرة بلحاً ومرة بساً ومرة رطباً ومرة تمرًا فتبدل عليه الاسماء والصفات والله عز وجل بخلاف ذلك».

الشرح

يبيد اي يهلك ، الرفات الحطام، وقد رقت الشيء يرفت اي تكسر وتفتت، والرفات كلها دق وكسر كالفتات، والزيم ما بلى من العظام، والبسر بالنسبة الى الرطب كالحصرم بالنسبة الى العنب ويقال بالفارسي: «غوره خرما» ونسبة الرطب الى التمر كنسبة العنب الى الزبيب، والبلح بفتح اللام ما هو قبل البسر وبعد الخلال، فان اول النخل طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر.

سئل عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: هو الاول والاخر، ولما كانت اوليته بوجه من الوجوه ظاهرة بخلاف اخريته، اذ فيها اشكال، لانها ليست بالذات ولا بالمعلولية ولا بالشرف ولا بالمكان ولا بالزمان، اذ ليس تعالى بزمني كما ليس بمكاني، فاقصر السائل على طلب الجواب عن اشكائها، فهده عليه السلام اولا قاعدة وهي: انه ليس شيء من الموجودات غير الحق تعالى الا ويهلك او يتغير واثار الى انحاء التغير بانه سواء كان من ذات المتغير كالتغيرات الطبيعية او يدخل عليه من خارج كالتغيرات القسرية، وسواء كان في كيفية كالالوان والطعوم او في غيرها من الهيئات والصفات الذاتية او العرضية، وسواء كان التغير بطريق الاستكمال والازدياد او بطريق الانتقاص، واما الحق تعالى فلا تغير فيه اصلا لا في ذاته ولا في صفة من صفاته، فهو لم يزل كهو لا يزال بحالة واحدة.

ثم اشار الى كونه اول كل شيء واخره بانه ما شيء غيره الا واخره غير اوله وانه يختلف عليه الصفات والاسماء، كالانسان مثلا له في اول كونه حال وصفة واسم وله في اخر كونه صفة اخرى واسم اخر وكالبسر الذي يكون له صفات واسماء سابقة وصفات

واسماءٍ لاحقة . فاذن كل ما سواه اوله غير اخره واخره غير اوله ، والله تعالى اوله عين اخره واخره عين اوله من كل الوجوه ، ولا شك انه مع كل شيء في كل وقت وحال ، فهو اول وقبل كل شيء ولو باعتبار حاله واسمه المتأخر وهو اخر وبعد كل شيء ولو باعتبار حاله واسمه المتقدم . فتأمل فانه وجه لطيف ذكره عليه السلام .

قال بعض حكماء الاسلام : هو تعالى اول من جهة انه مبدأ يصدر منه كل وجود لغيره ، وهو اول من جهة انه اول بالوجود ، يُعنى به : انه اكمل وجوداً واشرف من غيره ، وهو اول من جهة ان كل زماني ينسب اليه يكون معه ، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء الزماني ، ووجد تعالى مع ذلك الزمان لا فيه ، وهو اول ، لانه اذا اعتبر كل شيء كان الذي فيه اولاً اثر قبوله ، اراد به ان الممكن ما لم يجب به تعالى اولاً لم يوجد ، وذلك وجهه المنسوب اليه تعالى ، فهو بهذا المعنى اول كل شيء لا بالزمان .

قال : وهو اخر ، لان الاشياء اذا نسبت اليها اسبابها وقفت عنده ، اراد به انك اذا نظرت الى وجود شيء وفتشت عن سببه ثم عن سبب سببه وهكذا ، فتنتهي بالاخرة اليه تعالى ، لانه اخر ما ينحل اليه اجتماع اسباب الشيء ، هو اخر ، لان الغاية الحقيقية في كل طالب ، فالغاية مثل السعادة والخير في قولك : لم شربت الماء ؟ فتقول : لتغيير المزاج ، فيقال : لم اردت ان يتغير المزاج ؟ فتقول : للصحة ، فيقال : لم طلبت الصحة ؟ فتقول : للسعادة والخير ، ثم لا يورد عليه سؤال يجب ان يجاب عنه ، لان السعادة والخير مطلوب لذاته لا لغيره . فالحق الاول هو الذي يقبل اليه كل شيء ويطلبه ويتشوقه ويقصده طبعاً وارادة بحسب طاقته على ما يعرفه الراسخون في العلم بتفصيل الجملة وبكلام طويل . فهو المحبوب الاول ، فلذلك هو اخر كل غاية ، اول في الفكر اخر في الحصول ، هو اخر من جهة : ان كل زماني^٢ يوجد زماناً يتأخر عنه ، ولا يوجد زمان يتأخر عن الحق . انتهى كلامه .

ففيه اربعة وجوه لكونه تعالى اول كل شيء ، وثلاثة وجوه لكونه اخر كل شيء . ويرد على الوجه الثاني من وجوه التأخر وهو : كونه تعالى غاية الاشياء^١ ، بان الواجب الحق متقدم بالذات على جميع الاشياء فليس معلولاً لشيء منها ، فلا يجوز ان يكون غاية لشيء منها ، لان كونه غاية يقتضي التأخر والمعلولية ، وهو ليس باخر ولا معلول .

١- للاشياء - م - د - ط .

٢- زمانية - م - د .

واجيب عنه بان : كونه غاية واخرا في الحصول ، ليس باعتبار وجوده في نفسه ويلزم^١ استحالته ، بل باعتبار وجود نسبة بينه وبين الطالب ، كالتقرب منه والوصول اليه ، هذا ما قيل ، ونحن قد اشرنا فيما سبق من الكلام في اثبات كونه غاية الى وجه اقرب الى التحقيق من هذا ، فليرجع اليه من اراده .

الحديث السادس

وهو الحادي عشر وثلاث مائة

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن ابن اذنية عن محمد بن حكيم عن ميمون البان» الكوفي من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام روى عنها «قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام وقد سُئِلَ عن الاول والآخر فقال: الاول لا عن اول قبله ولا عن بدءٍ سبقه والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين ولكن قديم اول آخر لم يزل ولم يزول بلا بدءٍ ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال الى حال خالق كل شيء» .

الشرح

البدء مهموز من بدأ الامر فهو فعيل بمعنى المصدر، اي البدائة لوقوعه في مقابل النهاية وعن الثانية بمعنى الى .

والمراد ان اوليته تعالى لا عن ابتداء واخريته لا الى نهاية، فهو الاول لم يزل بلا اول سبقه ولا بداية له ، وهو الاخر لا يزول بلا اخر بعده ولا نهاية له .

قوله عليه السلام : ولكن قديم اول اخر، حيث اتى بغير الواو العاطفة اشارة الى ان اوليته تعالى عين اخريته ليدل على ان كونه قديماً ليس بمعنى القدم الزماني ، اي الامتداد الكمي بلا نهاية، اذ وجوده ليس بزماني ، سواء كان الزمان متناهياً او غير متناه، والا لزم التغير والتجدد في ذاته ، بل وجوده فوق الزمان ، والدهر نسبته الى الازل كنسبته الى الابد ، فهو بما هو ازلي ابدى وبما هو ابدي ازلي ، وانه وان كان مع الازل والابد لكن ليس في الازل ولا في الابد حتى يتغير ذاته ، واليه الاشارة بقوله : لا يقع عليه الحدوث ، اذ كل زمان وزماني وان لم يكن ذا بداية فهو حادث ، اذ كل آن من وجوده مسبوق بعدم سابق .

وقوله : ولا يحول من حال الى حال ، اما تفسير للحدوث واما اشارة الى ان لا تتغير

في صفاته كما لا يتغير في ذاته، فليست ذاته ولا صفاته الحقيقية واقعة في الزمان والتغير. وقوله : خالق كل شيء، كالبرهان لما ذكر، فانه تعالى لما كان خالق كل شيء سواء، كان خالقاً للزمان والدهر، فيكون وجوده قبل الزمان قبلية بالذات — لا بالزمان — والا لزم تقدم الزمان على نفسه وهو محال، فاذن حيث هو تعالى لا زمان ولا حركة ولا تغير اصلاً، فهو تعالى اول بما هو آخر واخر بما هو اول، ونسبته الى الازال والاباد نسبة واحدة ومعية قيومية غير زمانية.

الحديث السابع

وهو الثاني عشر وثلاث مائة

«محمد بن ابي عبدالله رفعه الى ابي هاشم الجعفري قال: كنت عند ابي جعفر الثاني عليه السلام فسئله رجل فقال اخبرني عن الرب تبارك وتعالى له اسماء وصفات في كتابه واسمائه وصفاته هي هو؟ فقال ابو جعفر عليه السلام: ان لهذا الكلام وجهين: ان كنت تقول هي هو اي انه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك؛ وان كنت تقول هذه الاسماء والصفات لم تزل فان لم تزل محتمل معين فان قلت لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم وان كنت تقول لم يزل تصويرها وهجائها وتقطيع حروفها فعاذ الله ان يكون معه شيء غيره بل كان الله ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها اليه وعبودونه وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل والاسماء والصفات مخلوقات والمعاني والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وانما يختلف ويأتلّف المتجزى فلا يقال الله مختلف ولا مؤتلف^١ ولا الله قليل ولا كثير ولكنه القديم في ذاته لان ماسوى الواحد متجزى والله واحد لا متجزى ولا متوهم بالقلة والكثرة، وكل متجزى او متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له فقولك: ان الله قدير خبرت انه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواء وكذلك قولك: عالم انها نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواء واذا افنى الله الاشياء افنى الصورة والهجاء والتقطيع ولا يزال من لم يزل عالماً. فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سمياً؟ فقال: لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس وكذلك سمينا بصيراً لانه لا يخفى عليه

١ — ولا يقال الله مؤتلف (الكافي).

ما لا يدركه بالابصار من لون او شخص او غير ذلك ولم نصفه ببصر لحظة العين وكذلك سميناه لطيفا لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة، واخفى من ذلك وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للسفاد والحذب على نسلها واقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب الى اولادها في الجبال والمفاوز والادوية والقفار. فعلمنا ان خالقها لطيف بلا كيف وانما الكيفية للمخلوق المكيف وكذلك سميننا ربنا قويا لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ولو كانت قوته فهو البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة وما احتمل الزيادة احتمل النقصان وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً. فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية ولا تبصار بصر ومحرم على القلوب ان تمثله وعلى الاوهام ان تحده وعلى الضمائر ان تكونه جل وعز عن ادات خلقه وسمات بريته وتعالى عن ذلك علواً كبيراً».

الشرح

المعقول المحبوس، والسفادنز والذكر على الانثى، والحذب التعطف والشفقة يقال: حذب عليه وتحذب اي تعطف، والنسل الولد، والمفاوز جمع مفازة بمعنى المهلكة من الفوز بمعنى الهلاك، وان جاء بمعنى النجاة ايضاً، وانما سميت الارض القفر بها لانها مهلكة، والقفار جمع القفر وهي ارض لا نبات فيها ولا ماء، والبطش السطوة والاخذ بالعنف، وبصّار فعال مبالغة للباصر وفي نسخة: ولا يبصار يبصر.

قد علمت ان اسماء الله تعالى وصفاته معان معقولة متغايرة المفهوم كلها لذات احديّة لا كثرة ولا اختلاف فيها، وكيفية اطلاقها وصدقها عليه سبحانه في غاية الغموض والصعوبة، ولهذا كان الناس كالحيارى فيها لا يهتدون الى سبيلها، فتراهم بين مقصر وغال.

فمنهم من قال: انه تعالى عالم بعلم زائد، قادر بقدره زائدة، سميع بصير بسمع وبصر زائدين عليه، ومنهم من ذهب الى انه ليس بعالم وقادر ولا غيره من الصفات والاسماء بالحقيقة، وانما اطلقها عليه تعالى باعتبار ترتب الغايات لا باعتبار حصول المبادي، ولم يعلموا ان اثر الشيء وغايته لا يتفك عن المؤثر والمبدأ وحيث لا مؤثر ولا مبدأ فلا اثر ولا صنع له ولا غاية يترتب عليه.

وانت اذا قلت: الله عالم مثلاً، فان اردت به ان هذا اللفظ هو ذاك اللفظ فهو

باطل، اذ لا حمل في الالفاظ، وان اردت به ان ذاته تعالى نفس لفظ العالم فذلك ايضاً باطل وكفر فاحش بلا شبهة، لان اللفظ حادث والذات قديمة، وان اردت ان ذاته تعالى عين معنى العلم فهو ايضاً باطل، لان معنى العلم كلّي يصدق على كثيرين وذاته ليس بكلّي .
وايضاً من العلم ما هو حادث ومنه ما هو جوهر ومنه ما هو عرض فكيف يكون معنى العلم بعينه ذات الباري؟

وايضاً كما انه تعالى عالم كذلك قادر، فاذا كان ذاته عين معنى اللم وكان ايضاً عين معنى القدرة كان معنى العلم والقدرة واحداً فيكون كل علم قدرة وكل قادر عالماً، وليس كذلك .

وان اردت بقولك : الله قادر وعالم، ان له علماً وله قدرة كما في الانسان، فيلزم الكثرة في صفاته الحقيقية وهو باطل لادائه الى الكثرة^١، ويلزم ايضاً ان لا يكون في حد ذاته عالماً قادراً حياً وان يكون معطي الكمال خالياً عنه، وكل ذلك محال .

وان اردت ان في ذاته علماً وقدرة، فيلزم التركيب في ذاته ابتداءً، فهذه الوجوه كلّها باطلة، والحق ما ستعلم مما يستفاد من هذا الحديث وغيره من الاحاديث .

فاذا عرفت ما ذكرناه فلنرجع الى الشرح فنقول : يريد عليه السلام ان ينبه على كيفية حمل اسماء الله وصفاته على ذاته بهو هي، فقال اولاً للقائل : بان اسمائه وصفاته هي هو. ان لهذا الكلام اي لقولك ان اسمائه وصفاته هي هو وجهين :

ان كنت تقول : هي هو، اي تريد بقولك : هي هو انه ذو عدد وكثرة، بان تقصد بالاسماء والصفات الفاظها المتكثرة او تقصد معانيها المتغايرة في الوجود كما عليه الاشاعرة، فتعالى عن ذلك، اي عن وقوع الكثرة في ذاته أو في صفاته .

وان كنت تقول : هذه الصفات لم تزل، فان لم تزل، اي قولك : لم تزل، يحتمل معنيين : احدهما صحيح والاخر فاسد .

فان قلت : لم تزل في علمه وهو مستحقها، اي كان يعلم الحق تعالى ذاته في الازل انه عالم قادر حي مريد بصير وغير ذلك من الصفات، وانه في الازل مستحق هذه الصفات ومصداقها والمحكي عنه بها، سواء علمها غيره او لم يعلم صدق بها عليه وحكى بها عنه او لم يصدق ولم يحك، فنعم، أي بلى ما قلت انه صحيح حق .

وان كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاها وتقطيع حروفها ، اي صورة الفاظها المسموعة المركبة من الحروف التي يتهجى بها و يتقطع^١ ولا توجد مجتمعة ، فعاذ الله ان يكون معه غيره في الازلية الذاتية سوا الحوادث الزمانية ، بل كان الله ولا خلق ، اذ الخلق من عالم التقدير والتكوين والله خالق الامر والخلق ومكوّن الكون ، وانما لم يقل كان الله ولا شيء ، لان شيئية الاسماء والصفات غير زائلة عنه وله تعالى شئون ذاتية .

ثم اراد ان يشير الى فائدة هذه الاسماء المسموعة فقال : ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه ، اذ بها يخاطبونه و يطلبون منه حاجاتهم كقولهم : يا الله يا رحمن يا رحيم يا غفار اقض حاجاتنا وارحمنا واغفر لنا ، و يتضرعون بها اليه و يعبدونه و يدعوه خوفاً وطمعاً ، وكل ذلك بالالفاظ ، اذ ليس كل احد مما يمكنه ان يناجي ربه الا بالالفاظ والحروف ، فان تجريد المعاني من الالفاظ المسموعة والمتخيلة — كالا حاديث النفسية — عسير جداً ، بل غير ممكن للاكثرين ، حتى ان المتفكر كالمناجي نفسه بالالفاظ المتخيلة ، ولذلك قال تعالى : والله الاسماء الحسنی فادعوه بها^٢ .

ثم عاد الى بيان مغايرة الاسماء والصفات للذات الاحدية بوجوه واضحة ودلائل ظاهرة . منها ان الذكر حادث والمذكور قديم .

ومنها : ان الفاظ الاسماء والصفات مخلوقات والمعاني ، اي معاني الاسماء والصفات والمعني بها ، اي الذات الاحدية هو الله ، لانه مصداقها والمحكى عنه بها ، فان الوجود البسيط الاحدي المجرد عن ماعده بنفسه مصداق لهذه المعاني ومطابق للحكم بها عليه والحكاية بها عنه .

ومنها : انها مختلفة مؤتلفة وذاته تعالى غير مختلف ولا مؤتلف ، ولا ايضاً مما يليق أو يمكن فيه الاختلاف والائتلاف لاستلزامها للتجزئ^٣ والانقسام وقبول الزيادة والنقصان ، اما في الخارج او في التوهم ، والتجزئ^٣ والانقسام مطلقاً مستلزم للامكان ، سواء كان بالفعل كالجسم المركب او بالقوة كالجسم البسيط ، مثل الماء والهواء ، وسواء كان في الخارج كالحيوان المركب من النفس والبدن ، او بحسب الذهن كالنفس ، فانها مركبة في تحليل

١- ينقطع - م - د .

٢- الاعراف ١٨٠ .

٣- التجزي - م - د .

العقل من الجنس والفصل لاشتراكها مع الاجسام في الجوهرية وامتيازها عنها بفصلها المميز عن ما عداها، والله برئ من الامكان، فهو برئ من التركيب مطلقاً.

فذاته غير شيء من الاسماء والصفات المفلوطة او المتوهمة، اذ كل واحد منها لتركبه وحدوثه مخلوق دال على ان له خالقاً، وقد علمت ان خالق الشيء ليس مثل خلقه ولا من جنسه، وايضاً يلزم افتقاره الى خالق آخر، فيتسلسل الامر الى لا نهاية.

وقوله عليه السلام : فقولك ان الله قدير الى قوله : سواء، اشارة الى كيفية اتصافه تعالى بمعاني الاسماء والصفات بحيث لا يوجب كثرة فيه ولا معنى زائداً عليه بحيث يحتمله عقل السائل، فان اكثر الناس لا يسعهم ان يعقلوا من القدرة والعلم وغيرهما من الصفات الكمالية الا مثل ما تصوروه ووجدوه من نفوسهم، وهي كيفيات نفسانية وحالات او ملكات حيوانية، ولم يعلموا ان معنى واحداً قد يكون له انحاء من الوجود بعضها ارفع من بعض، ولا ان هذه المعاني كلها موجودة بوجود واحد فيه تعالى على وجه اعلى واشرف وابسط.

فلاجل هذه العلة أرجع عليه السلام معاني الصفات الحقيقية فيه تعالى الى سلوب اضدادها لثلاثيهم معنى زائد فيه، كما جعل الحكماء وحدته تعالى عبارة عن نفي الكثرة عنه، فكذلك جعل قدرته عبارة عن نفي العجز وعلمه عبارة عن نفي الجهل، وعلى هذا القياس سمعه راجع الى نفي الصمم وبصره الى نفي العمى وحيوته الى نفي الموت، فهذا نحو من المعرفة لايقة بحال الجمهور من الناس اذ لا يسع عقولهم ازيد منها.

وقوله : واذا افنى الله الاشياء الى قوله : عالماً، استدلال على بيان المغايرة بينه وبين صورة الاسماء والصفات وهجاها وتقطيعها من جهة النهاية، كما ان المذكور سابقاً من جهة البداية، اذ كل حادث فان وكل ازلي باق، فكان المذكور هناك أن لفظ العلم حادث وعلم الله ازلي فيكون غيره، والمذكور ههنا ان لفظ العلم يفني، ولا يزال عالماً من لم يزل عالماً فيكون غيره.

ولما كان في ارجاع السمع في حقه تعالى الى مطلق العلم نوع خفاء عاد الرجل فقال : فكيف سمينا ربنا سمياً؟ فاجاب عليه السلام عنه بارجاعه الى عدم خفاء السموعات عنه من غير افتقار الى آلة وقوة دماغية، فسمعه تعالى عبارة عن علمه

بالمسموعات و بصره علمه بالمبصرات لا بلحظة عين، فكما ان علمه بالاشياء يأول بانتفاء الجهل بها عنه، فسمعه و بصره يأولان بعدم اختفاء المسموعات والمبصرات عليه.

وقوله عليه السلام : وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف، جعل عليه السلام لطفه تعالى عبارة عن علمه بالاشياء اللطيفة كالبعوضة، واعضائها كالجناح والرجل والعين، وقواها كالسمع والبصر، واحواها كالادراك والارادة والشهوة والمحبة والشفقة والالفة والغضب والنفرة والعداوة، وافعالها كالحركة والسكون والسفاد ونقل الطعام والشراب الى الاولاد وغير ذلك من امورها، كموتها وحيوتها ونفعها وضررها وآجالها ومقادير اعمارها وأرزاقها الى غيرها من لطائف خلقه ودقائق صنعه، وهو تعالى لطيف لعلمه بطوائف الامور بلا كيفية، اذ كل كيف وكل ذو كيفية مخلوق.

وفي كتاب التوحيد للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله باسناده عن الصادق عليه السلام: اللطيف هو العالم بالمعنى اللطيف، كالبعوضة وخلقها اياها، وأنه لا يدرك ولا يحمد، وقيل: هو اللطيف، لأنه فاعل اللطف وهو ما يقرب معه العبد من الطاعة ويبعد عن المعصية، والله لطيف بعباده، اي موفق لهم وفاعل بهم ما يقربهم الى طاعته ثم الى دار كرامته ورحمته وبيعدهم عن معصيته ثم عن دار غضبه وعذابه، وذلك لأن الانسان بالعلم والطاعة يتلطف قلبه و يتنور ذاته فيستحق القرب والكرامة، وبالجهل والمعاصي يتكثف قلبه و يستظلم ذاته فيستوجب البعد والعذاب.

قال الغزالي في شرح الاسماء الحسنى^٢: اللطيف إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف^٣، ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح بسبيل الرفق^٤ دون العنف، فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك ثم معنى اللطف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الآ لله تعالى، فاما احاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك، بل الخفي مكشوف في علمه كالجلي من غير فرق، واما رفته في الافعال ولطفه

١- اي: الله.

٢- المقصد الاسني في شرح اسماء الله الحسنى.

٣- وما اللطف «المقصد».

٤- الى المستحق سبيل الرفق «المقصد».

٥- العلم «المقصد».

فيها فلا يدخل ايضاً تحت الحصر وشرح ذلك يطول .
 وقوله عليه السلام : وكذلك سميناه قويا... الى اخره : القوة مبدأ الافعال الشاقة ،
 وليست قوته تعالى من جنس القوى الجسمانية ، كقوة البطش المعروف من مخلوقات ، لأنّ
 البرهان قائم على أنّ كلّ قوة جسمانية متناهية محتملة للزيادة والنقصان فيحتاج الى محدّد
 يحددها فيقوي عليها ويقهرها على الحدّ الذي لها ، وتلك القوة الاخرى ايضاً ان كانت
 متناهية كان حكمها كذلك ، الى ان ينتهي الى قوة ربانية غير جسمانية ولا متناهية دفعاً
 للتسلسل أو الدور ، وايضاً ما يحتمل الزيادة ، كالاعداد والاجسام والمقادير والحركات
 والازمنة ، وما يتعلق بها كالقوى والكيفيات ، فهي ناقصة ابدأً غير تامة ، وكل ناقص يحتاج
 الى كمال ومكمل ، فلا يكون قديماً واجباً لذاته .
 ثمّ عد عليه السلام من اسمائه التنزيهية وصفاته التقديسية ما هو كالنتيجة لما حصل
 وكالفلكة لما فصل ، وباقى الالفاظ واضحة .

الحديث الثامن

وهو الثالث عشر وثلاث مائة

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن عمن ذكره عن ابي عبدالله عليه
 السلام قال : قال رجل عنده عليه السلام الله أكبر فقال عليه السلام : الله أكبر من أي
 شيء ؟ فقال من كل شيء فقال أبو عبدالله عليه السلام : حددته فقال الرجل : كيف أقول ؟
 قال : قل : الله أكبر من أن يوصف» .

الشرح

لما كان الأكبر من اسماء التفضيل كالأعظم والأطول والأعلم ونحوها ، والموصوف
 بها من جنس ما يفضل عليه فيها ، فانك اذا قلت هذا أطول من ذلك ، فعناه أنّه وجد لهذا
 مثل الذي في ذلك من الطول مع زيادة ، وكان الحق تعالى بحيث لا يجانس له في ذاته ولا في
 صفاته ، فلم يجز اطلاق الأكبر عليه بالمعنى الذي يفهمه الناس من ظاهر اللفظ ، اذ الأكبر
 والصغر من صفات الجسمانيات ، والا ايضاً ينبغي أن يكون المفضل عليه شيئاً خاصاً أو عاماً
 كما يقال : الله أكبر من العرش أو من العقل أو من كل شيء ، لأنّه يوجب التحدد
 والتجنيس كما علمت ، فلذلك أفاد عليه السلام أن معنى الله أكبر : أنه أكبر من أن يوصف

لئلا يلزم التحديد.

الحديث التاسع وهو الرابع عشر وثلاث مائة

«ورواه محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن مروك بن عبيد» بفتح الميم واسكان الراء وفتح الواو والكاف اخيراً أسمه ابن عبيد بن سالم بن ابي حفصة مولى بني عجل «صه» وقال بعض : انه مولى عمار بن المبارك العجلي ، واسم مروك صالح واسم ابي حفصة زيادة ، قال الكشي : قال محمد بن مسعود : سئلت علي بن الحسن عن مروك بن عبيد بن سالم بن ابي حفصة فقال : ثقة شيخ صدوق ، وفي فهرست : روى عنه احمد بن ابي عبدالله وكذا في النجاشي «عن جميع بن عمير» مجهول «قال قال أبو عبدالله عليه السلام: أي شيء الله أكبر؟ فقلت: الله أكبر من كل شيء فقال: وكان ثم شيء فيكون الله أكبراً منه؟ فقلت: وما هو؟ فقال: الله أكبر من أن يوصف».

الشرح

قوله : وكان ثم شيء ، أي أو كان في مرتبة ذاته وحيث حقيقته شيء حتى يقاس اليه ويفضّل عليه؟ بل كل شيء هالك عند وجهه الكريم وكل وجود وكمال وجود مضمحل في وجوده ، كما يعرفه الراسخون في العلم ، فلا مقائسة بينه تعالى وبين غيره ، وباقي الحديث قد سبق .

الحديث العاشر

وهو الخامس عشر وثلاث مائة

«علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس عن هشام بن الحكم قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن سبحان الله فقال : انفة الله^٢» .

الشرح

الانفة محرّكة المنعة ، يقال : انف منه انفاً محرّكتين أي استنكف وتنزه ، وسبحان

١- فيكون اكبر (الكافي).

٢- آفة لله (الكافي).

«احمد بن مهران» روى عنه الشيخ الكليني رحمه الله في هذا الكتاب، قال ابن الغضائري: انه ضعيف «عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسيني» ابن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابيطالب أبو القاسم له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام كان عابداً ورعاً له حكاية تدل على حسن حاله ذكرناها في كتابنا الكبير، قال محمد بن بابويه: انه كان مرضياً «صه» وقال في كتاب من لا يحضره الفقيه: حدّثني علي بن احمد عن حمزة بن القاسم العلوي رحمه الله عن محمد بن يحيى العطار عن من دخل على أبي الحسن الهادي عليه السلام من أهل الري قال: فقال: اين كنت؟ قلت: زرت الحسين عليه السلام: اما انك لو زرت قبر عبدالعظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي عليهما السلام «عن علي بن اسباط عن سليمان مولى طربال» في كتاب النجاشي: انه روى عن جعفر بن محمد عليها السلام، ذكره ابن نوح له نوادر، روى عنه عباد بن يعقوب الاسدي «عن هشام الجواليقي عَمَّ للتسييح الى التنزيه لا ينصرف لان فيه شبه التأنيث ولا يتصرف وانما يكون منصوباً على المصدرية، وقولك: سبحان اللهم وبحمدك سبحتك بجميع الاثك، سبحتك وسبح ايضاً بمعنى صلى، ومنه قوله: ولولا انه كان من المسيحين^١، أي المصلين، وسبح الله أي نزهه والسبوح المنزه عن كل سوء ونقص، والسبحة النافلة لانه مسبح فيها، يقال: قضيت سبحتي اي نافلتني من الذكر والصلوة، وقوله: سبحات وجه ربنا بضميتين أي جلالته، والتسييح افضل من التهليل لان كل مسبح موحد دون العكس الكلي، اذ قد يكون الموحد لله عن الشريك مجسماً.

واعلم ان من أشد تجرداً وطهارة عن المادة وأرجاسها وأدناسها فهو أتم تسييحاً لله واعرف بتنزيهه وتقديسه، فدرجات المسيحين في الفضيلة والمثوبة على حسب درجات بعدهم عن المادة، فلا يمكن لمن استغرق في الدنيا وشهواتها ان يكون من المسيحين، ولا اعتداد بتسييح من يقول بلسانه سبحان الله وقلبه مستغرق في الشهوات.

الحديث الحادي عشر

وهو السادس عشر وثلاث مائة

قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: سبحان الله ما يعني به قال: تنزيهه^٢.

١- الصافات ١٤٣.

٢- تنزيهه (الكافي).

الشرح

قد مضى شرحه.

الحديث الثاني عشر

وهو السابع عشر وثلاث مائة

«علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد ومحمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى جميعاً عن ابي هاشم الجعفري قال سألت أبا جعفر الثاني ما معنى الواحد فقال: اجماع الالسن عليه بالوحدانية كقوله: ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله^١».

الشرح

هذا الكلام اشارة على ان الغرائز الانسانية مجبولة بحسب الفطرة الاولى على الاعتراف بان الله واحد لا شريك له، ولولا الاغراض النفسانية والغواشي الظلمانية لما اختلف اثنان فيه، ولذلك لما شهدهم الله في الفطرة السابقة على انفسهم حين سأهم الست بربكم قالوا^٢ بالاتفاق: بلى. وكذا في الفطرة الثانية ايضاً لو خلوا وطبائعهم ولم يكن لهم غرض اخر وسألوا من الخالق اياهم ليقولن الله في الجواب لا محالة.

روى ان زنديقا دخل على الصادق عليه السلام فسأله عن الدليل على اثبات الصانع، فاعرض عليه السلام عنه، ثم التفت عليه وسأله من اين أقبلت وماقصتك؟ فقال الزنديق: اني كنت مسافراً في البحر فعصفت علينا الريح وتقلبت بنا الامواج فانكسرت سفينتنا فتعلقت بساجة^٣ منها، ولم يزل الموج يقلبها حتى قذفت بي الى الساحل فنجوت عليها، فقال عليه السلام: رأيت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم الامواج فزعاً عليه مخلصاً له في التضرع طالبا منه النجاة؟ فهو الهلك، فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وذلك من قوله تعالى: «واذا مسكم الضر في البحر... الآية».

١- لقمان ٢٥.

٢- الاعراف ١٧٢.

٣- الساج شجر عظيم يصنع منه السفينة ولا تنبت الا ببلاد الهند.

٤- الاسراء ٦٧.

باب آخر

وهو الباب السادس عشر وهو من الباب الاول اي الخامس عشر الا ان فيه زيادة وهو الفرق ما بين المعاني التي تحت اسماء الله واسماء المخلوقين . وان كانت الاسماء مشتركة^١ . وفيه حديثان:

الحديث الاول

وهو الثامن عشر وثلاث مائة

«عن علي بن ابراهيم عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني ومحمد بن الحسن عن عبدالله بن الحسن العلوي جميعاً عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن ابي الحسن عليه السلام قال سمعته يقول: وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد لم^٢ يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشيء من المنشأ لكنه المنشيء ففرق بين من جسمه وصوره وانشأه اذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً قلت: أجل جعلني الله فداك لكنك قلت الاحد الصمد وقلت لا يشبهه شيء والله واحد والانسان واحد اليس قد تشابهت الوجدانية؟ قال يافتح! احلت ثبتك الله انما التشبيه في المعاني فاما في الاسماء فهي واحدة وهي دلالة^٣ على المسمى وذلك ان الانسان وان قيل انه واحد فانه يخبر انه جثة واحدة وليس باثنين والانسان نفسه ليس بواحد لان اعضائه مختلفة ومن^٤ الوانه مختلفة غير واحد وهو أجزاء مجزأة ليست بسواء دمه غير لحمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشرته^٥ وسواده غير بياضه وكذلك سائر جميع الخلق فالانسان واحد في الاسم ولا واحد في المعنى والله جلّ جلاله هو واحد لا واحد غيره لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان فاما الانسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير انه بالاجتماع شيء واحد. قلت:

١- جملة: وان كانت الاسماء مشتركة ليست في الكافي. وجملة: وهو الباب السادس عشر وهو من

الباب الاول اي الخامس عشر. من الشارح قدس سره.

٢- لو كان كما يقول المشبهة لم (الكافي).

٣- دالة (الكافي).

٤- والوانه مختلفة ومن (الكافي).

٥- بشره (الكافي).

جعلت فداك فرجت عني فرج الله عنك فقولك : اللطيف الخبير فسرّه لي كما فسرت الواحد فاني اعلم ان لطفه على خلاف لطف خلقه للفضل^١ غير اني احب ان تشرح لي ذلك فقال يافتح ! انما قلنا اللطيف للخلق اللطيف لعلمه^٢ بالشيء اللطيف اولا ترى وفقك الله وثبتك الى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوان الصغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منها ما لا تكاد تستبينه العيون بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الانثى والحدث المولود من القديم؟ فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه وما في لجج البحار وما في لحاء الاشجار والمفاوز والقفار وافهام بعضها عن بعض منطقتها وما يفهم به اولادها عنها ونقلها الغذاء اليها ثم تأليف الوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وانه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها لا تراه عيوننا ولا تلمسه ايدينا علمنا ان خالق هذا الخلق لطيف لطف بخلق ما سميناه بلا علاج ولا اداة ولا آلة وان كل صانع شيء فن شيء صنع ، والله الخالق اللطيف الجليل ، خلق وصنع لا من شيء».

الشرح

اجل مثل نعم، الآ أنه احسن من نعم في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام. واحلت اي اتيت بالمحال، والجنّة شخص الانسان قاعداً او قائماً وقد يستعمل مرادفا للجسد، والعصب عضو من الاعضاء البسيطة ابيض لين في الانعطاف صلب في الانفصال ينبت بعضها من الدماغ وبعضها من النخاع، ومنفعته انه يؤذي قوة الحس والحركة الى الاعضاء وانه يقوي اللحم لاختلاطه به، والعروق اجسام عصبانية الجوهر ممتدة طولا مجوفة نابتة من الكبد خلقت لتوزيع الدم على الاعضاء، والبشر والبشرة ظاهر الجلد، ومنها مباشرة المرأة وهي ملامستها، والشت التفرق، وشت وشتيت اي متفرق واشياء شتى وشتان ما بينهما اي بعد، وفرجت بالتشديد مأخوذ من الفرج من الغم وهو التفصي منه، والبعوض البق الواحدة البعوضة، والجرجس بالكسر البعوض الصغار، واللجج جمع اللجة وهي معظم الماء، واللحاء ككسائ ممدوداً قشر الشجر لدمامة خلقها اي لحقارتها من الدميم كامير بمعنى الحفير. لَمَّا ذكر الله بصفاته اللاتئة وكانت اسماء هذه الصفات اسماء مشككة مشتركة

١- للفصل (الكافي).

٢- وعلمه (الكافي).

بين الله وخلقه موهمة للتشبيه، أراد عليه السلام ان ينبه ان اطلاقها عليه تعالى ليس بالمعاني التي تطلق بها على الخلق، فقال عقيب ذكرها لم يعرف هو— بصيغة المجهول — الخالق من المخلوق ولا المنشيء من المنشأ، اي لا يمكن ان يعرف احد الخالق والمنشيء من المخلوق والمنشأ على وجه الكنه، ولا ذاته من ذاتهم ولا صفاته من صفاتهم ولا علمه من علمهم ولا قدرته من قدرتهم، نعم! ذات الخلق ووجوده دال على ان للخالق وجوداً أعلى وأشرف من وجود المخلوقين مطلقاً، واما خصوصية وجوده الذي هو به هو غير معلوم من هذا الطريق، وكذلك علم العلماء وقدره القادرين دلالات على ان لخالقهم وعالمهم علماً وقدره أتم وأشرف، واما ان علمه باي نحو هو وقدرته على أي وجه هي فلا يعرف البتة من هذه العلوم والقدرة.

وقوله : لكنه المنشيء، بمنزلة مقدمة استثنائية لقياس استثنائي أضمرت صغراه لدلالة القرينة عليها، فصورته هكذا : كلما كان الله المنشيء فلا يعرف من المنشأ، لكنه المنشيء، ينتج، فلا يعرف من المنشأ، فذكر موضع هذه النتيجة. قوله : ففرق بين من جسمه وصوره وانشأه، اي فرقاً بينه وبين من جسمه وصوره.

وقد عرفت سابقاً ان المراد من مثل هذه الالفاظ الجعل البسيط، اي جعل نفس الجسم ونفس الصورة، لا ان الجسم لم يكن جسماً فجعله جسماً، او جعل الجسم جسماً، او ان الصورة كانت غير صورة فجعلها صورة، او جعل الصورة صورة حتى يلزم ان يكون خلقه دائماً خلقاً من شيء أو سنخ، فلم يكن فعله ابداعاً محضاً لا عن شيء، وعلى الثاني يلزم تخلل الجعل بين الشيء ونفسه، وكذلك عطف على الفعلين قوله : وانشأه، ليدل على اليجاد لا من شيء، فان البيان مختص بمثل هذا الفاعل الذي هو المنشيء دون غيره من المبادي والفواعل التي تفعل بحركة أو آلة أو مادة أو نحوها.

وقوله : اذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً، بيان للدليل والتعليل على المقدمة المذكورة أولاً أعني قوله : لا يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشيء من المنشأ، وهو أنه لا يمكن أن يكون بعض أفراد طبيعة واحدة نوعية أو جنسية علة موجدة لبعض آخر منها، والا لزم أن يكون الشيء علة لنفسه وان معلوله علة لنفسه ولعلته ايضاً، و يلزم التسلسل .

مثلاً اذا فرض كون نار سبباً مقتضياً لنار أخرى، فسببية هذه النار ومسببية تلك لا

يخلو إما ان يكون من جهة كونها نارين فقط أو من جهة ان هذه نار فقط وتلك شيء آخر أو نار وشيء آخر، أي المجموع بما هو مجموع، أو من جهة ان هذه غير نار أو مركب من نار وغير نار بما هو مركب وتلك نار فقط، أو من جهة ان كليهما^١ غير نارين أو مركبين من نار وغير نار. فهذه اربعة اقسام وان كانت الثلاثة الاخيرة لكل منها^٢ قسمان:

اما القسم الاول من الاربعة فيلزم منه ان يكون كل نار علة لكل نار وكل نار معلولاً لكل نار، لان المقتضي لعلية هذه العلة لما كان نفس الطبيعة النارية المشتركة بين النيرانات فكانت كل نار علة لتلك النار، وكذا لما كان المقتضى لمعلولية تلك النار الاخرى نفس الطبيعة النارية، كان كل نار معلولاً لهذه النار، فكان الكل علة للكل ومعلولاً للكل وكان كل منها علة لنفسه ولعلته ولعله علة، و يلزم التسلسل ايضاً كما لا يخفى.

واما القسم الثاني فيلزم ان يكون كل نار علة لتلك النار وان يكون نفس تلك النار ايضاً علة لها.

واما القسم الثالث فيلزم ان يكون كل نار معلولاً لهذه النار حتى نفسها، و بطلان اللوازم في هذه الاقسام مستلزم لبطلانها.

واما القسم الاخير فيلزم ان لا يكون ما فرضناه علة ومعلولاً من طبيعة واحدة، وهذا خلف.

فثبت ان سبب الشيء يستحيل ان يكون مثل ذلك الشيء ولا شبهة من حيث كونه شبيهاً له، ولما كان الاول تعالى سبباً لجميع ما عدها وكان صفاته غير زائدة على ذاته فلا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً، لا في الذات ولا في الصفات، فعلمه مغاير لكل علم وقدرته مغايرة لكل قدرة، وكذا الحكم في ارادته وحيوته وسمعه وبصره وجوده وكرمه ولطفه ورحمته وسائر صفاته.

فان قلت: اليست هذه الاسماء مشتركة بينه تعالى وبين الخلق، لا بمجرد اللفظ بل لاجل المعنى الجامع المشترك؟ فتشابهت الصفات كما قال الفتح: ان الله واحد والانسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدانية؟

فالجواب بمثل ما أشار اليه عليه السلام حيث قال: يا فتاح احلت، أي قلت محالاً

١- كذا في جميع النسخ والظاهر: كلتاهما.

٢- منهما - ط.

من القول، ثبتك الله، أي على التوحيد، انما التشبيه في المعاني فاما في الاسماء فهي واحدة وهي دالة على المسمى .

وفي بعض النسخ «دليل» بدل «دالة»^١ والمراد ان كل اسم له لفظ ومفهوم كلي، وما صدق عليه ذلك المفهوم الكلي من الافراد الحقيقية له ويقال له المسمى، وربما يقال له المعنى ايضاً كما يقال للمفهوم الكلي، وذلك هو المراد ههنا كما في كثير من المواضع، فالتشبيه انما يتحقق ان كانت الافراد متماثلة المعنى وهو المراد من قوله عليه السلام: انما التشبيه في المعاني .

واما اذا كان الاسم واحداً والمفهوم مشككاً بان يكون في بعضها أشد وأقوى وفي بعضها أضعف وأنقص، فلا تشبيه، وهو المراد من قوله: فاما في الاسماء فهي واحدة، أي كل واحد من اسمائه تعالى واحد مشترك بينه وبين خلقه لفظاً ومفهوماً لا حقيقة وماهية، لانها متخالفة الحقائق .

قوله: وهي دلالة على المسمى، يعني ان هذه الاسماء المشتركة لها دلالة على المسمى بوجه من الوجوه، لانه يعرف بها حقيقة المسمى، فانا لا نعلم من اسم العليم، اذا اطلق على الله حقيقة، علمه الذي هو به عالم ولا من الواحد حقيقة وحدته التي هو بها واحد، بل علمه كوجوده مجهول الكنه لنا وكذلك وحدته وسائر صفاته مجهول الكنه، وما يوجد من هذه الصفات في المخلوقات فهي ناقصة معلومة، فكيف يقع التشبيه بسبب اطلاقها عليهم؟ فالوحدة التي يوصف بها البارئ جل مجده وحدة حقيقية لا يمازجها كثرة بوجه من الوجوه، لا بحسب الخارج ولا بحسب الفرض والوهم .

وبعد وحدته وحدة العقل وفيها شوب من الكثرة من حيث ان العقل قابل لان يحلله الذهن الى ماهية ووجود ويحلل ماهيته الى جنس هو معنى الجوهرية وفصل يميزه عن سائر الجواهر .

وبعد وحدة العقل وحدة النفس وفيها تضاعفت الكثرة .

وبعد وحدة النفس وحدة الطبيعة والصور التي في الاجسام البسيطة القابلة للقسمه بحسب الوهم الى اجزاء غير متناهية بالقوة .

وبعد وحدتها وحدة الاجسام المركبة القابلة للانقسام بالفعل، فان كل واحد منها من حيث ان له صورة طبيعية واحدة يقال انه واحد ومن حيث انه ذو اجزاء بالفعل او بالقوة فهو كثير، والموجود كلما نقص وجوده وبعث ذاته عن الحضرة الاحدية الصرفة ضعفت وحدته وغلبت كثرته، اذ وحدة كل شيء عين وجوده، فبحسب نقصان الوجود يكون نقصان الوحدة وضعفها حتى ينتهي الى شيء وحدته عين قبول الكثرة كالجسم بما هو جسم، ثم الى شيء وحدته عين الكثرة بالفعل، كالعدد بما هو عدد، فان العشرة وحدتها وعشريتها التي هي بها واحدة هي نفس الكثرة.

واذا علمت هذه المعاني فنقول: ان وحدة الانسان بما هو انسان وحدة تأليفية قابلة لانحاء من الكثرة وهو قوله عليه السلام: ان الانسان وان قيل واحد فانه يخبر، اي بهذا القول، انه جثة واحدة وليس باثنين، اي الشخص الواحد من الانسان ليس بشخصين، وهذه الوحدة ايضا التي بحسبها يكون واحداً طبيعياً امر عارض لجثته، فان زبداً مثلاً شخص واحد من الانسان، بحسب تلك الوحدة لا يمكن انقسامه الى انسانين، لا كماء واحد يمكن انقسامه الى مائتين، ففي الانسان الطبيعي وحدة اقوى من الوحدة التي في الماء والهواء والياقوت والذهب والفضة، فان وحدتها الطبيعية لكونها ضعيفة سارية في جسيمها ومادتها لا يأبى عن قبول الكثرة في نفس ما هي بها واحدة، بل وحدتها كما مر عين قوة كثرتها.

واما الانسان الواحد فليس من الجهة التي هو بها واحد يقابل الكثرة، لان وحدته التي هو بها واحد طبيعي وحدة نفسانية ليست بسارية في مادته، وقد علمت ان وحدة النفس في الرتبة والكمال تلو وحدة العقل، ولكن له جهات اخرى بحسبها يكون كثيراً من وجوه شتى، والى تلك الجهات اشار بقوله: والانسان نفسه — اي ذاته وشخصه — ليس بواحد لان اعضائه مختلفة والوانه مختلفة، اي له كثرة واختلاف بحسب الاجزاء وبحسب العوارض جميعاً، وقال عليه السلام: ومن الوانه مختلفة غير واحد، فكيف اذا كانت اجزائه والوانه وصفاته مختلفة؟

فقوله: من، موصول مبتداء، وقوله: الوانه مختلفة، مبتداء وخبر والجملة صلة «المن»

وقوله: غير واحد، خبر له.

ثم شرع في بيان اختلاف الاجزاء والالوان بقوله: وهو — اي الانسان الواحد —

اجزاء مجزأة، اي بالفعل لا بمجرد الوهم والفرس، ولم يقل ذو اجزاء لئلا يثبت جهة الوحدة، وقد علمت ان تلك الجهة ليست في جثة الانسان وبدنه وانما هي في روحه، واما البدن فهو عين جميع الاجزاء، وانما قال عليه السلام: ليست بسواء، تأكيداً لاختلافها وبعدها عن الوحدة، لان الاجزاء المتشابهة من شأنها الوحدة الاتصالية، بخلاف المتخالفة، فانها يستحيل ان تصير واحدة بالاتصال، فهي ابعد من الوحدة، وقوله: دمه غير لحمه الى قوله: غير بياضه، بيان لعدم الاستواء، وقوله: وكذلك سائر جميع الخلق، تعميم للحكم المذكور لئلا يتوهم اختصاصه بالانسان، وقد بينا ان الوحدة فيما سوى الاول تعالى غير خالصة.

وقوله عليه السلام: فالانسان واحد في الاسم ولا واحد في المعنى، اي وحدة خالصة لا يمازجها كثرة، وقوله: والله جلالة هو واحد لا واحد غيره، اي الواحد البحت الذي لا تشوبه كثرة بوجه من الوجوه اصلاً، مختص به تعالى دون ما سواه من الموجودات التي يطلق عليها اسم الواحد، فان وحدتها ظل لوحده كما ان وجودها رشح عن وجوده، وكلما هو في سلسلة الوجود ابعد عن الواجب الوجود فهو انقص وحدة واكثر اختلافاً.

والانسان لكونه بحسب خلقته^١ البدني واقعاً في اواخر الموجودات، مخلوقاً من الله بعد وسائط كثيرة، تضاعفت عليه جهات الكثرة حتى صارت وحدته ناقصة، كالوحدة الاجتماعية التي للمعاجين المركبة من اسطقسات مختلفة، صارت بالاجتماع مما يطلق عليها الاسم الواحد، وهو قوله: فاما الانسان المخلوق المصنوع فهو المؤلف من اجزاء مختلفة وجواهر شتى، غير انه بالاجتماع شيء واحد، فالاسم واحد والمسمى كثير، والفرق بين بدن الانسان والمعجون هو: ان ههنا مع الوحدة الاجتماعية وحدة اخرى خارجة عن البدن مستتعبة لهذه الجمعية متعلقة بها، وفي المعجون ليس سوى الاجتماع وحدة اخرى غير الكيفية الاعتدالية القريبة الى التشابه.

ولما تحقق وتبين بما افاده عليه السلام امر الوحدة وان وحدته تعالى لا تشارك سائر الوحدات في الحقيقة والمعنى، بل في مجرد الاسم بمفهومه الكلي، وصار مبيناً معلوماً للفتح بن يزيد استبشر وقال ما قال من الثناء والدعاء، اراد ان يفسر عليه السلام له معنى اللطيف المذكور في كلامه عليه السلام من جملة اسماء الله، مع انه قد علم من البيان المذكور في باب

الوحدة ان جميع صفاته تعالى على هذه السبيل ، من انها بالمعنى الذي له تعالى غيرها بالمعنى الذي في الخلق ، فعلم ان لطفه تعالى على خلاف لطف خلقه لكن احب ان يشرح عليه السلام ذلك له .

فقال عليه السلام : يا فتح ! انما قلنا اللطيف للخلق اللطيف لعلمه بالشيء ، يعني انه انما اطلقنا اسم اللطيف على الله تعالى بوجهين : احدهما للخلق اللطيف يعني لخلقها الاشياء اللطيفة والثاني لعلمه بالاشياء اللطيفة ، ولا شك ان في الموجودات لطيفها وغير لطيفها اشياء لطيفة وهو تعالى عالم بها وصانع لها على الطف وجه ، وقد مرّ سابقا ان كل ما يوصف به المخلوق من الصفات الوجودية فهو في الخالق على وجه اعلى واشرف ، فلاجل ذلك يطلق اسمه عليه تعالى .

ثم اشتغل عليه السلام ببيان اثار صنعه في الاشياء اللطيفة ولطائف خلقه في النبات والحيوان الصغار وفي بيان صغر جثتها وحقارتها واهتدائها الى مصالحها ولطائف احوالها وادراكاتها وتأليف الوانها وغير ذلك من امورها اللطيفة ظاهرها وباطنها .

واعلم ان شرح الطافه تعالى بخلقه طويل لا يفي بذكرها الا قلام والصحائف ، وانما يمكن التنبيه على بعض مجملاتها ، بل لو اراد الانسان ان يشرح لطفه في تيسير لقمة يتناولها العبد من غير كلفة يتجشمها ، وقد تعاون على اصلاحها خلق لا يحصى عددهم — من مصلحي الارض وزراعتها وساقيا وحاصدها ومنقيا وطاحنها وعاجنها وخابزها الى غير ذلك — وفي تيسير ما يتوقف عليه تناولها من الالات والقوى كخلق الاسنان عند الحاجة الى مضغ الطعام وطحنه ثم تقسيمها الى عريضة للطحن والى انياب للكسر والى ثنايا حادة الاطراف للقطع ، ثم القدرة على استعمال اللسان الذي الغرض الاصيل منه النطق ورد الطعام الى الطحن كالمجرفة^١ ، ثم انشاء الرطوبة اللغابية التي يتعجن بها الطحين من الطعام ليسهل مروره الى الخلق وهضمه في المعدة الى غير ذلك من الامور الجليلة والحفية ، لعجز عن ذلك .

قوله : علمنا ان خالق هذا الخلق لطيف لطف بخلق ما سميناه ، اي سميناه لطيفاً ، وذلك لان كل فاعل لصفة كمالية لا بد وان يوصف بها او بما يناسبها مما يليق بمرتبتها ، فهو تعالى من حيث دبر الامور حكيم ومن حيث رتبها مصور ومن حيث وضع كل شيء

١ — المجرفة بكسر الميم : المسحاة تتخذ من الخشب يجرف بها التراب ونحوه .

موضعه عدل ومن حيث لم يترك دقائق وجوه الرفق لطيف ، ولن يعرف حقيقة اسمائه تعالى من لم يعرف حقيقة هذه الافعال .

ومن لطف الله بعباده انه اعطاهم فوق الكفاية وكلفهم دون الطاقة .

ومن لطفه يسّر لهم طريق الوصول الى سعادة الابد بسعي خفيف في مدة قصيرة وهي العمر، فانه لا نسبة له الى الابد .

ومن لطفه اخراج اللبن الصافي من بين فرث ودم واخراج الجواهر النفيسة كالذهب والفضة والياقيات من الاحجار الصلبة واخراج العسل من النحل والابريسم من الدود والدر من الصدف ، واعجب من ذلك كله خلقته^١ من النطفة القذرة خلقا اخر مستودعاً لمعرفته وحاملاً لامانته ومشاهداً لملكوت سماواته وارضه .

قوله عليه السلام : بلا علاج ولا اداة... الى اخره ، اشارة الى كيفية صنعه تعالى ويجابده للاشياء ، من انه اتم انحاء الصنع وافضلها ، حيث لا يحتاج فيه الى شيء اخر ، لا في جانب الصانع ، كمباشرة او حركة او استعمال الة او قوة زائدة او شريك ، ولا في جانب المصنوع ، كمادة وموضوع للصناعة ، كفعل سائر الصناعات كالبناء والحديد والنجار ، فان الاول يصنع صنعه من الطين والثاني يصنع من الحديد والثالث من الخشب ، وكذا القياس في غيرها ، والله تعالى يخلق و يصنع الاشياء كلها بذاته لا بشيء اخر ولا من شيء اخر .

الحديث الثاني

وهو التاسع عشر وثلاث مائة

«علي بن محمد مرسلًا عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال قال : اعلم علمك الله الخير ان الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التي دلت العاقل على انه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته فقد بان لنا باقرار العامة معجزة الصفة انه لا شيء قبل الله ولا شيء مع الله في بقائه وبطل قول من زعم انه كان قبله او كان معه شيء وذلك انه لو كان معه شيء في بقائه لم يجوز ان يكون خالقا له لانه لم يزل معه فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه ولو كان قبله شيء كان الاول ذلك الشيء لا هذا وكان الاول اولي بان يكون خالقا للاول . ثم وصف نفسه تبارك وتعالى باسماء دعا الخلق اذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم الى ان يدعوها

فسمى نفسه سمياً بصيراً قادراً قائماً ناطقاً ظاهراً باطناً لطيفاً خبيراً قوياً عزيزاً حكيماً
عليماً وما اشبه هذه الاسماء فلما رأى ذلك من اسمائه القالون المكذبون وقد سمعونا نحدث
عن الله أنه لا شيء مثله ولا شيء من الخلق في حاله قالوا اخبرونا اذا زعمتم أنه لا مثل لله
ولا شبه له كيف شاركتموه في اسمائه الحسنى فتسميتهم بجمعها فإن في ذلك دليلاً على
انكم مثله في حالاته كلها او في بعضها دون بعض اذ جمعت الاسماء الطيبة . قيل لهم : ان الله
تبارك وتعالى الزم العباد اسماء من اسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم
الواحد معنيين مختلفين والدليل على ذلك قول الناس الجائر عندهم الشائع وهو الذي خاطب
الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيعوا ؛ فقد يقال للرجل
كلب وحمار وثور وسكرة وعلقمة واسد كل ذلك على خلافه وحالاته لم تقع الاسامي على
معانيها التي كانت بنيت عليه لان الانسان ليس باسد ولا كلب فافهم ذلك رحمك الله وانما
سمي الله تعالى بالعلم بغير علم حادث علم به الاشياء واستعان به على حفظ ما يستقبل من
امره والروية فيما يخلق من خلقه ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه مما لو لم يحضره ذلك العلم
ويعينه^١ كان جاهلاً ضعيفاً . كما انا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث اذ
كانوا فيه جهلةً وربما فارقه العلم بالاشياء فعادوا الى الجهل وانما سمي الله عالماً لانه لا
يجهل شيئاً فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت وسمي ربنا
سمعياً لا بخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به كما ان خرتنا الذي به نسمع لا نقوى به
على البصر ولكنه أخبرانه لا يخفي عليه شيء من الاصوات ليس على حد ما سمينا نحن فقد
جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى .

وهكذا البصر لا بخرت منه ابصر كما انا نبصر بخرت منا لا ننتفع به في غيره ولكن
الله بصير لا يحتمل شخصاً منظوراً اليه فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وهو قائم ليس على
معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الاشياء ولكن قائم يخبر انه حافظ كقول
الرجل : القائم بامرنا فلان والله هو القائم على كل نفس بما كسبت والقائم ايضا في كلام
الناس : الباقي ، والقائم ايضا يخبر عن الكفاية كقولك للرجل : قم بأمر بني فلان أي اكفهم
والقائم منا قائم على ساق فقد جمعنا الاسم ولم نجمع المعنى .

واما اللطيف فليس على قلة وقضافة وصغر ولكن ذلك على النفاذ في الاشياء

والامتناع من ان يدرك كقولك للرجل: لطف عني هذا الامر ولطف فلان في مذهبه وقوله يخبرك انه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن ان يدرك بجدٍ او يحد بوصفٍ واللطافة منا: الصغر والقلة فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

واما الخبير فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته ليس للتجربة ولا للاعتبار بالاشياء فعند التجربة والاعتبار علمان ولولاهما ما علم لان من كان كذلك كان جاهلا والله لم يزل خبيراً بما يخلق والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .
واما الظاهر فليس من اجل انه علا الاشياء بركوب فوقها وعود عليها وتسم لذراها ولكن ذلك لقهره ولغلبته الاشياء وقدرته عليها كقول الرجل: ظهرت على اعدائي واطهرني الله على خصمي يخبر عن الفلج والغلبة فهكذا ظهور الله على الاشياء . ووجه اخر انه الظاهر لمن اراده ولا يخفى عليه شيء وانه مدبر لكل ما برأ فاي ظاهر أظهر ووضح من الله تبارك وتعالى لانك لا تعدم صنعته حيثما توجهت وفيك من آثاره ما يغنيك والظاهر منا البارز بنفسه والمعلوم بجده فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى .

واما الباطن فليس على معنى الاستبطان للاشياء بان يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للاشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول القائل: أبطنته يعني خبرته وعلمت مكنوم سره والباطن منا الغائب في الشيء المستتر وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى .

واما القاهر فليس على معنى علاج ونصب واحتيال ومدارة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يعود مقهوراً ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على ان جميع ما خلق ملبس به الذل لفاعله وقلة الامتناع لما اراد به لم يخرج منه طرفة عين ان يقول له كن فيكون والقاهر منا على ما ذكرت ووصفت فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وهكذا جميع الاسماء وان كنا لم نستجمعها كلها فقد يكتفي الاعتبار لما القينا اليك والله عونك وعوننا في ارشادنا وتوفيقاتنا» .

الشرح

القالون المبغضون من القلي بالكسر البغض فان فتحت القاف مددت الالف ،
والعلقمه المرارة وجعل الشيء المر في الطعام ، او العلقم شجر مرّ ويقال للحنظل ولكل شيء مرّ علقم ، والخرت ثقب الابرة والفاص والاذن ونحوها ، في كبد اي في شدة ومشقة ،

والقضاة الدقة والنحافة وهي قضييف اي نحيف ، وتسّم الشيء رفعه ، وقبر مسّتم أي مرتفع غير مسطح ، واصله من السنام واحد اسنمة البعير وتسّمه علاه ، واسم الدخان ارتفع ، وقوله تعالى: ومزاجه من تسنيم^١ ، قيل هو ماء في الجنة سمي به لانه يجري من فوق الغرف والقصور ، وذرى الشيء بالضم اعاليه ، الواحد ذروة ، والفالج بالجيم الظفر والفوز .

الغرض من هذا الحديث كالذي قبله ان يبين ان الاسماء المشتركة بين الله وبين خلقه ليس اطلاقها عليها بمعنى واحد ليلزم المماثلة والتشبيه له تعالى بخلقه ، وقد علمت ان التشبيه هو ان يكون نوع من الصفة بوجودها الخاص النوعي او الجنسي موجود في شيئين فهما متشابهان ، واما اذا كان المسمى بالصفة في احد الموصوفين بمعنى وفي الاخر بمعنى اخر او يكون في احدهما بوجود اشد واكمل وفي الاخر اضعف وانقص فلا تشبيه بينهما .

واعلم ان كثيراً من الناس لم يتصوروا الوسطة بين كون الاسم المطلق على كثيرين مشتركاً لفظياً بينهما^٢ ، كاسم العين الواقع على الاشياء المتخالفة حقيقة ومجازاً كوقوع اسم الاسد على الشجاع والسبع ، وبين كونه متواطئاً واقعاً على الكل بمعنى واحد من غير تفاوت في كمالية وشدة في نفس المعنى المشتركة ، ولم يعلموا ان ههنا قسماً اخر من الكلي المشترك كالوجود بالنسبة الى الوجودات والنور بالنسبة الى الانوار والعلم بالنسبة الى العلوم .

فن الوجود ما هو في غاية القوة ولا نهاية الشدة التي لا غاية فوقها ، ومنه ما هو كاهيولي والحركة ، وكذلك من النور ما هو نور الانوار الذي لا غاية لشدته ، ومنه ما هو كنور البصر الخفاش ونحوه ، وكذلك من العلم ما هو حقيقة واجب الوجود الذي به ينكشف جميع الاشياء ومنه ما هو عرض انفعالي ناقص لا ينكشف الا معلوم واحد انكشافاً ناقصاً ، كعلمنا بشيء نراه من مسافة بعيدة نعلم بذلك العلم انه جسم ولا نعلم به انه اتي نوع من انواع الجسم ، بل ربما لا نعلم انه اتي جنس من اجناسه ، فاذا رأينا انه تحرك من خارج علمنا انه حيوان ، فمع هذه التفاوت بين افراد العلم كيف يقال انه معنى واحد متشابه ؟ ولا يلزم منه ايضاً ان يكون وقوعه على اقسامه باشتراك اللفظ فقط ، فهكذا القياس في الاسماء المشتركة بين الحق والخلق .

١- المطففين ٢٧ .

٢- بينهما - م - د - ط .

اذا تمهدت هذه المعاني فنقول : ذكر عليه السلام في هذا الحديث عدة من اسماء الله تعالى الموهمة للتشبيه ليبين الفرق والاختلاف بينها بحسب المعنى في الموضعين اي بين ما سمي به الخالق وبين ما سمي به الخلائق، فذكر عليه السلام اولا صفة القدم فقال : انه تعالى قديم والقدم صفة التي دلت العاقل على انه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته، يعني ان العاقل اذا نظر في هذه الصفة يستدل منها على ان اطلاقها عليه تعالى ليس بالمعنى المقارن للزمان يعني القدم الزماني بل بمعنى اخر، فان القدم له معنيان .

احدهما زماني وهو ان لا يكون لزمان وجوده ابتداء، والله تعالى برئ عن مقارنة الزمان والتغير والتقدير بالمقدار سواء كان مقداراً قاراً كالجسم والخط او غير قار كالزمان .

وثانيهما ذاتي والقديم الذاتي هو ان لا يكون ذاته من حيث ذاته مفتقراً الى غيره حتى يكون متأخراً عنه بالذات، ولا ان يكون معه شيء اخر معيته بالذات حتى يتأخرا جميعا عن شيء ثالث تاخر بالذات، فان المعية الذاتية بين شيئين هو ان لا يمكن انفكاك احدهما نظراً الى ذاته عن صاحبه، وهذا المعنى يستلزم ان يكون كلاهما معلولي علة واحدة، فان الذاتين اذا لم يكن بينهما علاقة ذاتية افتقارية بان يكون احدهما سببا للاخرى او يكونا جميعاً مسببين عن ثالث موجب لهما، فيجوز عند العقل انفكاك كل منهما عن صاحبه فكانت مصاحبتها لا بالذات بل بالاتفاق في زمان او نحوه .

فالخلق تعالى اذ هو به مبدأ كل شيء كان الزمان مخلوقاً متأخراً عنه فلم يكن قديماً بالزمان فهو قديم بالذات، لان ذاته غير متعلق بشيء فلا شيء قبله قبلية بالذات ولا معه معية بالذات لما علمت، واذ كل ما سواه مفتقر الذات اليه فيكون متأخراً عنه فيكون حادثاً، لان كل معلول مسبب فله عن ماهيته ان ليس وله عن علته وسببه ان ايس، فكل ما سواه ايس بعد ليس ليسيية ذاتية، فكل ما سواه متأخرة عنه تعالى بالذات .

فباقرار العامة : ان الله قديم، بان لنا عند التفتيش معجزة هذه الصفة اي اعجازها لمن زعم ان شيئاً قبله تعالى او معه، لانه لو كان معه شيء لم يكن الله سبباً موجداً له بل يلزم ان يكون ثالث موجداً لهما، ولو كان قبله شيء لكان ذلك القبل خالقاً والخالق مخلوقاً له .

فقول القائل : العالم قديم، باطل محض، لانه ان اراد به انه قديم بالذات فهو يناقض كونه عالماً مفتقراً الى غيره، وان اراد ان ذاته مع ذات البارئ فحيث ذات البارئ لم يكن له

في تلك المرتبة وجود اصلا، وان قال انه قديم بالزمان فالزمان ليس الا كمية الحركة وعددها والحركة ليست حقيقتها الا الحدوث والتجدد، فكذلك كل ما فيها او معها .

وايضا البرهان قائم على ان الاجسام وقواها ونفوسها متناهية القوى والافاعيل والانفعالات فلا بقاء ولا استمرار لها، فبطل كون العالم قديما .

فظهر ان لا قديم بالذات الا الاول تعالى، واذا اطلق على غيره كان بمعنى ثالث نسبي غير حقيقي، وهوان يكون ما مضى من زمان وجود شيء اكثر مما مضى من وجود شيء اخر وهو القديم العرفي، فقد اتفق الاسم واختلف المعنى، وهكذا حال سائر الاسماء المشتركة بين الاول تعالى وبين الخلق .

قوله عليه السلام : ثم وصف نفسه تبارك وتعالى باسماء دعا الخلق، اي باسماء يدعوه بها الخلق كما قال تعالى : والله الاسماء الحسنی فادعوه بها^١، وقوله : اذا خلقهم وتعبدهم وابتلاهم الى ان يدعوه بها، تعليلا لخلق هذه الاسماء اول اظهار الاتصاف بها لا لنفس الاتصاف، فان كونه تعالى سميعاً بصيراً عليمياً حكيماً عزيزاً ليس بعلّة ولا لغاية، بل العلة والغاية لايجاد الاسماء واعلام الخلائق بها .

فالحكمة في ذلك : انه خلقهم ناقصين في اول هذه الحلقة فكلفهم بعبادته ومعرفته رحمة عليهم ورأفة بهم ليستكمل ذواتهم و يصيروا اهلا لقربه ودار كرامته، وابتلاهم بامور ومصائب ومحن وشدائد ليلتجئوا اليه و يتضرعوا و يدعوه بتلك الاسماء، فالفقير يقول : يا غني، والجائع، يقول : يا رزاق، والمذنب يقول : يا غفار، والدليل يقول : يا عزيز، والمظلوم يقول : يا منتقم يا عدل، وهكذا كل يدعوه بما يفتقر اليه فيه، فبذلك الوجه يتوسلون اليه و يعرفونه و يستحقون ثوابه .

وقوله عليه السلام : فلما رأى ذلك من اسمائه القالون المكذبون، اشارة الى منشأ الشبهة و باعث المغالطة الوهمية التي تشبث بها الزائغون عن سبيل التوحيد المشبهون الله بخلقه المبغضون لاهل الحق المكذبون له في قوله : ليس كمثلته شيء^٢ .

وقوله عليه السلام : قيل لهم ان الله تبارك وتعالى، بيان لدفع الشبهة وحسم مادتها وحل عقدها، واولا على بيان جملي يتبين ان الاسماء المشتركة ليست بمعنى واحد مقولاً على

١- الاعراف ١٨٠ .

٢- الشورى ١١ .

الحق والخلق بل على اختلاف المعاني كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين .
 وقوله عليه السلام : والدليل على ذلك الى قوله : فافهم رحمك الله ، استدلال على
 صحة استعمال الاسم الواحد بمعنيين مختلفين بامثلة جزئية واطلاقات عرفية ، وأشار ههنا الى
 ان مدار مخاطبة الله عباده وتكليمه اياهم بواسطة الكتب او الرسل على ما هو المتعارف
 عندهم من استعمال الالفاظ ليتم حجته عليهم في تضييع ما ضيعوا من الالفاظ وبدلوها
 وحرفوا الكلم عن مواضعها التي عليها العرف والعادة وان كانت مواضع التجوز، فانه ان
 قصد لاختراع الفاظ اخر واستثناف وضع لغات اخرى للمعاني الالهية ، سوى ما هي
 مستعملة بين الخلق من هذه اللغات المتعارفة لما اهتدى احد^١ السبيل اليه ولا عليه حجة في
 تضييعه .

فاذا ثبت هذا ونحن نرى في العرف الشائع ان يقال للرجل كلب واسد وغير ذلك
 من الالفاظ التي وضعت اولاً للمعاني اخرى واستعملت ههنا لاجل مناسبة ما بين الرجل وتلك
 المعاني الاصلية لاجل حالاته المختلفة ، فاذا جاز ذلك وساغ وشاع في المتعارف بين الناس
 فليجز ان يكون الاسم واحداً بين الله والخلق والمعنى مختلفاً .

واياك ان تفهم ما ذكره عليه السلام من المثال ان اطلاق هذه الاسماء على الله على
 سبيل المجاز وفينا على الحقيقة كما ظنه كثير من الاذكياء ، حتى ان ابا علي بن سينا زعم ان
 الوحدة فيه تعالى من لوازم نفي الكثرة وفي غيره كالواحد بالاتصال انما نفي الكثرة من لوازمها
 فيكون الوحدة هناك عدمية وههنا وجودية .

وقال بعضهم : ان اطلاق الاسماء عليه سبحانه لا باعتبار حصول المبادي كالعلم
 والقدرة والرحمة بل باعتبار ترتب غاياتها على ذاته ، بل الحكم بالعكس اولى ، فان ما عند الله
 هي الحقائق المتأصلة من الصفات الوجودية كالعلم والقدرة وغيرهما وما عند الخلق هي
 ظلال وتوابع ورشحات كما اوأنا اليه مرارا .

وقوله : وانما سمي الله بالعلم بغير علم حادث ، لما ذكر عليه السلام بيان اختلاف
 المعاني التي تحت اسماء الله واسماء المخلوقين على وجه الاجمال اراد ان يبين الفرق والاختلاف
 في المعنى في خصوصيات بعض الاسماء على وجه التفصيل ليكون اوقع في النفس واوضح في
 المطلوب .

فذكر اولاً اسم العلم لكونه اكثر حيطه من سائر الاسماء، فيبين ان الله عالم لا بالعلم الحادث الانفعالي المستفاد من الغير ليكون مستعينا به على حفظ ما يستقبل من امره، وعلى الروية والتفكر فيما يريد ان يخلق من خلقه ما لم يخلقه بعد، او يريد ان يفسد ما خلقه فيما مضى من الزمان مما افناه من خلقه، او يريد ان يبقى ما كان خلقه ماضياً مما ابقاه، كحالنا في علومنا الحادثة التي بها نستعين على حفظ ما يستقبلنا من امورنا ونرؤي بها في فعل ما نفعله وترك ما نتركه، فلولم^١ يحضرنا تلك العلوم الحادثة و يغيب عنا لكننا جهالاً ضعفاء ناقصين .

واكثر ما نسميهم العلماء مما رأيناهم انما نسميهم ذلك بسبب حدوث العلم فيهم لكونهم اولاً فيه جهلة، وربما زال عنهم العلم بالاشياء فعادوا الى الجهل لعدم رسوخ العلم فيهم فانصرفوا عنه زاهدين فيه والى الدنيا راغبين، كحال بلعم وامثاله مما سمعناه أو رأيناه .
واما تسمية الله عالماً : فليس ذلك لعلم حادث بل ولا لعلم زائد على ذاته، فانه تعالى لا يعلم الاشياء من الاشياء فيكون في علمه مفتقر الى غيره حتى يكون لولا غيره لم يكن هو بحال، فيكون في ذاته قوة التغيير والانفعال فلم يكن واجب الوجود بالذات ومن كل جهة غنياً بريئاً من الامكان والافتقار .

بل الاول تعالى يعلم ذاته بذاته و يعلم من ذاته ما هو سبب له بوسط او بغير وسط، وما من شيء الا ويستند في سلسلة الاسباب المترتبة عنه المرتقية اليه وهو مسبب الاسباب من غير سبب فيحيط بالوجود كله؛ فلا يعرب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو بكل شيء محيط، اذ الكل ذاته وصفاته وفعاله .

واما كيفية تلك الاحاطة على وجه لا يقدر وحدته ولا يلزم كثرة في ذاته ولا في صفاته فهو مما لا يعرفه الا الراسخون، والغرض ههنا ان حقيقة العلم له تعالى وهي عين ذاته، اذ بذاته يظهر وينكشف جميع الاشياء، فعلمه واحد ومع وحدته علم بكل شيء، اذ لو بقي شيء ما لا يكون ذلك العلم علماً به لم يكن ذلك حقيقة العلم ولا علماً خالصاً بل علماً مشوباً بالجهل وكذلك الكلام في سائر صفاته تعالى .

ومن اشكل عليه ان يكون علم الله عز وجل مع وحدته علماً بكل شيء، لانه لم يعرف وحدة الحقائق وظن ان تلك الوحدة وحدة عددية وليس الامر كما ظنته، اذ كما ان

وجوده تعالى واحد لا كالأحاد من الأعداد إذ ليس كمثله شيء^١، وهو مع كل شيء، وكذلك وحدة صفاته التي هي عين ذاته، وهذا من غوامض الإلهية.

فقد ظهر وتبين أنّ علمه تعالى أصل حقيقة العلم وعلم الخلق رشح وفيض من علمه، وقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنى.

وقوله عليه السلام: وإنما سمي الله عالماً لأنه لا يجهل شيئاً، ليس المراد كما توهمه العبارة من كون العلم فيه راجعاً إلى نفي الجهل حتى يكون من الصفات السلبية، بل المراد به ما أشرنا إليه من كون علمه محض حقيقة العلم لا يجهل معه شيئاً.

وقوله: سمي ربنا سميعاً لا بخرت، بيان للفرق واختلاف المعنى في لفظي السميع والبصير المشتركين بينه وبين الخلق^١، أو علم أن وجوه الفرق كثير بين سمعه تعالى وسمعنا وبصره وبصرنا لكنه عليه السلام اختصر في الكلام حذراً من التطويل لحصول المقصود بدونه، فذكر من وجوه الفرق ما هو أبين وأقرب إلى فهم العامة وهو ثلاثة وجوه:

أحدهما أن السمع فينا بثقبة تدركها الأصوات والبصر أيضاً بثقبة تدرك بها الألوان.

وثانيها أن الثقبة والآلة التي تسمع بها لا يمكن أن تبصر بها والتي هي تبصر بها لا يمكن أن تسمع بها.

وثالثها أن البصر منا بالة يحتمل شخصاً منظوراً إليه والسمع بالة تحتمل هيئة الصوت، وأنه تعالى يسمى سميعاً بصيراً بذاته لا بالة من ثقبة أو قوة أخرى، فالذي به يسمع هو الذي به يبصر وأنه يسمع ويرى لا باحتمال صورة المسموع وشبه^٢ المنظور إليه.

وقوله: وهو قائم ليس على معنى انتصاب، يعني أن من الأسماء المشتركة بين الخالق والخلق اسم القائم لكن في كل منها معنى آخر، فإن القائم من الأجسام ما ينتصب على ساق، كما نحن ننتصب عند القيام بأمر على سوقنا في كبد ومشقة، وأما الباري جل مجده فاسم القيام فيه يخبر بأنه حافظ للأشياء مقوم لوجودها ولا يؤده حفظها وأنه القائم على كل نفس بما كسبت، فاختلف المعنى واتحد الاسم.

وقد يطلق القائم في كلام الناس بمعنى الباقي وهو أيضاً معناه مختلف، فعنى الباقي في

١- الشورى ١١.

٢- شيخ - م - د.

الخلق ما يوجد في زمان بعد زمان حدوثه، واما في حقه تعالى فليس بهذا المعنى لارتفاعه عن مطابقة الزمان، بل بقاءه عبارة عن وجوب وجوده وامتناع العدم عليه بالذات وبقائه نفس ذاته، والقائم قد يجيء بما يخبر عن الكفاية كما يقال: قم بامر بني فلان، اي اكفه، ولاشك ان هذا المعنى فيه تعالى على وجه اعلى واشرف، بل لا نسبة بين كفايته للخلق كافة، لا بالة وقوة وتعمّل وتكلف وبين كفاية الخلق بعضهم لبعض بتعب ومشقة، فقد اتفق الاسم واختلف المعنى.

ثم ذكر عليه السلام اسم اللطيف وبيّن اختلاف معناه في الحق والخلق، ثم ذكر اسم الخبير ثم الظاهر ثم الباطن ثم القاهر وبيّن في كل واحد من هذه الاسماء الاختلاف والمباينة في المعاني مع الاتفاق في اللفظ بما يستغنى عن الشرح والتوضيح، ثم قال: وهكذا جميع الاسماء وان كنا لم نستجمعها كلها فقد يكتفي بالاعتبار بما القينا اليك، يعني ان حكم سائر الاسماء الالهية كحكم هذه الاسماء في ان اطلاقها عليه تعالى وعلى الخلق ليس بمعنى واحد وان لم تكن نستجمعها مع هذه الاسماء اكتفاء بما ذكرنا والقينا اليك، فان العاقل المعترف قد يكتفي بما القى اليك ههنا للاعتبار في غيره من المواضع او قد يكتفي بسبب اعتباره بما القى اليك في هذا الموضع لسائر المواضع من اطلاق الاسماء، والله المعين بالارشاد والتوفيق.

باب تأويل الصمد

وهو الباب السابع عشر

من كتاب التوحيد

وفيه حديثان

الحديث الاول

وهو العشرون وثلاث مائة

«علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن محمد بن الوليد ولقبه شباب الصيرفي» ضعيف «صه» وفي ابن داود عن الغضائري: انه ضعيف «عن داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لابي جعفر الثاني عليه السلام جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيد المصمود اليه في القليل والكثير».

الشرح

قد مرت معاني الصمد في شرح بعض الاحاديث فلا نعيدها. فمن اراد فليرجع الى ما هناك ، والذي فسرته عليه السلام هو الاولى لان ما سواه يوهم التشبيه .

الحديث الثاني

وهو الحادي والعشرون وثلاث مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن أبي عبدالله» البرقي وهو من أصحاب الهادي عليه السلام ، وهو احمد بن محمد بن خالد وقد تكرر في الاسانيد ذكره «عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبدالرحمن عن الحسن بن السري» الكاتب البرقي ثقة واخوه علي روي عن ابي عبدالله عليه السلام «صه» وقال النجاشي : له كتاب روى عنه حسن بن محبوب . «عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سئلت ابا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال: ان الله تباركت اسمائه التي يدعى بها وتعالى في علو كنهه واحد توحد بالتوحيد في توحيده ثم اجراه على خلقه فهو واحد صمد قدوس يعبده كل شيء و يصمد اليه كل شيء ووسع كل شيء علماً».

الشرح

قوله واحد توحد بالتوحيد في توحيده ، يعني ان كل واحد دون الله غير متوحد في توحيده ، اذ قد وجدت له في توحيده امثال موجودة او مفروضة ، اذ كل ذي ماهية سواء كان بسيطاً او مركباً يحتمل فرض الاشتراك بين الكثيرين ، واما البارئ جل اسمه فليس لوحده مثل موجود ولا مفروض ، اذ لا ماهية له سوى الانية البسيطة التي لا يشوبه تركيب بوجه من الوجوه لا في الخارج كالانقسام الى المادة والصورة الخارجيتين ولا في العقل كالانقسام الى الجنس والفصل ولا في الفهم والاعتبار كالانقسام الى الماهية والوجود .

فقد ظهر انه تعالى كما لا شريك له في الهيته لا شريك له في احديته ، فهو متوحد في توحيده اي بساطته ، يعني عدم انقسامه الى الاجزاء بوجه من الوجوه ، وكذا لا شريك له في واحديته اي فردانيته ، فان كل فرداني كالشمس والقمر ليس تفردته الا بوجه واحد دون

وجوه اخرى، فان الشمس مثلا ليست بمتفردة في الجوهرية ولا في الجسمية ولا في الحركة الدورية بل ولا في الشمسية بحسب الفرض والوهم انما تفردها في ان ليس في الخارج مثلها. واما الباري جلّت كبريائه فهو متفرد في تفرده اي متوحد في توّحده، وذلك لان وحدته التي هوها واحد ليست من جنس الوحدة العديدة الداخلة في باب الاعداد، ولا الوحدة المهمة التي توصف بها الانواع والاجناس، فهو تعالى متوحد في احديته وواحديته اي في بساطته وفردانيته جميعاً واليهما الاشارة في قوله. : توحد بالتوحيد في توّحده.

نقل الشيخ المعظم رئيس المحدثين محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله في كتاب التوحيد: ان اعرابيا قام يوم الجمل الى امير المؤمنين عليه السلام فقال: يا امير المؤمنين اتقول ان الله واحد؟ فحمل الناس عليه فقالوا: يا اعرابي اما ترى ما فيه امير المؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال عليه السلام: دعوه، فان الذي يريده الاعرابي هو الذي نريده من القوم.

ثم قال: يا اعرابي انّ القول في انّ الله واحد على اربعة اقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ ووجهان يثبتان فيه، فاما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد يقصد به باب الاعداد، فهذا ما لا يجوز، لان ما لا ثاني له لا يدخل في باب الاعداد، الا ترى انه كفر من قال ثالث ثلاثة؟

وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لانه تشبيهه وجلّ ربنا عن ذلك وتعالى، واما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: فهو واحد ليس له في الاشياء شبيهه، كذلك ربنا وقول القائل: انه عزّ وجلّ احدي المعنى، يعني به انه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا فهم، كذلك ربنا عزّ وجلّ.

وقوله عليه السلام: ثم اجراه على خلقه، يعني اجرى ظلّ التوحيد على الخلق كما اجرى فيض الوجود عليهم، اذ الوحدة في كلّ شيء هي عين وجوده بالذات وغيره بالاعتبار، فكما انّ الوجود المحض الذي لا يشوبه عدم ونقص محتص به تعالى ووجود غيره مشابك العدم كذلك حكم الوحدة، فوحدات الممكنات متشابكة بالكثيرات ولذلك قال: فهو واحد صمد قدوس، اي فهو فقط واحد ذلك الواحد، صمد في وجوده لا فرجة فيه، وقدوس في وحدته لا تمازجه كثرة فلذلك يعبده كل شيء طلبا لتتميم كماله الوجودي ويصمد اليه كل شيء تخلصاً عن عالم التفرقة والكثرة الى عالم الجمعية والوحدة.

وقوله : وسع كل شيء علماً، اشارة الى ان وحدته الذاتية كعلمه الذي هو نفس ذاته وسعت كل شيء، لما مر ان وحدته ليست عددية حتى ينفصل عن غيره بل مع كل شيء لا بامتزاج وغير كل شيء لا بافتراق شبه ماورد عن امير المؤمنين عليه السلام .

[قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله : فهذا هو المعنى الصحيح في تاويل الصمد لا ما ذهب اليه المشبهة ان تاويل الصمد : المصمت الذي لا جوف له لان ذلك لا يكون الا من صفة الجسم والله جل ذكره متعال عن ذلك هو اعظم واجل من ان تقع الاوهام على صفته او تدرك كنهه عظمتة ولو كان تاويل الصمد في صفة الله عز وجل المصمت لكان مخالفاً لقوله عز وجل : ليس كمثله شيء لان ذلك من صفة الاجسام المصمته التي لا اجواف لها مثل الحجر والحديد وسائر الاشياء المصمته التي لا اجواف لها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . واما ما جاء في الاخبار من ذلك فالعالم عليه السلام اعلم بما قال وهذا الذي قال : ان الصمد هو السيد المصمود اليه هو معنى صحيح موافق لقول الله عز وجل ليس كمثله شيء والمصمود اليه المقصود في اللغة قال ابوطالب في بعض ما كان يمدح به النبي صلى الله عليه وآله من شعره .

وبالجمرة القصوى اذا صمدوا لها يرمون رضحاً^١ رأسها بالجنادل

يعني قصدوا نحوها يرمونها بالجنادل ، يعني الحصا الصغار التي تسمى بالجمار .

وقال بعض شعراء الجاهلية :

ما كنت احسب ان بيتاً ظاهراً لله في اكناف مكة يصمد

يعني : يقصد وقال ابن الزبرقان : ولا رهينة^٢ الا سيد صمد .

وقال شداد بن معاوية في حذيفة بن بدر :

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد

ومثل هذا كثير ، والله عز وجل هو السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجن والانس

اليه يصمدون في الحوائج واليه يلجئون عند الشدائد ومنه يرجون الرجاء^٣ ودوام النعماء^٤ .

اقول : ان ما ذكره رحمه الله ليس فيه كثير فائدة اذ الاسماء التشبيهية في القرآن

١- يؤمون قذفاً (الكافي) .

٢- رهينة (الكافي) .

٣- الرخاء (الكافي) .

٤- النعماء ليدفع عنهم الشدائد (الكافي) .

والحديث كثيرة لحكمة يعلمها الله تعالى وانما الاعتبار بفهم كلّ احد من موحد ومجسّم ، فالموحدون يفهمونها. ويتأولونها^١ الى معان لا يقدر في توحيدهم والمجسّمون بخلافهم ، ولا شك ان اسم الصمد ورد في القرآن والحديث وانه يستعمل في اللغة على معنيين : احدهما مالا جوف له وثانيها السيد المصمود اليه ، واذا اطلق الصمد على الله فالموحد يفهم بحسب كل من المعنيين في حقه تعالى ما يليق باحديته ، فيفهم من الصمدية بالمعنى الاوّل وجوب الوجود وبرائته تعالى عن معنى القوة والامكان.

وقد مرّ في الحديث الثالث^٢ من باب الارادة عن الصادق عليه السلام : ان المخلوق اجوف معتمل ، اي كلّه ، فاذا كان المخلوق بما هو مخلوق اجوف — بالمعنى الذي من لوازم المخلوقية — كان الخالق موصوفاً بمقابله وهو الصمد بالمعنى الذي يقابل ذلك المعنى . وايضا الصمد بمعنى السيد المصمود عليه ايضا لا يصح اطلاقه على الله تعالى بالوجه الذي يقال على غيره ، بل بمعنى اعلى واشرف مما يفهم من معنى السيادة في المخلوقات ، ثم انه معترف بان الصمد قد جاء في الاخبار من جهة المدلول الاول فلا وجه لانكاره ، كما ان لفظ اليد والجنب والاعين والمجيسى والاستواء قد جاءت في القرآن ، وان الاصل في الجميع ان يأوّل على وجه لا يخجل بالتوحيد الخالص عن التشبيه .

باب الحركة والانتقال

وهو الباب الثامن عشر من كتاب التوحيد

وفيه عشرة احاديث

الحديث الاول

وهو الثاني والعشرون وثلاث مائة

«محمد بن ابي عبدالله عن محمد بن اسمعيل البرمكي عن علي بن عباس الجراذيني عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر الجعفري» من اصحاب الكاظم عليه السلام «عن ابي ابراهيم عليه السلام قال : ذكر عنده قوم يزعمون ان الله تبارك وتعالى ينزل

١- يأولونها - م - د .

٢- الظاهر في الحديث السادس .

الى السماء الدنيا فقال: ان الله لا ينزل ولا يحتاج الى ان ينزل انما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد ولم يحتاج الى شيء بل يحتاج اليه وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

اما قول الواصفين انه ينزل تبارك وتعالى فانما يقول ذلك من ينسبه الى نقص أو زيادة وكل متحرك محتاج الى من يحركه أو يتحرك به، فن ظن بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحذونه بنقص أو زيادة أو تحريك أو زوال أو استنزال أو نهوض أو قعود فان الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين^١.

الشرح

قد ورد في بعض الروايات من طرق العامة: ان الله ينزل في الثلث الاخير من الليل الى السماء الدنيا فينادي: هل من داع هل من مستغفر؟ والظاهريون والمجسمون يحملون مثل هذه الاخبار على ظواهرها بخلاف اهل التوحيد فأولونها على معان صحيحة، فلو ثبتت الرواية فلا بد من تأويلها بما لا يوجب تجسما ولا حركة، ولاجل ذلك قال عليه السلام: ان الله لا ينزل ولا يحتاج الى ان ينزل، لان المتحرك من مكان الى مكان انما يتحرك لحاجته الى الحركة، اذ ليست نسبته الى جميع الامكنة نسبة واحدة، بل اذا حضر له مكان او مكاني غاب عنه مكان او مكاني اخر، واذا قرب من شيء بعد عن شيء اخر، فاذا حصل في مكان وكان مطلوبه في مكان اخر فيحتاج في حصول مطلوبه له الى الحركة الى مطلوبه او حركة مطلوبه اليه.

والاول سبحانه لما لم يكن مكانيا كانت نسبته الى جميع الامكنة والمكانيات نسبة واحدة وليس شيء اقرب اليه من شيء اخر ولا ابعد ولا هو اقرب الى شيء من شيء اخر ولا ابعد الا بمعنى اخر غير المكاني وهو القرب بالذات والصفات ونحو ذلك، والبعد الذي بازائه، والى ذلك اشار بقوله: انما منظره في القرب والبعد، يعني المكانيين، سواء لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد، هذه العبارة^٢ ابلغ في المقصود من نفي المكانيّة عنه تعالى واستواء

١- الشعراء ٢١٧-٢١٩.

٢- الظاهر ان يكون اشارة الى قوله عليه السلام: لم يبعد منه قريب... الى آخره، لا بالمجموع منه،

ومما قبله من قوله: انما منظره... الى آخره، فافهم (نوري).

النسبة الى الاشياء المكانية من ان يقال^١ هو لم يعد من قريب ولم يقرب من بعيد، فان هذه لا تنفي الا الحركة دون المكانية بخلاف تلك^٢، اذ كل مكاني فهو بحيث يختلف نسبه الى الاشياء وان كان ساكنا في مكانه لا يتحرك وذلك من جهة تحرك الاشياء.

وقوله عليه السلام : ولم يحتج الى شيء، تعميم لقوله : ولا يحتاج الى ان ينزل، فالاول اشارة الى البرهان على نفي الحركة في المكان بما ذكره من تساوي منظره في القرب والبعد من مراحليز والامكنة، وهذا اشارة الى البرهان الى نفي الحركة والتغير مطلقا بان معنى الحركة الخروج من القوة الى الفعل.

وبعبارة اخرى : كمال ما بالقوة من جهة ما هو بالقوة وكل ما هو بالقوة في شيء فهو فاقد له محتاج اليه لانه كمال وجودي له والالم يتحرك اليه، والحق تعالى غير محتاج الى شيء اصلا فهو غير متحرك بوجه من الوجوه لا في المكان ولا في غيره، وانما قلنا انه لم يحتج الى شيء لان ما سواه من الاشياء كلها انما حصلت منه وهو اصلها ومنبعها ومنشأها وهو المتطول عليها المتفضل المنعم بالاحسان اليها فهي المحتاجة اليه تعالى، فلو احتاج هو الى شيء يلزم افتقار الشيء الى ما يفتقر اليه من حيثية واحدة وذلك محال، لاستلزامه توقف الشيء على نفسه وذلك قوله : بل يحتاج اليه وهو ذو الطول.

وانما ذكر قوله : لا اله الا هو العزيز الحكيم، لان دليل نفي الحركة بنفي الحاجة الى شيء انما يتم باثبات توحيدته في الالهية وبنفي السفة عنه، اذ لو تصور في الوجود اله اخر لامكن ان يتصور حاجة الاله الى غير مخلوقاته، اذ على ذلك التقدير لم يلزم من احتياجه الى شيء محال كالدور وما يجري مجراه، وايضا لو جاز السفة عليه لجاز ان يظن بنفسه انه محتاج الى شيء فيقصده او يفعل الحركة مجازفة، وهذا كما يعتقد كثير من المتكلمين من جملة ارائهم الزائفة انه تعالى يجوز ان يفعل بقصده كل ما تصوره من القبائح والمجازفات، ويستدلون بان العالم كله ملكه وللمالك ان يفعل في ملكه كل ما شاء واراد، سواء كان حسناً او قبيحاً، وليس لاحد ان يعترض عليه او يسأل عنه لقوله : لا يسأل عما يفعل وهم يسألون^٣.

١- متعلق بابلغ فافهم (نوري).

٢- متعلق بالمقصود، وقوله : واستواء النسبة... الى آخره، عطف على نفي المكانية (نوري).

٣- الانبياء ٢٣.

ولما ذكر القاعدة الكلية بالبيان البرهاني على نفي الحركة المكانية أولاً ثم على نفي الحركة والتغير على الاطلاق اراد ان يشير الى المفاصل التي يلزم من القول بوصفه تعالى بنزوله من مكان الى مكان فقال : اما قول الواصفين : انه ينزل تبارك وتعالى ، فاننا يقول ذلك من ينسبه الى نقص او زيادة ، يعني أنّ النزول ضرب من الحركة وان كلّ ما يتحرك سواء كانت الحركة في الاين او في غيره فهو خارج من نقص الى كمال ، فيلزم على هؤلاء الواصفين رهم بالنزول ان ينسبوه الى نقص وذلك قبل الحركة او الى زيادة وهي بعد الحركة والخروج من القوة الى الفعل ، وكل ما يوصف بنقص او زيادة ففي ذاته امكان ان ينفع من غيره فيتركب ذاته من قوة وفعل بل من مادة بها يكون بالقوة ومن صورة بها يكون بالفعل ، وكل مركب فهو ممكن الوجود محتاج الى غيره ، فيلزم ان لا يكون اله العالم واجب الوجود وهذا محال .

وقوله : وكلّ متحرك يحتاج الى من يحركه او يتحرك به ، اشارة الى حجة اخرى على بطلان قولهم بالحركة وهي : ان كل متحرك لا بد له من محرك غيره سواء كان مبائنا له كالحركات النفسانية وهو المعبر عنه بقوله : من يحركه ، او مقارنا له كالحركات الطبيعية وهو المعبر عنه بقوله : او يتحرك به ، وذلك لان الحركة صفة حادثة لكون اجزائها غير مجتمعة في الوجود ، فكل جزء منها مسبوق بجزء اخر فيكون جميعها حادثة وما يتركب فهو اولى ، فهي لكونها صفة تحتاج الى قابل وكونها حادثة تحتاج الى فاعل ، ولا بد ان يكون فاعلها غير قابلها ، لانّ المحرك لا يحرك نفسه بل لشيء يكون متحركا بالقوة ، كما ان المسخن لا يسخن نفسه بل لا مريكون سخونته بالقوة ، فقابل الحركة امر بالقوة وفاعلها امر بالفعل .

فكل متحرك يحتاج الى محرك يغيره غير قابل لهذه الحركة افادتها في قابلها ، فلا يخلو اما ان يكون بالفعل من كل وجه ، فيكون محركا غير متحرك اصلا ، او لا يكون كذلك ، فيكون بالفعل من هذه الجهة و بالقوة من جهة اخرى و يكون متحركا بمحركة اخرى فيحتاج الى محرك اخر غيره ، و يعود الكلام فاما ان يتسلسل المحركات والمتحركات الى لا نهاية وهو محال ، او ينتهي الى محرك غير متحرك لكونه بالفعل من كل وجه ، وهو يستلزم المطلوب من نفي الحركة عن الاول تعالى لكونه مبدأ جميع الاشياء واليه ينتهي سلسلة جميع الحاجات^١ .

ثم اشار الى هلاك من ظنّ هذه الظنون الفاسدة بالله وتوهم هذه الاراء الجاهلية في

حقّه تعالى ثم حذر القوم من ان يقفوا بالمعرفة^١ بالله على حد من حدود التشبيه والتحديد أو التجسيم اللازم من نسبتها هذه الصفات اليه تعالى، كزيادة أو نقصان أو تحريك على سبيل المباشرة أو تحرك على أي نحو كان أو بزوال عن حالة كانت أو استئزال لحالة لم تكن أو قيام جسمانية^٢ أو قعود أو ما يجري مجرى هذه الصفات الجسمانية، ثم أكد ذلك بان الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين فضلاً عن هذه الاراء الفاسدة والاقوال الكاذبة التي يعرف فسادها وكذبها بادنى بضاعة من العلم الذي هو علم.

ثم تلى قوله تعالى: وتوكل على العزيز الرحيم... الآية، عظة وتنبهاً على امور يجب ان يكون الانسان عليها من التوكل عليه تعالى والتسليم لامره ومعرفة أنه أعزّ وأجلّ من أن يصفه الواصفون، وانه مع غاية تعززه وترفعه عن الاشياء رحيم رؤف بالخلائق كلهم مطلع على جميع احوالهم وحركاتهم وتقلباتهم في الذّات والصفات، وان علمه بالاشياء على وجه الرؤية والمشاهدة دون غيرها من الاقسام كالعلم الحسوي أو التجري أو الاستدلالي أو الانفعالي التابع للمعلومات، وان رؤية البعض لا يحجبه عن رؤية بعض اخر لتساوي نسبة الكلّ اليه تعالى لكونه بريئاً عن الامكنة والازمنة، وان الاشياء كلها ساجدة خاضعة له لامكانهم وافتقارهم اليه كما في قوله تعالى: والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة^٣، وقوله: أو لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيئو ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون^٤.

الحديث الثاني

وهو الثالث والعشرون وثلاث مائة

«وعنه رفع الى الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر عن ابي ابراهيم عليه السلام انه قال: لا أقول أنه قائم فازيله عن مكانه ولا أحده بمكان يكون فيه ولا أحده ان يتحرك في شيء من الاركان والجوارح ولا أحده بلفظ شق فم ولكن كما قال تبارك وتعالى: كن

١- في المعرفة - م - د.

٢- الجسمانية - م - د.

٣- النحل ٤٩.

٤- النحل ٤٨.

فيكون^١ بمشيئته من غير تردد في نفس صمدا فردا لم يحتج الى شريك يذكر له ملكه ولا يفتح له ابواب علمه^٢».

الشرح

يعني اني لا اصف الرب تعالى بانه قائم بالمعنى الذي يقوله أهل اللغة فيلزم زواله عن مكانه الذي كان قبل القيام، ولا ايضا اصفه بالكون في مكان ليلزم كونه جسماً محدوداً، ولا ايضا اصفه وأحدّه بالحركة بكله أو بشيء من اجزائه ليلزم عليه التغير والحاجة الى الغير كما مرّ، تعالى الله عن جميع ذلك علواً كبيراً.

الى ههنا كان الكلام في كونه في نفسه ونحو وجوده، ثم اخذ عليه السلام في كيفية صنعه وامره بتكوين الاشياء فاشار الى ان ذلك ليس بلفظ شق فم اللفظ عند تكلمه وتلفظه به، كما في تكلمنا بعد السكوت وانضمام الشفتين ولكن كما دلّ عليه قوله تعالى: انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون، وهو انه تعالى يفعل ما يريد بنفس مشيئته، وقوله: كن، من غير استعمال الالة او جارحة ومن غير تردد وتفكر في ضمير ولا روية في نفس، لكونه احداً صمداً ولكونه واحداً فرداً في الهيته لم يفتقر في ايجاده الاشياء الى شريك يعينه ولا وزير يدبر له في امره او يذكر له ملكه وسلطانه ويكون هو بانفراده لا يفتح له ابواب علمه. فجملة: لا يفتح له ابواب علمه، في موضع الحال عن فاعل لم يحتج او ضمير له المنصوب المحل بالمفعولية.

الحديث الثالث

وهو الرابع والعشرون وثلاث مائة

«وعنه عن محمد بن ابي عبدالله عن محمد بن اسمعيل عن داود بن عبدالله» مجهول غير مذكور «عن عمرو بن محمد» لم نجد هذا الاسم في كتب الرجال، والذي فيها عمر بن محمد بدون الواو وقد مرّ ذكره في الحديث الثامن والمائة «عن عيسى بن يونس» من اصحاب الصادق عليه السلام بزرج^٣، له كتاب «قال: قال ابن ابي العوجاء لابي عبدالله عليه

١- يس ٨٢.

٢- ملكه. النسخة البديل.

٣- عَلم، معرّب بزرك اي الكبير.

السلام في بعض ما كان يحاوره: ذكرت الله فاحلت على غايب فقال ابو عبدالله عليه السلام: و يلك كيف يكون غاييا من هو مع خلقه شاهد و إليهم اقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم و يرى أشخاصهم و يعلم أسرارهم؟ فقال ابن أبي العوجاء: أهو في كل مكان إذا كان في السماء كيف يكون في الارض وإذا كان في الارض كيف يكون في السماء؟ فقال أبو عبدالله: انما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان و خلا منه مكان فلا يدري في المكان الذي صار اليه ما حدث^١ في المكان الذي كان فيه فاما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون الى مكان اقرب منه الى مكان».

الشرح

احلت من الحوالة، يقال: احلت زيدا بما كان له عليّ وهو كذا درهم على رجل فانا محيل وزيد محال ومحتال والمال محال به والرجل محال عليه، والتركيب دال على النقل ومنه التحويل، وحبل الوريد عرق تزعم العرب انه من الوتين وهما وريدان يكتنفان صفحتي العنق بما يلي مقدمه غليظان، فلا يدري اي لا يعلم وقد يحذف الياء لكثرة الاستعمال. قد علمت ان اكثر الناس لا يعرفون من الموجود الآ المحسوس فلا جرم ينكرون الصانع ومن اقر منهم فلا يعتقد الا جسماً.

واعلم ان كثيراً من الناس وان اعتقدوا بالموجود الغير المحسوس، لكنهم زعموا انّ الموجود البرئ عن التعلق بالاجسام والمواد لا بد ان يكون غائباً عن هذا العالم اذ لو كان حاضراً لكان مكانياً، ثم لا يمكن حضوره الا في مكان خاص دون سائر الامكنة، لاستحالة كون الشيء الواحد في المكانين فضلاً عن اكثر.

وبناءً على هذا الزعم الفاسد انهم لم يعرفوا من الحضور والمعية الا حضور جسم في مكان او حضور جسم عند جسم اخر او معية حال بمحل سواء كان موضوعاً او مادة، او محل بحال سواء كان عرضاً او صورة، فهذا الرجل اعني ابن ابي العوجاء لجهله بالله وملكوته ونفوذ امره وعموم علمه بالاشياء كلّها وسعة رحمته التي وسعت كل شيء قال ما قال، واولاً من نسبة الغيبة عن العالم اليه تعالى كبعض المتفلسفة الذين زعموا انّ الله

تعالى لا يعلم الجزئيات ويعزب عن علمه بالاشياء^١.

ولما وبخه عليه السلام عن جهله ونبته على انه تعالى لكونه فاعل الخلق وموجدهم ومبدأهم وغايتهم وتمامهم كيف يكون غائباً عن الخلق؟ والشيء مع نفسه بالامكان بين ان يكون وان لا يكون ومع موجد بالوجوب والضرورة، فكيف يصح الشيء ان ينفك ويغيب عنه موجده وخالقه الذي هو به موجود ولا ينفك ولا يغيب عنه نفسه التي هو بها هو فقط؟

فبهذا البرهان ظهر انه تعالى مع خلقه شاهد عليهم اقرب اليهم من ذواتهم كما قال: ونحن اقرب اليكم من حبل الوريد^٢، الذي هو جزء من البدن بالبدن، فاذا كان كذلك فيسمع كلامهم ويرى اشخاصهم ويعلم اسرارهم.

ولما سمع ابن ابي العوجاء انه تعالى غير غائب عن الخلق بل معهم اينما كانوا وهو لم يتصور ببطانته البتراء وغريزته العوجاء من المعية والقرب الا مقارنة الاجسام ولا من الكينونة في شيء الا كينونة الجسمانيات وحلولها في المكان فاستبعد القول بان الله تعالى في كل مكان، وزعم انه اذا كان في مكان ملاءه وشغله ونحلى عنه مكان اخر. فنبه عليه السلام بان الذي وصفت هو حال المخلوق الجسماني المقدر الذي اذا خرج من مكان الى مكان زاحم فيه جسماً اخر واخرجه عنه واشتغل المكان به وفرغ منه المكان الاول، فلا يدرك عندما كان في المصير اليه من المكان ما يحدث في المصير عنه، كما لم يكن يدرك عندما كان هناك ما حدث ههنا، وهذا لقصور ذاته ونقص حقيقته وضيق وعائه الوجودي المقيد بالمكان ثم ببعض من الامكنة على الاختصاص كالفلكيات او على البدل، حتى لو فرض جسم مطابق المكان كله فهو ايضا ناقص الجوهر ضيق الوجود محدودة.

فاما الله العظيم القيوم ذو القوة الشديدة الغير المتناهية، فنسبة جميع الامكنة والمكانيات واضعاف اضعافها الى ذاته كنسبة القطرة الى بحر لا يتناهى، وكذلك نسبة جميع الازمنة الغير المتناهية الى تسرمدبقائه كنسبة الآن الواحد الى زمان لا ينقطع

١- الاشياء - م - د.

٢- ق ١٦.

طرفاه، فلا يشغله شأن عن شأن، ولا عالم عن عالم فكيف حضور مكان عن حضور مكان آخر؟ والله واسع عليم.

الحديث الرابع

وهو الخامس والعشرون وثلاث مائة

«علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عيسى قال كتبت الى ابي الحسن علي بن محمد عليه السلام جعلني الله فداك يا سيدي قد روي لنا ان الله في موضع دون موضع على العرش استوى وانه ينزل كل ليلة في النصف الاخير من الليل الى السماء الدنيا وروي أنه ينزل في عشية عرفة ثم يرجع الى موضعه؛ فقال بعض مواليك في ذلك: اذا كان في موضع دون موضع فقد يلاقيه الهواء ويتكيف^١ عليه والهواء جسم رقيق يتكيف^١ على كل شيء بقدره فكيف يتكيف عليه حل ثنائه على هذا المثال؟ فوقع عليه السلام: علم ذلك عنده وهو المقدر له بما هو أحسن تقديراً واعلم أنه اذا كان على^٢ السماء الدنيا فهو كما هو على العرش والاشياء كلها له سواء علماً وقدرة وملكاً وإحاطة».

الشرح

قوله تعالى: على العرش استوى^٣ مع الروايتين المذكورتين كالادلة على ما ذهبوا اليه من كونه تعالى في موضع دون موضع على الامر، فتشبت بها المجسمون، اما الآية: فيجب حملها على معنى لا يخلّ بتنزيهه تعالى عن التجسم والتشبيه، ولا يجوز حمل قوله تعالى على العرش استوى على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والخير، للبراهين الكثيرة القاطعة في هذا الباب يؤدّي ذكرها جميعاً الى التطويل، فان اشتهيت فلنذكر من جملتها ثلاثة براهين: اولها انه لو استقر على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهيها والا لزم كون العرش داخلاً في ذاته وهو محال، وكل ما كان متناهيها يكون قابلاً للزيادة والنقصان، فلو كان البارئ تعالى متناهيها من بعض الجوانب لكانت ذاته قابلة للزيادة والنقصان، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بذلك المقدار المعين دون غيره لتخصيص مخصّص وتقدير مقدر،

١- يتكيف (الكافي).

٢- في (الكافي).

٣- طه ٥.

وكل ما كان كذلك فهو محدث، فلو كان تعالى جالساً^١ على العرش يلزم كونه حادثاً هذا محال.

وثانيها لو كان في جهة ومكان لكان اما غير متناه في جميع الجهات او متناهي في الجميع او متناهي في بعض الجهات وغير متناه في بعض اخرى، والتوالي باسرها باطلة فكذا المقدم.

اما بطلان القسم الاول وهو عدم تناهيه في جميع الجهات فيلزم ان يكون ذاته مخالطة لجميع الاجسام العلوية والسفلية والقاذورات والنجاسات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، او ايضا يلزم ان يكون السموات حالة في ذات الله ويكون الارضون ايضاً حال في ذاته.

اذا لزم هذا فنقول: الذي من ذاته هو محل السموات اما ان يكون عين الذي هو محل الارضين او غيره، فهو على الاول يلزم كون السموات والارضين حالين في محل واحد بلا امتياز بينهما في الوضع والاشارة فيلزم كونهما ذاتا واحدة لامتناع التداخل، ولا ينتقض هذا بكون العناصر في محل واحد هو الهولي، لانا نقول: الهولي لا ذات لها سابقا على الصور المتخالفة بصورها النوعية، فالذي من الهولي محل للارض، وان كان في ذاته ومن حيث هيولته عين الذي منها محل النار الا ان الارض متميزة عن النار بصورة ذاتها المستلزمة لوضعها الخاص وتسفلها عن العناصر لثقلها الطبيعي، وكذا النار متميزة عن غيرها بصورتها المستلزمة لخفتها ووضعها الخاص وفوقيتها على باقي العناصر.

وان كان الثاني^٢ لزم ان يكون ذات الله مركبة بالفعل من الاجزاء والابعض، وايضاً اذا كانت ذاته تعالى حاصلة في جميع الاحياز والجهات فاما ان يكون الشيء الذي حصل فوق هو عين الذي حصل تحت، فحينئذ يكون الذات الواحدة في احياز كثيرة دفعة واحدة وهو محال، والا يلزم حصول التركيب والتبعيض في ذاته وهو محال.

واما بطلان القسم الثاني وهو كونه متناهي من كل الجهات فنقول: كل ما كان كذلك فهو قابل للزيادة والنقصان في بديهة العقل فيحتاج في اختصاصه بالقدر المعين الى مخصص مقدر له، فيلزم كونه تعالى محدثاً وهو محال.

١- متقراً - النسخة البدل.

٢- عطف على: او غيره، اي او لا يكون عين الذي هو محل الارضين.

واما بطلان القسم الثالث وهو كونه متناهيًا في بعض الجهات دون بعض فهو من

وجوه :

احدها أنّ الجانب الذي هو متناه قابل للزيادة والنقصان فيلزم الفساد الذي مر

بعينه .

وثانيها ان هذا الجانب اما عين الجانب الذي لا يتناهي او غيره، فعلى الاول يلزم

اما لا تناهي المتناهي ام تناهي اللامتناهي وكلاهما محالان فالملزوم مثله، وعلى الثاني يلزم التركيب في ذاته وهو ممتنع.

وثالثها ان الجانب المتناهي والجانب الغير المتناهي اما متحدان في الماهية ولوازمها

او مختلفان فيها، فان كان الاول فجاز على كل منها ما جاز على الاخر بحسب الذات والماهية، فاختصاص احدهما بالتناهي والاخر باللاتناهي يحتاج الى تأثير مؤثر من خارج لامتناع الترجيح بلا مرجح، فيكون لغيره تعالى فيه تأثير وهو محال، وان كان الثاني فيلزم التركيب والاختلاف في ذاته تعالى وذلك ممتنع.

البرهان الثالث انه تعالى لو كان حاصلًا في المكان لكان الكون في المكان

المستلزم لقبول الاشارة الحسية نحو امن الوجود، كما ان التجرد عن الامكنة والاجرام نحو آخر من الوجود لا يمكن انقلاب احدهما الى الاخر.

فنقول : لو كان تعالى حاصلًا في مكان دون مكان فلا يخلو اما ان يكون ذلك

المكان غير امكنة الاجسام، وليس المكان الآمرًا قابلاً للاشارة الحسية والتقدير، فيكون اله العالم جسمًا وكلّ جسم بما هو جسم قابل للقسمة والكون والفساد والزيادة والنقصان فيكون حادثًا، وان مكانه احد هذه الامكنة التي ملاءها الاجسام فيلزم قبوله للزيادة والنقصان لانطباقه مع الجسم الذي هو في مكانه، وذلك مستلزم للحدوث وهو محال.

فقد علم من هذه البراهين وبغيرها من الحجج الكثيرة انه تعالى ليس في جهة

ومكان متحدد بهما، فلا يمكن حمل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى على

الاستقرار المكاني، فعند هذا حصل للعلماء الموحدين مذهباً :

احدهما القطع بانه تعالى متعال عن المكان والجهة وترك الخوض في تأويل

الآية على التفصيل بل تفويض علمها الى الله تعالى كما هو الظاهر في هذا الحديث

حيث لم يأت في الجواب الا في قول مجمل وهو تساوي نسبة ذاته تعالى وعلمه وقدرته

الى الاشياء.

وثانيهما الخوض في تأويله، وقد ذكروا فيه اقوالا اقرها ما ذكره القفال من المعتزلة وهو: ان المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه، وتقريره: انه تعالى لما خاطب عباده في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم فن ذلك انه جعل الكعبة بيتا يطوف الناس به كما يطوفون بيوت ملوكهم، وامر الناس بزيارته كما يزورون بيوت ملوكهم، وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله موضعا للتقريب كما يقبل الناس ايدي ملوكهم، وكذلك ذكر في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة والنبئين والشهداء ووضع الموازين، فعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشاً فقال: الرحمن على العرش استوى^١، ثم قال: وترى الملائكة حافين من حول العرش^٢ وقال: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية^٣، وقال: الذين يحملون العرش... يسبحون^٤، ثم اثبت لنفسه كرسيًا فقال: وسع كرسيه السموات والارض^٥.

اذا عرفت هذا فنقول^٦: كل ما جاء من الالفاظ الموهمة للتشبيه من العرش والكرسي فقد ورد مثلها بل اقوى منها في الكعبة والطواف وتقريب الحجر، ولما توقفنا ههنا على ان المقصود تعريف عظمة الله وكبريائه مع القطع بانه منزه عن ان يكون في الكعبة فكذا الكلام في العرش والكرسي. انتهى كلام القفال.

وقد استحسنته كثير من العلماء المفسرين الذين جاؤا بعده فاتوا على منهاجه، منهم الزمخشري والرازي والنيشابوري والبيضاوي.

اما الزمخشري حيث قال في تفسير قوله تعالى: وسع كرسيه السموات والارض: وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله تعالى: وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه^٧، من

١- طه ٥.

٢- الزمر ٧٥.

٣- الحاقة ١٧.

٤- غافر ٧.

٥- البقرة ٢٥٥.

٦- اي: قال القفال.

٧- الزمر ٦٧.

تصوير قبضته اوطي يمين، وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي، الا ترى الى قوله: وما قدروا الله حق قدره؟ انتهى. وهذا بعينه خلاصة كلام القفال.

واما الرازي فحيث قال في تفسيره الكبير مشيراً الى ما نقله عنه: ان هذا حق وصدق وصواب، نظيره قولهم للرجل الطويل: فلان طويل النجاد، وللرجل الذي يكثر الضيافة: فلان كثير الرماد، وللرجل الشيخ: اشتعل رأسه شيبا، وليس المراد في شيء من هذه الالفاظ اجراؤها على ظواهرها بل المراد تعريف المقصود على سبيل الكناية، فكذا ههنا بذكر الاستواء على العرش، والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة.

واما النيشابوري فحيث قال: المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه، ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كما اختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري، وتقريره: انه تعالى يخاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته كذا وكذا، ونقل جميع العبارة المنقولة عن القفال بعينها.

واما البيضاوي فلقوله: هذا تصوير لعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد. انتهى.

فقد علم ان هؤلاء المفسرين اقتفوا اثر كلام القفال، وظتي ان ما ذكره القفال واستحسنه هؤلاء المعدون من اهل العلم والحال^٢ غير مرضي عند المهيمن المتعال من حمل هذه الآيات والالفاظ القرآنية ونظائرها المذكورة في الكتاب والسنة على مجرد التخييل والتمثيل من غير حقيقة دينية واصل ايماني، بل هو قرع باب السفسطة والتعطيل وسد باب الاهتداء والتحصيل وفتح باب التأويل فيما ورد في المعاد الجسماني من عذاب القبر والبعث والصراف والميزان والحساب والكتاب والجنان والنيران، بل الحق المعتقد والاصل المعتمد، ابقاء صور الظواهر على هيئتها ومدلولها، مع اعتقاد التنزيه لله سبحانه وحوالة علم ذلك على علام الغيوب، ثم يترصد لفضله ورحمته ويتعرض لنفحات كرمه وجوده، كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: ان الله في أيام دهركم نفحات الافتراضوا لها، فيكون هكذا الى ان يفتح الله بصيرته وازال عن قلبه حجب الاهتداء ويصير من جملة الراسخين في العلم.

ونحن قد ذكرنا في تفسيرنا لآية الكرسي منهج العلماء الراسخين في متشابهات

١- من غير تصور قبضته «الكشاف».

٢- الكمال «مفاتيح الغيب».

القرآن وان ذلك غير طريق الظاهريين من الحنابلة واصحاب الحديث ومن يحذو حذوهم وغير طريق العقلاء المأولين التاركين للظواهر الى امور عقلية صرفة، فان للقرآن كما قال صلى الله عليه وآله: ظهراً وبتناً وحداً ومطلعاً، كيف ولو لم يكن الآيات محمولة على ظواهرها من غير تشبيه وتجسيم لما كان نفعها عاما ولما كانت نازلة على كافة الخلق، بل كان نزولها عليهم موجبا لتحيّرتهم وضلالهم وهوينافي الرحمة والحكمة.

ثم ان الذوق السليم والفترة الصحيحة شاهدان على ان متشابهات القرآن كما ليس المراد بها مقصوراً على امور جسمانية يعرف كنهها كل عامي وبدوي من الاعراب الجلف، ليس المراد ايضاً مجرد التمثيل والتصوير يمكن تصوره لكل من له قوة التمييز العقلي، ولو كان كذلك لما قال تعالى: وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم^١، ولما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله في حق امير المؤمنين عليه السلام: اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل، ولما ورد في كثير من الروايات في الكافي وغيره عن أئمتنا عليهم السلام: نحن الراسخون في العلم: ونحن نعلم تأويله.

ومما يدل على ضعف ما ذكره القفال ومتابعوه في قوله: الرحمن على العرش استوى، ما سيأتي عن قريب من قول الصادق عليه السلام في عدة احاديث مروية عنه، وانه وهو سئل عن قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى، فقال في رواية: استوى على كل شيء، وفي رواية اخرى: استوى من كل شيء، وفي اخرى: استوى في كل شيء، هذا وسنوضح لك مثال استوائه تعالى على العرش ثم على كل شيء.

واما الروايتان الاخرتان^٢: فان ثبت نقلهما فيجب حملهما على نزول مباني رحمته وعنايته واسباب فيضه وكرمه الى سماء الدنيا التي هي موضع تقدير الامور وتقسيم الارزاق وتخصيص بعض الاوقات دون بعض، لتفاوت القوابل في صلوحها لقبول الفيض والرحمة وقرب استعدادها في اوقات مخصوصة، فنزول الفاعل كناية عن قرب استعداد القابل.

وقوله: اذا كان في موضع دون موضع فقد يلاقيه الهواء، يعني اذا جاز كونه في موضع دون موضع فليجز كونه في موضع الهوائ وحينئذ يلاقيه الهوائ، و يتكيف عليه اي

١- آل عمران ٧.

٢- الاخريان - م - ط اي: في متن الحديث.

يكيفه ويجعله مكيفاً بكيفية^١ التي فيه من حرّ أو برد أو رائحة طيبة أو كريهة منتنة، ثم انه جسم رقيق نافذ فيما يلاقه فيكيفه بقدر ما فيه من الكيفية، فكيف يجوز ان يتكيف البارئ جل ذكره بكيفية الهوائ؟

فوقع عليه السلام: علم ذلك عنده، اشارة الى معنى كونه تعالى على العرش اي علمه تعالى به عنده، فان العلم والمعلوم متحدان بالذات متغايران بالاعتبار. وقوله عليه السلام: هو المقدر له بما هو احسن تقديراً، كالبرهان على انه تعالى ليس مكانه العرش ولا فوقه، لانه جسم متناه محدود بمقداره المعين، مع ان نسبة الجسمية الى جميع المقادير واحدة فيحتاج الى من يخصصه بمقداره الخاص، وذلك المخصص ان كان جسماً اخر فيجري الكلام ايضاً في مخصصه فيلزم التساوي أو الانتهاء الى موجود غير جسماني يقدر العرش بمقداره الذي هو احسن المقادير تقديراً وشكلاً^٢، لان منشأه علمه بوجه الحسن في النظام، لكن الاول محال فتعين الثاني وهو المطلوب.

وقوله عليه السلام: واعلم انه اذا كان في السماء... الى اخره، اشارة الى تساوي نسبته تعالى علماً وقدرة وملكا واحاطة الى جميع الاشياء، وانه اذا نزل الى شيء كسماء الدنيا او موضع اخر بالمعنى الذي سبق من قرب الاستعداد ونحوه فليس انه ينصرف ويزول عن الموضع الذي نسب اليه قبل ذلك، واذا كان مع شيء لم يبطل معيته لشيء اخر، بل هو دائماً بحال واحدة من غير تفاوت في قربه وبعده، وإنما التفاوت من جهة الاشياء في قربها وبعدها منه تعالى لتفاوت مراتبها ودرجاتها في الكمال والنقص. ثم انه تعالى لم يلتفت الى دفع ما ذكره القائل من ملاقات الهوائ والتكيف به، لانه اخس واوهن من ان يلتفت اليه ولأنه اندفع بما افاده من القول الجملي والاصلي الكلي من قوله عليه السلام: علم ذلك عنده.

الحديث الخامس

وهو السادس والعشرون وثلاث مائة

((وعنه عن محمد بن جعفر)) بن محمد بن عون الكوفي الاسدي ساكن الري يقال

١- بكيفيته - م - د .

٢- تشكلاً - م .

له محمد بن ابي عبدالله كان ثقة صحيح الحديث الا انه روى عن الضعفاء، وكان يقول بالجبر والتشبيه، فانا في حديثه من المتوقفين وكان ابوه وجهاً روى عنه احمد بن محمد بن عيسى «صه» وقال النجاشي: ومات ليلة الخميس لعشر خلون من جمادي الاولى سنة اثنتي عشر وثلاث مائة «عن محمد بن عيسى مثله».

الحديث السادس

وهو السابع والعشرون وثلاث مائة

«قال صاحب الكتاب أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني بَرَدَ اللهُ مضجعه وضاعف اجره: وفي قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم، تقديره ما ورد فيه «عنه عن عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابعهم ولا خمسة الا هوسادسهم فقال: هو واحد واحدي الذات باين من خلقه وبذلك^١ وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة ولا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالاحاطة والعلم لا بالذات، لان الاماكن محدودة تحويها حدود اربعة فاذا كان بالذات لزمها الحواية».

الشرح

قوله: هو واحد واحدي الذات، اشارة الى تحقيق اصل به يندفع الاشكال الذي يطرأ على بال الانسان من هذه الآية وهي من وجوه: منها لزوم المكانية في حقه تعالى. ومنها انه كيف يتصور شيء واحد رابعاً لجماعة اعني الثلاثة وبعينه سادساً لجماعة اخرى وهم الخمسة؟ وهكذا القول في مادون الخمسة وهو الاربعة وفي ما فوقها فيكون خامس الاربعة وسابع الستة وثامن السبعة وعلى هذا القياس لقوله تعالى: ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا وهو معهم^٢.

١- بذلك (الكافي).

٢- المجادلة ٧.

ومنها انه يلزم انه متى تحقق الثلاثة تحقق العدد الغير المتناهي ، لانه اذا استلزمت الثلاثة رابعاً يحصل بوجود الرابع اربعة فيستلزم خامساً ، فصار المجموع خمسة وهي مستلزمة لسادس والسته مستلزمة لسابع والسبعة لثامن وهكذا الى ما لا نهاية^١ ، واللازم محال فكذا الملزوم .

ومنها انه تعالى قد كفر من قال : ان الله ثالث ثلاثة^٢ ، فهذا في ظاهر الامر يناقض القول بانه رابع الثلاثة ، فكيف بطل القول بكونه ثالث ثلاثة وصح القول بكونه رابع ثلاثة ؟

فهذه اشكلات عظيمة وشبهات عويصة لكنها كلها منحلة بتحقيق الوحدة التي هوبها واحدة ، فانها ليست وحدة عددية شخصية كشخص من الاشخاص المتماثلة بالنوع المتخالفة بالعوارض والا لكان له مثل ، ولا نوعية ولا جنسية لا بها مهما ، ولا اتصالية لانقسامها ، ولا اجتماعية لاعتباريتها ، ولا عرضية ، والا لم يكن في نفسه واحداً ، ولا وحدة بالموضوع ، والا لكان في موضوع ، ولا بالمحمول ، والا لكان له عارض زائد .

وقد علمت ان صفاته ذاته ولا وحدة بالمشابهة والا لكان له شبه ، ولا بالمساواة والا لكان له كم ، وانما وحدته وحدة حقيقة الوجود ، وهو الموجود الذي لا يشوبه العدم والقصور ، وحقيقة الوجود كما مر ليست بنوع ولا جنس ، وانما التفاوت بين احاده بالكمالية والنقصان والشدة والضعف ، والنقصان والضعف انما يكونان لشوب العدم والعدم لاذات له ، والكمالية والشدة انما يكونان لخلوص حقيقة الوجود عن شوب العدم ، فالوجود الشديد التام الذي لا اتم منه وهو الواجب جل اسمه حكم^٣ حقيقة الوجود في ان جميع الهويات الوجودية متقومة به لا يوجد بدونه ، واذا كان كذلك فما من ذرة من ذرات الوجود الا نور الانوار مقوم لها محيط بها قاهر عليها ، لا بمعنى الصنع والايجاد فقط ولا بمعنى العلم بها علماً زائداً على الذات .

فاذا تقرررت هذه المقدمات وعلمت ان وحدته تعالى ليست الا وحدة حقيقة الوجود ، فاندفعت به الشبهات كلها .

١- لا نهاية - م - د .

٢- المائدة ٧٣ .

٣- حكمه حكم - م .

اما الاولى : فلانه انما يلزم المكانية، لو كان حصوله في مكان يوجب لا حصوله في مكان اخر وحضوره عند جماعة يستلزم غيبته عن جماعة اخرى كما هو شأن المكانيات، وهو ليس كذلك، بل حصوله ههنا وحضوره لهؤلاء نفس حصوله هناك وحضوره لا ولئك .

واما الثانية : فانما يستحيل كون الموصوف بصفة موصوفا بعينه بما يناقضها، لو كانت وحدته وحدة عددية، فان شرط التناقض الذي هو من جملة الوحدات الثمان المشهورة اعني وحدة الموضوع المراد بها ان يكون الموضوع واحداً بالعدد، والا فلا تناقض في قولك : الانسان عالم والانسان جاهل، فكون الباري رابع الثلاثة لا يناقض كونه سادس الخمسة ولا غيره، لان وحدته كما علمت ليست عددية .

واما الثالثة : فانما يلزم استلزام الثلاثة للاربع استلزامه للخامس فضلا عن اللانهاية، لو كان الرابع من جنس الثلاثة، حتى يحصل من اعتباره مع الثلاثة اشخاصاً اربعة متماثلاً، كالثلاثة التي كانت اجزائها متماثلة ليطرد حكمها في استلزام امر آخر منها الى الاربعة الحاصلة منها ومن الرابع، بل هذا الرابع مقوم لتلك الثلاثة ليس بخارج عنها حتى يكون كاحدها .

واما الرابعة : فنقول : انما قد كفر الله القائل بانه تعالى ثالث ثلاثة لانه جعله كالاتنين، ولو قال ثالث اتنين لم يلزم منه كفر، فانه تعالى ثالث كل اتنين ورابع كل ثلاثة وخامس كل اربعة، ولكن ليس ثاني اتنين ولا ثالث ثلاثة ولا رابع اربعة ولا خامس خمسة، لانه ليس من جنسها، وثالث الثلاثة لا بد ان يكون من جنس الباقي وهو ليس كمثلته شيء وبذلك وصف نفسه .

فاعلموا اخواني معاشر الشيعة هذا السر العظيم والدر المكنون الذي نهكم عليه القرآن الكريم اولا ثم امامكم الذي هو شريك القرآن يتلازمان ولن يفترقا ابداً، واشكروا الله شكراً كثيراً وارجوا من الله ان ينفعكم وينور قلوبكم بنور هذا التوحيد الذي لا تجردوا تقريره واثباته بهذا النحو في ما تقدم من صحف المؤلفين . ولنرجع الى حلّ الفاظ المتن .

فقوله عليه السلام : واحد و آحدي الذات، اشارة الى نحو وحدته التي ليست كسائر الوحدات حتى يكون حكمها حكم الوحدة التي من باب الاعداد فيضاد الكثرة والوحدة

الآخري .

وقوله عليه السلام : باين من خلقه ، اي يباين الخلق في نحو الوحدة فليست متباينة كمباينتهم ، فان مباينة زيد لعمر وفي التشخيصات المتباينة في الامكنة والاوضاع ، فأنما مباينته لخلقها بانه تام كامل وانهم ناقصون محتاجون اليه وبه تمامهم وغناهم .

وقوله عليه السلام : وبذلك وصف نفسه ، اشارة الى قوله : ليس كمثله شيء ^١ ، وقوله : انه بكل شيء محيط ^٢ ، اشارة الى انه مع وحدته وتفردته لا يخلو منه شيء من الاشياء لانه مقومه ومحصل ذاته ، وهذا يدفع الشبهات المذكورة .

وقوله : بالاشراف والاحاطة والقدرة ، تنبيه على انه ليس المراد بهذه الاحاطة ما يكون بحسب الوضع كما هي بين الاجسام التي بعضها في جوف بعض فانها عين المغايرة ، بل ما يكون بحسب المعنى والحقيقة ، كاحاطة العلم بالمعلوم واحاطة التام بالناقص واحاطة القدرة وهي وجود القادر بما هو قادر بوجود المقدور بما هو مقدور ، اذ لا تفاوت بينها الا بالتام والنقص .

وقوله : لا يعزب ... الآية ، كالنتيجة واللازم لما ذكره عليه السلام من قوله : وهو بكل شيء محيط ، لانه اذا احاط بكل شيء فلا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولذلك عقبه بقوله : بالاحاطة والعلم ، اي بسببها ، فثالث احاطته بكل شيء كمثل احاطة علم احدنا باشياء كثيرة متباينة الوضع ، من جهة العلم باسبابها ومبادئها ، لكن علمه عين ذاته وعلمنا زائد على ذاتنا وعلمه تام وبكل شيء وعلمنا ناقص وبعض الاشياء ، وكما لا يلزم من علمنا بتلك الاشياء حصول شيء واحد بالعدد في اماكن متباينة الوضع كحصول جسم واحد في اماكن فوق واحد ، فكذلك لا يلزم فيه ، بل ذاته اشد احاطة واشرف علماً واوسع وجوداً وهو المراد من قوله : لا بالذات ، اي لا كاحاطة غيره بشيء بالذات ، فان علمه غير زائد على ذاته .

فاذا كان علمه بكل شيء محيطاً ، فهو بكل شيء محيط ، كما قال تعالى في القرآن ، الا ان العقول عاجزة عن تصور هذه الاحاطة وكذا عن تصور معيته بكل شيء كما

١- الشورى ١١ .

٢- فصلت ٥٤ .

قال ايضا فيه : وهو معكم اينما كنتم^١ ، مع نهوض البرهان الموافق للقرآن عليه .
ولعجز العقول الضعيفة عن ادراكه تحاشى اكثر الناس حتى الفضلاء عن ذلك
قائلين : بلزوم مخالطة القاذورات والنجاسات والتكيف بكيفية الاجسام ذوات الروائح
والطعوم الخبيثة والاتصاف بصفات البهائم والسباع ، تعالى الله عن اوهام المعطلين
وعقائد المشبهين علواً كبيراً .

وقوله : لان الاماكن محدودة... الى اخره ، استدلال على نفي الاحاطة بالذات
للذات المنفكة عن العلم ، لا الذات العقلية التي وجودها عين عقلها ، بان الاماكن كلها
بحيث تحويها اربعة حدود ، هذا على القول بان المكان بُعد سطحي ، لان السطح مقدار
ذو بعدين ، ولكلّ منهما حدان ، فيحويه حدود اربعة ، واما على القول بانه بُعد جسمي ،
فيحويه ستة حدود ، لان كل جسم له ابعاد ثلاثة : طول وعرض وعمق ولكل منها حدان ،
فهذه ستة حدود .

فاذا كان — اي الحضور وعدم الغيبة بالذات كما في الجسمانيات — لزمها
الحواية اي لزم الذات كونها محوية بحدود ، فيكون المصدر لما بنى للمفعول او لزمها
حواية الحدود بها فحذف المضاف اليه واقيم اللام بدله .

الحديث السابع

وهو الثامن والعشرون وثلاث مائة

في قوله الرحمن على العرش استوى^٢

«علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن الحسن بن موسى الخشاب»
من وجوه اصحابنا مشهور كثير العلم والحديث «صه» قال النجاشي : روى عنه عمران بن
موسى الاشعري ، وفي الفهرست : روى عنه الصفار «عن بعض رجاله عن أبي عبدالله عليه
السلام انه سئل عن قول الله عزّ وجلّ : الرحمن على العرش استوى فقال : استوى على كل
شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء» .

١ — الحديد ٤ .

٢ — طه ٥ .

الحديث الثامن وهو التاسع والعشرون وثلاث مائة

«وهذا الاسناد عن سهل عن الحسن بن محبوب عن محمد بن مارد» التميمي عري صميم كوفي ختن محمد بن مسلم روى عن أبي عبدالله عليه السلام ثقة عين «صه» وفي الفهرست والنجاشي: له كتاب روى عنه الحسن بن محبوب «ان أبا عبدالله عليه السلام سئل عن قوله الله عزّ وجلّ: الرحمن على العرش استوى فقال: استوى من كل شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء».

الحديث التاسع وهو الثلاثون وثلاث مائة

«وعنه عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن قوله الله: الرحمن على العرش استوى قال: استوى في كل شيء وليس شيء اقرب اليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى في كل شيء».

الشرح

هذه الاحاديث متقاربة اللفظ متحدة المقصد، يعني انه لما لم يكن المراد من الاستواء في قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى، بمعنى الجلوس والاستقرار، لما سبق ولما سيأتي من الحجج والبراهين الدالة على نفي المكانية عنه، فثبت تجرده عن جميع الاحياز والامكنة، واذا ثبت تجرده عنها ثبت ان نسبته تعالى الى الكل نسبة واحدة، فيكون المراد بالاستواء معنى اخر غير الجلوس ونحوه كالاحاطة العلمية أو القرب بالرحمة والافاضة أو الخلق والتقدير وشيء منها لا يختص بالعرش، لان الكل معلومة مخلوقة ومقدرة. فيعم العرش وغيره من الاشياء كلها، فاذا استوى برحمته وعلمه وقدرته على العرش استوى على كل شيء، اذ ليس شيء اقرب اليه من شيء، اي الاختلاف في قرب الاشياء اليه وبعدها منه ليس بناش من جهته ومن جهة فاعليته وقدرته، لان ذاته غير متناهي القوة والقدرة، قدرته على العظيم كقدرته على الحقير وعلمه بالخفي كعلمه

بالجلي ، أما التفاوت في القرب والبعد المعنويين الواقع بين الخلائق بالنسبة اليه تعالى لتفاوت فطرهم واستعدادتهم وقابلياتهم ، ولو كان للقمل استعداداً لقبول نفس ناطقة كما للانسان لافاض عليه ، اذ قدرته على الجميع قدرة واحدة ، فهو بقوة واحدة يفعل جميع الافاعيل ، فالقوة التي يفعل بها العرش والسموات والارضين وما فيها من المخلوقات قوة واحدة هي عينها ذاته وعلمه وقدرته وارادته وسمعه وبصره .

واعلم ان المشبهة تعلقت بهذه الآية في ان معبودهم جالس على العرش ، ولما كان ما افتروه واصروا عليه كفراً عظيماً وضلالاً جسيماً اضلوا به ناسا كثيرة ، فلنذكر وجوها اخرى من الادلة غير الثلاثة المذكورة فيما سبق فنقول : ان ما توهموه باطل بالعقل والنقل من وجوه :

احدها انه سبحانه كان ولا عرش ولا مكان ، ولما خلق الخلق لم يحتج الى مكان غنياً عنه ، فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها ، الا ان يقال لم يزل مع الله شيء كالعرش وهو ايضاً باطل ، لانه يلزم ان يخلو عن المكان عند ارتحاله عن بعضها الى بعض فيختلف نحو وجوده بالحاجة الى المكان والاستغناء عنه وهو محال .

وثانيها ان الجالس على العرش اما ان يكون متمكناً من الانتقال والحركة عنه او لا يمكنه ذلك .

فان كان الاول يلزم ما ذكرنا من الاستغناء والاختلاف في نحو الوجود اعني التجرد والتجسم .

لا يقال : هذا منقوض بانتقال الانسان مثلاً من مكان الى مكان .

قلنا : انه ينتقل على الاتصال من مكان الى مكان وهو فيما بينهما لم ينفك عن المكان واما البارئ جل ذكره فالمكان الذي ينتقل اليه مخلوق له ، فلا بد ان يخلقه ^١ اولاً حتى يمكن انتقاله اليه ، فهو فيما بين مجرد عن المكان .

وان كان الثاني كان كالزمن واسوء حالاً منه ، فان الزمن اذا شاء الحركة في رأسه امكنه ذلك ، وهو غير ممكن على معبودهم .

وثالثها ان الجالس على العرش لابد وان يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الجزء الحاصل منه في شمال العرش ، فيكون في نفسه مركباً من الاجزاء

١- احسن التأمل فيه لكي يصل الى جدواه (نوري) .

المقدارية ومركباً من مادة وصورة، وكل من كان كذلك يحتاج الى مؤلف ومركب كما تبين في مقامه، وكل ذلك محال.

ورابعها هو ان معبودهم اما ان يحصل في كل مكان او في مكان دون مكان، فعلى الاولى يلزم ان يحصل في مكان القاذورات والنجاسات وذلك لا يقوله عاقل، وان حصل في مكان دون مكان افتقر الى مخصص يخصصه بذلك المكان فهو يكون محتاجاً، وذلك على الله محال.

وخامسها ان قوله : ليس كمثلته شيء، يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه بدليل صحة الاستثناء، اذ يحسن ان يقال ليس كمثلته شيء الا في الجلوس والا في المقدار والا في السكون، وصحة الاستثناء يقتضي دخول جميع هذه الامور تحته، فان كان جالسا يحصل من يمثله في الجلوس، وحينئذ يبطل قول الاله.

وسادسها قوله : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية^٢، فاذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم، فيلزم ان يكون الملائكة حاملين لمعبودهم وخالقهم وذلك غير معقول، لان الخالق هو الذي يحفظ المخلوق فلا يحفظ المخلوق الخالق ولا يحمله.

وسابعها ان المستقر في المكان اذا جاز ان يكون الهاً فكيف يعلم ان الشمس والقمر ليس باله؟ لان طريقنا الى نفي الهية الشمس والقمر والنجم انها موصوفة بالحركة والسكون، وما كان كذلك فهو محدث وليس باله، فاذا ابطتم هذا الطريق انسد عليكم باب القدح في الهية هذه الاجرام النيرة.

وثامنها اجتمعت الامة على ان قوله تعالى : قل هو الله احد^٣، من المحكمات لا من المتشابهات، ولو كان مختصاً بمكان لكان جانب منه غير جانب اخر فيكون مركباً منقسماً، فلا يكون احداً في الحقيقة فبطل قوله : قل هو الله احد.

وتاسعها ان الخليل عليه السلام قال : لا احب الافلين^٤، فلو كان المعبود جسماً لكان آفلاً ابداً غائباً، فكان يندرج تحت قوله : لا احب الافلين.

١- ولا . النسخة البدل .

٢- الحاقه ١٧ .

٣- التوحيد ١ .

٤- الانعام ٧٦ .

وعاشرها وهو ان نقول : كل ذات قائمة بنفسها مشار إليها بحسب الحس فهي قابل للانقسام، وكل قابل للانقسام مركب من امرين : باحدهما يقبل الانفصال والكثرة وبالاخر يحفظ الاتصال والوحدة، وكل مركب مفتقر الى فاعل خارج عن ذاته، لان الجزء المادي في ذاته امر مبهم لا يتحصّل الا بالصورة، والجزء الصوري لو كان فاعلا لمادته، مستغنياً به في وجوده عن فاعل آخر، لم يكن قيامه بمادة، بل كلّ ذي مادة كما يفتقر الى تلك المادة في وجوده كذا يفتقر الى المادة في فعله وايجاده، لان اليجاد متقدم بالوجود، فالمفتقر الى شيء في الوجود يلزمه ان يفتقر اليه في اليجاد ايضا فلا يمكن ان يفعل المادة، فلو كان اله العالم موجوداً مشاراً اليه اشارة حسية يلزم افتقاره الى خالق آخر في وجوده وفي صنعه جميعاً، واللازم باطل وكذا الملزوم، تأمل فانه دقيق نفيس .

وحادي عشرها وهو ان كان من الدلائل الاستقرائية ولكنه عند صاحب الحدس والذوق كالبرهان، وهو اننا شاهدنا كلما كان حصول معنى الجسمية فيه اقوى واثبت كانت القوة الفاعلية فيه اضعف وانقص، وكلما كان حصول معنى الجسمية فيه اقل واطرف كانت القوة الفاعلية فيه اقوى واكمل، الا ترى ان الارض لما كانت اكدث الاجسام واقواها من جهة الحجمية، فلا جرم لم يحصل فيها الا خاصية الانفعال، ولا تأثير لها في شيء الا قليلا جدا؟

واما الماء فهو اقل كثافة وتحملاً من الارض، فلا جرم حصلت فيه قوة مؤثرة تأثيرات ظاهرة كالترطيب والتخمير والتسييل ونحو ذلك .

واما الهواء فانه اقل حجمية وكثافة من الماء فلا جرم كان اقوى تأثيراً منه ولذلك قيل : ان الحيوة لا تكمل الا بالنفس، وزعم جمع ان لا معنى للروح الاّ الهواء المستنشق .

واما النار فانها اقل كثافة من الهواء فلا جرم كانت اقوى الاجرام العنصرية على التأثير، فبقوة الحرارة يحصل الطبخ والنضج ويكون المواليد الثلاثة .

واما الافلاك فانها الطف من الاجرام العنصرية لا جرم كانت هي المستولية على مزج الاجسام العنصرية بعضها ببعض وتوليد الانواع والاصناف المختلفة .

فهذا الاستقراء يدل على ان الشيء كلما كان اقوى قوة وأكثر تأثيراً كان اقل حجمية وجرمية، واذا كان الامر كذلك فحيث حصل كمال القدرة والقوة على الاحداث

والابداع لم يحصل هناك معنى الحجمية والجرمية اصلاً.

الثاني عشر وهو ايضاً حجة تجريبية لكنها لطيفة جداً وهو: انا نرى القوى والطبائع متفاوتة في الحاجة الى المادة الجسمية والاستغناء عنها، وان كل ما هو ادون واخس منزلة فهو أكثر نفوذاً واشد تعلقاً بالمادة، وكل ما هو ارفع واشرف منزلة فهو اقل تعلقاً بها وقل حاجة اليها وارفح قدما عنها، فان قوى العناصر والجمادات وطبائعها حالة في مادتها، حلول السريان، فان القوة العنصرية كالارضية في كل جزء من المادة جزء منها، وكذا الطبيعة الجمادية كالياقوتية والذهبية منقسمة حسب انقسام موادها.

واما القوة النباتية فلكونها اشرف من تلك القوى ليس تعلقها وحاجتها الى المادة وتشبثها بها على ذلك الوجه والى تلك الغاية، فان حاجة القوة التي في الشجر انما هي الى اصلها دون الاغصان، بل هي حادثة من فعلها بالتغذية والانماء والاصل ايضا يتبدل عليها بالاحالة وايراد البدل، فليست حاجتها الا الى القدر المشترك بين عدة من خصوصيات المحل غير محصورة، ولا شك ان الافتقار الى محل لا بخصوصه، اقل في باب الافتقار من الافتقار الى واحد معين من المحال.

واما النفس الحيوانية فهي لكونها اشرف من ما سبق فغير محتاجة الى موضع من مواضع البدن فيمكن فرض انقطاع كل منها او زواله مع بقاء الحياة حتى الاعضاء الرئيسية كالقلب والدماغ، فان زوالها وان استلزم طريان الموت الا ان ذلك بعد لحظة لا معاً.

وايضا هذه القوة تحرك المادة حركة الى جميع الجوانب، فهي قاهرة على اصل مادتها بخلاف القوى العنصرية والجمادية، فان شأنها الجمود والسكون في مواضعها الطبيعية، الا ان يقسرها قاسر ويخرجها عنه، فعند ذلك يقتضي الحركة اليها، وهذه الاقتضاء نفس اقتضاء السكون فيها لشدة حاجتها الى مكان مخصوص، والقوة النباتية متوسطة في باب الحركة بين هذه القوى وبين الحيوانية.

واما الناطقة فلكونها اشرف مما سبق فلم يحتج الى المادة البدنية في جوهرها وذاتها بل في قواها وجنودها الطبيعية والنباتية والحيوانية دون العقلية. ثم انظر الى اصناف قواها المتفاوتة شرفا وخسة في تفاوت حاجتها الى مواضعها

من البدن، فالطبيعة منبثّة في كل البدن، والنباتية اقل انبثاثاً من الطبيعة وسلطانها في الكبد، والحيوانية اقل انبثاثاً من النباتية واصغر موضعاً، اذ سلطانها في تجويف الدماغ سيما الوهم، الذي هو رئيس القوى الحيوانية، انما سلطانه في تجويف في غاية الصغر كالودودة الصغيرة، ولو نظرت لوجدت التفاوت على نسبة الشرافة مما روعي بين مواضع الحواس الظاهرة، فاللمس لكونه اخس الحواس منبث في الجلد واكثر اللحم، والبصر لكونه اشرفها متعلق بالرطوبة الجليدية وهي اقل مقداراً من عدسة.

واما القوة العقلية اي العقل بالفعل فلكونها اشرف جميع القوى الامكانية فلا تعلق لها بشيء من المواد بوجه من الوجوه اصلاً، لا في ذاته ولا في فاعليته ولا في سائر صفاته الحقيقية، فاذا ثبت هذا فخالقه ومبدعه اخرى واليق بان لا يكون له حاجة الى شيء من الاجسام، فيستوي نسبتته الى الجميع عرشاً كان او كرسيّاً او غيرهما.

فهذه اثنتا عشرة حجة في نفي المكانية عنه، بقى الكلام في تأويل قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى، فانه ذكر هذا القول في سور سبعة من القرآن: في الاعراف ويونس والرعد وطه والفرقان والسجدة والحديد، فلا بد ان يكون مشتقاً على حكمة لطيفة وان يكون للعرش مزية على سائر الاجسام من جهة المعنى والمنزلة لا من جهة المكان والجسمية.

وروى الشيخ الغزالي عن بعض اصحاب حنبل: انه اول ثلاثة اخبار فقط: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: الحجر الاسود يمين الله في الارض، وقوله صلى الله عليه وآله: قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن، وقوله صلى الله عليه وآله: اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن.

واعلم ان هذا القول ضعيف جداً، فانه ان قطع بان الله منزّه عن المكان والجهة فقد قطع بان مراد الله من الاستواء ليس الجلوس وهذا عين التأويل، وان لم يقطع بتنزيه الله عن المكان والجهة بل بقى شاكاً فهو جاهل بالله، اللهم الا ان يقول: انا اقطع بان ليس مراد الله ما يشعر به ظاهر اللفظ بل شيء اخر، لكن لا اعينه خوفاً من الخطاء.

فهذا قريب ولكنه ايضاً ضعيف، لانه تعالى لما خاطبنا بلسان العرب فوجب ان لا يريد من اللفظ الا موضوعه في لسان العرب، واذا كان الاستواء لا معنى له الا الاستقرار

والاستيلاء، وقد تعذّر حمله على الاستقرار، فوجب حمّله على الاستيلاء، وآلا لزم تعطيل اللفظ وانه غير جائز.

وايضا نقول : ان الدلائل العقلية لما قامت على امتناع الاستقرار الحسي على الله ودل ظاهر لفظ الاستواء على الاستقرار، فاما ان نعمل بكلّ من الدليلين واما ان نتركهما جميعاً، واما ان نعمل بالنقل دون العقل واما ان نرجح العقل ونترك النقل، والاول باطل، والآلزم ان يكون الشيء الواحد منزها عن المكان وحاصلا فيه وهو محال، والثاني ايضاً محال، لانه يلزم ارتفاع النقيضين معا وهو باطل، والثالث ايضاً باطل، لان العقل اصل النقل والقدح في العقل لاجل تصحيح النقل يقتضي القدح في العقل والنقل معاً، فلم يبق الآ ان تقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل.

وهذا برهان قاطع على صحة التأويل لكن على وجه لا يؤدي الى ترك كثير من الظواهر الشرعية كما سبق، بل على وجه لا يهدم شيئاً منها. فنقول: قال بعض العلماء: ان المراد من الاستواء الاستعلاء قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق
فان قيل : هذا التأويل غير صحيح لوجوه:

احدها ان الاستيلاء حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله تعالى محال، لانه تعالى منزّه عن الشريك والمنازع.

وثانيها انما يقال: فلان استولى على كذا، ان لو كان المستولى عليه موجوداً قبل ذلك، وهذا في حق الله تعالى محال، لان العرش انما حدث بتكوينه وتخليقه. وثالثها الاستيلاء حاصل بالنسبة الى كل المخلوقات، فلا يبقى للتخصيص بالذكر فائدة.

فالجواب : انا اذا فسرنا الاستيلاء بالاقتدار التام زالت هذه المطاعن.

واعلم انه وقع في بعض المواضع: ثم استوى على العرش، بايراد كلمة «ثم» والوجه في ذلك: لان الموجودات الصادرة عنه تعالى على قسمين:

احدهما المبدعات وهي التي يكفي امكانها الذاتي في استحقاقها لقبول الوجود فلا

جرم صدرت بلا مهلة.

وثانيهما الكائنات الزمانية وهي التي لا يكفي امكانها لقبول الوجود بل من استعداد مادة وسبق حركة فلكية وزمان فيقال للقسم الاول سلسلة البدو وللثاني سلسلة العود. اذا عرفت هذا فاعلم انه تعالى بعدما ذكر اصول الموجودات من السموات والارض وما بينها قال: ثم استوى على العرش^١ ليدل على ان الحوادث اليومية مفتقرة الى تدابير آخر وتحريك للسموات وادارة الكواكب وتسخيرها وتركيب المواد العنصريات وتمزيج كيفياتها لحصول المركبات كوناً بعد كون، ولا شك ان العرش اعظم الاجرام واقواها والطفها واشملها، وهو فلك الافلاك وسماء السموات، فحركته بحركة اصل الحركات الكلية، ونسبته الى سائر الاجرام كنسبة القلب الانساني الى سائر الاعضاء، فايراد كلمة «ثم» لاجل ما نبهناك عليه، وبما ذكرنا ظهر لك وجه اختصاص الفلك باستواء الرحمن مع انه يستوي على كل شيء كما وقع في هذه الاحاديث.

الاترى في مثال الانسان الذي هو انموذج من العالم الكبير والقلب له بمنزلة العرش وهو محل استواء النفس وتديرها للبدن بتوسط؟ على ان النفس الناطقة لتجردها عن البدن نسبتها الى جميع الاعضاء والاجزاء نسبة واحدة، فهو يستوي على كل عضو كما يستوي على القلب ولا تفاوت من قبلها، لكن التفاوت من قبل الاعضاء باختلافها باللطافة والكثافة والتهيؤ لقبول التصرف والتدبير من النفس فليس العقب^٢ كالدماغ في قبول الحس والحركة، فهكذا قياس الاجرام العالم الكبير في قبول الافاضة والتدبير والتحريك والتنوير والتصوير. فاستوائه تعالى على الارض ليس كاستوائه على العرش، لكن يجب ان يعلم مع ذلك انه لا بد في هذا الموضع من معنى زائد على ما ذكرناه وفهم للقرآن انّ من هذا الفهم لثلاث يكون اطلاق الاستواء على وجه الاستعارة ولا يكفي في ذلك الاستشهاد بقول الشاعر استوى فلان على الملك، لان ذلك القول ايضاً وقع على سبيل الاستعارة، فاستمع لما يتلى عليك بسمع صحيح.

واعلم ان النفس المجردة لا تتصرف في القلب الا بواسطة قوّة عملية تنبعث منها وتتصل بالقلب وتحركه^٣ وتتصرف فيه حسبما شاءت وارادت النفس، والا فلا مناسبة بينها

١- الفرقان ٥٩.

٢- عقب القدم (پاشنه پا).

٣- فيحركه - م - د. تتحرك - ط.

وبينه، وتلك القوة ذاتها منخرطة مضمحلة في ذات النفس وفعلها وتصرفها في فعل النفس وتصرفها، فهكذا يجب ان يتصور استواء الرحمن، فأنه بواسطة قوة نفسانية عملية واخرى عقلية علمية متوسطتين بينه تعالى وبين العرش، فعلها فعله تعالى وتصرفها فيه تصرفه واستوائهما عليه استوائه، فن هذه الجهة يكون اطلاق الاستواء على العرش عليه تعالى على الحقيقة دون التخيل المحض، كما زعمه القفال وموافقوه من المفسرين، ولا ايضا بمعنى الاقتدار فقط، بل كما تنسب الافاعيل الاختيارية الصادرة من البدن كالكتابة والضحك والمشي الى النفس.

فتقول : انا كتبت وضحكت وجئت وغير ذلك ، والمشار اليه باننا جوهر مجرد عن البدن، وليست هذه الاقوال مجازات او تخييلات واستعارات، بل لان القوة التي تباشر هذه التحريكات باذن الله، منبعثة من النفس متصلة بالبدن، فهي كاليد السافلة للنفس بها يفعل الافاعيل.

فهذه امثلة لك لو حققتها وعلمتها انحلت لك عقدة الاشكالات الناشئة من المتشابهات التي لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم مثل قوله : يد الله فوق ايديهم^١، وقوله : وجاء ربك^٢ وقوله : وهو معكم^٣ وقوله : ولكن الله رمى^٤ وغير ذلك من الآيات. وقوله صلى الله عليه وآله : قلب المؤمن بين اصبعين، قلب المؤمن عرش الله، ووضع الله بكتفي يده، وامثال هذا، فالراسخ في العلم من عرف ذاته تعالى في غاية التنزيه والتقديس، ولا يحجب توحيده هذا عن الايمان والعرفان بجميع تلك الآيات المشعرة بالتشبيه ولا منافاة عنده بين قوله تعالى : ليس كمثله شيء وبين قوله : الرحمن على العرش استوى وقوله : وجاء ربك وغيرها، وهذا من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء، ولا يحصل هذه السعادة بقوة النظر والاستدلال ومباشرة القليل والقال، هذا ولنرجع الى المتن.

فقوله عليه السلام : استوى على كل شيء، اراد به ما اشرنا اليه من معيته القيومية واتصاله المعنوي بكل شيء على الوجه الذي لا ينافي احديته وقدره جلاله، واما من توهم

١- الفتح ١٠.

٢- الفجر ٢٢.

٣- الحديد ٤.

٤- الانفال ١٧.

أنه يلزم منه مخالطة القاذورات والنجاسات : فانما نشأ ذلك التوهم منه لانه لم يتصور من المعية والاحاطة ونحوهما إلا ما يكون بين الاجسام والجسمانيات ، ولو تصور مثال معية النفس لكل جزء من اجزاء البدن لعلم فساد تصوره .

وقوله عليه السلام : فليس شيء أقرب اليه من شيء ، اراد نفي الاختلاف الوضعي بين الاشياء بالنسبة اليه تعالى ، لانه تعالى حيث لم يكن مكانيا ، فلا يكون لاحد بالنسبة اليه وضع او قرب او بعد ، فهذا المعنى يقال : ان نسبتها اليها نسبة واحدة ، اي ليست له اليها نسبة وضعية ، سواء كانت واحدة كنسبة مركزة الدائرة الى اجزائها وقسيها اولم يكن .

واما قوله عليه السلام : لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب ، فيحتمل ان يكون المراد منه ان الذي بعيد كالشياطين والكفار وسائر المبعدين ، والذي منه قريب كالانبياء والاخيار وسائر المقربين ، فليس هذا التفاوت والاختلاف من قبله بل من جهة تفاوت نفوسهم في ذواتها وكذا من كان بعيداً أولاً لكفره وعصيانه ثم صار قريباً لايمانه وعرفانه ، فهذا الاختلاف في القرب والبعد لا يقتضي تفاوتاً في ذاته .

واما النكتة في ايراد لفظه «على كل شيء» في الحديث الاول «ومن كل شيء» في الثاني «وفي كل شيء» في الثالث فنقول : اما الاول فلموافقة قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى بتضمن معنى الاستيلاء ، واما الثاني فلموافقة قوله : ونحن اقرب اليه من حبل الوريد^١ بتضمن معنى البعدية ونحوها ، واما الثالث فلموافقة قوله : وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله^٢ بتضمن معنى الدخول في القوام . وسياقي قوله عليه السلام : من زعم ان الله من شيء او في شيء او على شيء فقد كفر .

الحديث العاشر

وهو الحادي والثلاثون وثلاث مائة

وعنه عن محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال : من زعم ان الله من شيء او في شيء او على شيء فقد كفر قلت : فسر لي قال : اعني بالحواية من

١- ق ١٦ .

٢- الزخرف ٨٤ .

الشيء له أو بامسك له أو من شيء سبقه وفي رواية أخرى من زعم ان الله من شيء فقد جعله محدثاً ومن زعم انه في شيء فقد جعله محصوراً ومن زعم انه على شيء فقد جعله معمولاً».

الشرح

يعني ان اطلاق شيء من هذه الالفاظ بالمعنى الذي هو متعارف اهل اللغة عليه تعالى مستلزم لاعتقاد التجسيم في حقه تعالى وذلك الاعتقاد كفر، فمن زعم ان احد هذه المعاني صادق في حقه فقد كفر، ثم فسر الالفاظ على ترتيب اللف.

فقوله عليه السلام : اعني بالحواية من الشيء تفسير لمعنى في شيء، لان كل ما هو في شيء فيحويه ذلك الشيء.

وقوله عليه السلام : او بامسك له، تفسير لمعنى على شيء، لان كل ما هو على شيء

ممسك له.

وقوله عليه السلام : او من شيء سبقه، تفسير لمعنى من شيء، لان ما كان من شيء فذلك الشيء مبدئه وسابق عليه، ولذلك قال في الرواية الاخيرة : من زعم ان الله من شيء فقد جعله محدثاً، لان معنى المحدث هو الموجود بسبب شيء سابق عليه بالوجود وقال : ومن زعم انه في شيء فقد جعله محصوراً، اي محوياً فيلزمه الحواية من ذلك الشيء وقال : ومن زعم انه على شيء فقد جعله معمولاً، فاذن له حامل يمسكه.

الحديث الحادي عشر

وهو الثاني والثلاثون وثلاث مائة

في قوله تعالى : وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله^٢

«علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام بن الحكم قال : قال أبو شاكر الديصاني : ان في القرآن آية هي قولنا قلت ما هي ؟ قال : وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله فلم ادر بما أجيبه فحججت فخبرت ابا عبدالله عليه السلام قال : هذا كلام زنديق خبيث اذا رجعت اليه فقل له : ما اسمك بالكوفة ؟ فانه يقول فلان فقل له : ما اسمك

١- لعله ينظر الى قولهم : كل حادث مسبوق بالمادة والمدة بل الظاهر منه هذا (نوري).

٢- الزخرف ٨٤.

بالبصرة؟ فانه يقول فلان فقل له: كذلك الله ربنا في السماء اله وفي الارض اله وفي البحار اله وفي القفار اله وفي كل مكان اله قال: فقدمت فاتيت أبا شاعر فآخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز».

الشرح

قوله: هي قولنا، اي دال على قولنا بان فاعل الاشياء هو الطبيعة الجسمانية، لان الطبيعة او الطباع إله الطباعية، والرجل كأنه كان منهم وجعل الآية على قوله وبها احتج على الهشام فغلب عليه واسكته لقوله: فلم ادر بما اجيبه فحججت، اي صرت محجوجا مغلوباً. واعلم ان الظرف لا يتعلّق بالاسم الجامد العَلَمي، ولهذا استدل بقوله تعالى: وهو الله في السموات، على أنّ اسم «الله» مشتق غير جامد وحينئذ كان المتعلق بالسماء أو الارض المعنى النسبي الاضافي كالمعبودية ونحوها فيكون معنى الآية: وهو الذي في السماء معبود وفي الارض معبود أو ما يجري مجراه، لكنه عليه السلام الزمه بما هو اوضح واقرب الى فهمه، وباقى الفاظ الحديث واضح.

باب العرش والكرسي

وهو الباب التاسع عشر من كتاب التوحيد وفيه سبعة احاديث:

الحديث الاول

وهو الثالث والثلاثون وثلاث مائة

«عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد البرقي رفعه قال: سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عزّ وجلّ يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عزّ وجلّ حامل العرش والسموات والارض وما فيها وبينها وذلك قوله الله عزّ وجلّ: «ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً»^١ قال فأخبرني عن قوله: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية»^٢ فكيف قال ذلك^٣ وقلت: انه يحمل العرش والسموات والارض فقال أمير

١- فاطر ٤١.

٢- الحاقة ١٧.

٣- ذلك (الكافي).

المؤمنين عليه السلام: إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرت الحمرة ونور اخضر منه اخضرت الخضرة ونور اصفر منه اصفرت الصفرة ونور ابيض منه [ابيض البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة وذلك نور من عظمته فبعظته ونوره أبصر قلوب المؤمنين وبعظته ونوره عاداه الجاهلون وبعظته ونوره ابتغى من في السماء^١ والارض من جميع خلائقه اليه الوسيلة بالاعمال المختلفة والاديان المشبهة^٢ فكل محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته ولا يستطيع^٣ لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فكل شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من كل شيء^٤ وهو حيوة كل شيء ونور كل شيء سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قال: له فأخبرني عن الله عز وجل أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا»^٥ فالكرسي محيط بالسموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى^٦ وذلك قوله تعالى: «وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم»^٧.

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه وليس يخرج عن هذه الاربعة شيء خلق الله في ملكه وملكوته وهو ملكوت الذي أراه الله أصفياه^٨ وأراه خليله عليه السلام فقال: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين»^٩ وكيف يحمل حملة العرش الله وبجياته حييت قلوبهم وبنوره اهدوا الى معرفته».

١ - السماوات (الكافي).

٢ - المشبهة (الكافي).

٣ - لا يستطيع (الكافي).

٤ - من شيء (الكافي).

٥ - المجادلة ٧.

٦ - طه ٩.

٧ - البقرة ٢٥٥.

٨ - في ملكوته الذي أراه الله أصفياه واره خليله (الكافي).

٩ - الانعام ٧٥.

الشرح

هذا الحديث مشتمل على مطالب شريفة حكيمة ومسائل لطيفة اهيبة تستفاد منه بعضها تصريحاً وبعضها تلميحاً وهي عشرة مطالب :

الاول انه تعالى حامل كل شيء ، وهو انه لما سأله عليه السلام جاثليقا^١ انه تعالى يحمل العرش ام العرش يحمله؟ قال عليه السلام في جوابه: الله عز وجل حامل العرش والسموات والارض وما فيها وما بينها، واحتج عليه بقوله تعالى: ان الله يمسك السموات والارض... الآية.

وبيان ذلك : ان حامل كل شيء ما يقوم به ذلك الشيء سواء كان بواسطة او بغير واسطة، والقيام بواسطة هو ان يكون الشيء قائماً بشيء قائم باخر، والقائم بالقائم بالشيء قائم بذلك الشيء، ولا بد ان ينتهي الامر الى ما يقوم بنفسه لا بغيره والا يلزم التسلسل وهو محال. وايضا يلزم من رفع الانتهاء الى امر يقوم بنفسه رفع القيام مطلقاً، لان قيام الشيء^٢ بشيء فرع قيامه في نفسه، فاذا لم يكن هناك الا ما يقوم بغيره وهو الطرف، فن ان تحققت الاوساط؟

وتوضيح ذلك : انا نقول : اذا كان قائم اخيراً لا يقوم به شيء وفرضنا الذي يقوم به هذا القائم قائماً بثالث، فهناك وسط موصوف بالامرين التقويم والتقويم وله طرفان: احدهما موصوف بالتقويم لا غير والاخر بالتقويم لا غير.

ثم نقول : الاتصاف بذينك الامرين خاصية الوسط، سواء كان واحداً أو كثيراً، متناهيماً او غير متناه، فاذا فرضنا عدم الانتهاء الى ما يقوم بنفسه كان ما سوى الاخير كلها موصوفاً بالامرين وكانت الجميع اوساطاً، فيلزم ان لا يوجد شيء منها، لان حكم الوسط ان يحتاج الى طرف خارج عنها، واذا لا خارج عن الكل فلا طرف ولا وسط، وايضا جميع القائمات في حكم قائم واحد في الافتقار الى من يقوم به. فيلزم كونه خارجاً عنها مع فرض دخوله فيها، هذا خلف.

ثم ان حاجة الشيء الى فاعله وموجده اكد من حاجته الى قابله وموضعه، لان نسبته الى الفاعل نسبة الوجوب ونسبته الى القابل نسبة الامكان، ولا شبهة ان الوجوب اوثق

١- جاثليق - م - د.

٢- شيء - م - د.

من الامكان بل لا وثوق في الامكان .

ثم لا شك انّ البارئ فاعل جميع الممكنات لا ثبات توحيده ونفي الشريك في الالهية ، فاذن جميع المخلوقات من العرش والسموات والارض وما فيها وما بينها قائم به وهو حاملها وحافظها وممسكها كما قال تعالى : ان الله يسك السموات والارض... الآية ، وقوله : ولا يؤده حفظها .

المطلب الثاني

في تحقيق حوامل العرش

لما بين أمير المؤمنين عليه السلام أنه تعالى حامل العرش وما سواه ، استشكله جاثليق وتوهم ان ذلك يناقض قوله تعالى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية^١ ، وقد علمت ان لا مناقضة بين القولين لما ذكرنا ان الحمل يعم ما يكون بغير وسط او بوسط ، فالله يحمل كل شيء ويحمل كل حامل ومحمول ، كما هو سبب كل سبب وذي سبب ، وهو مسبب الاسباب من غير سبب ، فاجاب عليه السلام عن ذلك بتحقيق معنى العرش وحوامله .

واعلم انه روى مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية^١ انه قال : انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم أربعة أخرى فيكونون ثمانية املاك ، ارجلهم في تخوم^٢ الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم مطرقون^٣ مسبحون .

وقيل : بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر ، وروى ثمانية املاك على صورة الاوعال^٤ ما بين اظلافها^٥ الى ركبها^٦ مسيرة سبعين عاماً .

١- الحاقة ١٧ .

٢- التخوم بالضم : الفصل بين الارضين .

٣- الظاهر ان مطرقون بصيغة الافعال لا التفعيل ، والمراد من الاطراق اطراق رؤسهم تحت العرش كما

ورد في الاخبار عنهم عليهم السلام . (نورى)

٤- الوعل : تيس الجبل وله قرنان قويان منحنيان كسيفين احدين .

٥- الظلف للبقرة والشاة والظبي كالحافر للفرس والبغل ، والخف للبعير ، وقد تستعمل في غير ذلك

مجازاً .

٦- ركبها - ط - ركبها - م - د .

وعن شهر بن حوشب : أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبمحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك^١ ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبمحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك .

وعن الحسن: الله اعلم كم هم ، أثمانية أم ثمانية الاف ؟ وعن الضحاك : ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله .

اقول : لا منافاة بين هذه الاقوال ، فان الملائكة قسم منهم ارباب اترباع ، لكل منهم وحدة كلية تجمع الكثرة من الفروع والقوى التي تحته ، فالثمانية : ثمانية من حيث ذوات انفسهم ، وهم ثمانية الاف أو ثمانية صفوف من حيث ذوات جزئياتهم وجنودهم ، وكذا لا منافاة بين كونهم أربعة وكونهم ثمانية بما سنشير اليه من تأويل الرواية المذكورة ، وكذا لا منافاة بين كونهم انواراً بسيطة وبين كونهم على صورة انسان واسد وثور ونسر ، لأن مدبر كل نوع وصاحب كل صنم يكون على صورته ، وهكذا احكم الموجودات التي في عالم المثال ، والتي في عالم المثل العقلية ، والصور المفارقة والانوار الالهية .

واعلم ان تأويل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه واله هو انه لما علمت مراراً ان الانسان عالم صغير ، وسيبين انه لا يخرج شيء من الاشياء عن أربعة هي من فروع هذه الاملاك ، فلانسان أربعة قوى يحمل عرش قلبه ، والانسان وان كان اليوم بحسب هذه النشأة عالماً صغيراً لكن اذا اكملت ذاته بالعلم والعمل يصير عالماً كبيراً أعظم من هذا العالم الكبير فينطوي فيه العالم الكبير كما في التّظّم المشهور عن أمير المؤمنين عليه السلام :

وتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

يعني حين الاستكمال ، فاذا صار الانسان عند الاستكمال عالماً عظيماً ينطوي فيه هذا العالم فيتصل كل قوة منه بمثلها من ذلك العالم وكل فرع باصله ، ويتصل هذه الاربعة منه بتلك الاملاك الاربعة ، ويوم القيامة يوم بروز الحقائق .

فهذا هو تأويل قوله صلى الله عليه وآله : فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية .

بل ظهر ههنا وجه آخر في تأويل الآية اوفق بكلامه عليه السلام في هذا الحديث ٢

١ - لعل التسييح الاول للاربعة الاخروية ، والثاني بخلافه . فافهم (نوري) .

٢ - لمكان قوله عليه السلام : فالذين يحملون العرش الى آخر الحديث . فافهم (نوري) .

وهو: ان يكون المراد بعرش الرب في هذه الاية القلب الانساني الذي هو محل معرفة الله وحامل علمه وعند الاستكمال يصير عين المعرفة، والعلم كما رآه الحكماء ان النفس الانسانية المسماة بالقلب في عرف الشريعة تصير عقلاً محضاً ونوراً صرفاً، فقوله تعالى: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، اي يحمله من الجانبين ثمانية املاك: أربعة منهم في الطرف الاعلى هي من جملة الانوار القاهرة القدسية والصور المفارقة الالهية وهي ارباب الاصنام العنصرية، وأربعة أخرى بازائها من المثل الصورية التي ظلّها صور العناصر الاربعة في الجميع من الطرفين العلوي والسفلي عند البعث والتشور، لأن السوافل ايضاً بالبعث والتجريد تصير عوالي.

ثم لكون تلك الاملاك مختلفي^١ الحقائق ذواتا وافعالاً واصناماً وصوراً، نقل انها على صور^٢ مختلفة، ولكونها مستعلية مستولية على تلك الاجرام العظيمة، شبهت بالاعمال وسميت بها تشبيها لاجرامها بالجبال، ولكونها شاملة لتلك الاجرام بالغة الى افاضتها حيث ما بلغت لازمة لها فاعلة فيها، قيل: هي ثمانية املاك، ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مستحون.

ولما انقسمت الملائكة الى العلمية والعملية وكل منهم يستبح بحمد ربه بحسب مقامه وحاله، فالاربعة العمليون يمدونه بالقدرة والنفوس التي من صفات الفعل، والاربعة العلميون يمدونه بالعلم والحلم الذي من صفات الذات.

واعلم ان الملائكة العلمية هي التي سماها الاشراقيون الانوار القاهرة ومرتبهم اعلى من مرتبة الملائكة العملية وهي التي سموها الانوار المدبرة، لان تلك عقلية وهذه نفسانية، ونسبة العقل الى النفس نسبة الوالد الى الولد ونسبة المعلم الى المتعلم والشيخ الى المريد، ومن وجه اخر: نسبة النفس الى العقل نسبة النقص الى الكمال ونسبة القوة الى الفعل والبذر الى الثمرة والحركة الى الغاية والمسافر الى الوطن.

فتبين انّ النفوس لا بد ان تصير في انتهاء الامر عقولاً كما اوضحناه في كتبنا، وبذلك اثبتنا دثور الافلاك وما فيها من الكواكب وغيرها، ومن هذا يعلم وجه آخر في قوله صلى الله عليه وآله: فاذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين.

١- مختلفة - م - د.

٢- يقال انها على صور - م.

اذا تحققت هذه المقدمات فلنرجع الى كلامه عليه السلام فقال : ان العرش خلقه الله تعالى من انوار أربعة الى قوله : منه البياض ، يجب ان يعلم ان العوالم متطابقة بعضها فوق بعض في اللطافة وانها أربعة عوالم : عالم الاجرام والطبائع وفوقه عالم النفوس الحيوانية وهي المدبرة الجزئية وفوقه عالم النفوس المدبرة الكلية وفوقه عالم العقول المحضة ، وما من نوع من الانواع المتحصلة الجسمانية الا وله طبع محرك وفوقه نفس حساسة وفوقها نفس مدبرة وفوقها عقل ، وما من عقل من العقول القاهرة التي هي ارباب الانواع الا وتحتها نفس مدبرة كلية وتحتها أخرى مدبرة جزئية وتحتها طبيعة جرمية .

وهذا مما حقق في موضعه بالبرهان ونص عليه معلم الفلاسفة في كتابه المسمى باثولوجيا في اللغة اليونانية ترجمته معرفة الربوبية ، فما من صورة وفرع في عالم الشهادة الا وله اصل اصول وغيب غيوب في العالم الربوبي والا لكان كظل بلا شخص وكسراب زائل وخيال باطل ، وما من نور عقلي وروح امري في عالم الملكوت الا على الاوله ظل في هذا العالم والا لكان كاصل لا فرع له وكجواد لا جود له وكمدلول بلا دليل .

فهذه العناصر الاربعة التي تصير عند امتزاجها وتعديلها حاملة للروح النفساني متا الذي بالتسوية والتعديل تصير مورداً للروح الالهي امثلة في الشاهد لاربعة املاك بازائها حاملة لعرش الرحمن ، وذلك العرش الذي هو مستوى الرحمن هو أمر عقلي ونور علمي ، ذاته عين العقل والعلم بالله وهذا العرش المحسوس ظله ، وتلك الاملاك الاربعة ايضاً انوار اما نفسانية او عقلانية ، الا انها دون العقل الذي هو عرش الله بلا واسطة ، فهي حملة العلم الذي هو نور من عظمة الله وهو في كل منها نور على نور .

واما اختلاف الوانها من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض كما وصفه عليه السلام فذلك : لان كل ما يوجد في المعاليل من الذات والصفة لا بد ان يكون في عللها الفعالة ما هو بازائه لكن هناك على وجه يليق بها ، اذ نسبة المجمعول الى الجاعل نسبة الظل الى ذي ظل كما مر .

ولهذا قال الاشراقيون : ان الالوان العجيبة التي في ريش الطواويس ظلال لصفات ونسب معنوية في المبادئ النورية والارباب العقلية ، فتلك الانوار الاربعة لما كانت اسباباً فعالة لهذه العناصر ، فلها صفات هي اصول الصفات التي توجد لهذه العناصر ، فالنور الاحمر يناسب من العناصر التار ومن الاخلاط الاربعة الدم ومنه احمر كل حمرة في هذه

العالم، والنور الاخضر يناسب الارض والسوداء ومنه اخضر كل ذي خضرة، والتور الاصفر يناسب الهواء والصفراء ومنه اصفر كل اصفر، والنور الابيض يناسب الماء والبلغم ومنه ابيض كل ابيض.

قوله عليه السلام : وهو العلم الذي حمله الله الحملة وذلك نور من عظمته، قد سبق ان القلب الانساني الذي هو في عالم الصغير الانساني بازاء العرش وقد حمله الله حملة الاخلاط الاربعة المسواة، وهذا القلب وحواملها الاربعة ظلال وصور للقلب المعنوي له وحوامله التي يناسبها، وعلم ايضاً انه عند الكمال يصير عقلاً بالفعل والعقل نور مجرد فائض من نور الانوار، وكل نور مجرد عالم بذاته ومعلوم لذاته فذاته علم وعقل، فيحدث من ذلك ان حقيقة العرش نور من نور عظمة الله وعظمته انما هي بشدة نوريته، وهو غير متناه في شدة^١.

المطلب الثالث : ان كل نفس تصير عاقلة بالفعل فلا بد ان يتنور ذاتها بنور عقلي فائض من الله، وهو قوله عليه السلام : فبعظمته ونوره ابصر قلوب المؤمنين، فاراد بالعظمة شدة نوريته، لانه نور الانوار، واراد بنوره النور العقلي الفائض منه على النفس فتصير به عقلاً بالفعل بعدما كان عقلاً بالقوة، واراد بقلوب المؤمنين نفوس العرفاء بالله وآياته وباليوم الاخر وبابصارها جعلها عقولاً بالفعل، وقد كانت النفوس قبل ان تقذف في ذاتها النور العقلي الفائض منه تعالى عماء في ادراك الحقائق العقلية.

اما البرهان على ذلك فهو: ان النفس في اول الفطرة لم تكن تعلم شيئاً من الاشياء بل كانت ساذجة قابلة لكل صفة وكمال كصحيفة خالية من النقوش والارقام، ثم تصورت بصور العلوم شيئاً فشيئاً واشتدت قوة ابصاره للحقائق قليلاً قليلاً الى ان صارت حصلت فيها ملكة ادراك المعقولات فصارت عقلاً بالفعل فخرجت من القوة الى الفعل، وكلما خرج من قوة الى فعل فلا بد من مخرج غير ذاته من القوة الى الفعل لما مر من دلائل كون المحرك غير المتحرك، ولو كفى ذات الشيء في صيرورته عالماً كاملاً لم يكن جاهلاً ناقصاً قط فنقول: ذلك المخرج ان لم يكن عقلاً بالذات فيحتاج في كونه عقلاً الى مخرج آخر وهلم جراً، ولبطلان التسلسل لا بد ان ينتهي الى ما هو عقل محض وكل ما هو عقل محض هو نور من نور عظمته تعالى وهذا هو المطلوب.

اعلم انه ثبت في قواعد الاشراقيين ان البارئ تعالى والعقول والنفوس كلها انوار وانما التفاوت بين الانوار بالشدة والضعف والكمال والنقص في نفس النورية لا غير وهو تفاوت عظيم جداً.

المطلب الرابع: ان معاداة الجاهلين لله تعالى واوليائه انما هي بسبب نور العلم وهو قوله عليه السلام: وبعظته ونوره عاداه الجاهلون.

وبيان ذلك: ان نفوس الجهال وان كانت في اول الفطرة قابلة لنور العلم وظلمة الجهل لكنها بمزاولة الاعمال السيئة والافعال الشهوية والغضبية صارت كالبهايم والسباع مظلمة الذوات ورسخت فيها الجهالات والاخلاق الحيوانية والدواعي السبعية، ولا شك ان الضدين بينها غاية الخلاف، فبالضرورة صارت الجهال بظلمات جهالاتهم اعداء لاولياء الله بانوار علومهم، ومن عادى وليا من اولياء الله فقد عاداه لان نوره من نور عظمته تعالى، فثبت ان معاداة الجاهلين لله تعالى بسبب عظمته ونوره.

المطلب الخامس: ان كل من يتقرب اليه تعالى بشيء من الاعمال والافعال والعلوم والاحوال فليس ذلك الا بوسيلة النور العقلي وهو قوله عليه السلام: وبعظته ونوره ابتغى من في السماء والارض من جميع خلائقه اليه الوسيلة بالاعمال المختلفة والاديان المشتبهة.

بيان ذلك: ان الموجودات كلها بحركاتها واعمالها طالبة للكمال ومتشوقة الى غايتها ومبديتها الفعال، وقد ثبت ان السبب الغائي هو بعينه ذات السبب الفاعلي، فهو تعالى بنور عظمته يفعل الموجودات على ترتيبها النزولي الاشرف فالاشرف حتى انتهى الى المادة الارضية التي هي اخس الذوات وهي نهاية تدبير الامر، ثم يترقى بالموجودات من الادنى الى الاعلى ومن الحسيات الى العقلية بالتصفية ومن الارضيات الى السماويات بالتصفية والتكميل والتجريد والتنوير الى ان يبلغ الى غاية مآلها من القرب بنور عظمته كما اشير اليه بقوله تعالى: يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه^١.

قال ابو علي بن سيناء في بعض رسائله: ان القشور الكثيفة وان كانت خسيصة فليست باشد خساسة من العدم البحت، واعادة ترتيب الحدوث من الحسيات الى العقلية ليست باصعب على ذي الخلق والامر من ابتدائه بالسوق من العقلية الى الحسيات، وليس القشر المتكاثف وان تناهى في الاظلام بممتنع عن قبول الاثر عن الجوهر اللطيف.

ثم قال في جواب السائل : فعلى اي سبيل يتصور ترتيب الاعدادة؟ انه على عكس ما وضع من الترتيب في البداية، واعني به ان الترتيب في البداية كان من خاصية حدوث الاوضاع من الاشرف الى أن يتناهى الامر الى تحصيل القشور الظاهرة بانفسها العاجزة عن احداث غيرها، وترتيب الاعدادة من خاصية توليد الاشرف من الاوضاع الى أن يتناهى الامر الى تحصيل اللباب المحض الذي هو أول الموجودات.

المطلب السادس : ان كل ما يحمل شيئاً ويحفظه فانما يحمله ويحفظه بقوة الله ونور عظمته لا بقوة نفسه وذلك قوله عليه السلام : فكل محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حيوة ولا نشوراً.

اعلم اولاً انك لو نظرت الى الاشياء التي في هذا العالم من الاجسام الطبيعية وجدت ان حافظها وحاملها ومحركها الى احيائها الطبيعية ليس الا ضرب من النور، أما الحركات كلها فسيبها الاول الاعلى نوري، أما نور مجرد مدبر كما للاجرام العلوية والانسان وغيره من الحيوانات، وأما نور حسي وهو الاشعة الكوكبية الموجبة للحرارة المحركة لما عندنا، كما يشاهد من الابخرة والادخنة المرتفعة بتسخين الشعاع وتصعيده اياها الى فوق، حتى ان حركة الحجر الى السفلى ليست بمجرد طبعه والا لكان متحركاً دائماً بل ينتهي الى قسرو قاسر، والقاسر أما ان ينتهي الى نور مدبر كالحجر الذي يرميه انسان الى فوق أو أمر ما معلق بجمرة توجبه، وكذا نزول الامطار والثلوج ونحوها معلق بجمرة توجبه انعكاس الاشعة الكوكبية الموجبة لحدوث البخار وصعودها فتنتهي الحركات كلها الى التور، كما في الحركة الارادية أو الى حركة معللة بنور مجرد أو عارض كما في غيرها، وأما الاجرام فلكية كانت او عنصرية فحاملها ومحركها وحافظها على التفرق والانفصام ينتهي الى نور عقلي.

أما الافلاك والكواكب فقد بين ان لكل منها^١ نوراً مدبراً نفسانياً يحركه بالتشويق الى مبدئه، ونوراً آخر عقلياً يحركه بالتشويق كما يحرك المعشوق العاشق.

وأما الحيوانات ناطقتها وصامتها فلكل منها نفس هي حامل بدنه ومحركه، وقد علمت ان النفس لا تقدر على ايجاد جسمها وانها غير مستقلة في الوجود والايجاد، فوجدتها ومكملها شيء أشرف منه، وذلك لا يمكن ان يكون نفس اخرى بمثل ما ذكرنا من العجز، فحيث لا تقدر على ايجاد جسمها ولا غيره من الاجسام فبان لا تقدر على ايجاد نفس أخرى

كانت اخرى، فالنفوس كلها مفتقرة في الوجود الى نور عقلي مفارق بالكلية عن التعلق بغير مبدعه سواء كان واحداً أو كثيراً، فلكل نفس نور عقلي حامل لها بالذات وجرمها بواسطتها، والاجرام الغير الحيوانية كالارض والجبال ونحوهما فحاملها وعمرّكها طبائعها التي صور موادها.

وقد بيّن في موضعه : انّ الصورة لا تقوم المادة الا بجوهر عقلي هو حافظ نوعها ومدبّر اشخاصها تديبياً كلياً عقلياً، فذلك النور المفارق هو الحامل لمجموع المادة والصورة لصدور كلّ منها عنه بتوسط الاخرى، كما بيّن في كيفية التلازم بينها.

فاذن قد ثبت وتبين ان جميع الاجرام وطبائعها ونفوسها محمولة على انوار قاهرة عقلية وهي حاملها وحافظها وممسكها، وتلك الانوار كلّها لا بد من انتهائها لكثرتها الى نور واحد هو نور عظمة الله وهو القاهر عليها من فوقها، وقاهريتها على ما دونها ظلّ واثر من قاهريته تعالى. فظهر انه تعالى حامل كل شيء وممسكه وحافظه بنور عظمته، فهو حامل العرش والكرسي والسّموات والارض وغيرها باجرامها وطبائعها ونفوسها وعقولها، وكل شيء محمول له ومتعلق به وليس لشيء حول ولا قوّة ولا قدرة واستطاعة في شيء من الضّر والنفع والموت والحيوة الآبقوته تعالى ونور عظمته، وهو حيوة كلّ حيّ ونور كل ظلّ وفيّ، بل حيوة الحيوانات ونور الانوار وعقل العقول، سبحانه وتعالى عما يصفه الجاهلون علواً كبيراً.

المطلب السابع: في انه تعالى مع غاية تجرده واحديته لا يخلو عنه مكان من الامكنة فهو في كلّ مكان وليس في مكان، ولا تناقض في القولين، لان هذا النفي والا ثبات من وجهين، الا ترى انّ كون النفس في البدن ليس ككون الماء في الكوز؟

فلو قال احد : النفس في البدن وليست في البدن ليس في قوله هذا تناقض؟

وذلك قوله عليه السلام في جواب جاثليق حيث قال له : فاخبرني عن الله عزّ وجل اين هو؟ فقال : هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، واحتج عليه السلام عليه بقوله تعالى : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم... الآية، وقد سبق تحقيق معنى الآية بما لا يوجب تكثراً ولا تجسماً أو تشبهاً.

المطلب الثامن: في احاطة علمه تعالى بجميع الموجودات الكلية والجزئية وذلك قوله عليه السلام : فالكرسي محيط بالسّموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى الى قوله : وهو العلي العظيم.

يقال : وسع فلان الشيء ، اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام ، قال النبي صلى الله عليه وآله : لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي ، اي لم يحتمل غير ذلك ، واما الكرسي التركب والتلبد ومنه الكرسي بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض ، والكراسة لتركب^١ بعض اوراقها على بعض ، والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته .

وللمفسرين في معناه اقوال : فعن الحسن : انه جسم عظيم يسع السموات والارض ، وهو نفس العرش ، لان السرير قد يوصف بانه عرش وبأنه كرسي لان كلاً منها يصح التمكن عليه ، وقيل : انه دون العرش وفوق السماء السابعة ، وعن السدي : انه تحت الارض ، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال : الكرسي موضع القدمين .

وينبغي ان يحمل هذه الرواية — وان صحت — على معنى لا يفضي الى التشبيه .

وهنا اسرار لا يحتمل الاسماع ذكرها وتكل الافهام عن دركها .

ونقل عن ابن عباس ومجاهد : ان المراد من الكرسي العلم ، فعنى الآية : وسع علمه

السموات والارض .

وروى صاحب مجمع البيان أبو علي الطبرسي رحمه الله هذا القول مرفوعاً عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال : وذلك لان موضع العالم الكرسي ، فسميت صفة الشيء باسم مكانه على سبيل المجاز ، او لان العلم هو الامر المعتمد عليه والكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه ، فجهة الوحدة بينهما في المشابهة هي الاعتماد ، فاطلق الكرسي على العلم تسمية للشيء باسم ما يشابهه ، ومنه يقال للعلماء الكراسي كما يقال لهم اوتاد الارض ، وقال بعضهم : المراد من الكرسي السلطان والقدرة تسمية للشيء باسم محله ومكانه فيكون المعنى : احاطت قدرته السموات والارض ، وهو معتمد كثير من المفسرين ، وقالوا : الالهية لا تحصل الا بالقدرة والايجاد ، وقيل : المراد منه الملك بضم الميم فيكون المعنى : وسع ملكه السموات والارض ، والعرب يسمي الملك بالكرسي لان الملك يجلس على الكرسي ، فسمى الملك باسم مكان الملك ، وقيل : المراد تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ولا قعود ولا قاعد بمثل ما قال في معنى العرش ، واختاره جمع من المفسرين .

فهذه جملة من أقوال المفسرين وستسمع منا كلاماً يشير الى منهج الراسخين في العلم الناظرين بالعينين اليمنى واليسرى الجامعين بين الجانبين التنزيه والتشبيه الحاوين للطرفين

الظاهر والباطن والتفسير والتأويل .

ومن نظر في اقاويل هؤلاء المفسرين ومن يحدو حدوهم لم يجدهم الا بين مسرف في رفع الظواهر كالقفال وكثير من المعتزلة حيث انتهى أمرهم الى اخراج الظواهر في الخطابات القرآنية التي يخاطب بها كافة الناس عن معانيها العرفية كالقبر والبعث والصراف والميزان والحساب ومناظرات اهل الجنة والنار كقولهم : افيضوا علينا من الماء^١ ، وزعموا ان ذلك لسان الحال ، وبين غال في حسم باب العقل والتأويل كالحنبلة اتباع احمد بن حنبل حتى منعوا تأويل قول «كن» وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يتعلق بها السماع الظاهري يوجد من الله في كل لحظة بعدد كل مكُون .

ومن العلماء من اخذ في الاعتذار عنه : ان غرضه في المنع عن التأويل رعاية اصلاح الخلق لئلا يقعوا في الرخص عند فتح باب التأويل والخروج عن الضبط وتجاوز الناس عن حد الاقتصاد .

وقال الغزالي : لا بأس بهذا الزجر وتشهد له سيرة السلف ، لانهم كانوا يقولون : اقرؤها^٢ كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وذهب طائفة الى التذبذب والتردد بين الامرين ففتحوا باب التأويل في المبدأ وسدوه في المعاد واولوا في كل ما يتعلق بصفات الله من الرحمة والعلو والعظمة وغيرها وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيها وهم الاشعرية اصحاب ابي الحسن الاشعري ، وزعموا ان هذا هو الاقتصاد في الاعتقاد ، وليس هذا باقتصاد بل هو طبع مزج بين برودة جمود الحنبلة وحرارة انحلال المأولة ، وحد الاقتصاد الحقيقي دقيق غامض لا يطلع عليه الا الراسخون في العلم المدركون حقائق الامور بنور البصيرة لا باستماع^٣ الحديثي ولا بالفكر البحثي .

اقول : كما ان اقتصاد الفلك في طرفي التضاد ليس كاققتصاد الماء الفاتر والممتزج بين طرفي الحرارة والبرودة ، كذلك اقتصاد الراسخين في العلم ليس كاققتصاد الاشاعرة ، لانه

١- الاعراف ٥٠ .

٢- اقرؤها - م .

٣- بالسماع - م - د .

ممتزج من التأويل في البعض والتشبيه في البعض ، بل اقتصادهم كإقتصاد الفلك أرفع من القسمين وأعلى من جنس الطرفين .

ثم لا يخفى على أولى النهي ومن له تفقه في الغرض ، المقصود من الإرسال والانزال أنّ مسلك الظاهريين الراكبين الى ابقاء صور الفاظ الكتاب واولئ مفهوماتها اشبه من طريق المأولين في صون عقائد المسلمين المكلفين بالطاعة والانقياد البدني لنيل السلامة والنجاة في النشأتين ، لا بالخوض في بحر هلك فيه الاكثرون .

وذلك لان ما فهمه الظاهريون من اوائل المفهومات هي قوالب الحقائق التي هي مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وآله ، وليس ما حصل للراسخين في العلم من اسرار القرآن واغواره مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه من قشره والى روحه من قالبه ، كما ستعلم مما يظهر لك من حمل الكرسي على العلم كما حمله أمير المؤمنين عليه السلام ، فهذا هو المراد بعلم التأويل لا ما يناقض الظاهر كما ارتكبه القفال والزمخشري وغيرهما من قولهم لا كرسي ولا عرش ولا قعود ولا استواء^١ ، بل المراد تصوير وتخيل للعظمة والكبرياء ، والمراد مجرد القدرة والسلطان او العلم ، لأن هذه كلها مجازات بعيدة لا يصار اليها الا من جهة نقل صريح عن النبي أو الأئمة عليه وعليهم السلام ، ثم ضابط للمجازفات والظنون والاهام .

فلا بد للمفسران لا يعول الآ على نقل صريح أو على مكاشفة تامة أو وارد قلبي لا يمكن ردّه وتكذيبه ، والا فسيلعب به الشكوك كما لعبت بقوم تراهم أو ترى آثارهم في هذه القرون أو في القرون الخالية ، وشر القرون ما طوى فيه طريق الرياضة والمكاشفة وانحسم باب التصفية والتجريد وانسد طريق السير الى الملكوت الاعلى كما هو طريق المخلصين الموحيدين ، المعرضين عن الدنيا واهلها ، المتعرضين لنفحات الله في ايام دهرهم ، المنتظرين لنزول رحمته على سرهم ، فهم من اهل القرآن خاصة الواقفين على اسراره واغواره دون غيرهم سواء كان من الظاهريين المشبهين أو من الباطنيين المنزهين .

واما الذي وعدناك من الكلام المشير الى مسلك العلماء الراسخين فيها أنا أذكر لمعة منه ، لاني اراك عاجزاً عن دركه وفهم سره وحقيقته ، فأنه نبأ عظيم وانتم عنه معرضون وهي : انه ما خلق الله من شيء في عالم الصورة الآ وله نظير في عالم المعنى ، وما خلق الله

شيئاً في عالم المعنى والملكوت الآ وله صورة في هذا العالم وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيوب، اذ العوالم متطابقة كما ذكر من قبل: انّ الادنى مثال وظلّ للاعلى والاعلى روح وحقيقة للادنى، وهكذا الى حقيقة الحقائق، فكل ما في عالم الدنيا امثلة وقوالب لما في عالم الاخرة^١، وكلّما في عالم الاخرة على درجاتها مثل واشباح للحقائق العقلية والصور المفارقة وهي مظاهر لاسماء الله تعالى.

ثم ما خلق شيء في العالمين الآ وله مثال ونموذج في عالم الانسان، فلنكتف من بيان حقيقة العرش وحقيقة الكرسي بمثلها في الانسان.

فاعلم انّ مثال العرش في ظاهر الانسان قلبه الصنوبري الشكل المخروطي الهيكل وفي باطنه روحه النفساني وفي باطن باطنه نفسه الناطقة، اذ هي محل استواء الروح الاضافي الامري الذي هو جوهر قدسيّ وسرّ الهي بخلافة^٢ الله في هذا العالم الصغير، ومثال الكرسي في الظاهر صدره وفي الباطن روحه الطبيعي الذي هو مستوى نفسه الحيوانية التي وسعت سموات القوى الطبيعية السبعة الغازية والنامية والمولدة والجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة، كما وسع الصدر مواضع تلك القوى وارواحها المنتشرة في الاعصاب والرباطات وغيرها.

ثم العجب كل العجب انّ صورة العرش مع عظمتة بالنسبة الى سعة قلب المؤمن كحلقة ملقاة في فلاة بين السماء والارض. وقد ورد في الحديث الالهي: لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدى المؤمن، وقال أبو يزيد البسطامي: لو انّ العرش وما حواه وقع في زاوية من زوايا قلب أبي يزيد لما احسّ به.

فاذا علمت هذا المثل وتحققت به على هذا المنوال فاجعله دستوراً لك في تحقيق الاقوال وميزاناً يوزن به جميع الامثال الواردة في القرآن والاحاديث، فاذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ للمؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعاً ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، أو سمعت في الحديث عنه صلى الله عليه وآله في عذاب الكافر في قبره: يسלט عليه تسعة وتسعون تينياً لكل تين تسعة رؤوس ينهشونه ويلحسونه الى يوم يبعثون، فلا تتوقف في الايمان به صريحاً من غير تأويل ولا تحمله على المجاز

١- اي: العالم الثاني.

٢- وخليفة الله - النسخة البدل.

والاستعارة، بل كن احد رجلين :

إما المؤمن بظاهر ما ورد في الكتاب والسنة من غير تصرّف وتأويل، أو العارف الراسخ في تحقيق الحقائق والمعاني مع ابقاء الظواهر والمباني، فإن مقتضى الدين والديانة ان لا يؤل المسلم شيئاً من الاعيان التي نطق بها القرآن والحديث الآ بصورتها وهيئتها التي جاءت، فاذا كوشف بمعنى خاص أو إشارة وتحقيق، قرّر ذلك المعنى من غير أن يبطل صور الاعيان، لان ذلك من شرائط المكاشفة.

وإذا تقررت هذه المقدمات فلنرجع الى المطلوب فنقول: اعلم أولاً انّ لعلمه تعالى بالاشياء مراتب :

احداها مرتبة العناية الاولى وهو العلم البسيط الاجمالي الذي لا اجمال فوقه لانه عين ذاته.

وثانيها مرتبة القضاء الالهي وهو عبارة عن ثبوت صور الموجودات في العالم العقلي ويقال له عقل الكلّ وقلم الحق.

وثالثها القدر الرباني ولوح القضاء وهو عبارة عن حصول صور الموجودات مفصلة في العالم النفسي ويقال له نفس الكل.

ورابعها كتاب المحو والاثبات وهو عبارة عن ارتسام الصور الجزئية المتبدلة في الالواح القدرية كالسموات السبع بل نفوسها المنطبعة.

وحيث نقول: العرش لبساطته صورة العقل الكلّي والروح الاعظم الذي هو محل القضاء، والكرسي صورة النفس الكلية هي محل القدر ولوح القضاء، ولكل من العرش والكرسي حوامل أربعة هي ملكوته وباطنه، اذ ما من نوع جسماني الآ وله طبع وحسّ وخيال وعقل هي حوامله ومقوماته، حتى ان الارض التي هي اكثف المخلوقات لها طبع وحسّ ونفس خيالية وعقل كلّي كما بيناه في رسالة يشير^٢ فيها الى معاد جميع الموجودات^٣، وأشار اليه معلم الفلاسفة في اثولوجيا.

فقوله عليه السلام: فالكرسي محيط بالسموات وما بينهما وما تحت الثرى، اشارة الى

١- التي هي - م .

٢- نشير - م - د - ط .

٣- هي رسالة الحشر .

احاطة علمه تعالى التفصيلي بالاشياء بقريته قوله : وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى^١ ، يعني يعلم سر كل ما يجهر اسمه بالقول بعلمه التفصيلي القدري ، ويعلم باطن سره الذي هو اخفى من سره بعلمه الاجمالي القضائي .

وقوله عليه السلام : وذلك قوله : وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما^٢ ، استدلال على ان المراد بالكرسي الموصوف بالسعة لما في جوفه من الافلاك والعناصر ، هو باطنه وروحه الذي هو محل قدره ولوح قضائه وبه يعلم الكل علماً تفصيلاً ، ويؤكد هذا بقوله تعالى : ولا يؤده حفظهما ، اي لا يثقله ولا يتعبه ، يقال : اوده كذا يؤده اوداً اذا اثقله واجهده ، والثقل والتجهد واثالهما من لوازم القوى الجسمانية ، فلو كان الكرسي الذي به حفظ السموات والارض وامسكها ان تزولا صورته الجسمانية وقوته الطبيعية يؤدها ويتعبها^٣ الحفظ والامسك على الدوام فلم يبق حفظهما ، لان القوى الجسمانية دائرة هالكة كائنة فاسدة لحظة فلحظة .

المطلب التاسع : في علوه وعظمته قوله : وهو العلي العظيم .

قال بعض العلماء : ان اعظم المخلوقات مهابة وجلالة : المكان والزمان ، اما المكان فهو الفضاء الذي لا غاية له واصله من العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء ، فاما الزمان فهو الامتداد الخارج من قعر ظلمات عالم الازل في ظلمات عالم الابد ، فكأنه نهر خرج من قعر جبل الازل ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل ، فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان ، فالحق سبحانه وسع المكان ظاهراً وباطناً ووسع الزمان اولاً واخراً ، واذا كان المدبر للزمان^٤ والمكان هو الله سبحانه كان منزهاً عن المكان والزمان .

اذا عرفت هذا فنقول : الحق سبحانه له عرش وله كرسي ، فعقد الزمان بالعرش فقال له : وكان عرشه على الماء^٥ ، لان جرى الزمان يشبه جري الماء ، وعقد المكان

١ - طه ٧ .

٢ - البقرة ٢٥٥ .

٣ - يتبعها . النسخة البدل .

٤ - مدبر الزمان - م - د .

٥ - هود ٧ .

بالكرسي لان مكانه اعلى الامكنة واوسعها والعرش لا مكان له، فالعلو صفة الكرسي، وسع كرسيه السموات والارض^١، والعظمة صفة العرش، فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم^٢، فكمال العلو والعظمة لله تعالى لان مبدع الكمال ومعطيه اولى به، فرب العرش والكرسي هو احق بالعلي العظيم منها.

لطيفة

اعلم انه سبحانه بعدما اثبت واظهر مخلوقاته علواً في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهراً لكمال القدرة والحكمة، تردى برداء الكبرياء في العز والعلو واتزر بازار العظمة في الرفعة والسناء، وهو اولى بالمدحة والثناء فقال: وهو العلي العظيم، اي له علو في الشأن والعظمة في السلطان، فن على في الاخرة فباعلائه قد علا ومن عظم في الدنيا فبعظمته قد عظم واستولى، فسبحان ربي العظيم وبحمده وسبحان ربي الاعلى وبحمده.

لطيفة اخرى

اعلم ان علو الحق وعظمته صفتان اضافيتان ثابتتان له تعالى بالقياس الى اعتقاد العبد وتصوره، واثباته لغيره عز وجل وجوداً، والا فليس لما سواه في جنب وجوده وجود حتى يتصف بالعلو بالقياس اليه، لكن الانسان يتصور لنفسه بقوته الوهمية وجوداً مستقلاً وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم وافراده وجوداً مستقلاً يقيس اليها وجود الحق فيصفه بالعلو والعظمة، ثم بقدر ما يظهر له من قصور وجوده وضعفه وقصور الوجودات الامكانية وضعفها يزيد في نظره علو الحق وعظمته ولهذا قيل: ان ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم، فبقدر انكساره وافتقاره يظهر وجود الحق وعلوه وكبريائه، فقوله: وهو العلي العظيم^٣، بالنظر الى قوم لهم بقايا الوجود الوهمي، وقوله: وهو الواحد^٤، بالنظر الى قوم آخرين عند ظهور الساعة، وقوله: كل شيء هالك الا وجهه^٥، بالقياس الى الجميع بعد قيام الساعة.

١- البقرة ٢٥٥.

٢- التوبة ١٢٩.

٣- البقرة ٢٥٥.

٤- الرعد ١٦.

٥- قصص ٨٨.

لطيفة اخرى

اعلم ان العلوّ علوّان : علوّ مكاني وعلوّ معنوي، والاوّل ذاتي للمكان عرضي للجسم الطبيعي اقال تعالى في حق ادريس : ورفعناه مكاناً علياً^٢ فوصف مكانه بالعلو، واعلى الامكنة مكان الكرسي ؛ والعرش لا مكان له بل هو محدد والمكان كما انه بمركته محدد الزمان، فكل ما هو اقرب الى مكان الكرسي فهو اعلى في المكان ممّا هو ابعد، ويقابله مكان الارض وهو اسفل السافلين والواقع فيه طبعاً كالارض^٣ تكون تحت الاجسام، فكل ما هو اقرب منها اي مكانها الطبيعي فهو اسفل ممّا هو ابعد، واما الثاني^٤ فهو ذاتي للحق لانه حقيقة الوجود وعرضي للماهيات الموجودة.

فاطلاق الموجود على الماهيات كاطلاق العالي على الاجسام، واطلاقه على الواجب تعالى كاطلاق العالي على محدد الجهات مكان الكرسي، واطلاقه على اول المخلوقات كاطلاقه على الكرسي، واطلاقه على ما بعد المجمعول الاول كاطلاق العالي على غير الكرسي من طبقات السموات والعناصر وما فيها، وخرجت من اطلاق الوجود ماهية الهيولي الاولي، اذ لا وجود لها في ذاتها بالفعل بل بالقوة من جهة الصور، وهي الهاوية المظلمة واسفل السافلين، كما خرجت من اطلاق العلوّ المكاني الارض ومكانها الذي هو اسفل السافلين.

وقد وصف الله هذه الامة المرحومة بالعلوّ المعنوي والمنزلة الوجودية فقال : وانتم الاعلون والله معكم^٥، اي في هذا العلوّ، لكونه منزها عن العلوّ المكاني، فيكون المراد العلوّ المعنوي الوجودي.

ووجهه : ان الانسان الكامل اعلى الموجودات، لانه قد سلك سبيل الله وخرق الحجب ووصل الى غاية القرب واحاط بالكل علماً وحالاً، فله المعية الذاتية بالنسبة الى البارئ جل اسمه، فيكون فوق الكل بفوقية الحق تعالى، فقد جمع له بالعمل العلوّ المكاني، لان مكانه الجنة وهو اعلى الامكنة، وبحسب العلم الموجب للاحاطة بالحقائق العلوّ المعنوي.

١ - كما ان الاولية والآخرة والتقدم والتأخر ذاتي للزمان وعرض لما في الزمان (نوري).

٢ - مريم ٥٧.

٣ - كارض ط.

٤ - اي : علو المعنوي.

٥ - محمد ٣٥.

فظهر ان الاول تعالى علا^١ لذاته، لان وجوده عين ذاته، والانسان الكامل علا بعلو الحق تعالى لا بعلو ذاته، ولمظنة توهم الاشتراك في العلو الذاتي أمر الله تعالى أشرف الممكنات وأعلى المخلوقات مخاطبا اياه بقوله: سبح اسم ربك الاعلى^٢ فيحتاج العبد الاعلى والملك المقرب لمظنة الاشتراك في العلو ان يتأدب بآداب^٣ العبودية ويسبح الله عن النقص الامكاني ويتذكر عظمة الله تعالى وعلوه في كل حين، لئلا يقع في السكر عن الشكر وفي الكفران عن الاحسان، اعجاباً بنفسه وتكبراً فيستحق الطرد والسقوط، كما وقع لابليس حيث قال تعالى: استكبرت ام كنت من العالمين^٤ وقال: فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج انك من الصاغرين^٥ نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

قوله عليه السلام: والذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، قد سبق ان العرش الجسماني صورة العقل الكلي الذي هو القلم الاعلى وحامل علم الله وقضائه الاجمالي، وكما ان لصورة العرش الجسماني حملة أربعة هي قوائمه وأركانها فكذلك لحقيقة^٦ العرش، وهي علمه تعالى، وهم العلماء بالله الذين هم خزان معرفته وحفظه اسراره حملهم الله عرش علمه وتحقيقه.

قوله عليه السلام: وليس يخرج عن هذه الاربعة شيء خلق الله في ملكوته، قد مضى ان لكل نوع من الانواع الاربعة أمور باطنية: طبع ونفس حساسة وأخرى متخيلة وعقل، ولها مظاهر ومواطن، وادنى مظاهرها العناصر الاربعة: فالارض مظهر الطبع والماء مظهر الحس والحركة والهواء مظهر النفس والنار مظهر العقل الفعال، واعلى منها اجناس الحيوانات الاربعة: الانسان والبهائم والسباع والطيور، واعلى منها الطبائع الاربعة الفلكية: النارية والهوائية والمائية والارضية.

اما النارية: فظهر سلطانها في ثلاثة بروج: الحمل والاسد والقوس، واما الهوائية:

١- علي - م - د.

٢- الاعلى ١.

٣- بادب - م - د.

٤- ص ٧٥.

٥- الاعراف ١٣.

٦- فلحقيقة - م - د.

فظهر حكمها في ثلاثة : الجوزاء والميزان والدلو، واما المائة فهي : السرطان والعقرب والحوت، واما الترابية : فالثور والسنبلة والجدى .

واعلى من هذه المظاهر الملائكة الاربعة ارباب هذه الاجناس الاربعة، اذ روى الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : السموات والارض وما فيهما مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة أملاك يحملونه باذن الله : ملك منهم في صورة الادميين وهي أكرم الصور على الله وهو يدعوا الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني ادم، والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم وهو يدعوا الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم، والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعوا الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق للطيور، والملك الرابع في صورة الاسد وهو سيد السباع وهو يدعوا الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع .

وقال عليه السلام : ولم يكن في جميع الصور أحسن من الثور واشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملأ من بني اسرائيل العجل وعبدوه، فخفض الملك الذي في صورة ثور رأسه استحياءً من الله ان عبدوا من دون الله شيئاً يشبهه ويخاف ان ينزل به العذاب .

أقول : ان الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس يناسب الارض وهو يحملها وكذا البهائم، والاسد لحرارته يناسب النار وكذا السباع لسورة غضبها، والطيور يناسب الهواء لخفتها والانسان يناسب الماء لحيوته بالعلم .

قوله عليه السلام : وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياه وأراه خليله عليه السلام فقال : وكذلك نري ابراهيم^١... الآية، ضمير هو راجع الى الاربعة وهو مبتداءً وتذكيره من جهة الخبز، يعني ان هذه الامور هي ملكوت الاشياء وهي التي أراها الله أصفياه واوليائه، فان السالكين الى الله تعالى بقدمي العبودية واليقين لا بد لهم من المرور على هذه الانوار الباطنة، فان الله سبعين حجاباً من نور ولكن جوامعها منحصرة في هذه الاربعة، اذ لكل منها مراتب متفاوتة في اللطافة والنورية .

فللطبيعة مراتب بعضها الطف من بعض، فليست طبيعة الارض كطبيعة الماء ولا الهواء كالنار ولا طبيعة الجماد كطبيعة النبات ولا النبات كالحيوان ولا طبيعة العنصرية كطبيعة الفلكيات ولا الفلك الادنى كالفلك الاعلى، وعلى هذا القياس تفاوت أنوار النفس

والعقل والروح، ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب الا و يظن انه قد وصل وكذلك كان الخليل عليه السلام في سلوكه الى الله .

فان المراد من هذه الاجسام المضيئة هي مراتب الانوار الملكوئية لا صورها المحسوسة، اذ كان يراها في حالة الصغر و يعلمها انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة، والجهال يعلمون ان الكواكب ليست باله، فكيف يخفي على مثله حتى يغتر به ؟ ولكن المراد نور من الانوار المعنوية التي حجب الله ولا يتصور الوصول اليه تعالى الا بالوصول اليها، واصغر النيرات السماوية الكوكب، فاستعير لذلك النور لفظه واعظمها الشمس وبينها القمر، فعبّر عن تلك المراتب الملكوئية النورية بهذه الاجرام النيرة .

فلم يزل ابراهيم عليه السلام يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه وصل، ثم كان يكشف له ان ورائه امر، فيترقى اليه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول بعده قال : هذا أكبر، فلما ظهر له انه مع عظمته غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة التناهي في الكمال قال : لا احب الاقلين^٢ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين^٣، فهذه الانوار هي التي أراها الله تعالى على التدرج حتى وصل الى المبدأ الاعلى والغاية القصوى والمنزل الاسنى وذلك قوله تعالى : وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين^٤ .

المطلب العاشر : في تنزيهه تعالى عن التعلق بشيء في وجوده . قوله عليه السلام : وكيف يحمل حملة العرش الله وبجياته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا الى معرفته . لما ذكر عليه السلام أولا انه سبحانه حامل كل شيء وحافظه وحيوة كل شيء ونوره وافاد : ان العرش خلقه الله من أنوار أربعة وذكر في وصفها ما ذكر، ثم نفى عنه تعالى الاين والمكانية وكذا أول سعة الكرسي باحاطة علمه تعالى بالجزئيات علماً تفصيلاً، ثم رجع الى معنى حملة العرش وانهم بالحقيقة هم العلماء الذين حملهم الله^٥ كراجعاً الى دفع توهم المشبهة وزعمهم

١- الانعام ٧٩ .

٢- الانعام ٧٧ .

٣- الانعام ٨٠ .

٤- الانعام ٧٥ .

٥- الله علمه - م .

ان الله مستقر على العرش وانه محمول حمله الملائكة، ومنشأ توهمهم في كونه محمولاً قوله تعالى :
ثم استوى^١، وقوله تعالى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية^٢.

قالوا: اذا كان الحق تعالى مستويا على العرش كان محمولاً عليه وكان العرش محمولاً
على الاملاك ومحمول المحمول على الشيء يكون محمولاً على ذلك الشيء.

ووجد دفعة : انه تعالى موجد كل شيء ومفيد حيوته فكيف يحمله حملة العرش ؟
فان كل مكاني محمول على شيء يحتاج في فعله وايجاده الى ذلك الشيء فان اليجاد بعد
الوجود، ولهذا ثبت في العلوم الحكيمية ان تأثير قوى الجسمانية بمشاركة المادة الوضعية، فلو
كان تعالى محمولاً على حملة العرش لم يكن خالفاً موجداً لها، واللازم باطل فكذا الملزوم، أما
بطلان اللازم : فلما ثبت من توحيده في الالهية ونفى الشريك عنه فهو خالق كل شيء، واما
بيان الملازمة : فلانه لو أوجدها على ذلك التقدير يجب أن يكون حين ايجاده اياها محمولاً على
حملة أيضاً، فان كانت تلك الحملة هي هذه بعينها فيلزم توقف الشيء على نفسه وان كانت
غيرها نقل الكلام الى ذلك الغير فيلزم التسلسل أو الدور، والتوالي باسرها باطلة فكذا المقدم
وهو كونه موجداً لها على التقدير المذكور، فيكون المقدراً^٣ وهو كونه تعالى محمولاً محالاً، وهذا هو
المطلوب .

وقوله : بحيوته حبيت قلوبهم وبنوره اهدتوا الى معرفته، اشارة الى تنزيهه تعالى عن
جميع انحاء كونه محمولاً سواء كانت الحملة اجساماً أو قلوباً أو عقولاً، فالاول كما يحمل
الجدران السقف أو الفرس الراكب أو السرير الجالس أو الدابة الحمل أو الجسم البياض،
وأما حمل القلوب فكحمل النفس الاخلاق والعلوم، يقال : اولئك حملة العلم، اي نفوسهم،
واما حمل العقول فكحفظها وخزانتها للمعقولات .

فالمقصود ان ليس لله تعالى حوامل سواء كانت اجساماً أو قلوباً أو غيرها، لان
البرهان الذي هو أعم مأخذاً من البرهان المذكور قائم بان يقال : كل ما يتعلق بشيء في
وجوده يتعلق به التسلسل بمثل البيان المذكور، والله ولي التوفيق .

١- الاعراف ٥٤ .

٢- الحاقة ١٧ .

٣- المقدم - م - د .

الحديث الثاني وهو الرابع والثلاثون وثلاث مائة

«احمد بن ادريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأستأذنته فأذن لي فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له: أفتر أن الله محمول فقال أبو الحسن عليه السلام: كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج والمحمول اسم نقص في اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة وكذلك قول القائل فوق وتحت وأعلى وأسفل وقد قال الله: «وله الاسماء الحسنى فادعوه بها»^١ ولم يقل في كتبه: إنه المحمول بل قال: انه الحامل في البر والبحر والممسك السموات والارض أن تزولا والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه يا محمول قال أبو قرة: فانه قال: «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية»^٢ وقال: «الذين يحملون العرش»^٣.

فقال أبو الحسن عليه السلام: العرش ليس هو الله والعرش اسم علم وقدرة وعرش فيه كل شيء ثم أضاف الحمل إلى غيره خلق، من خلقه لانه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه وخلقاً يسبحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه وملائكة يكتبون أعمال عباده واستعبد أهل الارض بالطواف حول بيته والله على العرش استوى كما قال: والعرش ومن يحمله ومن حول العرش والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كل نفس وفوق كل شيء وعلى كل شيء ولا يقال محمولاً^٤ ولا أسفل قولاً مفرداً الا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى قال أبو قرة: فتكذب بالرواية التي جاءت أن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرون سجداً فاذا ذهب الغضب خف ورجعوا إلى مواقعهم؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى

١ - الاعراف ١٨٠ .

٢ - الحاقة ١٧ .

٣ - المؤمن ٧ .

٤ - محمول (الكافي) .

يومك هذا هو غضبان عليه فتى رضي؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغيير من حال الى حال وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟ سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين ولم يتبدل مع المتبدلين ومن دونه في يده وتدبيره وكلهم إليه محتاج وهو غني عن سواه».

الشرح

الكواهل جمع كاهل وهو الحارك اي ما بين الكتفين، يخرون سجداً أي يسقطون ساجدين، وتجترئ من الجرأة وهي الشجاعة والتهور. الظاهر ان ابا قره كان رجلاً ظاهرياً كالحنابلة وأكثر أصحاب الحديث لا يفهم المعاني الآ من تحت الالفاظ ولا يدرك من الالفاظ الا اوائل مدلولاتها، وقد اغتره ظاهر قوله تعالى الرحمن على العرش استوى أمع قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، فظن انه تعالى محمول حملته الملائكة الذين يحملون العرش.

ولما رأى عليه السلام قصور فهمه عن درك الدلائل العقلية على نفي كونه تعالى محمولا احتج عليه بصورة الالفاظ ومدلولاتها الاولية، تارة بان المحمول اسم مفعول فعل به فاعل فعله، وكل مفعول به فهو مضاف الى غيره الذي هو فاعله وهو محتاج الى غيره، وتارة بان المحمول لكونه اسم المفعول اسم نقص في اللفظ والحامل لكونه اسم الفاعل اسم مدحة.

وقوله عليه السلام: وكذلك قول القائل فوق وتحت وأعلى وأسفل، يعني ان مثل ذينك اللفظين في كون احدهما اسم مدح والاخر اسم نقص قول القائل فوق وتحت، فان فوق اسم مدح وتحت اسم نقص وكذلك أعلى اسم مدح وأسفل اسم نقص. وتارة بانه تعالى قال: والله الاسماء الحسنی فادعوه بها ولم يقل في كتبه انه المحمول؛ وهذا استدلال عليه بان المحمول ليس من جملة اسماء الله الحسنی التي أمرنا بدعائه بها، ولا أيضاً مذکور في شيء من كتبه المنزلة على الناس فلا يجوز اطلاقه عليه.

وتارة بانه قال: انه الحامل في البر والبحر والممسك للسموات والارض ان تزولا، وهذا استدلال رابع عليه بقوله تعالى: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر^٢ وبقوله: ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا^٣ فإن الامسك أيضاً بمعنى الحمل أو ما

١- طه ٥.

٢- الاسراء ٧٠.

٣- فاطر ٤١.

يلزمه .

فثبت من الايتين انه تعالى حامل كل شيء ، فلا يكون محمولاً لشيء ، بل المحمول

ما سواه .

وتارة بقوله ، ولم يسمع احد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه : يا محمول ، وهذا استدلال خامس ، يعني لوجاز اطلاق المحمول عليه تعالى لسمع أو علم انّ احداً من المؤمنين العارفين بالله وعظمته قال في دعائه الذي يذكر فيه اسماء الله : يا محمول ، حيث لم يسمع ذلك منهم قط فدل على انه ليس من جملة الاسماء الالهية فلا يجوز الاقرار به — لا توصيفاً ولا تسمية — .

ثم لما استدلل أبو قرة على كونه سبحانه محمولاً بقوله تعالى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية^١ وبقوله : الذين يحملون العرش^٢ أجاب عليه السلام بان لادلالة في الايتين على ذلك ، لان الله سبحانه ليس عين العرش حتى يكون حامل العرش حاملاً له فيكون الله محمولاً .

فان قال قائل : انه تعالى وان لم يكن عرشاً لكنه مستوعب العرش لقوله : ثم استوى على العرش^٣ ، واذا كان مستويًا على العرش والملائكة يحملون العرش فيحملون من عليه فيكون الله محمولاً لهم ؟

فيجاب : بان الاستواء على العرش ليس بمعنى الجلوس والاستقرار ، ولا المراد بالعرش الذي هو مستوى الرحمن هو صورة الجسم المحدد للجهات ، بل المراد من الاستوى الاستيلاء والاقتدار والمراد من العرش العلم والقدرة ، وقد علمت ان العرش اسم جامع لمراتبه الطبيعية والحيوانية والنفسية والعقلية واليه الاشارة بقوله عليه السلام : والعرش اسم علم وقدرة .

ثم اشار الى حقيقة العرش بقوله : وعرش فيه كل شيء ، لما سبق انه صورة قضاء الله ولوحه المكتوب فيه بقلم الحق كل ما هو كائن الى يوم القيامة كما ورد في الحديث ، وايضاً كونه علماً لا ينافي كونه قدرة لانه بحسب كل حيشية معنى يسمى باسم ، فانه من حيث

١ - الحاقة ١٧ .

٢ - غافر ٧ .

٣ - الاعراف ٥٤ .

جوهره العقلي الحافظ لصور الاشياء المعقولة علم، ومن حيث كونه واسطة لافاضته لصور المعلومات من الله على النفوس القابلة قلم الذي قال له اكتب، ومن حيث جوهره النفساني المحرك للافلاك والسموات حركة شوقية قدرة، ومن حيث انتقاشه بالعلوم المفصلة لوح، ومن حيث استقرار العلم والقدرة والحيوة عليه عرش حامل، ومن حيث ان العلماء بالله وبما في قضائه يحملونه ويعلمون ما فيه محمول لهم وهم المراد بقوله تعالى: الذين يحملون العرش .

قوله عليه السلام: ثم اضاف الحمل الى غيره، يعني اضاف حمل عرشه الذي هو علمه الى غيره، وذلك الغير خلق من جملة ما خلق الله استعبد بحمل عرشه، وهم حملة علمه وخزنة معرفته، كما استعبد خلقاً آخرين مرتبتهم دون مرتبة هؤلاء، لانهم نفوس عمالة وهذه عقول علامة، لان يسبحوا الله وهم حول عرشه وعلى طرف من علمه لقوله تعالى: ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، فيطوفون من جهة العلاقة الشوقية التي لهم الى عرش الله حول جنباه، ويعملون بما ادركوا من علمه تعالى بالتعبد الدائم والصلوة القائمة وتطواف الاطراف. فله در طائفة بالكعبة طائفة، وحول حريمه عاكفة.

وقوله عليه السلام: وملائكة يكتبون اعمال عباد، عطف على قوله: خلقا يسبحون حول عرشه، اي يستعبد ملائكة اخرى لكتابة الاعمال.

فاعلم كما ظهر من كلامه عليه السلام انه كما ان للانسان وهو العالم الصغير قوى ثلاث: اعلاها العقل النظري وكمالها بالعلم بالله واياته، واوسطها العقل العملي والنفس الناطقة وكمالها بالعبادة والظاهرة والتجريد والتقرب الى الله بالذكر والفكر والشوق والوجد والصلوة والطواف وغيرها من الاعمال النفسية والبدنية، وادناها القوة الحيوانية المباشرة للاعمال التي تؤثر في اكتساب الاخلاق والملكات للنفوس فيبقى اثرها في النفس كالكتابة في اللوح.

فكذا في العالم الكبير اصناف ثلاثة من الملائكة: اعلاهم مرتبة العقول المجردة وهم الملائكة المقربون ويعبر عنهم في الكتاب الالهي تارة بقوله تعالى: الذين يحملون العرش وتارة بقوله: ومن عنده لا يستكبرون^١ واوسطهم النفوس المدبرة الفلكية المعبر عنهم بقوله: ومن حوله يسبحون بحمد ربهم واليهم الاشارة بقوله: وخلقنا يسبحون حول عرشه، وادناهم

منزلة النفوس العمالة المباشرة لتحريك المعبر عنهم بقوله تعالى: كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون^١.

وقول عليه السلام: واستعبد اهل الارض بالطواف حول بيته، اي كما استعبد اهل السموات بالطوفان والدوران حول عرشه الذي هو قلب العالم وروحه الاعظم، موضع معرفة الله وبيته المعمور، كذلك استعبد اهل الارض بالطواف حول بيته الارضي الفرشي — مثال بيته السماوي العرشي — ليكون طوافهم وسعيهم حكاية ومثالاً لطواف اهل ملكوت السموات وسعيهم حول العرش، فانه سبحانه خلق العوالم متوافقة متحاذية، السافل منها قشر وحكاية للعالي، والعالي لب وروح للسافل، فالكعبة تحاذي بيت المعمور المشهور في الشريعة: انه في السماء الرابعة، المقسم به في التنزيل حيث قال: والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور^٢، لان الفلك الرابع هو فلك الشمس منبع حيوة العالم بنورها، وهو من العالم بمنزلة القلب الصنوبري منا ينبوع الروح الحيواني الذي به حيوة البدن وحسّه وحركته، وهو في ارض البدن كالكعبة، والصدر بمنزلة مكة.

واما القلب الحقيقي السماوي فهو بمنزلة النفس الناطقة منا، وكأنه المراد من البيت المعمور الواقع في القرآن وهو يجاذي العرش الاعظم أعني العقل الكلي والروح الالهي مستوى الرحمن واليه الاشارة بقوله عليه السلام: والله على العرش استوى، اي استولى، وقوله: كما قال اشارة الى قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى^٣.

وقوله عليه السلام: والعرش، مبتدأ وكذا ما عطف عليه من قوله: ومن يحمله ومن حول العرش، والخبر محذوف تقديره: محمول كلهم، وانما حذف الخبر لدلالة ما بعده

١- الانفطار ١٢ و ١١ يعنى بالعلم الانفعالي فانه من مراتب علمه تعالى وهو القدر الذي يحو الله به ما يشاء ويثبت، فاعتبر (نوري).

٢- الطور ٤ - ٦.

٣- اعلم ان للعرش اطلاقات: منها القلب الذي هو من لطائف السبع للنفس: من الطبع والنفس والقلب والروح والسر والخطي والاخفى، ومنها الفيض الاقدس، ومنها الفيض المقدس، ومنها العقل الكلي، ومنها الفلك المحدد. وبحذائنها الكرسي من الاطلاقات في كل واحد واحد منها. فالكرسي على الاطلاق الاول هو النفس وعلى الثاني الفيض المقدس وعلى الثالث هو مراتب الوجود الواقعة في القوس النزولي، وعلى الرابع النفس الكلي وعلى الخامس الفلك الثامن.

عليه وهو قوله: والله الحامل لهم حمل الفاعل لفعله وهو أقوى وأكد من حمل القابل لمقبوله وهو أيضاً الحافظ لقوله: ولا يؤده حفظهما^١ وهو الممسك لهم ولكل شيء لقوله: ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا^٢ وقوله: ويمسك السماء ان تقع على الارض^٣ وهو القائم على كل نفس بما كسبت^٤، وهو فوق كل شيء وعلى كل شيء، الحمل والحفظ والامساك والاقامة والفوقية والعلوية^٥ كلها في حقه تعالى شيء واحد، وهو اليجاد والقيومية، لكن الاعبارات مختلفة.

وكما ان صفاته الحقيقية كلها ذات واحدة هي ذاته، لكنه يسمى باسماء مختلفة بحسب اعتبارات مختلفة، كذلك حال صفاته الاضافية ترجع الى اضافة واحدة وهي القيومية تصحح جميع الاضافات اللائقة — كالحالقية والرازقية والرحمانية والرحيمية والغفارية والقهارية والجلود والكرم واللطف والاحسان وغيرها —.

اذ لو كانت اضافته للاشياء متخالفة للحيثيات الوجودية، لادى اختلافها الى اختلاف حثيات في ذاته وهو محال.

واذا ثبت انه تعالى حامل لكل شيء وحافظه فلا يجوز ان يقال انه محمول، واذا ثبت انه فوق كل شيء وعلى كل شيء فلا يجوز ان يقال انه أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء بان يقال عرشه محمول كذا أو أرضه تحت كذا أو جحيمه أسفل سافلين أو نحو ذلك والا فيفسد اللفظ والمعنى جميعاً، اما المعنى: فظاهر لما ثبت وتحقق انه تعالى ليس محمولاً ولا اسفل، واما اللفظ: فلعدم الاذن الشرعي واطلاق الاسماء عليه تعالى توقيفي.

ولما ابطل عليه السلام كونه تعالى محمولاً على الاطلاق وابطل استدلال أبي قرة بالقرآن بتأويل العرش بالعلم وتأويل الحملة بالعلماء تمسك أبو قرة برواية التي جاءت اليه: ان الله اذا غضب انما يعرف غضبه ان الملائكة الذي يحملون العرش يجدون ثقله، اي ثقل العرش على كواهلهم فيخرون سجداً، اي لاجل الثقل المذكور أو الخوف من غضب الله، فاذا

١ — البقرة ٢٥٥ .

٢ — فاطر ٤١ .

٣ — الحج ٦٥ .

٤ — الرعد ٣٣ .

٥ — العلو — م — د .

ذهب الغضب، أي عن الله خف، أي العرش ورجعوا، أي الحاملون إلى مواقفهم التي كانوا قبل السقوط للسجدة.

وهذه الرواية لو صح نقلها لوجب تأويلها بما لا يوجب تغييراً ولا انفعالاً في ذات الأول تعالى لقيام البراهين على أن المبدأ الأول للأشياء أحدي الذات صمدي الصفات ليس ذا صفة زائدة على الذات فضلاً عن كونها حادثة متغيرة أو متكررة.

لكنه عليه السلام ادحض حجته بضرب من الكلام يكون على قدر عقله فقال: أخبرني إلى قوله: وعلى اتباعه، يعني أنك معترف بأنه تعالى منذ لعن إبليس إلى هذا اليوم غضبان عليه وعلى أوليائه واتباعه المعذبين في النار أبد الأبد، وإذا كان غضبه تعالى على اعتقادك صفة نفسانية انفعالية مؤثرة فيه تعالى مثقلة له — وكذلك قياس رضاه الذي يقابل غضبه من كونه على اعتقادك صفة مؤثرة مخففة له — وكان الله لم يزل ولم يزال غضباناً على إبليس وأوليائه غضباً على الوجه الذي وصفته بأن ثقله على كواهل الحملة اسقطهم عن قيامهم إلى السجود، ومثل هذا الغضب حالة انفعالية لا تجامع ضده الذي هو الرضاء في ذات واحدة، وليس مجرد إضافة محضة حتى يقال إنه غضبان بالقياس إلى إبليس وجنوده وهو راض بالقياس إلى أوليائه وعباده الصالحين.

فإذا كان الأمر كذلك من كونه تعالى لم يزل غضباناً على طائفة فتى زال أو يزول غضبه حتى خف العرش ورجعت الملائكة الحملة إلى مواقفهم التي كانوا عليها قبل حدوث الغضب وما يتبعه من ثقل العرش؟ نعوذ بالله من مثل هذه الجهالة والضلالة والاجترار على الله إلى هذه الغاية حتى وصفوه بأوصاف النفوس الناقصة التي اعترها الغضب فتحولت وتغيرت من حالة إلى حالة أخرى وانفعلت من صفة إلى مقابلها.

ولهذا وبخه عليه السلام بقوله: كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين، أي الناقصين منهم الذين يعترهم الغضب تارة فيسلبهم ويؤثر فيهم حالاً والشهوة أخرى فيستهو بهم أو يؤثر فيهم حالاً أخرى، دون الكاملين العالمين، بل كثيراً من الملائكة الذين هم دون الصف العالي لا يلحقهم مثل هذه الانفعالات والتحويلات، كما في ادعية الصحيفة السجادية على الداعي بها التسليم والتحية يصف قبيلاً من الملائكة الذين هم من دون حملة العرش ومن دون ملائكة الحجب والروح

الذي من امر الله بقوله: فصل اللهم^١ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكان سمواتك واهل الامانة على رسالاتك والذين لا تدخلهم سامة^٢ من دؤب ولا اعياء من لغوب ولا فتور.

ثم أخذ عليه السلام في تنزيه الله تعالى عن وصمة التغير والتبدل بقوله: سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين الى قوله: مع المتبدلين.

لكن يجب ان يعلم ان هذه مسألة عويصة وعلم غامض قل من يقدر على تحقيق الامر فيه والتفصي عن الاشكال الذي يعتريه في ربط الحادث بالقديم، ولولا مخافة التطويل لبينا كنه المقام وتحقيق المرام من كونه تعالى لم يزل ولا يزال بحال واحدة كان قادراً خالقاً في الاول، ولا مقدور ولا مخلوق، متكلماً مع موسى عليه السلام ولا كلم بعد، بل مخاطباً مع آدم ونوح وسائر الانبياء عليهم السلام قبل بعثهم ومعه وبعده.

وفي قوله عليه السلام: ومن دونه في يده، اي قدرته وتدبيره، اي علمه، وكلهم اليه محتاج وهو غني عما سواه، اشارة لطيفة الى حقيقة الامر من عدم تغييره بتغير الاشياء، حيث ان المجموع كنفس واحدة نشأت عنه دفعة واحدة من غير التفات وتعمل وقصد زائد من الله لها، فليس من عند الله عليها الا افاضة الوجود واعطاء الخير والجد، واما التجدد والزوال والعدم فانما يكون من لوازم ذاتها وضعف وجودها عن احتمال التسرمد والدوام، والله ولي الفضل والانعام.

الحديث الثالث

وهو الخامس والثلاثون وثلاث مائة

«محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ربيعي بن عبد الله عن الفضيل بن يسار قال: سئلت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وسع كرسيه السموات والارض^٣ فقال: يا فضيل كل شيء في الكرسي؛ السموات والارض وكل شيء في الكرسي».

١- فصل عليهم «الصحيفة».

٢- سمة «الصحيفة».

٣- البقرة ٢٥٥.

الشرح

قوله : السموات والارض وكل شيء ، اي كل شيء غيرهما تفصيل لكل شيء الا اول والقضية الثانية تأكيد للقضية الاولى .

فقد علمت سابقاً ان كل شيء في علمه تعالى وان لعلمه مراتب : اولها اجمالية لا اجمال فوقها وهي عين ذاته ، وثانيها مرتبة علمه القضائي العقلي وهو عبارة عن وجود الاشياء كلها وجوداً عقلياً في قلم الله وهو جوهر مقدس عقلي وهو باطن العرش ، وثالثها مرتبة علمه القدري التفصيلي وهو عبارة عن وجود صور الاشياء كلها وجوداً سوريا نفسانياً في لوح الله وهو جوهر نفساني وجوداً على نحو القبول ، كما ان وجودها في القلم كان على وجه الفعل وهو باطن الكرسي .

فظهر ان كل شيء في الكرسي كما ان كل شيء في العرش ، الا ان كونها هناك على نحو الاجمال والافاضة وههنا على وجه التفصيل والاستفاضة ولهذا عبر عنه بالسعة .

الحديث الرابع

وهو السادس والثلاثون وثلاث مائة

«محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحجال» اسمه عبدالله بن محمد «عن ثعلبة عن زرارة بن اعين قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل : وسع كرسيه السموات والارض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السموات والارض فقال : بل الكرسي وسع السموات والارض والعرش وكل شيء وسع الكرسي» .

الشرح

قوله : والعرش عطف على السموات والارض ، وقوله : وسع الكرسي ، الكرسي فاعل وسع ومفعوله اما كل شيء ان قرئ بالنصب واما ضمير محذوف عائد عليه ان قرئ بالرفع على الابتداء .

واعلم ان كون العرش في الكرسي لا ينافي كون الكرسي في العرش ، لأن احدي الكونين بنحو والآخر بنحو آخر ، فكون الكرسي في العرش كون عقلي اجمالي على وجه أعلى وأشرف من كونه في نفسه ، وكون العرش في الكرسي كون بصورة نفسانية تفصيلية ، فلا منافاة في كون كل منهما في الاخر ولا ايضاً في كون جميع الاشياء في كل منهما .

الحديث الخامس وهو السابع والثلاثون وثلاث مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن ايوب عن عبدالله بن بكير» بن اعين الشيباني قال النجاشي : من أصحاب الصادق عليه السلام روى عن أبي عبدالله عليه السلام ، واخوته عبد الحميد والجهم وعمر وعبدعلي ، روى عبد الحميد عن ابي الحسن موسى عليه السلام وولد عبد الحميد محمد والحسين وعلي روى الحديث ، له كتاب كثير الرواة منهم عبدالله جيلة وقال العلامة في «صه» قال الشيخ الطوسي رحمه الله : انه فطحي المذهب الا انه ثقة ، وقال الكشي : قال محمد بن مسعود : عبدالله بن بكير وجماعة من الفطيحة هم فقهاء اصحابنا ، وذكر جماعة منهم عمّار السابطي وعلي بن اسباط وبنوا الحسن بن علي بن فضال علي واخواه ، وقال في موضع آخر : ان عبدالله بن بكير ممن اجتمعت العصاة على تصحيح ما يصح عنه والاقرار بالفقه فانا اعتمد على روايته وان كان مذهبه فاسداً «عن زرارة بن اعين قال : سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : وسع كرسيه السموات والارض . السموات والارض وسع الكرسي او الكرسي وسع السموات والارض فقال : ان كل شيء في الكرسي» .

الشرح

معناه كما مرّ .

الحديث السادس وهو الثامن والثلاثون وثلاث مائة

«محمد عن احمد بن محمد بن محمد بن عيسى عن احمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر عن محمد بن الفضيل» يتحمل ان يكون الازدي الصيرفي من أصحاب الرضا عليه السلام يرمى بالغلو «صه» ويحتمل ان يكون محمد بن فضيل بن عطاء المدني الكوفي من أصحاب الصادق عليه السلام ، والارجح ان يكون محمد بن فضيل بن غزوان الضبي مولا هم أبو عبد الرحمن من أصحاب الصادق عليه السلام ثقة كما في «صه» وفي رجال الشيخ وفي كتاب ابن داود «عن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حملة العرش — والعرش : العلم — ثمانية أربعة منا وأربعة ممن شاء الله» .

الشرح

قوله عليه السلام : حملة العرش، مبتداه وثمانية خبره، وقوله : والعرش علم، جملة اعتراضية وقعت بين المتبداء والخبر.

قد علمت أنّ حقيقة العرش عقل بسيط ومع بساطته علم الله بكل شيء، وكل من عرف حقيقة العرش كما هي فهو حامل علم الله، فحملة العرش حملة علم الله تعالى. واعلم ان الصورة العرش حمله أربعة هي : طبعها ونفسها وعقلها وروحها، ولحقيقته ايضا حملة أربعة هي بواطن هذه الاربعة ومراتبها القصوى وهي ملائكة علوية عقلية.

اذا علمت هذا فاعلم ان مراتب الموجودات الصادرة النازلة من الاول تعالى والصاعدة على هيئة قوسين متكافئتين على التعاكس، وكل مرتبة من الموجودات كانت في البداية وقع الرجوع اليها في النهاية، فلانسان ان يصل في سلوكه في العلم والرياضة الى كل مرتبة ومرقى في عالم القدس، فله ان يصل الى مقام حملة العرش، وكل انسان وصل الى مرتبة واحد منهم يكون مثله بل يتحد به، وهم أربعة متفاضلة في القوة والكمال، فاذا بلغت الى كل من الاربعة، نفس كاملة من نفوس بني آدم، حصلت أربعة اخرى، فيصير حملة العرش عند النهاية ثمانية، وكانت عند البداية أربعة، ولهذا قال تعالى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية!

واعلم ايضاً ان كل نفس بلغت الى مرتبة من سكان عالم القدس تصير ذاتها متحدة مع ذاته، اذ التمايز بين العقليات الصرفة ليس إلا بالشدة والضعف والكمال والتقص في نفس الوجود، فالحملة للعرش أربعة باعتبار ثمانية باعتبار آخر.

اذا تقرر ما ذكرناه فنقول : قوله عليه السلام : أربعة منا، يحتمل ان يراد به أنهم من نفوس بني آدم عند بلوغها الى تلك الدرجات العاليات، لكن الظاهر أنه أراد أنهم منا أهل البيت ولعله قصد بهم محمداً وعلياً وحسيناً وعليهم الصلوة والسلام.

فهذا ما عندي في هذا المقام، والله ولي الفضل والانعام الهادي الى دار السلام.

الحديث السابع

وهو الثامن والثلاثون وثلاث مائة

«محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن الحسن بن محبوب عن عبدالرحمن بن كثير» الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ليس بشيء، كان ضعيفاً غمز عليه أصحابنا وقالوا: انه كان يضع الحديث «صه وجش» قال الشيخ في الفهرست: روى عنه ابن اخيه علي بن حسان.

«عن داود الرقي» ابن كثير مولى بني اسد وابوه كثير يكنى ابا خالد وهو يكنى ابا سليمان من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام، قال الشيخ الطوسي رحمه الله: انه ثقة، وروى الكشي من طريق فيه يونس بن عبدالرحمن: يروي عن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام من انه أمر أصحابه ان ينزلوه منه منزلة المقداد من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذا في حديث آخر بهذا السند انه من أصحاب القائم عليه السلام.

قال أبو عمر والكشي رحمه الله: وتذكر الغلاة انه من أركانهم ويروي عنه المناكير من الغلو وينسب اليه أقاويله^١ ولم أسمع احداً من مشايخ العصاة يعطن فيه وعاش الى زمن الرضا عليه السلام. وقال النجاشي: انه ضعيف جداً والغلاة ترووا^٢ عنه، قال احمد بن عبدالواحد: قل ما رأيت له حديثاً^٣، وقال ابن الغضائري: انه كان فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يلتفت اليه، وعندي في أمره توقف والاولى قبول روايته لقول الشيخ الطوسي رحمه الله، وقال الكشي ايضاً: وقال أبو جعفر بن بابويه: روى عن الصادق عليه السلام انه قال: انزلوا داود الرقي مني بمنزلة المقداد من رسول الله صلى الله عليه وآله «صه» قيل: فيه نظر، لأن الجرح مقدم على التعديل فكيف مع كون الجرح جماعة فضلاء ثقات^٤؟

«قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وكان عرشه على الماء^٥ فقال: ما يقولون قلت: يقولون ان العرش كان على الماء والرب فوقه فقال: كذبوا؛ من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق ولزمه ان الشيء الذي يحمله أقوى منه قلت:

١- أقاويلهم «صه».

٢- تروى «صه».

٣- حديثاً سديداً «صه».

٤- وقول «صه».

٥- اثباتاً «جامع الرواة».

٦- هود ٧.

بيّن لي جعلت فذاك فقال: ان الله حمل دينه وعلمه الماء قبل ان يكون ارض أو سماء أو جن أو أنس أو شمس أو قمر فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والائمة صلوات الله عليهم فقالوا: أنت ربنا فحملهم العلم والدين.

ثم قال للملائكة هؤلا حملة ديني وعلمي وامنائى في خلقي وهم المسؤولون ثم قال لبني آدم: أقرؤا لله بالربوبية وهؤلاء النفر بالولاية والطاعة فقالوا: نعم ربنا أقرنا فقال الله للملائكة: اشهدوا فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غداً: انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون^١ ياداود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق».

الشرح

اعلم انه لما كانت حيوة كل شيء في هذا العالم بالماء كما في قوله تعالى: من الماء كل شيء حي^٢، وكذلك حيوة كل شيء في عالم الآخرة بالعلم، والعلوم متطابقة فوقع التعبير في لسان الشريعة وفي رموز السابقين من الحكماء الذين هم على اقدام الانبياء عليهم السلام عن العلم بالماء، قال تعالى: وكان عرشه على الماء، أي علمه تعالى بكل شيء في الازل كان على الماء، أي على العنصر الاوّل الذي فيه صور المعلومات كلّها، على ان ذات ذلك العنصر أيضاً علم لكنّه علم مجمل يحمل ويحفظ تفصيل العلم.

وقال تاليس المظي وهو من اساطين الحكماء عندهم: ان للعالم مبدعا لا يدرك نعتة بالعقول^٣ من جهة هويته وانما يدرك من جهة اثاره، والابداع تأييس مالميس بايس، فؤيس الايسيات لا يحتاج الى اين يكون عنده صورة الايس، لكته ابداع العنصر الاوّل^٤ وفيه صور الموجودات والمعلومات^٥، فانبعث من كلّ صورة موجود في العالم على المثال الذي في العنصر الاوّل، فحل الصور ومنبع الموجودات هو ذات العنصر، وما من موجود في العالم العقلي والعالم

١ - الاعراف ١٧٢ و ١٧٣.

٢ - الانبياء ٣٠.

٣ - صفة العقول «الملل والنحل».

٤ - الذي «الملل».

٥ - المعلومات كلها «الملل».

الحسني إلا وفي ذلك العنصر صورة ومثال عنه .

وقال : أنّ المبدع هو الماء ، قال : فإن الماء قابل كلّ صورة ومنه ابدعت الجواهر كلّها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كلّ مبدع وعلّة كلّ مركّب من العنصر الجسماني .

فذكر : أنّ من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الماء^٢ تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الاثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بما الشوق الحاصل فيها اليه^٣ . وكان يقول : ان فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق ان يصف تلك الانوار، وهي مبدعة من عنصر لا يدرك غوره ولا يبصر نوره، والمنطق والنفس والطبيعة دونه^٤ . انتهى كلامه .

وظهر بهذه الرموز والاشعارات أنّه أنّها اراد بقوله الماء امرأً قدسيّاً عقلياً . وفي التورية في السفر الاوّل منه : مبدأ الخلق جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة، فذابت اجزائه فصارت ماءً ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات، وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم أرساها بالجبال، وكأنّ تاليس الملطي انما تلتقي مذهبه من هذه المشكوة النبوية .

وقال انكسيمانس وهو أيضاً من الملطيين المعروف بالحكمة والخير^٥ عندهم : أنّ البارئ ابدع بوحده انيته صورة العنصر ثم صورة العقل انبعثت^٧ عنها ببدعة البارئ، فرتب العنصر بالعقل انواع^٨ الصور على قدر ما فيها من طبقات الانوار واصناف الاثار وثار تلك الطبقات

١ - صورة له « الملل » .

٢ - الهواء « الملل » .

٣ - بالشوق الحاصل اليه « الملل » .

٤ - تحته ودونه « الملل » .

٥ - منها ان مبدأ « الملل » .

٦ - المذكر بالخير « الملل » .

٧ - انبعث « الملل » .

٨ - الوان « الملل » .

صور كثيرة مرتبة دفعة واحدة لا بترتيب وزمان.

واقول : ألذي أثبتته من العنصر الاوّل شديد الشبه بالقلم الاعلى الالهى المشار اليه في قوله تعالى : علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم^١ والذّي أثبتته من العقل الذي فيه أنواع الصّور وطبقات الانوار شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور في الكتب الالهية ، اذ فيه جميع احكام المعلومات وصور الموجودات .

وقال انباذقلس وهو أيضاً من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم : ان المعلول الاول هو العنصر والثاني بتوسطه العقل والثالث بتوسطها النفس ، وهذه بسائط مبسوطات^٢ وما بعدها مركبات .

وقال : لما صدر العنصر الاوّل في العقل ما عنده من الصّور المعقولة الروحانية وصورت العقل في النفس ما استفاد من العنصر الاول وصورت النفس الكلية في الطبيعة^٣ ما استفادت من العقل فيحصل^٤ قشور في الطبيعة لا تشبهها ولا هي شبيهة بالعقل الروحاني اللطيف ، فلما نظر العقل اليها وأبصر الارواح واللبوب في الاجساد^٥ والقشور ساح^٦ عليها من الصور الحسنه الشريفه^٧ وهي صور النفوس المشاكلة للصور العقلية . انتهى كلامه .

فظهرت من هذه الاقوال فوق دلالة البراهين انّ المراد من الماء في قوله تعالى : وكان عرشه على الماء^٨ ، ليس هذا العنصر الجسماني كما زعمته المشبهه الجاهلون بالله وصفاته وافعاله وكيفية ابداعه للاشياء ، فزعموا ان الله جسم محمول على العرش كالجالس ، وعرشه محمول على الماء كالسفينة والالواح ، وهذا غاية الكفر والجهالة .

فنبّه عليه السلام اولاً على بطلان القول بكونه تعالى محمولاً على شيء مطلقاً ، سواء

١ - العلق ٤ و ٥ .

٢ - ومتوسطات « الملل » .

٣ - الطبيعة الكلية « الملل » .

٤ - فحصلت « الملل » .

٥ - الاجسام « الملل » .

٦ - اي : جرى .

٧ - الشريفة البهية « الملل » .

٨ - هود ٧ .

كان الحامل جسماً أو عقلاً أو شيئاً آخر، بأن الحامل للشيء لابد ان يكون أقوى قوّة من محموله، ولا شبهة في أنّ كلّ حول وقوّة يكون في الاشياء فانما هي من حوله تعالى وقوته، ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم، فاستحال ان يكون له تعالى حامل.

ثم بيّن معنى قوله تعالى: وكان عرشه على الماء، بان المراد من العرش علمه تعالى ودينه، وان الله حمل علمه ودينه على الماء قبل ايجاده لسائر الاشياء، والماء هو العنصر الاوّل مادة صور المعقولات واصل حيوة الموجودات، الذي يسمى عند اصفوية بالنفس الرحامي.

ثم اشار الى كيفية اخراج الكائنات من حد العلم والتقدير الى حد الخلق والتكوين ثم اعادتها وارجاعها الى معادنها الاصلية وفطرتها الذاتية، ان ساعدها التوفيق.

فقوله عليه السلام: فلما اراد ان يخلق الخلق نثرهم بين يديه، اشارة الى نحو وجودهم التفصيلي الكوني بعد وجودهم الاجمالي العقلي وبعد نزولهم في عالم الكثرة من عالم الوحدة ووقوعهم في دار الطبيعة من دار القدس.

وقوله: فقال من ربكم، اشارة الى تكليف النفوس الانسانية بتوسط الوحي والانبياء وارسال الرسل وانزال الكتب، بمعرفة الله وعبوديته، اذ لا يمكن خلاص النفوس من هذه الشباك الطبيعية والاقفاص البدنية وما يلزمها من العقوبات، الا بنور المعرفة وقوة العبودية، واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله: ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره... الحديث.

وقوله: فاول من نطق رسول الله، اشارة الى مراتب النفوس في الدرجات والكمالات بحسب البداية والنهاية.

واعلم ان النفوس الانسانية انواع مختلفة بحسب اختلاف طبقات معادنها الاصلية ومنابعها العقلية كما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وكل من كان مبدئه العقلي في عالم الابداع والبداية من الطبقة العليا فيكون درجته في عالم الرجوع والنهاية اليها بشرط اكتساب العلم والعمل، وان الرسول والائمة صلوات الله عليه وعليهم لما كانوا بحسب فطرتهم الاصلية من السابقين الاولين من المقربين، وان كانوا في الوجود الطبيعي من الآخرين بالقياس الى سائر الانبياء واولياء زمانهم كما قال عليه السلام: نحن السابقون اللاحقون، فلا جرم يكونون في عالم الآخرة اول الخلق

دخولاً في الجنة، فهم بحسب الوجود الابتدائي القضائي اول الخلق عرفاناً بالله واقدمهم نظقاً واقراراً بربوبيته: فلذلك حمل الله عليهم علمه ودينه فصاروا اعلم الناس، وكانت الملائكة شاهدون باشهد الله اياهم على ان هؤلاء حملة علمه ودينه وامنائهم في خلقه وانهم اعلم الخلائق بالله وعلمه ودينه.

وقوله: وهم مسئولون، اراد به انه يجب على سائر الناس السؤال منهم وأخذ العلم والمعرفة من باهم وسبيلهم كما في قوله تعالى: فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون^١.
وقوله: ثم قال لبيني آدم: اقروا لله بالربوبية، اشارة الى مفاد قوله تعالى: واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم^٢... الآية، واختلف أهل التفسير في معنى الاية وفي كيفية هذا الاخذ والسؤال والشهاد للذرية على أنفسهم والاقرار منهم بالربوبية وهم على تلك الحال، والمنقول منهم قولان: الاول وهو مذهب الحديث والاثر، منهم انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنها فقال: ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره واستخرج ذريته^٣ فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون؛ وخلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون، فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال اهل الجنة فيدخله الجنة، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار.

عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما خلق الله آدم عليه السلام مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة، وقال مقاتل: ان الله مسح صفحة ظهر آدم عليه السلام اليمنى، فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر تتحرك، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: يا آدم! هؤلاء ذريتك ثم قال: الست بربكم قالوا بلى^٤، فقال لليبي^٥: هؤلاء للجنة ولا ابالي، وهم أصحاب اليمين

١- النحل ٤٣.

٢- الاعراف ١٧٢ و ١٧٣.

٣- فاستخرج منه ذرية «التفسير الكبير».

٤- ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت «التفسير».

٥- في الجنة برحمتي وهم «التفسير».

وقال للسوداء: هؤلاء للنار ولا ابالي، وهم اصحاب الشمال، وقال في من نقض العهد الاول: وما وجدنا لاكثرهم من عهد٢، وهذا القول قد ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن مسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي.

واما المعتزلة فقد اطبقوا على انه لا يجوز تفسير هذه الاية بهذا الوجه وذكروا عشر حجج على فساد هذا التفسير.

الاولى ان قوله تعالى: من ظهورهم، لا شك انه بدل لقوله تعالى: من بني آدم، فيكون المعنى: واذا اخذ ربك من ظهور بني آدم، وعلى هذا فلم يكن اخذ^٣ من ظهر آدم شيئاً.

الثانية انه لو كان المراد اخراج الذرية من ظهر آدم لما قال من ظهورهم بل يجب ان يقول من ظهره، اذ ليس لادم الا ظهر واحد وان يقول من ذريته بدل من ذريتهم.

الثالثة انه لا يناسب قول الذرية انما اشرك ابائنا من قبل، اذ لا يليق باولاد آدم هذا القول لانه عليه السلام ما كان مشركاً.

الرابعة ان اخذ الميثاق لا يمكن الا من العاقل، ولو كانت الذرية حينئذ عقلاء لوجب ان يتذكروا في هذا الوقت بانهم اعطوا الميثاق، وبهذا الوجه يبطل القول بالتناسخ.

الخامسة ان جميع الخلق عددهم الى يوم القيامة عدد عظيم، فالمجموع الحاصل من تلك الذرات مبلغ عظيم كيف يتسعها صلب آدم وهو مقدار صغير؟

السادسة ان البنية شرط لحصول الحيوة والا لجاز ان يكون كل ذرة من ذرات الهبات عاقلة فاهمة، والتزامه يؤدي الى الجهات.

السابعة ان هذا الاخذ للميثاق وقوعه اما ان كان ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت او عند دخولهم في دار الدنيا، والاول باطل بالاجماع وكذا الثاني لعدم تذكرهم ذلك العهد.

الثامنة ان حال اولئك الذر لا يكون في الفهم والعلم اعلى من حال الاطفال، فلما لم يجز توجيه الخطاب على الاطفال لم يجز عليهم ايضاً.

التاسعة ان اولئك الذر في ذلك الوقت اما ان يكونوا عقلاء كاملين مكلفين فلم يبق الفرق بين حالهم حينئذ وحالهم في الدنيا، ولو افتقر التكليف في الدنيا الى سبق ذلك الميثاق

١- في النار «التفسير».

٢- الاعراف ١٠٢.

٣- انه اخذ «التفسير».

لافتقر التكليف هناك ايضاً الى سبق ميثاق آخر ويتسلسل ، وان لم يكونوا كذلك فيتمنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم .

العاشرة قوله تعالى : فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق^١ ، ولو كانت تلك الذرات عقلاء فاهمين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق ، ولا معنى للانسان الا ذلك المدرك الفاهم فلا يكون مخلوقاً من الماء الدافق ، وهو رد لنص القرآن .

وتلك الوجوه اكثرها مما يخطر لاصحاب العقول الفكرية والاراء المشهورة لاهل البحث من غير استبصار قلبي .

والقول الثاني في تفسير الآية قول اصحاب النظر وارباب المعقولات وهو: انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب ابائهم ، وذلك الاخراج انهم كانوا نطفاً فاخرجها الله الى ارحام الامهات وجعلها علقه ثم مضغة الى ان جعلهم بشراً سوياً وخلقها كاملاً ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته ، فبالاستشهاد بالادلة صاروا^٢ كأنهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول باللسان ، وبذلك نظائر: منها: قوله تعالى: فقال لها وللارض أنتي طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين^٣ ، ومنها قوله: انما قولنا اذا اردناه ان نقول له كن فيكون^٤ ، وقول العرب: قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ قال: سل من يدقني . وقال الشاعر: امتلاً الحوض فقال: قطني .

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في الكلام فوجب حمل الكلام عليه ، فهذا هو تقرير القولين .

واستحسن الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير القول الثاني وقال: لا طعن فيه انما الكلام في ان القول الاول هل يصح ام لا قال: وههنا مقامان: احدهما انه هل يصح القول باخذ الميثاق عن الذرية^٥؟ الثاني انه بتقدير صحته فهل يمكن جعله تفسيراً لالفاظ هذه الآية؟

١- الطارق ٥ و ٦ .

٢- صنعته ، فبالاشهاد صاروا «التفسير» .

٣- فصلت: ١١

٤- النحل ٤٠ .

٥- الذر «التفسير» .

اما المقام الاول : فالمنكرون قد تمسكوا بالدلائل العقلية ويمكن الجواب عن كل منها بوجه مقنع . ثم ذكر حجج المعتزلة عن اكثرها بالتمسك بالقول بالفاعل المختار وعن الخامسة^١ بالقول بالجزء الذي لا يتجزى ، وعن السادسة^٢ بان البنية عندنا ليست شرط لحصول الحيوة والجوهر الفرد قابل للحيوة ، وقال : وبقية الوجوه — وكأنه اراد بها الحجج الثلاثة الاول — ضعيفة والكلام عليها سهل هين .

واما المقام الثاني^٣ : فالوجوه الثلاثة المذكورة اولاً مانعة لذلك لكننا نقول : ظاهر الآية دلت على انه تعالى اخرج الذر من ظهور بني آدم لكن يحمل ذلك على انه تعالى علم^٤ ان الشخص الفلاني يتولد منه فلان ومن ذلك الفلان فلان اخر ، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم عن بعض ، واما انه يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم عليه السلام ، فليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته وليس فيه ايضاً ما يدل على بطلانه الا ان الخبر قد دل عليه ، فيثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقران وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر ، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الامرين ولا مدافعة فوجب المصير اليهما معا صوتاً للآية والخبر عن الطعن بقدر الامكان . فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام . انتهى كلامه .

اقول : اكثر هذه الاقوال مبتنية على مجرد الظنون والاحتمالات الذهنية من غير كشف وبرهان ، والذي يقتضيه البرهان ويطابقه ، مكاشفة اصحاب المشاهدة والعرفان : ان للنفوس الانسانية اكوان متعددة ومظاهر متكثرة بعضها ابتدائية عقلية وبعضها نفسية وبعضها طبيعية دنيوية وبعضها برزخية مثالية وبعضها اخروية انتهائية ، وكل من هذه الاكوان والنشآت نوع آخر من الوجود مبائن لغيره وله آثار ولوازم اخرى غير ما لغيره . والذي نقل عن بعض القدماء الحكماء كافلاطون : ان النفوس الانسانية كانت موجودة قبل الابدان ، يطابق هذه الآية ، واكثر من طعن عليه في ذلك باستلزامه التناسخ ،

١ — وهي ان جميع الخلائق غير ممكن في صلب ادم عليه السلام .

٢ — وهي ان البنية شرط لحصول الحيوة .

٣ — وهو ما قال : على تقدير صحته فهل يمكن جعله تفسيراً لالفاظ هذه الآية ؟

٤ — فنقول : ظاهر الآية يدل على انه تعالى اخرج الذر من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على انه تعالى

وبان البرهان قائم على حدوث النفس بحدوث البدن، لم يفهموا قصده ولم يدركوا شأوه، وزعموا ان مراده من كون هذه النفوس موجودة قبل التعلق بهذا الابدان انها هي بما هي نفوس كانت موجودة هناك، ولم يعلموا ان لها هناك كينونة اخرى وان لها اطوار ونشآت كثيرة، فالكون في عالم الاسماء نشأة وطور والكون في عالم القضاء نشأة اخرى، والكون في عالم القدر طور آخر وكذا كونها نطفة في صلب الاب الجسماني وعلقة ومضغة وجينياً في رحم الام الجسمانية، ثم في الدنيا من حد الطفولية الى حد الموت اطوار مختلفة، وكذلك بعد الموت تحشر من صورة الى صورة ونشأة الى نشأة الى ما لا يعلم عددها الا الله، قال: وننشكم فيما لا تعلمون^١.

اذا علمت هذا فلنرجع الى معنى الآية فنقول: قوله تعالى: واخذ ربك من بني آدم^٢، أراد بهم النفوس الادمية عند كونهم في اصلااب آبائهم العقلية ومعادتهم الاصلية، وقد سبق انها انواع مختلفة، وقوله: من ظهورهم ذريتهم^٣، اي شاهدتهم^٣ وهم رقائق في تلك الحقائق، وعبر عن تلك الاباء بالظهور جمع الظهر، لان كل واحد منهم ظهراً ومظهر لطائفة من هذه النفوس أو ظاهر عنده لكونه صورة عقلية نورية ظاهرة بذاتها، واشهدهم على انفسهم^٤، اي اعطاهم في هذه النشأة الادراكية العقلية شهود ذواتهم العقلية وهو ياتهم النورية، فكانوا بتلك القوى العقلية يسمعون خطاب: الست بربكم، كما يسمعون الخطاب في دار الدنيا بهذه القوى البدنية، وقالوا بالسنة تلك العقول: بلى! انت ربنا الذي اعطينا وجوداً قدسياً ربانياً سمعنا كلامك واجبنا خطابك.

واعلم ان المستمعون منهم على ثلاثة طبقات حسب مراتب مبادئهم العقلية قرباً وبعداً من الله: السابقون واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة، ولكل طبقة سمع وابصار وافئدة، اما السابقون المقربون: فلما قال لهم: الست بربكم^٢، فبالسمع المنور بنور مجهم ويحبونه^٤، سمعوا خطابه وبالابصار المنورة شاهدوا جماله وبالقلوب المنورة احبوا لقائه، فاجابوه بلسان المحبة والشوق حقاً وصدقاً وعبودية ورقاً.

١- الواقعة ٦١ .

٢- الاعراف ١٧٢ .

٣- اي : شاهد الحق .

٤- المائة ٥٤ .

واما اصحاب الميمنة : فسمعوا الخطاب بالسمع الايماني وابدروا الشواهد بالآيات الافاقية والانفسية وفهموا الخطاب بالقلوب الصافية فجابوه بلسان الاعتراف ايماناً وتسليماً .
واما اصحاب المشأمة : فاحتجوا برداء الكبرياء وامتحنوا باظهار العزة والرياء^١ فسمعوا الخطاب من وراء الحجاب وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقلوبهم في اكنة ، فلم يسمعه بسمع القبلو والطاعة فجابوه بلسان الاقرار بالاضطرار ، وهم في حجاب الاغترار وظلمة الافتقار ، فاخذ موثيق كل طائفة على حسب مقامها وحالها .

اما المقربون : فاخذ موثيقهم^٢ بان لا يحبوا ولا يعبدوا الا اياه ، واما اصحاب الميمنة : فاخذ موثيقهم بان لا يعبدوا الا اياه وان يحبوا اوليائه ، واما اصحاب المشأمة : فاخذ موثيقهم على العبودية والانقياد .

فالان يرجع التفاوت بين الخليقة في الكفر والايمان والطاعة والعصيان الى تفاوت الاستعدادات الروحانية والمعادن العقلية ، وانما اخذ الله عنهم الميثاق في هذه البداية واشهد الملائكة عليهم ان يقولوا يوم القيامة أي لان لا يقولوا أو كراهة أن يقولوا : انا كنا في هذا المقام غافلين كما غفل عن هذه المرتبة سائر البرية كالبهائم والانعام وغيرها ، اذ ليست لها هذه الفطرة النورية ، او يقولوا : انما اشرك ابائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم^٣ ، فاقترنا بهم واقترنا آثارهم .

لانا استخرجنا ارواح الذرية ونفوسهم من ظهور هذه الالباء الروحانية العقلية وهم الالباء بالحقيقة دون هؤلاء الجسمانيين ، لانهم كالمعدات والمبادئ للابدان لا للارواح ، نعم ! الانبياء ثم الاولياء عليهم السلام بمنزلة تلك الالباء لافادتهم وتعليمهم العلم الذي به حيوة الارواح في دار البقاء .

لئلا يقولوا : افتهلكنا بما فعل المبطلون^٣ ، الذين ابطلوا استعدادهم للرجوع الى مقاماتهم الفطرية بالمعرفة والتوحيد .

فهذا ما عندنا في تفسير هذه الآية وليس فيه ما ينافي تلك الروايات المنقولة ، لانها على تقدير صحتها يحمل لفظ آدم على الاب العقلي للبشر ويحمل وحدته على الوحدة الجنسية .

١ - العلا « النسخة البدل » .

٢ - موثيقهم المقرين - النسخة البدل .

٣ - الاعراف ١٧٢ .

ولقد جاء في الاخبار : ان آدم أبا البشر عدد كثير هذا آخرهم ، فالاولى يراد به المعنى الجنسي ليرتفع الخلاف بين الآية والخبر ايضاً بما فسرنا الآية اندفع اكثر اعتراضات المعتزلة بل كلها عند التأمل . فافهم ان شاء الله .

ثم قال عليه السلام : يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق ، وذلك لما ارتكز في نفوسهم بحسب فطرتهم الاصلية محبة اولياء الله ومودتهم وطاعتهم ، لان مقاماتهم في النهاية والقيامة كمقامات اولئك الاباء الروحانية في البداية والفترة ، والى هذا اشار جنيد حين سأل ما النهاية ؟ فقال : هي الرجوع الى البداية . والله اعلم بحقيقة الحال .

باب الروح

وهو الباب العشرون من كتاب التوحيد

وانما تعلق ايراد باب الروح بكتاب التوحيد لان جماعة توهموا انها الباري ، وهم طائفة من ضلال الفلاسفة ، وجماعة آخر توهموا ان روح عيسى جزء للبارى ، وهم النصرارى ، وجماعة اخرى زعموا انها غير مخلوقة ، وجماعة توهموا ان قوله تعالى : ونفخت فيه من روحي (الحجر - ٢٩) من قبيل نفسي وذاتي ، فظهر ان هذا الباب يناسب هذا الكتاب

وفيه اربعة احاديث :

الحديث الاول

وهو التاسع والثلاثون وثلاث مائة

«عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى عن ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن الاحول قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الروح التي في آدم قوله : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي^١ قال : هذه روح مخلوقة والروح التي في عيسى مخلوقة» .

الشرح

اعلم ان الكلام في كشف ماهية الروح صعب المرام والامسك عن ذلك كان سبيل ذوي الاحلام ، وقد عظم الله تعالى شأن الروح واسجل على الخلق بقلة العلم بها حيث

قال لنبيه: قل الروح من أمر ربي وأما أوتيتم من العلم إلا قليلاً^١، وقد أخبر الله تعالى في كلامه عن إكرامه بني آدم وقال: ولقد كرمنا بني آدم^٢.

قيل: قالت الملائكة: ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويتنعمون ولم تعطنا فاعطنا في الآخرة، فقال: وعزّي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان.

وعن ابن عباس انه قال: قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وآله: أخبرنا ما الروح وكيف يعذب الروح التي في الجسد وأتما الروح من امر الله؟، ولم يكن نزل اليه فيه شيء فلم يجبه بشيء، فاتاه جبرئيل بهذه الآية.

قال الجنيد: الروح شيء استأثره الله بعلمه ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود. اقول: هذا كلام متين يشبه كلام الانبياء عليهم السلام في عموم فائدته للعامة واهل الخصوص، اذ الموجود — لا غير — اعرف الاشياء بحسب المفهوم واغمض الاشياء بحسب الحقيقة.

واعلم ان هذا الروح التي وقع ذكره في القرآن غير نفس التي يبحث علماء الطبيعية عنها، لان هذه النفوس كثيرة حسب كثرة الابدان حادثة بحدوث الابدان، وأما الروح: فهي واحدة وكانت قبل الاجساد.

قال ابن عطاء: خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى: ولقد خلقناكم^٣، يعني الارواح، ثم صورناكم^٤ يعني الاجساد.

وقال بعض الاسلاميين: الروح عبارة عن الحياة والقائم بالحياة على الاشياء هو الحق، وفيه ما لا يخفى إلا ان تحمل الحياة على الاحياء، والاحياء صفة المحيي كالخلق صفة الخالق.

وقال بعضهم: قال تعالى: قل الروح من أمر ربي^٥، وامره كلامه وكلامه ليس بمخلوق.

١- الاسراء ٨٥.

٢- الاسراء ٧٠.

٣- الاعراف ١١.

٤- الاسراء ٨٥.

فن اقوال اهل الشريعة ما يدل على ان قائله يعتقد قدم الروح، ثم ان الناس مختلفون في الروح الذي سئل رسول الله عنه فقال قوم: هو جبرئيل، ونقل عن أمير المؤمنين أنه قال: هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه ولكل وجه منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون الف لغة، يسبح الله بتلك اللغات كلها، ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة الى يوم القيامة.

وروى عن ابن عباس: ان الروح خلق من خلق الله صورهم على صور بني آدم، وما نزل من السماء ملك الآ ومعه واحد من الروح.

وقال ابو صالح: الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس.

وقال مجاهد: الروح على صورة بني آدم لهم ايد وأرجل ورؤس، يأكلون الطعام وليسوا بملائكة.

وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش، ولو شاء ان يبتلع السموات السبع^١ والارضين في لقمة لفعل^٢، صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الادميين يقوم^٣ يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه في صف واحد وهو ممن يشفع لاهل التوحيد، ولولا ان بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحرق^٤ أهل السموات من نوره.

وقال بعضهم: الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل، قيل عليه: فن اي شيء خرج؟ قال: من بين جماله وجلاله تعالى خصها الله بسلامه وحياتها بكلامه فهي معتقة من ذل كن.

وسئل أبو سعيد الخراز عن الروح مخلوقة هي؟ قال: نعم!، ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالت: بلى!، والروح هي التي قام بها البدن واستحق بها اسم الحياة، وبالروح ثبت العقل وبالروح قامت الحجّة، ولو لم يكن الروح كان العقل معطلاً لا حجة عليه ولا له.

١ - ان يبلغ السموات والارضين السبع «عوارف».

٢ - لعمل «عوارف».

٣ - يقوم به «عوارف».

٤ - من نوره لحرق «عوارف».

وقيل : انها جوهر مخلوق ولكنها الطف المخلوقات واصفى الجواهر وانورها، وبها ترى^١ المغيات وبها يكون الكشف لاهل الحقائق واذا حجبت الروح عن مراعات السر^٢ أساءت الجوارح الادب، ولذلك صارت الروح بين تجلي^٣ واستتار. وقيل : الدنيا والاخرة عند الروح سواء.

وقيل : الارواح تجول في البرزخ وتبصر احوال الدنيا ومع الملائكة يتحدثون في السماء^٤ عن احوال الادميين، وارواح تحت العرش وارواح طيارة الى الجنان والى حيث شئت، على اقدارهم^٥ من السعي الى الله ايام الحياة. سئل الواسطي لاي علة كان رسول الله صلى الله عليه وآله احكم^٦ الخلق؟ قال : لانه خلق روحه اولاً فوقع له صحبة^٧ التمكين والاستقرار، لا تراه كيف يقول : كنت نبيا وآدم بين الروح والجسدي؟ اي لم يكن روحاً ولا جسداً.

وقال بعضهم : الروح خلق من نور العزة وابليس خلق من نار العزة ولهذا قال : خلقتني من نار^٨، ولم يدر ان التور خير من التار. وقال بعضهم : قرن الله العلم بالروح فهي للطاقتها تنمو بالعلم كما ان البدن ينمو بالغذاء^٩، وهذا في علم الله لان علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك .

فهذه اقوال اهل الاسلام في باب الروح، والغرض من نقلها ان يعلم ان العقول متحيرة في كنهها، وانه قد وقع الاختلاف بين المسلمين انها مخلوقة أو غير مخلوقة، ولهذا وقع السؤال من مؤمن الطاق في هذه الآية لابي عبدالله عليه السلام عن الروح التي في آدم المذكور

١ - تترائي «عوارف» .

٢ - السير «عوارف» .

٣ - تجل «عوارف» .

٤ - وتسمع ماتتحدث به في السماء «عوارف» .

٥ - اقدارها «عوارف» .

٦ - احلم «عوارف» .

٧ - صحبته - م .

٨ - الاعراف ١٢ .

٩ - كما ينمو البدن بالغذاء «عوارف» .

في قوله تعالى: فاذا سويته ونفخت فيه من روحي^١، لما في هذه الاضافة، اعني اضافة الروح اليه من الشرف، الموهب لان لا يكون الروح مخلوقة، فاجاب عليه السلام: بان هذه أي الروح المنفوخة في آدم روح مخلوقة والروح التي في عيسى المذكورة في قوله تعالى: وكلمته القاها الى مريم وروح منه^٢ مخلوقة.

اقول: لا يخفى على الواقف بالسلوب العبارة ان قوله عليه السلام: هذه روح مخلوقة، يدلّ بحسب المفهوم: ان من الممكن ان يكون في الارواح روح غير مخلوق، ودلالة المفهوم وان كان ضعيفا لا يصلح بمجرد ان يصير حجة لكن اذا ضم اليه سائر الشواهد والقرائن يصير حجة قوية، وسوف نرجع مشيراً الى بيان حقيقة الامر في ذلك .

الحديث الثاني

وهو الاربعون وثلاث مائة

«عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى الحجال عن ثعلبة عن حمران» بن عين الشيباني مولى كوفي تابعي مشكور، روى الكشي عن محمد بن الحسن عن ايوب بن نوح عن سعيد العطار عن حمزة الزيات عن حمران ابن أعين عن أبي جعفر عليه السلام انه قال له: انت من شيعتنا في الدنيا والاخرة، وروى انه من حواري محمد بن علي وجعفر بن محمد عليها السلام. وقال علي بن احمد العقيلي: انه عارف.

وروى ابن عقدة عن جعفر بن عبدالله قال: حدثنا حسن بن علي قال: حدثني عبدالله بن بكير عن زرارة عن شهاب بن عبد ربه قال: جرى ذكر حمران عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: مات والله مؤمناً «صه» وهو عظيم المنزلة، روى الكشي في مدحه روايات كثيرة من غير ذم اصلاً، وفي التحرير الطاوسي: انه مشكور لم ارما يخالف ذلك . وروى عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: لانت من شيعتنا في الدنيا والاخرة.

والشيخ الطوسي رحمه الله قال في كتاب الغيبة: فصل في ذكر طرف من أخبار السفراء الذين كانوا في حال الغيبة، وقبل ذكر من كان سفيراً حال الغيبة نذكر طرفاً من اخبار من كان يختص بكل امام ويتولى له الامر على وجه من الايجاز، ونذكر من كان

١- الحجر ٢٩ .

٢- النساء ١٧١ .

ممدوحاً منهم حسن الطريقة ومن كان مذموماً سيئ المذهب ليعرف الحال في ذلك ثم قال: فن الممدوحين^١ حمران بن أعين، أخبرنا الحسين بن عبيدالله عن أبي جعفر محمد بن سفيان البزوفري عن أحمد بن أدریس عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن عبدالله بن بكير عن زرارة قال: قال أبو جعفر عليه السلام وذكرنا حمران بن أعين فقال: لا يرتد والله ابداً ثم أطرق هنيئة ثم قال: اجل لا يرتد والله ابداً.

«قال: سئلت أبا عبدالله عن قوله عليه السلام عن قول الله تعالى: وروح منه^٢ قال: هي روح الله مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى».

الشرح

اعلم ان افراد الناس وان كانوا كلهم من حيث هذه النشأة الطبيعية متماثلين متفقين بالتوع، إلا أنهم بحسب الباطن ومن حيث نشأتهم الاخرية متفاوتون تفاوتاً عظيماً يوجب اختلافاً نوعياً بينهم. فطائفة من الناس ليست لهم من النفوس الا الحيوانية المثالية، وطائفة نفوسهم اعلى رتبة من هؤلاء لأنها ناطقة مدركة للمعقولات، وهم أصحاب القلوب، وطائفة نفوسهم اجل وأعلى من هاتين الطائفتين، وهم الذين وصلوا الى مقام الروح وصارت نفوسهم روحاً محضاً وعقلاً صرفاً، سواء كانوا في اول الفطرة كذلك كعص الانبياء، أو بعد السلوك، كسائر الانبياء واولياء عليهم السلام.

ومما يدل على اختلاف جواهر النفوس بحسب الخبر ما روى مرفوعاً عن كميل بن زياد قال: سئلت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين أريد ان تعرفني نفسي، قال: يا كميل واي الانفس تريد أن أعرفك؟ قلت: يا مولاي وهل هي إلا نفس واحدة؟ قال: يا كميل انما هي أربعة: النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية والكلية الالهية، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان: فالنامية النباتية لها خمس قوى: جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة ومربية، ولها خاصيتان: الزيادة والنقصان، وانبعائها من الكبد، والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع وبصر وشم وذوق ولمس، ولها خاصيتان: الشهوة^٣ والغضب، وانبعائها من القلب، والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر

١- المحمودين «كتاب الغيبة».

٢- النساء ١٧١.

٣- وفي بعض النسخ وفي الكشكول ايضاً: الرضا والغضب.

وذكر وعلم وحلم ونباهة^١، وليس لها انبعاث وهي اشبه الاشياء بالنفوس الملكية ولها خاصيتان: النزاهة^٢ والحكمة، والكلية الالهية لها خمس قوى: بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء، ولها خاصيتان: الرضاء والتسليم:

وهذه التي مبدأها من الله واليه تعود وقال الله تعالى: ونفخت في من روحي^٣، وقال: يا ايتهنا النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية^٤، والعقل وسط الكل.

وهذا الحديث مما اخرجہ شيخنا البهائي رحمه الله في كتابه المسمى بالكشكول.

اذا علمت ما ذكرناه فاعلم ان هذه الروح الكلية الالهية هي التي لا يعرف حقيقتها الا الكمل من العرفاء بالله، وهي التي وقع الاختلاف في انها مخلوقة أم غير مخلوقة مع اتفاقهم على انها باقية، لانها من أمر الله وما هو من أمر الله فهو باق، ولاجل هذا الاختلاف قال عليه السلام: هي اي الروح في قوله تعالى: وكلمته القاها الى مريم وروح منه^٥، روح مخلوقة في آدم وعيسى، وانما خصصها بالذكر لان روحهما وجدت بايجاد الله في اول تكوينها لقللة مدخلية الوساطة كلاب الجسماني فيها.

واعلم ان العوالم وان كانت كثيرة غير محصورة الا انها محصورة في عالين اثنين: وهما الخلق والامر، قال تعالى: الا له الخلق والامر^٦ والخلق بمعنى المساحة والتقدير، فعبر عن عالم الدنيا وعالم الشهادة وهو كل ما يقع اليه الاشارة الحسية او يدرك باحدى الحواس الخمس الظاهرة بعالم الخلق، وعبر عن عالم الآخرة وعالم الغيب وهو كل ما يدرك باحدى الحواس الخمس الباطنة وهي كما قيل: النفس والقلب والعقل والروح والسير بعالم الامر، فعالم الامر هو الاوليات العظام التي خلقها الله للبقاء من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والجنة والنار.

وسمى علام الامر امراً لانه اوجده الله بامرہ وكلمته لا من شيء، بل يفوضه نفس

١- اي: الشرف . الفطنة .

٢- اي: البعد عن السوء .

٣- الحجر ٢٩ .

٤- الفجر ٢٧ و ٢٨ .

٥- النساء ١٧١ .

٦- الاعراف ٥٤ .

الامر والكلمة، فإن امره ليس حرفاً وصوتاً بل جوهرًا قدسيًا، وسمى عالم الخلق خلقاً لأنه اوجده الله بالوسائط من شيء كقوله: وما خلق الله من شيء إلا فلما كانت هذه الموجودات مخلوقة بالوسائط من شيء أي مادة مستحيلة كائنة فاسدة سماها الخلق وخلقها للفناء لا للبقاء.

فعلم مما ذكرنا أن قوله تعالى: قل الروح من أمر ربي^١، إنما هو لتعريف الروح، عني به انه من عالم الامر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء، وأنه ليس على الاستبهام كما ظنته جماعة أنه تعالى ابهم علم الروح على الخلق واستأثر لنفسه حتى قالوا ان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن عالماً به، وهذا غاية الجهل برتبة النبي صلى الله عليه وآله، فان الروح الامري هو حقيقة ذاته فكيف لا يعرف هو ذاته ونفسه وقال: من عرف نفسه فقد عرف ربه؟ فكيف يجوز ان يقال أنه لم يعرف نفسه ولاربه؟ واكثر الخلائق لما لم يبلغ نفوسهم الى مقام الروح، فهم لا جرم بمعزل عن معرفة الروح، واما النبي فجل منصبه وهو حبيب الله ونبية ان يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله، وقد من الله عليه بقوله: وعلمك ما لم تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً^٢، واما سكوته عن الجواب عن سؤال الروح وتوقفه انتظار الوحي حين سألته اليهود لغموض يرى في معناه ودقة لا يفهما اليهود لبلاد طابعهم وقساوة قلوبهم، وأنه ما يعقلها إلا العالمون.

بل الحق أن الروح لبساطتها وكونها نفس مرتبة من حقيقة الوجود، لا يمكن كشفها لاحد ولا تعريفها إلا بهذا التعريف الالهي، فهوية الروح نشأت من امر الله، ولهذا وقع الاختلاف في كونها قديمة أو حادثة.

وفي قوله عليه السلام: هي روح الله مخلوقة في آدم وعيسى، دقيقة يجب التنبيه عليها، وهي أنه قيد كونها مخلوقة في آدم وعيسى ولم يقل مخلوقة على الاطلاق بلا قيد، وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين.

فاعلم أن الارواح كلها مخلوقة من روح واحدة هي روح النبي صلى الله عليه وآله وروحه اصل الارواح ولهذا سمي امماً، اي ام الارواح، كما ان اللوح المحفوظ ام الكتاب

١ - الاعراف ١٨٥.

٢ - الاسراء ٨٥.

٣ - النساء ١١٣.

لأنها منتسخة منه . فكما كان آدم أبا البشر وخليفة الله في الارض كان النبي صلى الله عليه وآله أبا الارواح وخليفة الله في عالم الارواح، فالروح خليفة الله ومجمع صفاته تعالى الذاتية كالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والبقاء، والجسد خليفة الروح وهو مجمع صفاته .

وذلك ان الله لما خلق روح النبي صلى الله عليه وآله كان الله ولم يكن معه شيء آخر حتى ينسب او يضاف اليه الروح غير الله، بل كان روحه اول شيء تعلقت به القدرة الازلية، ولذلك شرفه بتشريف الاضافة الى نفسه فسماه : روحي . كما سمي اول بيت وضع للناس وشرفه بالاضافة الى نفسه فقال : بيتي، ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفخ فيه من روحه أي من الروح المضاف الى نفسه، وهو روح النبي صلى الله عليه وآله كما قال : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي^١، ولم يقل نفخت فيه روحي بلا كلمة «من» ليكون دلالة على ان الروح المنفوخ في آدم هو بعينه روح النبي صلى الله عليه وآله بل كان روح آدم متولداً، فالنبي صلى الله عليه وآله الاب الروحاني لابي البشر وسائر الانبياء وابو البشر الاب الجسماني للنبي صلى الله عليه وآله وسائر البشر كما قيل :

واني وان كنت ابن آدم صورة في فيه معنى شاهد بابوتي
وقيل بالفارسية الشعر:

گر بصورت من زادم زاده ام پس بمعنی جدّ جدّا افتاده ام
وكذلك ارواح اولاد آدم مخلوقة من روح النبي صلى الله عليه وآله لقوله تعالى : ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سوّيه ونفخ فيه من روحه^٢، وكذلك قال في حق روح عيسى عليه السلام : فنفخنا فيه من روحنا^٣، فكانت النفخة لجبرئيل والروح من روح النبي صلى الله عليه وآله المضاف الى الحضرة الالهية .

ولاجل كون حقيقة الروح على هذه المنزلة والشرف قصرت افهام الناس عن دركها وتلاشت العقول عن دركها كما يتلاشى انوار الابصار في شعاع الشمس ولهذا قال : وما

١- الحجر ٢٩ .

٢- السجدة ٨ و ٩ .

٣- التحريم ١٢ .

اوتيتم من العلم الآ قليلاً^١ ، فافهم هذا المقال فإنه مدرك عزيز المنال .

الحديث الثالث

وهو الواحد والاربعون وثلاث مائة

«محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن محمد بن خالد عن القاسم بن عروة» روى عنه البرقي واحمد وهو ممتن لم يرو كذا في رجال الفاضل الاستربادى «عن عبد الحميد الطائي^٢» مجهول «عن محمد بن مسلم قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله الله عز وجل: ونفخت فيه من روحي كيف هذا النفخ؟ فقال: ان الروح متحركة كالريح وإنما سمى روحا لانه اشتق اسمه من الريح وإنما اخرجته على لفظه الريح لأن الارواح مجانسة للريح وإنما اضافته الى نفسه لانه اصطفاه على سائر الارواح كما قال لبيت من البيوت: بيتي ولرسول من الرسل خليلي واشباه ذلك وكل ذلك مصنوع محدث وكل مخلوق مر بوب^٣ مدبر» .

الشرح

لما كان النفخ في اللغة قسما من التحريك والحركة لا يكون الآ في الجسمانيات، وقع السؤال عن معنى قوله تعالى: ونفخت فيه من روحي ، لأن الروح ليست جسما ولا شيئا منطبعاً في الجسم كما هو عند المحققين .

ويمكن الجواب بان الروح وان لم يكن في اصل جوهره من هذا العالم الآ ان له مظاهر ومجالي في الجسد، وأول مظهر له في هذا البدن بخار لطيف دخاني شبيه في لطافته واعتداله بالجرم السماوي ويقال له: الروح الحيواني، وهو مستوى الروح الامري الرباني الذي هو من عالم الامر ومركبه ومظيته قواه، والاطباء وكثير من الطبيعيين لا يعرفون من النفس غير هذا الجرم اللطيف التوراني .

فاذن نقول: هذا الروح الطبي دائم التحلل والتبدل، فهو جرم هوائي متحرك واليه اشار عليه السلام بقوله: ان الروح متحرك كالريح، ثم لما كان النفخ عبارة عن تحريك

١- الاسراء ٨٥ .

٢- هو عبد الحميد بن عواض الطائي من اصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، ثقة «جامع الرواة» قال النجاشي: احضره الرشيد مع مرزم واخوه فقتله وسلما . وفي الخلاصة: من اصحاب الكاظم عليه السلام .

٣- وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مر بوب مدبر «الكافي» .

هواء يشتعل به الحطب ونحوه كالفحم، فالبدن كالفحم وهذا الروح كالهواء الذي في منافذ الفحم واجوافه، والنفخ سبب لاشتعال الروح البخاري بنار النفس وتنورها بنور الروح الامري، فللنفخ في الصور صورة وحقيقة ونتيجة: فصورته اخراج الهواء من آلة النفخ الى جوف المنفوخ فيه حتى يشتعل ناراً، وهذه الصورة في حق الله محال ولكن النتيجة والمسبب غير محال، وقد يكتنى بالسبب عن النتيجة والاثر المترتب عليه كقوله تعالى: غضب الله عليهم^١ فانتقمنا منهم^٢ وصورة الغضب عبارة عن نوع تغير في نفس الغضبان يتأذى به ونتيجته اهلاك المغضوب عليه أو جرحه وايلامه، فعبر في حق الله عن نتيجة الغضب بالغضب وعن نتيجة الانتقام بالانتقام، فكذلك يمكن ان يقال ههنا انه عبر عما ينتج نتيجة النفخ بالنفخ، وان لم يكن على صورة التفخ، ولكن نحن لانكتفي في الاسماء التي هي مبادئ افعال الله بهذا القدر وهو مجرد ترتب الاثر من غير حقيقة تكون بازاء الصورة.

بل نقول: حقيقة النفخ — الذي في عالم الصورة عبارة عن اخراج شيء من جوف التافخ الى جوف المنفوخ فيه كالزق^٣ ونحوه^٤ — هي افاضة نور سر الروح العلوي الالهي على القالب اللطيف المعتدل المستوي، أعني به الروح الحيواني القابل لفيضان التور العقلي والروح الالهي، كقبول البلور لفيضان النور الحسي من الشمس التافذ في اجزائه واقطاره، فهكذا يكون انوار الحس والحيوة نافذة في كل جزء من اجزاء القالب والبدن، فعبر عن افاضة الروح على البدن بالتفخ فيه.

فاذا تقر ما ذكرناه فان قال قائل: فما السبب الذي اشتعل به نور الروح الحيواني في

فتيلة النفطة؟

يقال: هو صفة في الفاعل وصفة في القابل. واما صفة الفاعل: فالجود الالهي وهو ينبوع كل وجود لانه فياض بذاته على كل ما له استعداد قبول الوجود حقيقة، ومثاله فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجب بينها. وقابل الاستنارة هي سطوح المتلونات كالارض ونحوها أو أعماق الاجسام المقتصدة في الكثافة والشفافة كالبلور

١ — المجادلة ١٤ .

٢ — الاعراف ١٣٦ .

٣ — زق الحداد: اي كيره .

٤ — اي: حقيقة النفخ هي

والزّجاجة دون الهواء الّذي لا لون له ولا اقتصاد في رقة القوام . واما صفة القابل : فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية كما قال : فاذا سويته^١ ومثال صفة القابل كصقالة الحديد، فإنّ المرآة التي ستر وجهها بالصدى لا تقبل الصورة وان كانت محاذية للصورة، فاذا اشتغل الصيقل بتصقيلا فكلما حصل الصقال حصلت فيها الصّورة من ذي الصورة المحاذية دفعة بلا تخلف، فكذلك اذا حصل الاستواء في قابل الرّوح كالنطفة ونحوها حدثت فيها الرّوح من خالق الرّوح من غير تغيير في الخالق بل انما حدثت الروح أو تعلقت الان لا قبله لتغيير المحل او المتعلق بحصول الاستواء الان لا قبله.

واعلم كما تفيض النفس على البدن عند التسوية والتعديل المزاجي فكذا يفيض الرّوح العلوي الذي هو من امر الله على النفس عند حصول التسوية وتعديل الاخلاق وتوسطها بين الاطراف المتضادة بحصول ملكة العدالة، فبالتسوية الاولى ونفخ الروح الادنى يستحق الانسان مسجودية القوى الحيوانية والاستواء على عرش الرّوح البخاري بخلافة الله في ارض البدن، وبالتسوية الثانية ونفخ الروح الاعلى يستحق خلافة الله في السموات ومسجودية الملائكة والاستواء على عرش النفس الناطقية الكلّية.

فاذا علمت الحال في كيفية افاضة الروح الادنى على القابل الادنى ومعنى تسويته والافاضة عليه وقبوله للفيض، فقس عليه نظائر ما ذكرنا في كيفية افاضة الروح الاعلى على القابل الاعلى، ولا ينبغي ان تفهم من الفيض ما تفهم من فيضان الماء من الاناء على الارض بانفصال جزء من ماء الاناء عليها، بل افهم منه لا اقل ما تفهمه ان كنت من اهل التميز من فيضان نور الشّمس على الارض، ولقد غلط فيه قوم ايضاً فظنوا انه ينفصل شعاع من جرم الشمس ويتصل بالارض وينبسط عليها وهو خطأ، بل نور الشمس سبب لحدوث شيء يناسبه في التّورية وان كان اضعف منه في الارض، فكذلك الجود الالهي سبب لحدوث انوار الوجود في كلّ ماهية قابلة للوجود على حسب قابليتها، واقرب القوابل اليه المادّة الانسانية فافاض عليها اشرف الانوار الوجودية، وعبر عنه تارة بروحي وتارة بنورها كما في قوله : واشرقت الارض بنور ربّها^٢.

فقد ظهر لك من هذه المباحث أنّ الروح العلوي من عالم آخر وان مظهره ومورده من

١- الحجر ٢٩.

٢- الزمر ٦٩.

هذا العالم، ولهذا سمي باسمه، وهو دائم الحركة كالريح، فان الريح عبارة عن الهواء المتحرك ، ولهذا اشتق اسمه وهو: الرّوح من الريح .

فقوله : ان الروح متحرك كالريح ، بيان لسبب كونه منفوخا واتصافه بصفة المنفوخية . وقوله : انما سمى روحا لانه اشتق اسمه من الريح ، بيان لتسمية الروح روحاً بوقوع هذا الاشتقاق .

وقوله عليه السلام : وانما اخرج على لفظة الريح ، بيان لوجه هذا الاشتقاق ، فكأنه قيل : لماذا اشتق له اسم من الريح ؟ فقال : لان الارواح مجانس للريح ، وتذكير مجانس لانه على تقدير شيء مجانس ، ووجه هذه المجانسة ان كلاً منهما منشأ للحياة ، اما الرّوح : فمنشأ الحياة الدائمة الاخروية واما الريح الذي مهبطه : فمنشأ الحياة المنقطعة الدنيوية .

فان قلت : فما حقيقة هذا الروح التي هي منشأ الحياة الابدية وما وجه تعلقه بهذا البدن ؟ أهو داخل فيه أو خارج عنه ؟ متصل به أو منفصل عنه ؟

فنقول : ليس هو بداخل في البدن بالممازجة ولا خارج عنه بالمباينة، ولا هو متصل به ولا منفصل عنه ، لأنّ مصحح الاتصاف بهذه الامور الجسمية والتميز فقد انتفى عنه، وكلا الضدين منفكان عنه، كما انّ الفلك لا حار ولا بارد والجماد لا عالم ولا جاهل، لان مصحح الحرارة وضدها العنصرية وقبول الاستحالة والكون والفساد، ومصحح العلم ومقابله الحياة فاذا انتفى القابل انتفى الضدان وليس ايضاً هو في جهة من الجهات بل منزه عن الاختصاص بالجهات والاتصال بالاجسام والحلول فيها، ولا هو عرض مطلقاً لأنّ العرض لا يتصف بصفة لانه نفس الصفة، فلا يقبل صفة سيما الصفات المتقابلة كالعلم والجهل والشجاعة والبخل والخوف والرجاء والفرح والغم .

فان قيل : لماذا منع رسول الله صلى الله عليه وآله من افشاء هذا السر وكشف هذه الحقيقة فقال تعالى : قل الروح من أمر ربي^١ .

قلنا : لغموضه وعدم انحصار حقيقته في حدّ خاص ولقصور طبائع الناس عن احتمال حقيقته ومعناه، بل عن احتمال وصفه ونعته من كونه ليس بجسم ولا جسماني ولا داخل في الاجساد ولا خارج عنها ولا متصل بها ولا منفصل عنها، فانّ الناس قسمان : خواص وعوام، وانما من غلبت العامية على طبعه فهذه الصفة لا يتصورها ولا يصدق

بوجودها في حقاله فكيف في حق غيره كالروح الانساني .

ولهذا انكرت الكرامة والحنابلة ومن يحدو حدوهم ممن كانت العامية اغلب عليه فجعلوا الاله سبحانه جسماً، اذ زعموا انه لا يعقل موجوداً الاً مجسماً محسوساً بالفعل أو من شأنه أن يكون محسوساً مشاراً اليه، ومن ترقى عن العامية قليلاً نفس الجسمية ولم يقدر ولم يطق ان ينفي عنه عوارض الاجسام فاثبت الجهة وكونه مرثياً، ومن ترقى عن هذه العامية كالمعتزلة فاعترفوا بوجود موجود ليس بجسم ولا جسماني لا في مكان ولا في جهة ولا بكونه محلاً لحادث، لكنهم احوالوا ان يكون هذه الصفة لغير الله، فاذا ذكرت هذا لغيره كفروك وقالوا انك تصف نفسك بما هو من صفات الاله على الخصوص^١، فكأنك تدعي لنفسك الالهية والاشتراك .

وربما قالوا: كما يستحيل ان يجتمع اثنان في مكان واحد يستحيل ان يجتمعا ايضاً في لا مكان^٢، لانه انما يستحيل اجتماعهما في مكان لارتفاع الامتياز بينهما، فكذلك اذا وجد اثنان كل واحد منهما ليس في مكان فيم يحصل التميز والفرقان؟

وهذا القول غلط وخطأ فليس كل امتياز بين شيئين بمكان، اذ ربما يمتاز احد الشيئين عن الآخر بالحد والحقيقة كالأعراض المختلفة في محل واحد، فتميز اللون عن الطعم ليس بمكان ولا زمان، فيجوز اجتماعهما في جسم واحد، وكذا تميز العلم عن القدرة بذاته وان كانا حاصلين في نفس واحدة، فاذا جاز اجتماع الحقائق المتخالفة بذواتها في محل واحد فيبان يتصور اشياء مختلفة الحقائق بذواتها متفقة في امر سلبى هو سلب المكان وسلب الجسمية يكون اولى .

واما الخواص^٣ وهم اعظم الحكماء الالهيين وأكابر الصوفية فكلمهم قائلون بحقيقة الروح وتجرده عن عالم الاجسام ووافقهم من متكلمي الاسلام قداماً اصحابنا الامامية رحمهم الله كابن بابويه القمي والشيخ المفيد والمرضى علم الهدى وبنو نوبخت حسبا استفادوا من أئمتهم المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، ومن الاشاعرة الراغب الاصفهاني والغزالي والفخر الرازي .

١- الخصوص - م - د .

٢- اللامكان - م .

٣- عطف على : ان الناس قسمان :

ولكن يجب ان يعلم : ان حقيقة الروح ليست مما يمكن تحديده، لانها ذات درجات ومقامات ليس لها حد واحد، وهذا الارواح البشرية كسرج اقتبست من نار عظيمة، ثم بين هذه الارواح تفاوت عظيم وكذا بين ارواح الملائكة، فلكل منهم مقام معلوم .

وكما ان اجساد الادميين صغيرة بالقياس الى اجرام الكواكب والسموات فكذلك — فافهم وتحقق — ان الارواح البشرية قبل ان تستكمل وترتقي الى سائر الدرجات، حقيرة بالاضافة الى ارواح الملائكة، كاجسادهم بالاضافة الى اجساد العالم، ولارواح الملائكة ترتيب وكل منهم منفرد برتبة ولا يجتمع في مرتبة واحدة اثنان، بخلاف الارواح المتكثرة البشرية، فان جميعها في بداية الفطرة في حد واحد، وبعد الترتي والاستكمال ايضاً قد يكون عدة منها متساوية مختلفة بالهيئات والعوارض المشخصة .

واما الارواح الملائكة : فكل واحد نوع برأسه هو كل ذلك النوع وكيه، واليه الاشارة بقوله تعالى : وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون^١، وبقول النبي صلى الله عليه وآله : ان الراكع منهم لا يسجد والساجد^٢ منهم لا يركع، وانه ما من واحد الا وله مقام معلوم .

ثم من الارواح الانسانية من قال : كنت نبيا وادم بين الماء والطين، وقوله صلى الله عليه وآله : لي مع الله وقت... الحديث، فع هذا التفاوت والاختلاف كيف يمكن تحديد ماهية الروح أو تعريفها الا بما وقع في القرآن من قوله تعالى : قل الروح من أمر ربي^٣ ؟

قوله عليه السلام : وانما اضافة الى نفسه لانه اصطفاه على سائر الارواح، لما ذكر عليه السلام اولا : ان الروح شيء متحرك كالريح وانها مجانس للريح، فكأنه ورد السؤال بانها مع هذه الصفة يعني الحركة والمجانسة للريح كيف يضاف الى الله تعالى في قوله : ونفخت فيه من روحي^٤ ؟ فان كانت النسبة اليه لان وجودها به ومنه، فجميع الاشياء وجودها حاصلة به تعالى ومنه ؟ وقد نسب البشر الى الطين فقال : اني خالق بشراً من طين^٥،

١- الصافات ١٦٥ و ١٦٦ .

٢- والقائم . النسخة البدل .

٣- الاسراء ٨٥ .

٤- الحجر ٢٩ .

٥- ص ٧١ .

ثم قال: فاذا سويته ونفخت فيه من روحي^١، وان كان معناه جزء من الله فاض على القالب كما يفيض المعطي المال على السائل فيقول: افضت عليه من مالي، هذا يوجب تجزئة ذاته وذلك محال؟

فاشار الى الجواب بانه تعالى اضاف الروح الذي هو منشأ الارواح البشرية ومنبعها الى ذاته لانه اصطفاه وشرفه على سائر الارواح، وقد مرّ ان قوله: نفخت بمعنى افضت، ولو نطقت الشمس مثلاً وقالت: افضت على الارض من نوري، فيكون صدقاً ويكون معنى النسبة: انّ النور الحاصل من جنس نور الشمس وان كانت في غاية الضعف بالاضافة اليه. وقد عرفت انّ الروح بسيط مصفى منزّه عن الجهة والمكان وقبول التجزئة، وكونه لا داخل الجسد ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه، ومع ذلك لا جزء من اجزاء الجسد الا هو معه اينما كان، ولا ذرة من ذرات القالب تعذب عنه، وفي قوته العلم بمقائق وماهيات الاشياء والاطلاع عليها والاحاطة بها، وهذه نوع مضاهاة ومناسبة ليست لسائر الاشياء من الاجسام والجسمانيات اصلاً، فلذلك خص بالاضافة اليه.

ثم اعلم ايضاً ان هذه الارواح البشرية المنفوخة في قوالها باذن الله غير الروح المضاف اليه تعالى لما دلت عليه كلمة «من» الابتدائية لا التبعية، كما علمت انّ الروح ليس متجزئاً بل هذه الارواح البشرية بالاضافة الى ذلك الروح كسرج مقبسة من نار عظيمة كما سبق او كالاضواء الحاصلة في الروازن والثقب والجدران من ضوء الشمس.

قوله عليه السلام: وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر، اي كلّ واحد من تلك الارواح سواء الذي اصطفاه أو سائر الارواح مخلوق مصنوع، وانما ذكر هذه الالفاظ الخمسة تأكيداً وتوضيحاً لنفي كونه قديماً، حيث وصف الارواح بصفات متعددة دالة على الحدوث والافتقار، اما كونها مخلوقة: فالخلق اما بمعنى اليجاد أو بمعنى التقدير وكلاهما تدلان على انّ لها موجداً مقدرأ، واما كونها مصنوعة: فعناه انّ وجودها بصنع صانع، واما كونها محدثة: فعناه انّ وجودها متأخر عن لا وجودها، فلم يكن وجودها من ذاتها فلها محدث لا محالة، واما كونها مربوبة: فالتربية عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله على التدريج، فالارواح البشرية تتكامل لا دفعة وهي قابلة للتتري والتوجه الى غايتها الاصلية والتقرب الى الله تعالى، واما كونها مدبرة: فهو من جهة انها ذات قوى مترتبة والات وجنود مختلفة واقعة

على نسق وانتظام، فدل ذلك على انها لها مدبراً يفعل فيها هذه التدبيرات اللائقة والترتيبات الضرورية أو النافعة كما دل عليه علم التشريح.

واعلم انه ذهبت جماعة الى ان الارواح قديمة، وجماعة لما تفتنوا ان نفوسهم غير جسمية توهموا انها البارئ، وقد ضلوا ضللاً بعيداً، فان النفوس كثيرة فالبارئ جل كبريائه واحد احدي، واما بطلان كونها قديمة: فالبرهان طويل ومقدماته كثيرة، لكن انّ الروح البشرية حدثت عند تمام استعداد التطفة للقبول، وحدثها من الله عند تمام الاستعداد المعبر عنه بالتسوية، كما حدثت الصورة في المرأة، عند حصول الصقالة والتصفية في المرأة من ذي الصورة، وان كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة وهما متحدان^١.

وايجاز هذا البرهان: انّ الارواح البشرية لو كانت موجودة قبل الابدان لكانت اما كثيرة واما واحدة، وكلا الشقين باطل^٢، فوجودها قبل البدن باطل، اما بطلان وحدتها: فانها بعد التعلق بالابدان اما ان بقيت على وحدتها أو صارت متكثرة، وكلاهما محال، فوجودها مع البدن محال، هذا اخلف. اما استحالة الوحدة فلاستلزامه كون ما يعلم احدها يعلم غيرها فلم يجز ان يعلم زيد ما يجمله عمرو، ولو كان الجوهر متاً واحداً لاستحال اجتماع الضدين فيه كما يستحيل اجتماعهما في واحد كزيد.

واما استحالة الكثرة: لان الواحد انما يجوز ان يتكثر وينقسم اذا كان مقداراً او ذا مقدار كالأجسام، فالجسم ينقسم تارة ويتحد اخرى، لانه ذو مقدار وله بعض وكلّ قبل الانفصال في الوهم والفرض وبعد الانفصال في الخارج والوجود، وما لا بعض له بوجه فلا يمكن له كثرة بعد وحدة ولا وحدة بعد كثرة.

واما فرض كثرة الارواح قبل الابدان فحال: لانها اما ان تكون متماثلة من كلّ وجه أو متغايرة، والاول ظاهر البطلان لان وجود المثليين محال في الاصل ولهذا يستحيل وجود السوداين في محل واحد وجسمين في مكان واحد، لانّ الاثنينية تقتضي مغايرة ولا مغايرة ههنا، واذا تحقق سوادان مثلاً فيجب ان يكونا في محلين أو في محل واحد ولكن في زمانين، اذ لاحدهما حينئذ وصف وللآخر وصف آخر وهو الاقتران بهذا الزمان الخاص، فليس في

١- حدوث - م - د - ط .

٢- وهما متحدان - ليست في - د .

٣- محال - م - د .

الوجود مثلان مطلقا بل بالاضافة، كقولنا: زيد وعمر ومثلان، اي في الانسانية، وسواد الخبر^١ والغراب مثلان، اي في السوادية.

والثاني باطل ايضا^٢، لانّ تغايرها اما باختلاف الانواع أو باختلاف العوارض والاحوال الخارجة عن الماهية ولوازمها.

ولما كانت النفوس الانسانية متفقة واحدة بالنوع والحدّ فلا يمكن ان يكون اختلافها قبل البدن بالماهية والحقيقة، واما اختلافها بالعوارض فحال، لان الحقيقة الواحدة انما تنقسم بالعوارض الخارجة عن الذات اذا كانت حالة في الاجسام او منسوبة اليها بنوع تعلق، اذ الجسم امر لذاته ذو اجزاء متخالفة ولو بالقرب والبعد من السماء، واما اذا لم يكن شيء كذلك فقبوله للتكثير بعد الاتفاق في النوع محال، كما ان الشيء اذا لم يكن متعلقا بحركة وزمان فقبوله للتغيير محال. وهذا ربما يحتاج تحقيقه الى مزيد تقرير وبيان لكنّ هذا القدر ممّا ينيه على بطلان تقدم الارواح.

واما قوله تعالى: واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم... الآية^٣ وقول النبي صلى الله عليه وآله: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وقوله: الارواح جنود مجتدة، وقوله: نحن السابقون الاولون، فلا يوجب شيء منها ان يكون للارواح وجود قبل الابدان هذا النحو من الوجود، بل المراد ههنا وجودها في عالم التقدير او وجود اصولها ومعادنها ومنابعها كما اشرنا اليه فيما سبق والكلام في تحقيق ذلك طويل.

الحديث الرابع

وهو الثاني والاربعون وثلاث مائة

«عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد عن ابيه عن عبد الله بن بحر» كوفي روى عن أبي بصير والرجال ضعيف مرتفع القول «صه» وابن داود «عن أبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عما يروون ان الله خلق آدم على صورته فقال: هي صورة محدثه مخلوقة اصطفاه الله واختارها على سائر الصور المختلفة فاضافها الى

١- العير «النسخة البديل».

٢- يعني الارواح متغايرة من كل وجه.

٣- الاعراف ١٧٢.

نفسه كما اضاف الكعبة الى نفسه والروح الى نفسه فقال: بيتي، قال: ونفخت فيه من روحي^١».

الشرح

هذا الحديث ممّا لا خلاف في كونه مروياً عن النبي صلى الله عليه وآله، وروى على صورة الرحمن ايضاً، والغرض من قوله: هي صورة محدثة مخلوقة ان لا يتوهم احد ان لله صورة كصورة الانسان، وأنه ليس كمثل شيء، او يكون للانسان صورة غير محدثة على صورة ربه، فزاح هذا الوهم.

ويجب ان تعلم ان الصورة — كما مرّ في كتاب العقل — اسم مشترك بين معان كثيرة، فقد يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها وهي الصورة المحسوسة، وقد يطلق على ترتيب المعاني التي ليست بمحسوسة، فان للمعاني ترتيب وتركيب ايضاً وتناسب. فيقال صورة هذه المسألة كذا وصورة الواقعة كذا، وقد يطلق لغير هذين المعنيين فيقال للوجود الخارجي لشيء: صورته في الخارج، ويقال للماهية العقلية: لها صورة في العقل ويقال لتمام الشيء في ذاته أو في عرضه: صورته، فالنطق مثلاً صورة الانسان والبياض صورة الجسم الابيض، ويقال لمقوم المادة نوعاً: صورتها، ويقال للوجود المجرد عن المادة: انه صورة بلا مادة، فالمراد بالصورة ههنا المعنى الثاني وهي النسبة المعنوية والترتيب العقلي.

واعلم ايضاً ان الله منزّه عن المثل في الذات وعن الشبه في الصفات، ولكن لا يستحيل في حقّه المثل وهو المضاهاة في الاضافات والسلوب لانها خارجة عن ذاته، فالله منزّه عن المثل لا عن المثل ولهذا قال: والله المثل الاعلى^٢، ولولا بين نفس الادمية والرّب من المضاهاة لم يجب من معرفتها معرفته ولم يقل أمير المؤمنين عليه السلام: من عرف نفسه فقد عرف ربه، فالنفس مناسبة ومضاهاة مع بارئها في الذات والصفات والافعال.

اما الذات: فالنفس مجردة عن المكان والحيز والجهة والجسم، فليست بجسم ولا بعرض ولا بمتحيز في جهة ولا بقابل للاشارة الحسية ولا ايضاً متصلة بهذا العالم والبدن ولا

١- الحجر ٢٩.

٢- النحل ٦٠.

منفصل^١ ولا داخله في العالم ولا خارجة وهذا كله من صفات التقديسية لذاته تعالى. واما الصفات : فقد خلقها الله موجوداً حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً متكلماً، اما في هذه النشأة البدنية : فبالالات الجسمانية، فيتكلم باللسان ويصبر ويسمع بالجارتين العين والاذن ويقدر بالاعصاب والعضلات، اذ هذا غاية ما يمكن لها من المضاهاة في هذه النشأة. واما النشأة الباطنة : فكلها حاصلة لها في ذاتها من غير حاجة لها الى الة مباينة لذاتها، الا ترى انها في المنام، وهو جزء من اجزاء الاخرة، ترى وتسمع وتتكلم وتقدر بذاتها لا بالة؟ واما الافعال : فقد ذكرنا في الكتاب الاول ان لافعال الانسان كما لافعال الله عند صدورها منه وبروزها من مكان غيبها الى مظاهر شهادتها اربع مراتب : لكونها اولاً في ممكن روحه الذي هو غيب غيوبه في غاية الخفاء كانه غير مشعور بها، ثم تنزل الى حيز قلبه عند استحضرها واطارها بالبال كلية، ثم تنزل الى مخزن خياله مشخصة جزئية، ثم يتحرك اعضائه بحركة الاعصاب والاوراق والعضلات عند ارادة اظهارها فيفعل في الخارج ما كان يقدره اولاً.

فكذلك الحال في الافعال الالهية التي تحدث في عالم الكون، اذ المرتبة الاولى بمثابة القضاء الالهى والمرتبة الثانية بمثابة صورة اللوح المحفوظ، والثالثة بمثابة الصورة القدر الرباني ولوح المحسوس والاثبات والنفس المنطبعة السماوية، والرابعة بمثابة الصورة الحاتة في المواد العنصرية، ولا شك في ان النزول الاول لا يكون الا بارادة كلية والنزول الثاني بارادة جزئية تنضم^٣ الى الارادة الاولى الكلية فتتخصص وتصير جزئية، فينبعث بحسب ملائمتها ومنافرتها رأي جزئي يستلزم ارادة جازمة داعية الى اظهار ذي الصورة في الخارج، فيظهر الفعل في الخارج بحركة الاعصاب والاعضاء التي بمثابة حركة السماء.

وكما ان سلطان الروح الذي هو العقل والادراك لا يظهر اولاً في الدماغ، فكذلك سلطان الروح الاعظم الذي هو روح العالم لا يظهر في العرش، وكما ان مظهر الاول فينا هو الروح البخاري المنبعث من القلب الذي هو منبع الحياة، فكذا المظهر الاول لافعال الله هو

١- منفصلة - م - د .

٢- صورة - م - د .

٣- لا كاتضمام شيء الى شيء بل كاتضمام ظل وفيء، اذ الكلية هي الحقيقة والجزئية يتبعها بضرب

من التبعية . فاستبصر (نوري) .

الكرسي ، ثم السموات التي كالأعضاء البسيطة فينا ، وروح الفلك اعني نفسه المنطبعة بمثابة الروح الحيوانية فينا ، ووجود الحادث في عالم الارض كوجود الفعل الارادي منا كالكتابة ونحوها في مادته الخارجة كالقرطاس ونحوه .

وقال الغزالي في بعض رسائله^١ : مبدأ فعل الادمي ارادة يظهر اثرها في القلب أولاً فيسري منه اثر بواسطة الروح الحيواني الذي هو بخار لطيف منبعث من تجويف القلب ، يتصاعد الى الدماغ ، ثم يسري منه اثر الى الاعصاب الخارجة من الدماغ ومن الاعصاب الى الاوتار والرباطات المتعلقة بالعضل ، فينجذب^٢ الاوتار فيتحرك به الاصبع فيتحرك بالاصابع القلم وبالقلم المداد مثلاً فيحدث منه صورة ما تريد كتابته على وجه القرطاس على وفق ما يتصور في خزانة التخيل ، فانه ما لم يتصور صورة المكتوب في الخيال أولاً لا يمكن احداثه على البياض ثانياً .

ومن استقرأ أفعال الله وكيفية احداثه للحيوان^٣ والنبات على الارض بواسطة تحريك السموات والكواكب — وذلك بصناعة الملائكة في تحريك السموات — علم ان تصرف الادمي في عالمه ، اعني بدنه يشبه تصرف الخالق في العالم الاكبر وهو مثله ، وانكشف له ان نسبة شكل القلب الى تصرفه نسبة العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي^٤ ، وان الحواس^٥ كاملائكة الذين يطيعون الله طبعاً ولا يستطيعون لامره خلافاً ولا عصياناً ، والاعصاب والاعضاء كالسموات والقدرة في الاصبع كالطبيعة المسخرة المركوزة في الاجساد^٦ ، والقلم والقرطاس والمداد^٧ كالعناصر التي هي امهات المركبات في قبول الجمع والتركيب والتفرقة ، وخزانة التخيل كاللوح المحفوظ .

١ — هذه الرسالة هي معارج القدس في مدارج معرفة النفس .

٢ — بخار لطيف في تجويف القلب الى الدماغ «معارج» .

٣ — فينجذب به «معارج» .

٤ — الحيوان «معارج» .

٥ — ونسبة القلب الى الدماغ نسبة العرش الى الكرسي «معارج» .

٦ — الحواس له «معارج» .

٧ — الاجسام «معارج» .

٨ — والمواد «معارج» .

فهما اطلع احد بالحقيقة على هذه الموازنة عرف معنى قوله صلى الله عليه وآله : ان الله خلق آدم على صورته، ولكن معرفة ترتيب افعال الله تعالى غامضة تحتاج الى تحصيل علوم كثيرة.

وقال ايضاً : فلولا ان الله تعالى جمع في الادمي ما هو مثال جملة العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من العالم وكأنه رب في عالمه متصرف فيه، لما عرف العالم والتصرف والربوبية والفعل والقدرة وسائر الصفات الالهية، ولولا هذه المضاهاة لم يقدر الانسان على الترقى من معرفة نفسه الى معرفة ربه، فصارت النفس بمضاهاتها وموازنتها مرآة الى معرفة خالق النفس.

فاذن نقول : المراد بالصورة في قوله صلى الله عليه وآله : ان الله خلق آدم على صورته، صورة نسبة ذات الله تعالى الى مجموع العالم وترتيبه ونظامه ووقوع كل جزء من اجزائه على نسبة خاصة اليه تعالى، وكون بعضها بواسطة بعض وقرب بعضها منه تعالى وبعده البعض، ولا شك ان نسبته تعالى الى العالم أفضل النسب وأشرفها ولذلك قال عليه السلام : اصطفاه الله واختارها على سائر الصور المختلفة، اي على سائر النسب التي يكون في العالم، فان هذه النسبة تكون بين أمور مترتبة بالذات ترتيباً يرتقي بها الكثرة الى وحدة ويصير بها الكثير واحداً، فاضافها لشرفها وفضيلتها على غيرها الى نفسه كما أضاف الكعبة الى نفسه في قوله تعالى : طهراً بيتي للطائفين^١، لانه أول بيت وضع للناس، وأضاف الروح الى نفسه في قوله : فاذا سويته ونفخت فيه من روحي^٢، لأن الروح أشرف ممكن وافضل مخلوق واكرم جوهر في العالم.

الى هنا ينتهي الجزء الاول من شرح كتاب التوحيد ويليهِ الجزء الثاني ان شاء الله واوله :

باب جوامع التوحيد

١ - البقرة ١٢٥ .

٢ - الحجر ٢٩ .

ص ٥ س ١ قوله : باب حدوث العالم . الحدوث هو الوجود بعد العدم سرمدية كانت البعدية او غير سرمدية ، دهرية كانت او غيرها ، زمانية كانت او غيرها ، والحادث السرمدى ، هو الصنع وغير السرمدى هو المصنوع ، والدهرى من المصنوع ينقسم الى اركان وانوار اربعة : النور الابيض ثم الاصفر ثم الاخضر ثم الاحمر ، وهى اركان العرش ، والزمانى منه علوى بتفاوت طبقاته المترتبة ، وسفلى باختلاف انواعه المتكثرة ، واما السرمدى منه فهو برزخ بين القدم والحدوث والوجوب والامكان والنور والظلمة ، هذان المتقابلان ، اى القدم والحدوثان والوجوب والامكان وضع مخروطاً هما وضعاً الهيأ على التعاكس كما تقرر في محله .
(نورى)

ص ٧ س ١١ بل الافتقار حسبما حقق في موقعه مقوم ذات المفتقر بالذات فيستمر مفتقراً كما ان الغنى مقوم ذات الغنى بالذات فيستمر غنياً ، والا انقلب كل الى خلافه وهو خلف ، فثبت .

(نورى)

ص ٧ س ٢١ اشارة منه رفع مقامه الى النحو الافاضة والابداع متسرمد بتسرمدته تعالى ومن قبله ، والعالم الخلقى والمصنوع الامكانى حادث زمانى آب من قبل ذاته عن التسرمد والوجود الدائمى ، وما نسب الى الاقدمين من القول بالقدم خلط في المقام لعدم درك حق المرام ، وكلامهم مرموز وانما عنوا من القدم قدم الابداع والصنع وتسرمد عوالم الامر وهو قوله : كن ، لا قدم المصنوع والمخلوق ، مع ان الابداع ايضاً يتسرمد بتسرمدته تعالى وليس له وجود واستمرار وقرار بالانفراد ، بل هو موجود بوجوده وباق ببقائه تعالى ، فاستبصر .

(نورى)

ص ٨ س ١١ اعلم ان التغير والتجدد على ضربين : ضرب منه مطلق وضرب آخر متعين وهما متحدان بضرب من الاتحاد كاتحاد الطبيعى من الاتصال الجسمى والتعليمى منه ، والمطلق بمنزلة والمتعين منزلته من المطلق منزلة الجسد من الروح والروح باق والجسد فان ، والروح هنا يسمى بالدهر والجسد بالزمان ومنزلة الفلك من الملك : نزلة الجسد من الروح ، فالملك دهرى والفلك زمانى ، قوله : كدوام الفلك من الملك تمثيل للزمان ، وقوله : وبقاء الملك بالملكوت تمثيل للدهر ، وبقاء الملكوت الكلى المقدس عن مطلق التغير هو السرمد الذى يكون مجمع الازل والابد .

(نورى)

ص ٨ س ١٥ كل جسم جسد ولكل جسد روح ، والروح له انواع واصناف واشخاص كالجسد ، والارواح منها ملكوتية نورانية كالفلكية ومنها ابليسية ظلمانية كالفرعونية وبينهما برازخ لا تحصى ، وكل جسد زمانى دائر زائل ، والارواح الدهرية ولاسيما الفلكية باقية بضرب من البقاء بتبعية الملكوت الاعلى والملكوت متسرمد بالتسرمد الاضافى الفعلى وهو التسرمد الثانى ، والحق الحقيقى جل جلاله متسرمد بالتسرمد الحقيقى الذاتى وهو التسرمد الاول ، وكل منهما مجمع الابد والازل ، وهو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وشرح المقام طويل والتحرير قصير لا يفى بوجوه الكلام فى المقام الا للناقد البصير .

(نورى)

ص ١٣ س ١٩ خلاصة الوجه فى الوجه التوضيحي والدليل التأكيدى الذى قرره فى هذه الاجرام ومحصله هو محصل ما قرره فى وجه كون الشمس والقمر ومكانيهما دائما ، فكل منهما مما له حكم مخصوص وحد محدود ويجرى فيه من الوجه اللمى الوجه الذى ذكر فى ذلك الوجه ، فاستبصر واعتبر فانه طريق مستمر ويجرى مستقر .

(نورى)

ص ۱۵ س ۱۴ ای شاء ماسواه بما هو ماسواه، فان الموجود الامکانی له اعتباران : اعتبار اضافته الی نفسه وذاته، واعتبار اضافته وارتباطه بعلته تعالی عن الشریک فی الافاضة، فبالاعتبار الاول لیس له رتبة الافاضة، بل شأنه الاستفاضة والاعداد والتھیئة للمواد بوجه، وبالاعتبار الثانی یرجع شأنه الی شأن علته، وفاعلیته مرتبة من مراتب جوده، فالعبد قابل وفاعل ولكن فاعلیته بحوله وقوته ولپس له استقلال فی فاعلیته، وهذا هو امرین ومنزه عن کل عیب وشین، فاستبصروا .

(نوری)

ص ۱۷ س ۲ وفی انفسکم افلا تبصرون؟ حیث اظهر کل واحد من کل متقابلین فیک حتی یظهر استواء قدرته وینکشف عجزک عند اعتبارک، فاعتبر حتی یظهر ظهوره فیک، حاضر غیر محدود، غائب غیر مفقود، موصوف لایری، موجود لایخفی، الحق ظاهر ماغاب قط .

(نوری)

ص ۱۷ س ۹
گویم من وهرکه هست در فن ماهر
مقهور بود کثرت و وحدت قاهر
در مجمع وحدت است کثرت مضمیر

در مظهر کثرت است وحدت ظاهر

(نوری)

ص ۱۹ س ۷ قال بعض ارباب الکمال :
خنفسا ومگس همارقبان
همه باجان ومهرومه بی جان؟

(نوری)

ص ١٩ س ١١ قال على عليه السلام في بعض خطبه البالغة في الحكمة: كل معروف بنفسه مصنوع. صدق ولى الله روحى له الفداء وعليه صلوات الله تعالى .
(نورى)

ص ٢١ س ١٩ معرف لعظم ظهوره علماً ، فانبهت العقول كشفاً وحضوراً ، فنعلم شمول نوره وعموم ظهوره ، اذعاناً وتصديقاً ولا نعلم شهوداً عينياً ، فاحتجب العين بالعلم وانبهر وانقهر العلم بالعين ولا بينونة بوجه في البين ، فان العلم مستهلك في العين وهو بوجه عين العين ، والعين نور العين للعلم فلا بينونة في عين البينونة ، تثبت فيه .
(نورى)

ص ٢١ س ٢٦ واعلم ان للاشياء اعتباران: اعتبار انها مظاهره ومراياها ، واعتبار انها شئونه واطواره وتجلياته وظهوراته ، يامن تجلى بفعله لخلقها واحتجب عن خلقه بفعله ، والسرفيه جهتا الخلق والامر واعلم ان الفعل هو الامر ومظهره الخلق .
(نورى)

ص ٢١ س ٢٦ هو الاول والآخر والباطن والظاهر:
توديده ندارى كه ببينى اورا

ورنه همه اوست ديده اى مى بايد
اينما تولوا فثم وجه الله ، حاضر غير محدود ، غائب غير مفقود ، موصوف لا يرى ، موجود لا يخفى ، يامن خفى من فرط ظهوره ، والسرفيه : ان قوة البصر بل البصيرة محدود وظهوره غير محدود ، والمدرك والادراك والمدرك يجب ان يكون الثلاثة من سنخ واحد وطبع فارد لاجتماعها واتحادها في الوجود ، المتقابلان لا يجتمعان ومنهما المحدود وما ليس بمحدود ، فاعتبر واستبصر .

(نورى)

ص ٢٢ س ١٤ وهو الشئ بحقيقة الشئية .

(نورى)

ص ٢٢ س ١٩ بل من حيث هو مظهر الاولوية ومراة الربوبية ، فافهم .
(نورى)

ص ٢٢ س ١٩ العبودية جوهره كنهها الربوبية .
(نورى)

ص ٢٢ س ٢٠ قال صلى الله عليه وآله : لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وقوله صلى الله عليه وآله : نبي مرسل ، نكرة في سياق النفي فلا يسعه نفسه ليصير في ذلك الوقت ، فإشار الى خفاء نفسه عن نظر نفسه فضلا عن خفاء غيره عن نظر بصيرته البالغة الى درجة لا يتصور فوقها ، كما قال تعالى : فكان قاب قوسين او ادنى .
(نورى)

ص ٢٣ س ٤ وهو معكم اينما كنتم يا اقرب من كل قريب ، يامن دنى وعلا .
(نورى)

ص ٣٣ س ٣ قوله : وينفرد بالتدبير: فان التفرد بالكمال كمال ، والتفرد بالتدبير يستلزم التفرد بالكمال ، فان التدبير لا يتصور الا بالعلم والقدرة ، فاذا لم يكن الشئ مستقلا بالتدبير فلم يكن كاملا فيهما والا لم يتصور المشارك في التأثير .
(نورى)

ص ٣٢ س ٣ لا يبعد كل البعد ان يحمل الفرجة في المقام كما هو مقتضى ظاهر الكلام على الجزء المشترك الذى يعبر عنه بالحقيقة المطلقة والحد المشترك ههنا انما هو الحثية الحقيقية المشتركة والطبيعية الوجوبية المطلقة القديمة التى يجب ان يكون مشتركة بين دينك الاثنين القديمين ولا يمكن ان يكون تلك الطبيعة المشتركة القديمة منزلتها من دينك

الخصوصيتين منزلة الطبيعة الجنسية من الطبيعة الفصلية كما يظهر من لام الشارح قدس سره، بل يجب ان يكون طبيعة محصلة حقيقية، اذ الوجوب المطلق الذي هو محقق الحقايق ومشئ الأشياء لا يتصور ان يكون طبيعة مبهمة غير محصلة في حد نفسها، بل هو الشئ بحقيقة الشيئية، وعند هذا يظهر سر لزوم القديم الثالث بمجرد فر (كذا) من القديمين ويلزم من وجود الثلاثة وجود الاربعة وهكذا الى غير النهاية، لكن لا يلائم هذا الحمل لزوم الخمسة بخصوصها من الثلاثة، فالحمل المناسب للكلام هو الذي افاده الشارح في المقام ولكنه صعب المنال لورود الاشكال على ظاهر الحال وهو صعب الانحلال كما يظهر على من تدبر.

(نورى)

ص ٣٣ س ١١ يعنى ان هذا وامثاله لا يتصور الا من مجرد الجهات الفاعلية والاهتزازات العلوية من دون المسبوقية بالاستعدادات والمخصصات الامكانية والاعدادات المادية، ومن هنا قيل:

داد حق را قابليت شرط نيست بلکه شرط قابليت داد اوست
فاستبصر.

(نورى)

ص ٣٣ س ١٣ قوله: ومبادئ الامور، يعنى ان المعطى للشئ لا يفقده ويجب ان يوجد الغايات في المبادئ تنزل وترقى الى الغايات، فالمبدأ في قوس النزول يرجع الى نفسه بطريق الصعود، الا الى الله تصير الامور، واليه يرجع الامر كله، كل شئ يرجع الى اصله.

(نورى)

ص ٣٧ س ٥ اعلم ان شكل العالم الكلى كروى، فعند تعدد العوالم يلزم الخلاء، اما الاول فلان المركبات فسبقها البسائط العنصرية والبسائط العنصرية تحتاج في صيرورتها مركبات الى تصرفات الاجرام الابداعية الكلية وتحريكاتها اياها وتحديداتها جهات الحركات العنصرية باحاطتها اياها وتديرها لها وتأديتها اياها الى غاياتها

الكلية والجرمية بالحركات الدورية الدائمة المختلفة جهة وقدراً وتصرفاتها وتصريفاتها المستمرة فيجب ان يكون العلويات محيطة بالسفليات مدبرة لها محركة اياها الى الغايات ، والمحيط العلوى لا يكون الا كرويا ، وكل كرة خارجة عن الاخرى لا يمارسها الا بنقطة ما ، فيلزم الخلاء بينهما سواء كانتا متماثلين او متخالفين وهذا ظاهر .

(نورى)

ص ٣٧ س ١٢ وايضا قبل العروض واللاحق كان واحداً ، فيستند الى إله واحد ، فاستبصروا .

(نورى)

ص ٣٧ س ٣ والسرفيه هو استيفاء الطبيعة في استكمالاتها الذاتية ، كل حق وحقيقة يمكن ان يتصور ويتحقق بها في طريقة سلوكها الى الغاية الجمعية ، اذ الطبيعة مالم يستوف كل حق من الحقوق الجهادية لم يتصور دخولها في ادنى درجة نباتية وهكذا من النباتية الى الحيوانية ومن الحيوانية الى الحيوانية الى الحيوانية الانسانية ثم الى ماشاء الله ، ومن هنا يظهر سر كون الانسان الكامل الختمى غاية في النظام الكلى الاعلى وجامعاً للحقائق العالمية كلها لا يعزب عنه مثقال ذرة لافى الارض ولا فى السماء .

(نورى)

ص ٣٧ س ٢٢ اقول : لما لم يمكن تعدد الطبيعة الواحدة المحصلة الا بالمادة فيلزم تجسم كل من القديمين المتفقين من وجه ولزوم الفرجة بين الجسمين ضرورى وفك الفرجة ايضاً جسم لضرورة استحالة الخلاء ، فيلزم وجود اجسام ثلاثة ويلزم من وجود الثلاثة وجود الخمسة وهكذا هذا .

(نورى)

ص ٤١ س ٣ المراد بالمخالفة بينونة صفة لا بينونة عزلة ، توحيده تميزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة ، بان عن الاشياء بالقهر لها وبانت الاشياء عنه

بالخضوع له ، والحاصل ان الاشياء مفتقرة الذوات فاقرات في انفسها اليه وهو الغنى المطلق ،
 ي من جميع الجهات ، والغنى انما هو عدم الاحتياج ، ولا بينونة اتم واكمل من بينونة
 التناقش ، والله الغنى وانتم الفقراء ، تبصر .
 (نورى)

ص ٤٠ س ٢٠ هذا الاقتضاء انما هو الاقتضاء الاستدعائى لا الايجابى الايجادى ،
 وكان مايفيد في المقام هو الثانى ، اللهم بنوع من الاعتبار ، فاعتبروا .
 (نورى)

ص ٤٠ س ١٣ اعلم ان سر هذا البرهان الذى ذكره لاينكشف الا بان يقال : ان
 المراد من المصنوع ههنا هو الصنع الذى في لسان القرآن وهو الفيض المقدس والصادر الاول
 الفائض عن الذات اولا وهو نور الابداع المطلق والحق الذى يخلق به الاشياء والمشية التى
 خلقت بنفسها وخلق الاشياء بها ، والمراد من الصانع الاسم الجامع الفعلى امام الائمة
 الاسماء الفعلية كالرحمن الذى اشتق من الرحمة الواسعة التى وسعت كل شىء وكالاسم
 المحيط وماساواهما في الكلية والشمول ، وكما ان الرحمن اشتق من تلك الرحمة الواسعة ،
 فكذلك اسم الصانع المطلق يكون مشتقا من الصنع المطلق والحق الاضافى الذى خلق به
 الاشياء كلها ، والمشتق معلول والمشتق منه علة ، فالاستدلال من المصنوع بهذا الوجه اللطيف
 على كون الذات صانعا استدلال من العلة حقيقة على المعلول ، والاشتقاق الذى اوأنا اليه
 انما هو ههنا بالمعنى الخاص الذى اصطلح عليه اهل العلم خاصة ، فافهم ان شاء الله تعالى .
 (نورى)

ص ٤٠ س ١٥ هذا بظاهره ليس بشىء لاشترك الوجه كما لا يخفى وجريانه في
 الطرق الاخرى التى ذكرها ولاسيما طريقى الحركة والحدوث والحق الذى لاياتيه الباطل
 من بين يديه ولا من خلفه هو ان السر في الافتراق ان الحركة والحدوث وماضاهاهما يرجعان
 الى تعيينات الاشياء ويكونان من ذاتيات المتحركات بما هى متحركات والحادثات بما هى
 حادثات والتعيينات الذاتية لاتعلل ، لا بالذات بل بالعرض بخلاف الفعل بما هو فعل والبناء

بما هو بناء ، فانه يجيء من قبل الجاعل الفاعل البانى ، تطف فانه مع وضوحه دقيق غامض قل من يصل اليه وما اظهرت الا للاهله .

(نورى)

ص ٤٢ س ٢٠ في قوله : اعلم ، الى قوله : يعتبرها العقل لكل شىء ، تأمل كامل ، فان مصداق حمل مفهوم واحد ومطابق صدقه بالذات وبالجملة مامنه الحكاية بذلك المعنى مع قطع النظر عن اية حيثية واية جهة اخرى كانت لا يمكن ان يكون حقايق متخالفة الذوات متباينة المعانى غير مشترك في ذاته اصلا ولا يمكن ان يحكم على الامور المتخالفة من حيث كونها متخالفة بلا جهة جامعة فيها اصلا بحكم واحد كما صرح به قدس سره في جواب شبهة ابن كمونة المعروفة في الاسفار ، والسرفيه هو ما اشار اليه عليه السلام بقوله : وهو الشىء بحقيقية الشئية ، وانه شىء بحقيقة الشئية كما سبق ، ودرك حقيقة هذه الاشارة كما هي مشكل جداً وقل من وصل اليه ولا يتيسر الايماء إليها الا بما قرره وحققه قدس سره وحقيقة لوجود ونور سريانها في الاشياء ويعبر عنه طائفة بالوحدة في الكثرة .

(نورى)

ص ٤٢ س ٢٢ : ينافى ما اختاره قدس سره من اصالة الوجود ، ولا يتوهم ان ما ذكره ههنا هو بعينه مانقله من الاسفار ، والشيخ السهروردى في بيان اعتبارية الوجود وسائر الطبايع المتكررة كالوحدة والشئية وامثالهما .

(نورى)

ص ٤٢ س ٢٣ فيه سر عجيب ومحصله امتناع ان يقع في الوجود ما هو شىء فقط ، هو سلب نحو خاص من الوجود ولا يلزم منه سلب الوجود عنه رأساً ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٤٣ س ١٥ فيه سر ، فانه كل الاشياء بضرب اعلى وليس شىء منها ، لما كان كله الوجود فهو كل الوجود ، لا ان الكل منه له بعض ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٤٤ س ٤ فصحة الحمل مصحاح للحكم وانتفاء الصناعى يوجب امتناعه ،
فحينئذ يصير المفهوم الة لسريان الحكم وجريانه على ما يعبر عنه بذلك المفهوم ، فافهم .

(نورى)

ص ٤٤ س ١٠ يامن احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه ، يامن خفى لفرط ظهوره
حاضر غير محدود غائب غير مفقود موجود غير فقيد وهو على كل شى^٢ شهيد .

(نورى)

ص ٤٤ س ١٢ بل ادراك العجز عن الادراك ادراك .

(نورى)

ص ٤٦ س ١٤ وهى الرشحات والحقيقة بون لا يتصور بون اتم منه اذ هذه البيئونة
بيئونة صفة لبيئونة عزلة ومحصلها يرجع الى الغناء الصرف والاحتياج البحث ، فظهر ظهوراً
تاماً ان لا اشتراك بينه تعالى وبين خلقه الا فى المعانى الاعتبارية التى لاحظ لها فى العينية
والخارجية وان كان مناط اعتباره حقيقة واحدة وحيثية فاردة مختلفة بالكمال والنقص
والغنى والحاجة ، تلتف فان فيه سر وجه الجمع بين الحقوق كلها ، فافهم .

(نورى)

ص ٤٧ س ٥ قوله عليه السلام : وكلما وقع ، توحيد فى الوجوب الذاتى ، وقوله :
خالق كل شى^٢ ، توحيد فى الالهوية ويقاله التوحيد الفعلى وتوحيد الافعال كما قد يقال
الاول التوحيد العامى وقوله تبارك وتعالى : ليس كمثله شىء ، توحيد فى الوجود والذات بل
فى الصفات كما بينه الشارح العارف قدس سره ، وقوله عليه السلام : ان الله خلق .. الى
آخره ، فيه سر الدلالات على التوحيديات ظاهرها وباطنها عاميها وخاصيها وكشف السرهو
ان المراد منه اثبات بيئونة الصفة وسلب بيئونة العزلة ، توحيدته تميزه عن خلقه وحكم التميز

بينونة صفة لا بينونة عزلة ، بان عن الاشياء بالقهر لها وبانت الاشياء عنه بالخضوع له ، كما ذلك دليل على التوحيد الذاتي وهو مجمع التوحيديات كلها ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٤٧ س ٦ قوله عليه السلام : خالق كل شيء ، بصيغة العموم ، اى خالق كل شىء من الاشياء ، وهو تعالى ليس بشىء من الاشياء بان يكون واحد منها ومن احادها ، وان كان كل الاشياء على وجه ارفع واعلى ، فاستبصروا .

(نورى)

ص ٤٨ س ١٥ بسيط الحقيقة كل الاشياء بضرب اعلى وليس بشىء منها ، فانكشف له الاجمال فى عين التفصيل ، الاجمال فى الوجود والتفصيل فى الثبوت ، فالكثرة الثبوتية بعد الوحدة الوجودية ، وهو الكل فى وحدة ، وهذا خلاصة ما افاده الشارح العارف قدس سره ، ولا يتصور الكشف التفصيلي اشد واكمل من التفصيل فى عين الاجمال وهو العلم بتفاصيل الاشياء على وجه الكمال ، ومنه ينكشف سر قولهم عليهم السلام : انه تعالى عالم لا معلوم ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٤٩ س ٢٢ قوله : فافهم ، فيه ايماء الى الجميع بين السلب والايجاب وهذا الباب وهو كون الماهيات مجعولة ولا مجعولة ، لا مجعولة بالذات والحقيقة ومجعولة بالعرض وبضرب من المجاز ، والمجاز فى عرف علماء الحقيقة حقيقة بالحقيقية بحسب عرف علماء المجاز ، فالماهيات الكلية والاعيان الثابتة مجعولة ومخلوقة حقيقة وليست بمخلوقة ولا مجعولة حقيقة ، وهو الجمع بين الحقين الحسنة [و] بين السيئتين ، وخير الامور اوسطها ، فافهم ان شاء الله تعالى .

(نورى)

ص ٥١ س ٢١ محصل الكلام فى المقام : ان الاسماء اللفظية اسماء الاسماء ،

ومعانيها ومفهوماتها التي دلت عليها تلك الاسماء اللفظية تكون اسماء لذاته تعالى ، فالذات يعبر عنها بالمعاني ، والمعاني يعبر عنا بتلك الالفاظ ، وليس ذاته سبحانه عين شئ من الاسماء ولا اسماء الاسماء ، فباللفظ اشير الى المعنى وبالمعنى اشير الى الذات ، فالذات يتجلى لنا بالمعاني وظهور المعاني ظهور الذات لنا بالاسماء بما هي اسماء بما هي شئ من الاشياء ، فلكل اسم من اسمائه الحسنى وجه به يواجه الحق ويحكى عنه ، ووجه به يواجه نفسه ويحكى عنه نفسه ، وهو اسم له تعالى بما هو يحكى عنه سبحانه ، وحكاية الشئ هو الشئ بوجه الحكاية ، فافهم واغتنم .

(نورى)

ص ٥٤ س ٣ قوله عليه السلام : اذ كان الى قوله : فلم يكن ، لما جمع عليه السلام في الدعوى بين الحقين الاثبات والسلب حيث اشار الى الاثبات بقوله : لانا لانكلف غير موهوم ، والى السلب والتنزيه بقوله : لكننا الى قوله : فهو مخلوق ، فجمع بين الدليلين بقوله : اذ كان الى قوله : فلم يكن بدو قوله : فلم يكن بد الى قوله : وجودها ، يكون تفرعاً للنتيجتين على الداليتين على ترتيب اللف ، والوجه في الدلالة هو كونه تعالى خارجاً عن الحدين : حد الابطال وحد التشبيه فتأمل جداً ، ولعل هذا الوجه اوفق والطف مما ذكره الشارح العارف قدس سره ، ولكنه قدس سره اعرف .

(نورى)

ص ٥٩ س ٢٣ بان يكون المراد من المخلوق اعم من ان يكون من عالم الامراو الخلق ، واما اذا جعلت الصلة كاشفة فلا بد من ان يراد من المخلوق مايقابل عالم الامر كما اشار اليه بقوله : في هذا العالم ، فافهم .

(نورى)

ص ٦٠ س ٢١ لعله قول ابى عبدالله ، فان مشاق هذا الكلام القمقام يدل على انه صدر من معدن الحكمة ومنبع العصمة ، ومفاده لا يتصور من افادة الصدوق رحمه الله وامثاله ، ولهذا حمله الشارح على ما حمله ، فاعتبروا يا اولى الابصار .

(نورى)

ص ٦١ س ٢ نص التوحيد الالوهى المعروف بتوحيد الافعال ، اى لا مؤثر فى الوجود الا الله تعالى عن الشريك فى الافعال والصفات والذات .

(نورى)

ص ٦٣ س ١١ قوله : او استعداد قابل ... الى آخره ، هذا لا ينافى ما تقرر عندهم ان النفس حادثة بحدوث البدن ، فان النفس بما هى [نفس] متعلقة بالبدن متحدة به كاتحاد الصورة بالمادة ، ومن هذه الجهة وبهذا الاعتبار ليست روحاً مجردة ونوراً بل ظلمة ، ومن حيث تجردها ونورانيتها وروحانيتها ليست حادثة بالذات بل حادثة بالعرض وبتبعية البدن ، فرجع حدوثها حسبما اظهرنا الى حدوث البدن ، ولا يلزم منه ان يكون قديماً لمكان الحدوث الدهرى ، فتفظن .

(نورى)

ص ٦٣ س ٢١ فانه عرفه بانه لا شبه له ولا شريك ولا نظير ولا شبيه بوجه من الوجوه ، واذا عرفه كذلك فقد عرفه بالوحدانية فى جميع الجهات والتفرد فى جميع الحثيات التى يرجع الى احوال الموجود بما هو موجود ومرجعه ومحصله هو انه سبحانه ليس كمثله شئ ، لانه الشئ بحقيقة الشيئية لا غيره ، وكل شئ سواه فهو شئ بالحقيقة بل بوجه الكاية وبضرب من التبعية ، فهو الظاهر بالحقيقة ، فلا يتصور عرفانه الا به ، اذ به يظهر كل شئ كما ان به يوجد كل شئ ويحكى عنه كل ظل وفيئ ، فالعلم بانه لا شبه له عبارة عن تجليه لنا بالوحدانية والتفرد فى الالوهية والربانية ، فافهم .

(نورى)

ص ٦٤ س ١٨ فلما تجلى فى صور الاشياء انكشف له انه لا يشبه شيئاً منها ، فان وجود المرايا ليس بوجود ما يترآى فيها ولا تشابه بينهما ولا مشابهة اصلا ، فافهم ان كنت لذلك اهلا وكان عليك سهلا .

ص ٦٤ س ٢١ حيث التزموا طائفة منهم الاشتراك اللفظي وطائفة اخرى ذهبوا الى القول بالنيابة في صفاته الحقيقية وكلاهما قائلان الى التعطيل، تعالى عنه ربنا الجليل، تبصر.

(نورى)

ص ٦٥ س ١ العمدة ههنا هو الجمع بين الاشتراك معنى ونفى الاشتراك رأساً، اذ الشئ^٢ والوجود والموجود ونظائر هذه المعانى مشتركة معنى، واقتضاء بينونة الحكم والصفة انما هو نفى المشاركة رأساً كما اظهرنا، وللإشارة الى وجه هذا الجمع صدر عن معادن الحكمة والعصمة مابه ينحل هذه العقدة حيث قالوا في جواب من قال: فما هو شئ^٢ بخلاف الاشياء: ارجع بقولى، الى اثبات معنى وانه شئ^٢ بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم ولا صورة... الحديث، ودرك حق حقيقة هذا الجمع مشكل جداً ولا يناله حق مناله الا من له حظ وافر في الحكمة النضيحة.

(نورى)

ص ٦٥ س ٥ جهة القرب نفى بينونة العزلة وجهة البعد اثبات بينونة الصفة نفى بينونة، فان الشئ^٢ بحقيقة الشيئية واثبات بينونة ليس كمثله شئ^٢ خاصة بينونة العزلة الاشتراك فى الحكم والصفة، وخاصة بينونة الصفة نفى الاشتراك والشباهة، قال سبحانه: النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم، والسر فى ذلك هو كون المؤمنين بما هم المؤمنون من اشعة نوره، فان شيعتهم اشعتهم، واشعة النور انما هى ذلك النور ولكن بوجه النزول والحكاية، واصل النور انما هو تلك الاشعة ولكن بوجه الحقيقة والاصالة، وحقيقة الشئ^٢ أقرب واوفى فى ذلك الشيئية من الحكاية فيها، ونعم ما قيل بالفارسية:

دوست نزيكتر از من بمن است
وين عجب تر كه من ازوى دورم
فافهم ان شاء الله تعالى.

(نورى)

ص ٧١ س ٨ قوله عليه السلام عجيب يكشف عنه بوجه قول النبى صلى الله

عليه وآله : التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ، ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى ، يطلب بكل مكان ولم يخل عنه مكان طرفة عين ، غائب غير مفقود حاضر غير محدود ، وبوجه يكشف عنه قوله تعالى : هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، فهو تعالى ظاهر غير محدود في ظهوره بحيث يبهر غيره في الظهور لا يبقى ظهوراً لما سواه ، ولما بلغ في الظهور الى الغاية وغلب وقوى ظهوره الى غير النهاية خفى في الغاية بحيث احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار ، يامن خفى من فرط ظهوره ، يامن احتجب بشعاع نوره .

(نورى)

ص ٧٣ س ١٦ ذلك وان كان كذلك لكن ليس كنه الامر ههنا على ما يتوهمه علماء الرسوم ويتصورونه ، بل الحق فيه ادق والطف من ان ينال باوهام الجمهور ، والاشارة اليه هو ان نسبة المعنى الكلى والمفهوم العقلى الى كنه الحقيقة العينية ربه الحكاية الى المحكى عنه ونسبة الظل الى الشخص والعكس الى الاصل حيث يكون العكس نفس ظهور الاصل لاشيئا استقلاليا يشاكله في الهيئة ويخالفه في الحقيقة ، فافهم ان كنت اهلا .

(نورى)

ص ٧٣ س ١٢ ومن ثم يقال في مثل قولنا : شريك البارى ممتنع : انه حمليه غير بينة ، فانه لا ذات ولا حقيقة لعنوان موضوعه في الواقع الا بالتقدير المحض ، فافهم .

(نورى)

ص ٧٣ س ٢١ والتحقيق في المقام الى ايسر يقتضى مجالا اوسع من مجالى حال التحرير ، فان تشتت الخاطر في البال يوجب الكلال من بسط المقال ، ولكن ما اشير اليه في الحاشية المصدرة بقولنا : الايمان كله عمل ... الى آخره يكفى للنقاد البصير .

(نورى)

ص ٧٣ س ٢٠ الايمان كله عمل ، وعمل كآله ، قل كل يعمل على شاكلته ، والاقرار معتبر في الايمان بمعنى ان العبد اذا صار بشر اشر وجوده وبظواهره وسرائره مؤمناً

يلزمه الاقرار بجميع اجزائه وجوارحه واعضائه ، الظاهر عنوان الباطن ، والباطن اذا قوى في الغاية ظهر واذا ظهر في الغاية بطن ، ففتن ، وهذا الذي او ماناً لا ينافي ما شرحه الشارح قدس الله سره العزيز .

(نورى)

ص ٧٣ س ١٨ وجه عدم التنافي هو عدم اعتبار الاقرار في حقيقة الايمان ، وحقيقة الايمان انما هو العلم والاذعان وعقلا القلب دون الاقرار باللسان والاقرار من اثار تلك الحقيقة ومن آياتها فيمن تحققت تلك الحقيقة بخلاف من لا يؤمن بحقيقة الايمان ولا يتحصل له هذا الاذعان ، ولكنه يقر باللسان نفاقاً ، فان اقراره لا يكون كاشفاً عن الايمان ، فحينئذ يكون الاقرار لازماً على ما لا ينفك الايمان عنه ، فثبت .

(نورى)

ص ٧٤ س ١٣ الهداية على ضربين : عامية يعم جملة المكلفين عامية كانوا ام خاصة ، وخاصة يختص بالخواص ، وبوجه اخريقال : للهداية صورة وسيرة ، صورتها كالعبادة عامة يعم الكل من العامى والخاصى وسيرتها التى لها درجات ومقامات متفاوتة كاللب ولب اللب ولب اللباب ، والبطن و بطن البطن و بطن البطون خاصة مخصوصة بالخاص المطلق المنقسم الى الخاص وخاص الخاص بتفاوت درجات كل منها ، والرسالة كالهداية الصورية عامة عموم التكليف ، والولاية العلوية بما هى ولاية يوجب هداية ربانية وهى التصرف تدريجاً في الباطن بقوة ربانية وقذف ضرب من النور في القلب شيئاً فشيئاً ينشرح به الصدر متدرجاً الى ان ينقلب الى اهله اهل الولاية واصحاب الوراثة مسروراً كما اخبر عن سلمان انه من علماء اهل البيت وانه منا اهل البيت ، ولكن يجب ان يعلم ان البطن لا يتصور الدخول فيه الا من جهة الظهر ، ولا يتيسر حصول السيرة الحققة الا من جهة الصورة العادلة ، وأتوا البيوت من ابوابها ، الظاهر عنوان الباطن ، وتصحيح السيرة لا يمكن الا بتعديل الصورة ، اذا الحركة على قوس الصعود والتقرب الى المعبود لا يعقل الا بهذا الوجه . مشهور است كه حركت طفره برنميدارد . يك من نشده دو من نمى توان شد . فانكشف ان تهذيب السربدون العلى كما زعمته ملاحدة الصوفية والبرهمنية تقول بالكذب

وقول بالفرية والزندقة ، وبالجملة الايمان الحقيقي وحقيقة الايمان نور الايقان ، لا يتحقق الا بطريقة اصحاب الولاية والتأسي بهم عليهم السلام بالنورانية .
(نورى)

ص ٧٤ س ١٥ والغاية المطلوبة من الصغرى بالذات انما هى الكبرى التى ينتج نتيجة التخلق باخلاق الله تعالى بطرح الكونين والرجوع اليه سبحانه بشر اشرف وجوده عن كل ما سواه .

(نورى)

ص ٧٤ س ١٤ ففرق اذن بين اصحاب الولاية واصحاب الرسالة ، واصحاب الولاية هم الذين يجاهدون بالعقل وجنوده مع الجهل وجنوده ويداومون ويطاولون و يواظبون على تلك المجاهدة ماداموا في الدنيا ، ولا يفترون عن المجاهدة ولا يتكاملون عنها يوماً من ايامهم الدنياوية بل ساعة من ساعاتها ، ومن ههنا يسمى تلك المجاهدة بالكبرى ، وظاهر ان الكبرى يشتمل على الصغرى ، واصحاب الرسالة هم الذين يجاهدون بالابدان وجوارح الاعضاء بالات جسمانية وادوات جرمانية مع الاعداء ، اعداء الدنيا المعانين عن انتظام معاشها ، سواء كانت هذه المجاهدة مؤدية بالغة الى انتظام العقبى ام لا .

(نورى)

ص ٧٤ س ١٣ اذ نسبة اصحابه اليه نسبة الظل الى الحقيقة ، لان منزلتهم منه عليه السلام منزلة الملكوت الى الجبروت ، ومنزلة المثال الصورى من الروح الكلى منزلة الخيال من العقل منزلة القالب من الروح كما يكشف عنه احاديث الطينة ، والشيعه من شيع وظل الشئ كذلك بالنسبة الى الشئ ، وتلك المنزلة التى اظهرناها انما هى القلوب الشيعه ، واما ابدانهم العنصرية ، فلها ضرب من البيئونة فى هذه السنخية بضرب من الامتزاج ، فان ابدانهم من دون تلك الطينة ، ولهذا قلوبهم تحن الى التأسي بالاسوة الحسنة وابدانهم تفترو وتكاسل وتنزجر وتكل فى التبعية ، فاعتبر .

(نورى)

ص ٧٤ س ١٣ خارجة عن الحدين : حد الابطال وحد التشبيه الحسنة بين السيئتين ، واهل التعطيل والابطال كالقائلين بالاشترار اللفظى واهل التشبيه كالقائلين بالاشترار المعنوى العامى ، واهل الله وهم اهل الحق هم القائلون بالتشكيك الخاصى وهو الشىء بحقيقة الشيئية ، لانه شىء بخلاف الاشياء ، فهو كل الاشياء وليس بشىء منها ، فافهم ان كنت اهلا لهذا .

(نورى)

ص ٧٧ س ٧ قال الشيخ روزبهان فى الفارسية :
جون نتوانى كه هيچ يادش نكنى بارى آن كن كه دايمش ياد كنى
والسر فيه : ان ذكر الشىء انما يتصور عند غيبته ، لان الحضور مغن عن الذكر ولكن الذكر فى الغيبة تؤدى الى الكشف والحضور وحينئذ اطمن القلب ، تبصر .

(نورى)

ص ٧٧ س ١١ البرهان الحق هو الذى يكون ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره ، وهو الظاهر فى عين البطون لشدة ظهوره ، وهو القاهر فوق عباده ، فافهم .

(نورى)

ص ٧٧ س ١٢ المراد بنحو البرهان هو تجلى الحق على الاعيان والمتجلى يظهر بنفسه على نفسه فى المجالى ، الا ترى الى المرأة حيث يحكى عنك لك ، وانت تجليت فى المرأة عليك لا على المرأة ؟ وانت البرهان على نفسك والواصل الى نفسك بنفسك ، فافهم ان كنت اهلا ، والا فلا تتعب نفسك اصلا .

(نورى)

ص ٧٧ س ١٣ اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ، قل كفى بالله شهيدا ،

شهد الله انه لا اله الا هو، ذوات الاسباب لا يعرف الا باسبابها ، وقد مرّ في الباب الذى عقد في انه لا يعرف الا به مامر، وقد ورد: ان المخلوق لا يعرف شيئاً الا بالله .

(نورى)

ص ٧٧ س ١٧ وهو القاهر فوق عباده .

(نورى)

ص ٧٧ س ١٨ وعنت الوجوه للحى القيوم ، كل شئ هالك الا وجهه . موصوف لا يرى ، موجود لا يخفى غائب غير مفقود حاضر غير محدود ، فاعتبروا وتدبروا فيه ، ولا سيما فى قوله عليه السلام . حاضر غير محدود .

(نورى)

ص ٧٨ س ١٨ ومن هنا يعلم جواز وضع الاسماء العلمية لكل موجود خارجى شخصى يتصور له صورة ذهنية مطابقة له محاكية لذاته بعينها كما فى حال ابصارنا لشخص زيد بعينه ووزعنا اسم زيد لعين شخصه ، والسرفيه هو ان الصورة المبصرة بالذات انما هى بعينها نفس حكاية ذى الصورة الخارجى ، وحكاية الشئ انما هى ذلك الشئ بعينه ولكن بوجه الحكاية لا انها شئ اخر غيره ، ومن ثم ورد عنهم فى بيان الاظلة اذا سئلوا : الم تر الى ظلك فى الشمس شئ وليس بشئ ؟ فافهم واغتنم .

(نورى)

ص ٧٩ س ٧ ولقد شاهدت من اصحاب البحث اللفظى ههنا وهم من افاضل الحكماء ايضاً ان معلوم اله بمعنى مجهول عبد ومجهوله على العكس ، وعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلام : والاله يقتضى مألوها ، اى يقتضى عابداً ، ولذا عقبه بما عقبه واطلاق الاله على المعبود المطلق وبنحو الغلبة على المعبود بالحق وبحذف الهمزة على الثانى فقط شاهد لما نقلنا . وسيجىء فى باب معانى الاسماء واشتقاقها فى الحديث الثانى : الله مشتق من اله ، واله يقتضى مألوها . انتهى . لا يخفى ان مفاد هذا الحديث يقتضى ان يكون معلوم آله بمعنى

مجهول عُبد ، ومجهول أله بمعنى معلوم عبد ، وهذه كأنها قاعدة مطردة تجرى في موارد ومواضع ، وقد رأيت من بعض الافاضل اثبات تلك القاعدة حسبما شاهدت من بعض مصنفاة ، فعلى هذا قوله عليه السلام : اله يقتضى مألوها ، اى يقتضى عابداً بمقتضى التضاييف ، وحكم التضاييف يقتضى الامكان ، على كان الالوهية صرف الالوهية فلا عبودية فى الواقع الاله ، فلا اله الا هو ، الا الى الله تصير الامور .

(نورى)

ص ٧٩ س ١٦ ويمكن ان يقال : ان المفهومات والمعانى شبيثتها لما كانت شبيثة ظلية ، وظل الشىء كما ورد فى الحديث ونطق به البرهان شىء وليس بشىء ، ومن ثمة يقال بالجمع بين الحقيقة والمجاز من جهة واحدة وبين الاشتراك معنى ولفظا كذلك ، فافهم .

(نورى)

ص ٨٤ س ١١ كعلاقة النفس بالبدن بوجه ، وبالجملة نحو اتصال واحتياج واتحاد ، فافهم ، واطشارة الى كون النفس مجردة ومادية معاً ، فهى لتجردها يتعلق بالمتحرك وبتعلقها يتحرك .

(نورى)

ص ٨٤ س ١٣ والسرفى المقام هو كونه سبحانه محيط قاهراً مستولياً مع كل شىء لا بالمقارنة ، غير كل شىء لا بالمزائلة ، واختصاص كون شىء بوقت يوجب كونه محاطاً مقهوراً وهذا ينافى القهر والاحاطة وشمول الرحمة وعموم القدرة ، فهو مع كل شىء لشمول رحمته وعموم قدرته ، والتغير يوجب التقيد والموجود المقيد محدود وكل محدود مركب والمركب محتاج والنوجوب ينافى الاحتياج ووحدة نسبته الى الاشياء وحدة حقة والوحدة الحقة ينافى التعدد والتكثرف ويناقض التقيد والتغير ، اذ التغير خاصة الفقر والفاقة والفقد والقوة وكل ذلك يابى عند الوحدة الحقة وهو سبحانه موجود غير فقيد ومنزه عن التقيد والتقييد ، فافهم .

(نورى)

ص ٨٤ س ١٧ اى خارج عن كل منها لا كخروج شىء من فصل عن شىء ، داخل فى

كل منها لا كدخول شئ في شئ ، على في دنوه داني في علوه ، هذا هو شأنه تعالى مع كل واحد من الاشياء .

(نورى)

وبعبارة اخرى نسبة واحدا بمعنى انه تعالى فاعل للاشياء ولا فاعل سواه بالحقيقة والوسائط المترتبة مترتبة في القرب والبعد منه تعالى لصدورها منه تعالى على الترتيب الضروري لالكونها علل اليجاد والا يلزم شوب من الاحتياج له تعالى في كونه فاعلا للثنائي في رتبة اليجاد ، وهكذا معنى الترتيب حينئذ هو التفاوت في امكانات هي نفس ايجادته تعالى وهي النسبة الاستوائية واحدة ، الرحمن على العرش استوى ، ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ، تثبت .

(نورى)

لا يتوهم ان هذا هو مذهب الاشاعرة ، لانهم يقولون بالوسائط ، فافهم .

(نورى)

ص ٨٦ س ١٣ سبحانك عجباً من عرفك كيف لا يخافك ؟ فان معرفته التامة اذا تحققت في حق العارف لا ينفك عن اندكاك جبل ابيته التي هي حجاب بين العارف وبين ربه تعالى ، وهي زينة القرب التي يعبر عنها بالحقيقة ، فاستبصر .

(نورى)

ص ٨٥ س ٢١ اى لا يحجبه الاوهام من ان يظهر او يظهر ، او لا يحجبه الاوهام من ان يعلم اشياء بايراد الشكوك والشبهات ، والثاني اظهر ، والاول الطف ، تطف .

(نورى)

ص ٨٥ س ٢١ بصيغة المعلوم ويحتمل المجهول ايضاً ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، هذا مشكل جداً لا يصل اليه الا واحد بعد واحد .

(نورى)

ص ٨٦ س ١٥ كل حادث زائل فيعرضه الصعق والموت .

(نورى)

ص ٨٦ س ١٦ له القدرة والملك ، لا تغيره انشاء ما شاء حين بمشيته لا بمشيته غيره كسائر الاشياء مما سواه ، لان شأنهم في المشية كما قال وما يشاؤون الا ان يشاء الله ، فافهم .

(نورى)

ص ٨٦ س ١٧ اى لا كالمادة ، فانها اول مكيف بكيف الاستعداد ويكون اخرآ بلا اين بخلاف ما سواه ، اى عالم الخلق الذى هو اخر العوالم الذى وقع فى صف النعال من الوجود وكل من اجزائه له اين سواء كان بالذات او بالعرض كالعرض ، فافهم .

(نورى)

ص ٨٨ س ١٨ ما افاده الشارح ههنا فى المقام من امهات الغوامض الالهية ولا سيما فى كونه سبحانه وتعالى شأنه ملكا بعد ذهاب الاشياء وفنائها كلها جلها وقلها ، اذ الملك والسلطنة لا يتصوران الا بوجود المملوك والرعية ، وبعد ذهاب الاشياء وفنائها كلها كما هو مقتضى النفخة الاولى ومحقق بضرورة من دين الاسلام بل بضرورة من كل الاديان كما ينظر اليه كريمة : الا الى الله تصير الامور ، وكريمة : كل شىء هالك الا وجهه ، وكريمة : كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، كيف يتصورو يتعقل العاقل بقاء الملك والسلطنة القاهرة حسبما ينادى به كريمة : لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ، وهذا ظاهر جدا ، واما ما افاده هنا العلامة القاسانى تبعا وتقليداً لجم غير من الاكابر والاعاظم كالمحقق الطوسي والسيد الداماد وغيرهما قدس الله ارواحهم واعلى الله مقامهم من كون دنور الاشياء وتجدها وتغيرها وحدوثها وانعدامها وتكونها وتصرفها ووجودها بعد عدمها زماناً وفنائها بعد وجودها وحدوثها وزوالها بعد تكونها انما هو بقياس بعضها الى بعض ، وانما هى

بحسب انفسها لا يكون حادثة دائرة زائلة ، و بقياس بعضها الى بعض يكون سابقة ولاحقة ، وهى بحسب ارتباطها الى علتها الازلية ثابتة باقية غير دائرة ولا زائلة ، بمعنى ان وجوداتها الحادثة واللايزالية ثابتة لله سبحانه في الازل وجوداً جمعياً وحدانياً غير متغير وهى افنائه سبحانه مستغنيات باقية كل في وقت ومحلها الى اخر ما صرح به هذه العلامة في شرحه لهذا الحديث في كتابه الوافي ، فهو كما ترى لا يمكن ان يتصور فضلاً عن ان يتعقل ويصدق به ، كيف لا ؟ وتغير الاوصاف وتفاوت الاحوال للاشياء في انفسها و بقياس بعضها الى بعض و بقياس كلها الى علتها انما يتصور في العرضيات الاضافية اللاحقة لافى الذاتيات الضرورية التى يكون ثابتة لذوات الاشياء بضرب من الضرورة الذاتية والدثور والزوال والحدوث والانصرام اذا كانت تلك الاحوال ذاتية ضرورية للاشياء كلها في تلك الاوصاف كانت كحال الزمان واجزائها والحركة واجزائها فهى تكون ثابتة لها بجميع الاعتبارات ، اذ الذاتى لا يمكن ان يختلف ويتخلف بالقياس الى شىء دون شىء ، والاشياء العالمية لما دلت البراهين القاطعة وقامت الحجج البالغة على كون التجدد والتصرم والانوجاد والانقضاء والدثور والفناء ذاتية لها فلا يتصور لها بقاء ابدية ببقائه سبحانه او ببقائه دام سلطانه ، وهذا مما لا يتفوه به العقلاء فضلاً عن اكابر العلماء ، فالسر في المقام ارفع من ان ينال بهذه الاوهام التى ما بلغت في غاية اللطافة والدقة . فكيف يمكن الاشياء العالمية بما هى عالمية بدثورها وتجدها وانصرامها الذاتية باقية ابدية ازلية كل في وقته ومحلها ، فاين يكون حينئذ فناء العالم واين يوجد حينئذ هلاك كل الاشياء باندكالك انياتها بحسب هوياتها العالمية وعدم بقاء شىء من الاشياء الا وجه الله تعالى ؟ ولا مخلص في المقام الا بما افاده الشارح المحقق قدس سره في هذه الاشارة ومحصله يرجع الى ان الاشياء بحسب حقايقها الاصلية تكون باقية ببقائه سبحانه وبحسب وجوداتها الظلية الصنمية الدائرة الفانية التى ترجع الى العدم والفناء تكون راجعة الى تلك الحقائق بنحو اعلى ، الا الى الله تصير الامور واليه يرجع الامر كله .

(نورى)

ص ٨٨ س ١٨ اقول : ولا يمكن ارجاع قول اولئك الاكابر الى ما حققه الشارح الناقد الماهر لمكان قول اولئك كل في وقته ومحلها ، و اباة هذا القول وامثاله في عباراتهم في المقام عنه الارجاع الى ما حققه الشارح المحقق ، كيف لا ؟ وهو يقول بوجه اشرف و بنحو اعلى لا بهذا

الادنى الذى خلق للفناء ، وقول اولئك كل فى وقته ومحله صريح فى بقاء الاشياء بحسب هذا النحو من الوجود الوقة (كذا) الزمانى الادنى ، واين وجود الاشياء فى عالم الحقايق والصقع الاعلى من وجودها فى هذا العالم الادنى الذى وقع فى صف النعال ، والشارح نفسه جرح قول اولئك هذا فى كتابه المعروف بالاسفار ورد عليهم فى موضعين من ذلك الكتاب ، احدهما حيث نقل قول استاذة السيد الداماد فى قريب من المقام الذى نحن فيه ، والآخر منهما حيث نقل فى مبحث العلة قول المحقق الطوسى القدوسى ورد عليه بما اوأنا اليه ههنا وبوجوه اخر لايسع المجال ذكرها ، وعلى اى حال حال هذا المقام القمقام كما قال هذا النحرير العلام ، ولكن حق دركه ومثاله صعب مستصعب لا يصل اليه الا من ادبه الله تعالى فتأدب وقربه اليه فتقرب . الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله . والعجب كل العجب هو ان المولى القاسانى مع سمة تلمذه لهذا النحرير الناقد البصير فى مدة مديدة من الدهر وشدة تعلقه وقربه وتقربه منه كيف ذهب عنه امثال هذه السرائر الغامضة التى يصرف نقد العمر فى تحصيلها وتحقيقها ، اللهم الا ان يقال : كل ميسر لما خلق له .
(نورى)

ص ٨٨ س ٢٤ انما يعرف بالاشياء لا كمعرفة شئ بشئ سواه ، بل كما يعرف الشئ وحكاياته التى ليست باشياء بحقيقة الشئية ، فانه بحقيقة الشئية وماسواه اطوار وجوده وعكوس نوره ، ليس ظاهراً الا بنوره ، هو الظاهر بالحقيقة ، يظهر بنفسه و يظهر ماسواه بظهوره ، الله نور السموات والارض ، اى منورهما ومظهرهما ، ذوات الاسباب لا يعرف الا باسبابها .

(نورى)

ص ٨٩ س ٦ لان كثرة الفعل والانفعال معاً يوجب انصرام تعلق النفس بالبدن شيئاً فشيئاً حتى ينتهى الاستكاملات الى الغاية فينصرم المدة ويحل الاجل ، وهذا الذى اظهرنا انما يتصور بالموت الطبيعى لا الاخترامى الذى هو بنحو البخت والاتفاق تدبر فى ذلك فانه غامض جدا .

(نورى)

ص ٩٠ س ١٠ الاستيجاب صيرورة الشئ^١ واجباره بعد ان لم يكن ، وهذا يوجب المسبوقية بالعدم والزمان والمادة ، وكل ما هو كذلك مادي مكاني ، وكل ما كان اولاً و آخراً لا بنفس ذاته بل بامور لاحقة له بالبخت والاتفاق كالعنصریات الكائنة الحادثة فهو مركب القوام من جزء به يكون بالقوة وهى المادة ومن اخر به يكن و يصير بالفعل وهى الصورة فكان اولاً بحال وصفة زائدة و آخراً باستيجاب وصيرورة ، فبالمادة كان اولاً وبالصورة صار اخرأ .

(نورى)

ص ٩٢ س ٤ والتعير عن تلك النسبة الاستوائية هو المعية القومية ، وهو موعكم اينما كنتم خارج عن الاشياء لا كخروج شئ عن شئ ، داخل في الاشياء لا كدخول شئ في شئ ، وهذه النسبة ليست في سنخ النسب التى يتوقف تحققها على تحقق الطرفين ، بل تحقق الطرف الذى هو طرف الاشياء انما هو بهذه النسبة القيومية ، ومن هنا قيل بلسان اصحاب الذوق : ان موجودية الاشياء لا يكون الا بارتباطها الى الوجود الحق الحقيقى الواجب القيوى علا شأنه ، ونفس هذا الارتباط هو الفيض المقدس الفاض عن كنه ذاته سبحانه ، وتكون الاشياء وحدوثها انما مرتبتهما بعد مرتبة هذا الارتباط ، كما ينظر اليه قوله تعالى : انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ، فقوله : كن ، تعبير عن الارتباط المذكور ، وقوله : فيكون ، تعبير عن كون الاشياء وتكونها ، فالصادر اولاً انما هو ذلك الارتباط الامرى ، والصادر ثانياً وبضرب من التبعية انما هو الشئ الخلقى ، والصادر اولاً وبالذات امر بسيط فارد واحد ، والتكشرات الخلقية انما هو بحسب كثرة الاسماء الالهية والصفات الربوبية ، فالوحدة مربوطة بوحدة الذات الاحدية ، والكثرة منوطة ومستندة الى الكثرة الاسمائية كل برسم الحكاية وتلك الوحدة في هذه الكثرة بما هى وحدة جامعة يعبر عنها باستواء النسبة والنسبة الاستوائية ، فكلما يكون الوحدة الحقة الحقيقية الذاتية مجمعا لكثرة الاسمائية بنحو اعلى ، وكذلك تلك الوحدة الاضافية الامرية بالنسبة الى الكثرة الخلقية ، فتثبت فيه .

(نورى)

ص ٩٤ س ١ اي مغايرة الذات الفاعل لفاعليته فقط ، وهذا بخلاف الواجب تعالى ، فان الغاية بمعنى العلة الغائية فيه تعالى انما هى عين ذاته تعالى ومغايرة لفاعليته مغايرة ذاته تعالى شأنه لايجاد وصنعه الذى يترتب على ذاته تعالى وهو امره الذى هو كلمة كن وسابق على خلقه ، فافهم واعتبر .

(نورى)

ص ٩٥ س ١٩ التسبيح وصف جلاله والحمد شرح جماله وكلاهما وصف كماله . ولعل التسبيح اشارة الى الشوق والاشتياق ، والحمد اشارة الى العشق والوصل في عين الافتراق ، وكان هذا التسبيح هو استكمال وجهه الذى يلي الرب بخروجه شيئا فشيئا عن وجهه الذى يلي به نفسه من جهة التعين ، فهو تنزيه جهة الرب سبحانه فيه عن علائق جهة التعين الخلقى كما قيل :

تعين بود كز هستي جدا شد
نه حق شد بنده نه بنده خدا شد
والحمد لكونه وصفا بالكمال والجمال فهو ضرب من الوصل والوصال ، فافهم .

(نورى)

ص ٩٥ س ٢١ الملائكة القلمية يكتبون في اوراق قلوب الملائكة الكونية وصف جلاله وشرح جماله فيعرجون اليه بما يستفيضون من لدنه ، هو الاول والاخر وله الحمد فى الآخرة والاولى ، فاعتبر واستبصر .

(نورى)

ص ٩٧ س ٢١ اذا رجعت الارض رجا ، اضطربت وتحركت بتجوهرها وان لم يتحرك فى الوضع كالسما لقوة السماء وضعف الارض ، اثتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ، فاستبصر .

(نورى)

ص ٩٨ س ١ المراد بالعقول النفسية المستكملة التي واقعت في السلسلة العرضية دون العقول الكلية التي قعت في الطول ، فانها عشاق صرفة بخلاف تلك ، فاتنها عشاق مشتاقون .

(نورى)

ص ٩٨ س ١٠ وهذه الزيادة قوة النبي الختمى صلى الله عليه وآله لانه انتهى دور النبوة الى الولى الختمى عليه السلام بالوحى التشريعى ، فافهم .

(نورى)

ص ٩٨ س ١٩ فلعل المراد من العماء وهو السحاب الرقيق الذى يقرب من الدخان ويسمى بالغيم الدخانى هو النفس الرحمانى الذى يسمى فى لسان الشريعة بالنور المحمدى ، اذ هو حجاب الله الاكبر كما فى الكافى : محمد حجاب الله كما مر ، ونفى احاطة الهواء اشارة الى شمول العماء وسعته واحاطته الاشياء وهو فى كل بحسبه ويعبر عنه بالمعية القيومية وهو معكم اينما كنتم .

(نورى)

ص ٩٨ س ١٥ فهو عليه السلام عبد من عبيد محمد بحسب البشرية ، وهو صلى الله عليه وآله معبود له بحسب درجة الربانية ، واما بحسب البشرية كليهما ، فكلاهما عبد لله تعالى ، فافهم .

(نورى)

ص ٩٨ س ٢١ لان الولاية مبدأ النبوة ومآلها ومعادها .

(نورى)

ص ٩٩ س ٢ يعنى هداية الله الهادى (كذا) الموصل لكل مهتد الى غايته التى

خلق لاجلها .

(نورى)

ص ٩٩ س ١٨ . يحتمل الاضافة ولعل معناه حينئذ ان وجوده تعالى لما كان صرفاً بلا حد ونهاية فهو كل الوجودات بنحو اعلى لا يوجد بوجود شىء من الاشياء وجود كله ، فهو كل الاشياء وليس بشىء منها .

(نورى)

ص ٩٩ س ٢٠ . معناه والله اعلم : انه لا غاية بالنظر الى الغاية وبالنسبة اليها ، وكان توجيه الشارح ايضاً ينظر الى ما فطرنا واطهرنا ، فافهم .

(نورى)

ص ١٠٠ س ١٤ . اى كلمة مع ترجع الى معنى فىً وحينئذ تفيد المعية التغير والتجدد والتصرم ، ولكن المعية التى لا توجب التغير فى المعية القومية هو معكم اينما كنتم خارج عن الاشياء لا كخروج شىء عنه وداخل فيها كذلك .

(نورى)

ص ١٠٠ س ١٦ . اما الاول فظاهر واما الثانى فمعناه كان الله ولم يكن معه شىء ، وكل ما كان معه شىء يلزمه ان يكون موجود بوجود زائد .

(نورى)

ص ١٠٠ س ١٦ . قوله عليه السلام : بلا كيف ، يكون يحتمل ان يكون لفظة يكون صفة احترازية وهى اذا اريد من الكيف مطلق الصفة الزائدة ، سواء كانت كمالاتانيا للموصوف ام لا ، فحينئذ اراد بلفظ يكون الدال على الحدوث ومحدودية الموصوف انه وان كان للرب تعالى صفة زائدة ايضاً وهى الصفات الفعلية الا انها ليست حادثة وكمالات للذات لانه هى لكن بنحو اعلى ، واما اذا اريد منه الصفة الزائدة المكملة للموصوف فحينئذ

يكون لفظ يكون صفة موضحة ، قوله عليه السلام : كيف يكون قبله ... الى آخره ، هذه العبارة متضمنة لجواب السائل بابلغ وجه كما قاله الشارح قدس سره ، لانه اذا كان الواجب تعالى قبل كل قبل لكونه قبلًا بالذات فكيف يتصور ان يقال في حقه : متى كان ، والالم يكن قبل بالذات ، هذا خلف ، وانت اذا علمت ان حيثية القبلية فيه تعالى عين حيثيته الفاعلية فقد تيسر لك فهم حل معنى قوله عليه السلام : بلا غاية ولا منتهى غاية ، اذ المراد من الغاية هو العلة الغائية ، فلو كان له تعالى علة غائية التي هي مناط فاعلية الفاعل بل هي الفاعل بالحقيقة لم يكن هو تعالى قبلًا بالذات وبالفعل بل بالغير وبالقوة ، هذا خلف ، والمراد من لفظ المنتهى هو الغاية والنهاية للفعل ، والمعنى انه ليس لفعل ذاته التي هي العلة الغائية نهاية يستكمل هي بها كما فينا ، لان العلة الغائية فينا هي نهاية الفعل لكونها واحدة بحسب الماهية ولكن بنحو ضعيف وبحصول النهاية يقوى الفاعل ، والدليل عليه انه تعالى لو كان كذلك لكان بحسب ذاته فاعلا بالامكان وقبلًا بالذات بل بالغير ، وقد مر انه قبل كل قبل ويلزم مفساد اخرى يعلم بالتدبر ، فتدبر ، وقوله : ولا منتهى غاية ، يحتمل ان يكون من اضافة القسم الى مقسمه لو اريد من لفظ الغاية اعم من العلة الغائية والغاية والنهاية وان يكون من باب اضافة القسم للقسم لو اريد من الغاية الغائية العلة . قوله : ولا غاية اليها الى الغاية المفهومة من قوله عليه السلام : هو قبل القبل ، لانه اذا كان قبل القبل بالذات فيكون غاية بالذات فلا يكون غاية الى هذه الغاية ، والا لم يكن غاية بالذات والشارح قدس سره جعل كلمة «الى» بمعنى اللام وصرفها عن ظاهرها بخلاف هذا التوجيه ، فتدبر ، قوله : انقطعت الغايات كأنه برهان لقوله : ولا غاية اليها وتصريح لما تضمنه قوله عليه السلام : هو قبل القبل ، فافهم .

(نورى)

ص ١٠١ س ١ اى بلا علة غائية زائدة فاعلة لفاعليته التي هي بذاته سبحانه ، وقوله : ولا غاية لاحقة لمنتهاها ، اى ولا نهاية مترتبة على اثار فاعليته بهر برهانه كما اسلف في شرحه للحديث السابق المتصل بهذا الحديث فلا تغفل .

(نورى)

ص ١٠٠ س ١٨ وجهه : ان بعض الموجودات الامكانية مع كونه موجوداً بوجود زائد

على ذاته معروضاً له في ضرب من العقل ، فهو مجرد عن ملابسة الزمان والاقتران به ، فكيف بحال ما هو مجرد عن زيادة الوجود ؟ .

(نورى)

ص ١٠٠ س ٢٥ لا يلزم من كونه قبل كل قبل كونه قبل نفسه ، فانه تعالى ليس بواحد من الاعداد ولا بواحد من الاحاد ، فانه الواحد بالوحدة الحقة ولا يشمله الكل الافرادي ، لان ذلك شاكلة الواحد العددي .

(نورى)

ص ١٠٠ س ٢٦ فان القبليّة من الصفات الاضافية الزائدة على ذاته تعالى في الرتبة لافى الوجوده المترتبة على نفس نور كنه ذاته سبحانه ، وهى صنعته وايجادها للاشياء العالمية وهى بعد ذاته وبعد كمال ذاته عز اسمه وصفة فعل له لاصفة الذات وهى اضافة القيومية للاشياء ونسبته الاستوائية الرحمن على العرش استوى ، والعرش هنا جميع المخلوقات الخلقية ، وتلك النسبة الاستوائية انما هى امره تعالى ، الاله الخلق والامر . قوله : طبيعة القبل : اى نفس مفهومه الكلى اسم له تعالى بوجه وفى مرتبة كنه ذاته الاحدية لا اسم ولا رسم بل صقع اسمائه الحسنى يكون بعد مرتبة الذات الاقدس وتابعة له وناشية منه كنشوا الظل من الشاخص ، فافهم . هذه الحاشية بناء على ان المراد من طبيعة القبليّة المطلقة مرتبة الربوبية الاضافية الاشرافية التى تكون هى بعد مرتبة الربوبية الحقيقية التى هى عين مرتبة الذات .

(نورى)

ص ١٠١ س ٩ كما قال تعالى هو الاول والاخر بمعنى انه سبحانه بحسب كنه ذاته اول واخر ، فحينئذ الاولى فيه تعالى بعينها حيثية الاخرية بخلاف سائر الاشياء ، فان اوليتها غير اخريتها ، فافهم .

(نورى)

ص ١٠٢ س ٢ محصل ما حصل هذا الجليل الكريم من فضل الله العظيم يرجع الى

اركان ثلاثة : الاول دوام فياضيته سبحانه بدوام ذاته جل شأنه ، والثاني كون عالم المثال الصورى والآن السيال الدهرى متجدداً بالتجدد الذاتى وجعله بالتحريك البسيطى ، والثالث الحركة الجوهرية وكون عالم الطبيعة والكون الطبيعى سماوى يا كان ام عنصريا متحركاً بجوهره غير باق فى تجوهره كما ينظر اليه ويشير قوله تعالى فىكون فى قوله تعالى : اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فىكون ، حيث اتى سبحانه بصيغة المضارع والحق معه وله ، فان المقام مقام منزلة الاقدام قد زلت فيه اقدام الاعلام فضلا عن غيرهم من الانام .
(نورى)

ص ١٠٢ س ٥ التعطيل اشارة الى كونه تعالى فاعلا بالامكان ثم صار فاعلا عند حدوث شرط اليجاد كمصلحة يعود الى العالم ونحوها ، والاصل الاصيل فيه ان يعترف بدوام الفياضية له تعالى مع اباء العالم عن التسرمد للتجدد الذى هو متقوم به ولا يتجوهر العالم الا به ، وهذا غامض جداً .
ويجب ان يعلم ان صفاته تعالى مطلقاً حقيقية كمالية ام اضافة غير كمالية كلها عين ذاته ولكن يجب ان يقال بالفرق بين تينك القبيلتين فى العينية ، فان الصفات الاضافية ايضاً عين ذاته سبحانه مع كونها زائدة على مرتبة كنه ذاته بهر برهانه ، ومن هنا يوصون بحفظ المرتبة و يقولون بتسرمدها ودوامها ، وفيه مبتغاك .
(نورى)

ص ١٠٢ س ٧ قال الشارح فى الاسفار: ان قيل : ان لمجموع الزمان والزمانيات وجود فى الدهر ، فجوابه : ان لمجموعها عدم فى الدهر لعدم اجزائها ، لان كل جزء كما انه موجود فى وقت فكذلك معدوم فى وقت بل فى سائر الاوقات ، فالكل معدوم فى جميع الاوقات .

قال المحقق الداماد فى القيسات بسط عظيم وتفصيل طويل مسئلة اثبات الحدوث الدهرى وسبق عدم الواقعى لا الاعتبارى وتخلف وجود العالم عن وجوده سبحانه فى طرف الدهر لافى طرف الزمان الحادث وسبب التخلف ليس تجدد صفة ولا سنوح ارادة ولا حدوث مصلحة لم تكن قبل ، بل لعدم قابلية طبيعة الامكان والمعلولية لعدم سبق عدم الواقعى من

غير تأخر العالم عن العدم بالزمان كله مع عدم المنافاة لقوله عليه السلام: كان الله ولا شئ^٤،
 اقول: ليس معناه الا كان الله ولا شئ^٥ في الواقع، لا كان الله في الزمان ولا شئ^٦ في الزمان بل
 في الواقع، ولا شك في عدم انحصار الدافع في الزمان مع وجود ظرف الدهر عقلا ونقلا بلا
 لزوم تعطيل في جوده ومن قبله وكونه لم يزل فياضا في الزمان من غير تجدد وسنوح وحدوث.

(نورى)

ص ١١٣ س ٤ ؛ قل كفى بالله شهيدا ، او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ،
 فصار سورة التوحيد كتابا في علم التوحيد المعروف بالمعرفة الربوبية والعلم الالهى والبحث
 عن الاله سبحانه وتعالى شأنه ، وكل علم هو ما يبحث عن احوال موضوعه والبحث عن
 احوال شئ^٧ واثبات لواحقه وعوارضه الذاتية لا يتم ولا يتصور الا بعد العلم بماهية ذلك الشئ^٨
 الموضوع فيه وبعد المعرفة بوجوده ، فكلمة هو اشارة الى العلم بوجود تعالى وكلمة الجلالة ايماء
 الى معرفة ماهيته بحسب طاقتنا وبقدر وسعنا ، فالعلم بهويته وانيته بعينه هو العلم بماهيته
 تعالى ، فان ماهيته سبحانه بعينها هى نفس هويته وانيته ، وبعد الفراغ عن العلمين
 والبحثين يتعين البحث عن اللواحق والعوارض الذاتية ، وهو هنا اثبات صمدانيته وعدم
 كونه مولداً ومولوداً او نفى الكفو عنه من اصول الصفات السلبية ، وسلب السلب راجع الى
 الاثبات اى اثبات الصفات الثبوتية ولا بحث عنه تعالى الا عن هاتين الجهتين بوجه .

(نورى)

ص ١١٣ س ٧ ومن وجوه انتسابه الى غيره ان يعتبر بحيث يصير مشاركاً لغيره في
 معنى من المعانى ووصف من الاوصاف ، فلو اعتبر كذلك لزم كونه تعالى مناسبا للاشياء
 منتسباً اليها ، فوجب الاجتناب والاحتراز عن ذلك بالنظر الى انظار الاكثر وهم الاوساط ،
 وغيرهم من ضعفاء الابصار ان يعتبر في حقه سبحانه جانب السلب ويسلب عنه تعالى
 المشاركة والمشابهة والمناسبة للاشياء ، وهذا لا ينافى ما اخترنا من الاشتراك المعنوى بحسب
 طائفة من الاوصاف التى اشترك الاشياء معه تعالى فيها بوجه ما وبضر ب ما ، فلا تغفل .

انما ينسب غيره اليه تعالى بان لا يكون نفسه الا عين الانتساب والارتباط اليه سبحانه ،
 كالوجودات الفارقة الذوات الامكانية تعلقية الهويات ، واما الماهيات العالمية فهى مرتبطة

بالعرض ، اى بتبعية الوجودات ولا استقلال لها فى الارتباط اليه تعالى ، كما لا استقلال لها فى كونها صادرة عنه سبحانه ، واما نفى الانتساب عنه تعالى الى غيره فان المراد منه انه تعالى فى مرتبة ذاته وهويته المطلقة منزه عن الارتباط والصفات الاضافية زائدة على ذاته سبحانه متحصلة متفرقة بعد مرتبة الاحدية ، هكذا ينبغى ان يفهم ، فافهم .

(نورى)

ص ١١٣ س ١٦ حقيقة الهوية الحضور لا غير ، فما لا يتوقف فى هويته على غيره لا يتوقف فى حضوره على غيره فهو الحاضر بنفسه الظاهر بذاته ، وغيره ان كان من سنخ الوجودات الفاقرة الذوات اليه تعالى تعلقى الهويات به ، فهو لا يحظر الا به ، كما انه لا يتهوى الا به وان كان من سنخ المعانى والماهيات الكلية فهى ماشمت رائحة الهوية والاشارة الا بالعرض ، فهو سبحانه برهان عليه وعلى غيره ، فافهم واغتنم .

(نورى)

ص ١١٤ س ٧ واذا تحققت ان هويته سبحانه بسيط لا تركيب فيه اصلا وبسيط الكمال والكمال البسيط هو كل الكمالات الوجودية فثبت ان وجوده البسيط الذى هو عين ذاته الاحدية كل الكمالات للموجود بما هو موجود من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر وقامها ومجمعها ومنبعها ، اذ الوجود الحقيقى هو الاصل الاصيل فى حقائق الاشياء كما حقق وبرهن عليه ، فان الشيئية المفهومية فى شئ من الاشياء ليست بحقيقة شئ منها ، بل الحقيقة فيها ليست الا حقيقة الوجود التى يترتب عليها اثارها واحكامها ، فبمجرد اثبات انه تعالى وجود بحت فى مرتبة ذاته الاحدية البسيطة الواحدة بالوحدة الحقبة يثبت توحيد علمه وعموم علمه وقدرته وعمومها وحيوته وشمولها وسمعه وبصره وشمولها ، ويعلم كيفية فعله الاول وجعله للاشياء ونحو صدورهما ، ومن هنا قالوا : انا بمجرد ملاحظة ذاته نعرف ذاته تعالى وصفاته وفعالها وجميع احواله تعالى بمؤدى كريمة : اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ، والسرفيه : ان الوجود الذى هو بمجرد نفسه رفع العدم ، ورافعه ومنافيه ومناقضه هو الموجود بنفسه ولنفسه فهو الواجب الوجود لا غيره ، وكل ما هو غيره لا يوجد الا به ، فلا تغفل .

(نورى)

ص ١١٧ س ١ كاحتواء الجسد على الروح العليم الخبير، اذ الامر كلمة ربانية روحانية جامعة للكلمات التامات متضمنة للايات المحكمات، ومن ثمة وصفه بالحكمة وهى العلم بحقايق الاشياء وصورة عقلية جوهرية روحانية بسيط الحقيقة نور. بسيط اجمالى يفيض عنه الصور العقلية المفصلة، ومن هنا يوصف بكونه لباً بل لب اللباب ن باب المعرفة كما ان الجسد قشر والروح لب، فافهم.

(نورى)

ص ١١٧ س ٩ والسرفيه ان الوجود الصرف الواجبى والموجود الحقيقى الغنى القيومى تعالى شأنه فى مرتبة ذاته الاحدية النورية المحضة عين التنزه والتقديس عن كل منقصة ونقيصة، وفعله تجليه بحسن ذاته وجماله وكماله، وجماله جلاله وجلاله تنزهه وتقديسه عن كل نقيصة، فصار فعله عكساً وحكاية وشرحاً ووصفاً لجماله وجلاله وتقديسه ووصف جماله وكماله، فمن هنا صار فعله سبحانه وتعالى شأنه تسبيحاً من جهة انه شرح لجلاله وتحميداً وحمداً له من حيث انه وصف لجماله وكماله واظهار لحسنه وبهائه، فكل فعل له تعالى تسبيح له بالحقيقة وحمد له بالذات من دون شوب توسع وتجاوز، ومن ثمة قال صلى الله عليه وآله: لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك، والامر كله تسبيح وتحميد والخلق كله مظهر ومرآة للتسبيح والتحميد، والخلق ظهر وجسد للامر والامر بطنه وروحه، فكل خليقة سماوية كانت او عنصرية، جمادية كانت او نباتية او حيوانية، حيوانية او انسانية كلها اجساد حية ارواحها امور امرية تسبيحات ومسبحات تحميدات حامدات، والعالم الكلى كله حى انسانى له جوارح واعضاء ولها ارواح وقوى دراكة بالحقيقة له تعالى مسبحة حامدة لله سبحانه كل بحسب شأن تجلى به فى حقه الحق تعالى شأنه، وافعاله وشؤنه صفاته الوصافة لذاته، ولكن مرتبة تلك الصفات بعد مرتبة الذات، لانها صفات فعلية لاذاتية، تأمل فيه حق التأمل ولا تغفل.

(نورى)

ص ١١٧ س ١٧ محصله ان لها شعوراً شهودياً بحضورها ذاتياً وليس لها لذلك الشعور

الفطري استشعار فكري وتذكر بتوسط التفكير. واعلم ان الاستشعار ليس حصوله بتوسط الفكر والنظر المتعارف بين الناس كليا بل اكثر يا لمكان الوحي والالهام — تأمل في المقام — وهذا الاستشعار الفكري والتذكر التفكري الحاصل بالروية وترتيب الامور المعلومة بالعلم الحصول خاصة الدرجة الانسانية ناشية من النفس الكلية الالهية الناطقة التي بعضها مستكفية واكثرها غير مستكفية يحتاج الى بعثة الرسل من قبل الحكيم العليم ليتذكر فطرتها التي فطرت عليها ، فذكر ان نفعت الذكرى .

(نورى)

ص ١١٨ س ١٧ اذ نيل الكل بعينه نيل اجزائه وافراده واعضائه واحاده ، والسرفيه ان الكل ههنا من الاحاد لاغيرها ، وسريان الروح الامرى والنور الوجودى فى الكل بعينه نيل الاجزاء له ولا بينونة بين الكل والاجزاء فى الوجود ، ونور الوجود نور العلم بعينه ونور الحياة والارادة والقدرة والسمع والبصر ، تبصر .

(نورى)

ص ١١٨ س ١٧ هذا كالانسان الصغير اذا عرف واعترف روحه القدسى العقلى الكلى السارى فى كل جزء جزء وعضو عضو فى كل بحسبه وعلى قدره ، فالشعور الشهودى عام والاستشعار خاص ، فكما ان جوهر الروح الكلى سار فى كل جزء جزء منه ، فكذلك شعوره وشهوده الوجودى الذى هو عين جوهره سار بعين سراية جوهره النورى ، واما الاستشعار الذى هو بمنزلة النور على النور فهو واقف فى المرتبة القدسية الكلية العقلية لمزيد قوة تلك القوة العقلية الفائقة على المراتب النازلة منه الفائضة عنه التى رتبها دون رتبة تلك القوة القدسية ، تبصر .

(نورى)

ص ١١٨ س ١٩ كأنه ليس المراد مايترا اى من ظاهره ، اذ الفطرة لا تتبدل ولا تزول بالحقيقة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولئن سئلتهم ... ليقولن الله ، واليه ينظر قوله سبحانه : واقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم

ولكن اكثر الناس لا يعلمون . ولكن تغلب نورها فصارت ممنوعة عن الظهور والاطهار والاعتراف والاقرار والشعور والاستشعار.

دانش حق ذوات رافطرى است دانش دانش است كان فكرى [كسبى] است

(نورى)

ص ١١٩ س ٤ قوله : وجود المجعولات باسرها فى نفسها ليس الا وجودها لجاعلها وفاطرها ، وقوله ثانيا : لا قوام له فى نفسه الا بالفاعل ، كلاهما ايماء الى سر استهلاك الاشياء واندكاك انياتها عند وجوده تعالى ، وكشف السر انه اقل خاصة الاثينية ان يمكن ان يلاحظ كل منهما منفرداً و يشار اليه استقلالاً ولو بالتعمل بان يحضر كل فى مرتبة نفسه بحيث ينفرد فى ذلك الحضور غير مختلط بالآخر وبحضوره وشهوده فيصتور ويتيسر ان يعبر عند بهو الة الاشارة و يشار بهو اليه مع عزل النظر فى تلك الاشارة عن الاخر ، وذلك لا يتصور ولا يتيسر للمتقوم بالقياس الى مقومه ، اذ المتقوم اذا عزل النظر عن مقومه وقطع الالتفات والاشارة عن جاعله المذوت المبقى له لا يبقى منه عين ولا اثر ، فكيف يحضر حينئذ و ينفرد حتى يتيسر النظر اليه ؟ فانظر الى حال ماهية الانسان ومعناه المتقوم بذاتيته الجنسية والفصلية ، هل يتيسر و يتصور تقرر نفس ذلك المعنى المركب وحضوره والالتفات اليه عند عدم حضور مقوماته وذاتيته واجزائه وعدم الالتفات اليها ، كيف يتيسر ذلك وحضور المركب بكنه تجوهره متقوم بحضور تلك المقومات ، بل حضوره عين تلك الحضورات ؟ والفرق بان المقوم فى المثال داخل وفى مانحن فيه من امر المعلول وعلته الفاعلية خارج لا يجدى نفعاً ، اذ المناط فيه الافتقار الذاتى وكشف الكشف ان الحضور فى حق كل وجود انما هو نفس ذلك الوجود وهو حاضر بنفسه ، فاذا احتاج فى وجود نفسه الى وجود اخر فافتقر فى حضوره ايضا الى حضوره بلا تفرقة اصلاً ، ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام فى ما روى عنه : مارأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله ، وبرواية : معه ، وبرواية : فيه ، ولكل وجهه فهو الحاضر فى كل محضر والظاهر فى كل مظهر بالحقيقة ولكنه حاضر غير محدود فى حضوره ، وكذلك فى الظهور والوجود ، ومن هنا لا يمكننا ادراكه والاشارة اليه ، اذ ماندركه ويحضر لنا ونشير اليه بالحس او بالعقل فهو امر محدود ناقص فى الوجود والظهور ، والحضور والمحدود ليس بما ليس بمحدود ، وقال صلى الله عليه وآله فى ما روى عنه : غائب غير مفقود ، حاضر غير محدود ، وقال

ايضاً: احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار، ومن ثم صدر عنهم عليهم السلام:
يا من خفى من فرط ظهوره، فافهم واستقم.

(نورى)

ص ١١٩ س ٤ ؛ فاذا تقومت وجودات الاشياء بوجود جاعلها وصارت كلها قائمة
وموجود بوجوده تعالى لابيحال انفسها فاصبحت موجودة بذاته الاحدية ومتحصلة معها غير
موجودة عليحدة وعلى الانفراد، لكونها فاقرات الذوات تعلقى الهويات، فليس فى الوجود
موجود سواه وعلى الانفراد، هذا هو التوحيد الخاصى وباطنه التوحيد العامى، وليس غيره
بالحقيقية.

(نورى)

ص ١١٩ س ١ ؛ فذلك الانشاء منه صلى الله عليه وآله كاشف عن احوال تلك
الجمادات العارفة بربها بالمعرفة الشهودية الفطرية، فهى شاهدة بلسان الحال وهو كاشفة
بلسان المقال عن تلك الحال، فافهم.

(نورى)

ص ١١٩ س ١٧ قال صلى الله عليه وآله: والملاء الاعلى تطلبونه كما انتم تطلبونه.

(نورى)

ص ١١٩ س ١٩ اي بجملتها وكليتها لا كل واحد واحد منها عليحدة، فافهم.

(نورى)

ص ١٢٠ س ٣ ؛ فلما كان وجوداً صرفاً ونوراً بحثا فكان ظهوراً محضاً وظاهراً ساذجاً
لا يبقى وراء ظهوره ظهوراً ولا يتصور سواه ظاهراً ولا يمكن لغيره ان يظهر، يقهر كل ظاهر
لفرط ظهوره وقوة نوره لا الى نهاية، فلو تحصل ظهور وظاهر سواه لم يكن ظهوره صرفاً بل صار
نوره حينئذ محدوداً ولم يكن نوره محيطاً، هذا خلاف فرض، تبصر.

(نورى)

ص ١٢٠ س ٨ مرآة هذه اللطيفة الغامضة ومرقاة معرفة هذه المسئلة الشريفة الغائرة بوجه لطيف النقطة الجوالاة وسريان نورها وظهورها بحيث كل ما يترأى ظاهراً وراء ذات تلك النقطة انما ظهر بنفس ظهورها وتنور بنفس انبساط نورها من غير ان يفصل لمعة من حقيقتها النورية ووقعت على غيرها .

واجب زجلوه كاه قدم نانهاده كاه ممكن زتنگناى عدم ناكشیده رخت
ومن دون ان يتحد كل ما هو غيرها الذي هو المظلم بالذات بذاتها النورية ، بل انما تنور غيرها بها بضرب من التبعية لاعلى الحقيقة ، وليس تنور غيرها الا بضرب من المقارنة والاتصال بينهما ، بل هذه المقارنة والاتصال انما هو نفس تنور الغير بها بالعرض ، والحق ان المثال لا يفى بحقيقة الحال والفرض : ولا تضرب والله الامثال ، مع انى لم اضرب المثال بل اوردت اية من آياته : سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . تحقق بما فيه .

(نورى)

ص ١٢٠ س ١٥ فالشمس اية من آيات نوره والسحاب الحجاب مرآة من مرايا ظهوره ، لولا احتجابه بنا لما ظهر لنا ، فالخلق مرايا نوره والحجب العالمية وسائط ظهوره ، كنت كنزاً مخفياً لفرط ظهورى فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق واحتجبت بها ليظهر نورى ، تبصر .

(نورى)

ص ١٢١ س ١٩ وفى ماورد عن الصادقين عليهما السلام : يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه .

(نورى)

ص ١٢٢ س ٥ الكنز بالنون والزاء المعجمة انسب واظهر واضح ، وفى اكثر النسخ

كر الذات بالكاف والراء المشددة المهملة وهو عبارة عن رجوع الذات وادبارها بعد الاقبال ، وبعبارة اخرى : الدائرة الذاتية لها قوسان : قوس نزول وقوس صعود ، وكر الذات الاحدية اشارة الى القوس الصعودي ولكل منها مراتب مرتبة ، ففى النزول الاشراف فالاشرف الى ان ينتهى الى مالاحس منه وهو الهيولى ، وفى الصعودي بالعكس من ذلك الاخس فالاخس الى ان ينتهى الى مالاشرف منه ، فنهاية الصعودي بداية النزول وعند الانتهاء الى النهاية الصعودية تمت الدائرة وكملت النعمة ، اليوم اكملت لكم دينكم ، لولاك لما خلقت الافلاك ولولا على لما خلقتك فيه سر عظيم ، فلما وليج النور بحسب النزول فى ظلمات الاكوان الهيولانية واختفى بتلك الحجب الخلقية فاذا اخذ فى الصعود وتدرج فى العروج خرج من الظلمات الى النور الى ان استوى على عرش الظهور فعاد الاخير الى مابدأ منه ، كان الله ولم يكن معه شئ ، كما بدأنا اول خلق نعيده ، فافهم .

(نورى)

ص ١٢١ س ٢٢ الازلية هى صفة اضافية بمعنى القبلىة وهى مرتبة بعد الذات الاحدية ، فللعلم الازلى مراتب : الاولى مرتبة العلم علمه الحقيقى الذى هو عين مرتبة الاحدية التى هى غيب الغيوب لاسم له ولا رسم له ، والثانية علمه الكلى الذى هو القضاء الاجمالى وكلمته الاولى التامة الجامعة للكلمات كلها السابقة عليها المحيطة بها ، والثالثة علمه بنحو الصور العقلية التفصيلية التى ارتسمت بها اللوح المحفوظ وهى صور عقلية جوهرية نورية كلية ومثل نورية افلاطونية ارباب الانواع ، ورابعها مرتبة الصور المثالية الجزئية اللوحية لوح المحو والاثبات ، وكلها اى من تلك العلوم الاضافية يتصف بالازلية لكونها فعلية بمعنى انها نفس افعاله وايجاداته وتأثيراته تعالى للاشياء العالمية ، وكلها كلماته التى قال فى حقها : اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون ، فهو تعالى قبل كل الاشياء وتلك العلوم نفس قبلته مع ترتيبها وتقدم بعضها وتأخر بعض آخر منها ، فافهم .

(نورى)

ص ١٢٢ س ٧ اعلم ان حقيقة الزمان ترجع الى حقيقة الاشياء الزمانية ، فكلمة كان الموجود الزمانى اجمع واشمل واتم واكمل ، كانت مدة عمره اجمع الازمنة .

(نورى)

ص ١٢٢ س ١٣ واصل السرفى تخصيص هذا العدد وتعيينه كون اصول اسماء الله الحسنى وائمتها سبعة ، والسرفيه ان السبعة عدد تام شامل لا يخرج منها شئ من العدد ، فانها اذا جمع جميع احادها صار حاصله ثمانية وعشرين بعدد اصول الحروف المقطعة التى اشتملت صورة ابجد ولا يخرج عدد منها اصلا ، فافهم ما قلناه .

(نورى)

ص ١٢٢ س ١١ سلطان المدة انما هو كلمة جامعة كلية محتوية على مادونها من الكلمات التى هى تفصيل تلك الكلمة التامة الجامعة ومرجع تلك السلطنة بالحقيقة هو سلطان كل امة ، ومجمع النور السلطاني انما هو روح نبي كل عصر ، ومجمع الجوامع هو نبينا نبي الانبياء اولهم فى النزول واخرهم فى الصعود . اوتيت جوامع الكلم من كلامه صلى الله عليه وآله برهان لما رأينا . ومن هنا نرى ان يوم الجمعة نسب الى نبينا وكان يوم مجموع له الناس المسلمون فى بلاد الاسلام ويجمعون فيه لتلك اللطيفة السارية ، وحقيقة يوم الجمعة انما هى حقيقة المحمدية الجامعة لكل الحقايق التورية ويومه النورى جمع الازمنة والدهور كلها ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، ولهذا قال الله تعالى فى الاسراء : دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى .

مطلب از معراج ديد دوست بود
بالعرض عرش وملائك هم نمود
وهذا النظم الفاسي يظهر سر قوله قدس سره : ثم استوى على عرش الذات . يار آئينه خانه
مى خواهد . پرى روتاب مستورى ندارد . كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف . فاستبصر .

(نورى)

ص ١٢٣ س ٢١ اعلم ان النور هو ذاته سبحانه وانبساط النور هى رحمته التى وسعت كل شئ وعمت كل ظل وفى ، وتلك الرحمة والانبساط هو نور نبينا صلى الله عليه وآله وهو اصل العالم وحقيقة الحقايق ، ومن ثمة صار رحمة للعالمين فى كل بحسبه ، ومرتبة تلك الرحمة بعد مرتبة الذات الاحدية وهى نفس نفوذ قوته الحقيقية الكمالية ومجرد قر به تعالى من ذوات

الاشياء العالمية التي هي الاعيان الثابتة والماهيات الكلية التي ماشمت رائحة الوجود ، ومن هنا ينكشف سر كونه تعالى اقرب من نفس الاشياء اليها ، اذ نفس الاشياء ليست الا الماهيات الهالكة الذوات بالحقيقة الموجودة بضرب من التبعية ، فالاشياء بحسب انفسها ليسيات صرفة وبحسب رحمته وانبساط نوره الذى ليس امراً منفصلاً عن هويته تعالى صارت اشياء ، الا الى الله تصير الامور .

(نورى)

ص ١٢٣ س ٢٣ وقربه تعالى من الاشياء نفس رحمته الواسعة وانبساط نوره سبحانه ، وتلك الرحمة لها مراتب ودرجات وشعب وانقسامات عالية وسافلة ، وهى فى كل شىء حقيقة ذلك الشىء التي يترتب عليها اثاره واحكامه ، وبعبارة اخرى هى اى تلك الرحمة التي وسعت كل شىء نفس احاطته تعالى لها ولا يؤده حفظهما ، ووجود الشىء حقيقته التي بها هو هو ، فهو تعالى على في دنوه ودان في علوه ، كل شىء هالك الا وجهه .

(نورى)

ص ١٢٧ س ٢٢ الموجود الحقيقى هو حقيقة الوجود الصرف الذى لا يتصور له التعدد ، اذ لا يميز في صرف الشىء ولا تعدد فيه والا لم يكن صرفاً ، وشهود هلاكة كل شىء سواه لا يتيسر لاحد الا بانذكاك جبل انيته في نظره فضلاً عن انية غيره ، وهذا لا يتحصل الا بانسراح الصدر وسعة نور القلب وغلبة نورانيته على ظلمة نقصانه الوجودى وتعيينه الامكانى وخروجه عن ظلمات تعيينات الاشياء بصيرورة وجوده الروحانى قوياً شديداً ونوره القلبى تاماً بالغاً مبلغاً لا يمكن ظلمة عدمه ونقصه وتعين نفسه ان يظهر لنفسه ، فلا يرى حينئذ شيئاً من الاشياء العالمية حتى نفسه ، فرجع اليه الامر كله في نظره الشهودى ولا يرى ببصره الروحانى هوية خاصة الا هو منزلها عن تعيينات الاشياء وهو ياتها .

تعين بود كز هستى جدا شد نه حق شد بنده نه بنده خدا شد
ومع ذلك كله لا يمكن ان يدرك كنه ذاته تعالى شأنه ولا يتيسر ان يصل الى حق معرفته كما قال صلى الله عليه وآله : ما عرفناك حق معرفتك .

(نورى)

ص ١٢٨ س ٧ قوله: ولشدة نوره، كأنه اشارة الى ان حقيقة نور ذاته سبحانه محتجة عن عقول اصحاب القرب كما انها محتجة عن عقول غيرهم، وما اشتهر في حق اصحاب القرب من ان العبد في سلوكه يصل الى مقام يندك عنده جبل انيته، فلا يرى الا الموجود الحقيقي، فهو حق لا ريب فيه ولكن بعد تلاشي جبل عقله واندكاك تعين رتبة ادراكه .
(نورى)

ص ١٢٩ س ١٥ قوله: لاجمهاودة صريح ذاته، عند مشاهدة صريح ذاته يتلاشى جبل نور عقل المشاهد ولم تبقى في نظره الا الموجود الصرف الحق، ولم حينئذ اثر من نفسه وعقله فضلا عن عين غيره... اثره ومع ذلك كله لم يظهر له حينئذ ذاته سبحانه، فان المقاض عليه لا يرى مفيضة الا بقدر ما استفاض منه وفاض من عليه .
(نورى)

ص ١٥١ س ٦ كالنفوس وسر الامر كله وقله فيه، فاحسن التأمل فيه، فلو اثر ذاته في الباصرة فلا بد ان ينزل الامر الى ان يصير صورة عينية يتصور بها الباصرة ويرجع الامر حينئذ الى ان الباصرة صارت محلا لاثر من اثاره ومرارة، لانه من اياته، واين هذا من ادراك كنه ذاته تعالى؟ فاستبصر .
(نورى)

ص ١٥٥ س ١٩ ليس هذا الا زيادة الاتعاب، ولا مشاحة في الاصطلاح، لكن اشاعة لا يرضون بهذا .
(نورى)

ص ١٥٦ س ١١ مشهور في الكتب مسطور ان صدق الشريعة لا يوجب صدق طرفيها، فافهم .
(نورى)

ص ١٥٧ س ٧ مطلق كه بود زهر صفت پاك اورانـتوان نمود ادراك

زانرو كه بعقل چون درآيد البته بصورتى نمايد
پس هرچه توميكى خيالش باشد زمظاهر جمالش

ص ١٦١ س ٢ العلوم العقلية اذا كانت موجودة بوجودات ضعيفة ظلية ذهنية لا يترتب عليها الاثار، اى اثار الحقايق التى علمت بتلك العلوم الظلية، واذا قويت وتشددت وزالت عنها الضعف وذهبت عنها بل عن جوهر الروح الانسانى رين التعلقات البدنية والصفات النفسانية صارت اعياناً، اى موجودات عقلية وعقولا مجردة بل عقلا كاملا بسيطاً فعلا، فافهم .

(نورى)

ص ١٦٠ س ١٩ لاختفاء ولادقة ان اراد زيادة لانكشاف، بل لانزاع لاحد فيه .

(نورى)

ص ١٦٣ س ٩ لعل بين ايديهم يشير الى الانكشاف العقلى كما لاصحاب القرب، وبايمانهم يشير الى الكشف المثلث كله كما لاصحاب اليمين، او كليهما يشير الى الكشف العقلى بتفاوت او بلا تفاوت .

(نورى)

ص ١٦٤ س ٥ هذا بعينه كلام الاعرابى، ونحن بحمد الله نسبح ربنا عن امثال هذه الخيالات والحكايات، رب ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه .

(نورى)

ص ١٦٤ س ٢١ والسرفيه ان حقيقة الشى الذى له حد مركب من الجنس والفصل انما يكون فصله الاخير وباقى الاجزاء خارجة عن حاق حقيقته، اذ الشى شئى بصورته لا بمادته، والفصل الذى هو حد الاخير فى الحد انما هو الحد الوسط فى البرهان اللمى، فافهم هذا واحفظه عن الاغيار فان فيه سرّاً عظيماً .

(نورى)

ص ١٦٥ س ١٠ اذ غاية الكل الخير البحت ، فالكل يطلبه و يشتاقه وامنوا به ، ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثق لا انفصام لها .

(نورى)

ص ١٦٥ س ١٧ اذ الماهيات الكلية والاعيان الثابتة فانية مضمحلة فى الوجودات الامكانية التى هى توجد بها ، والوجودات الامكانية فانية مضمحلة فى وجوده تعالى ، ليس فى الدار غيره ديار . غيرتش غيردر جهان نكداشت . وبشارة اخرى : الجنس مضمن فى الفصل فان فيه ، وحقيقة الفصل والفضل الحقيقى انما هو حقيقة العلة لما برهن عليه من ان الحد الاخير فى الحد هو بعينه الحد الوسط فى البرهان وفيه غاية مبتغاك ، فافهم واحفظ ولا تشطط .

(نورى)

ص ١٦٦ س ١٥ انما سمي نور الحجاب به لكونه حاجباً عن الشهود ، ومن هنا قيل : العلم حجاب الاكبر ، وسمى نور السترة لكونه مستوراً عن العقل النظرى والعل البشرى او لكونه ساتر العين العارف ورافعاً لانيته وماحياً عن نظره ، فافهم .

(نورى)

ص ١٦٧ س ١٥ اركان العرش الاعظم والعرش الحقيقى اربعة : النور الابيض والنور الاصفر والنور الاخضر والنور الاحمر ، الصبا والجنوب والشمال والدبور ، والدبور المرة الصفراء وهو النور الاحمر ، قوة السوداء وهو النور الاخضر ، والجنوب قوة الدم وهو النور الاصفر ، والصبا قوة البلغم وهو النور الابيض ، الماء فى العالم الكبير بازاء البلغم فى الصغير ، والهواء فيه بمنزلة الدم فيه ، والنار فيه بمنزلة الصفراء فيه ، والارض فيه بمنزلة السوداء فيه ، وهذا الوجه من الاعتبارات لا ينافى ما اشار اليه الشارح قدس سره بقوله : وهما كطبقتى النار والهواء ، اذ الاعتبارات مختلفة وهو قدس سره اعتبر اللطافة والتفوق وانى اعتبرت الكيفية ،

فافهم ولا تغفل .

(نورى)

ص ١٦٧ س ١٥ اسرافيل ، جبرائيل ، ميكائيل ، عزرائيل ، سبحانه الله ، والحمد لله ،
ولا اله الا الله ، والله اكبر .

(نورى)

ص ١٦٧ س ٢٣ حق رابغير دل نبود منزل دگر
آن هم دل شكسته دلان ني دل دكر
(نورى)

ص ١٦٩ س ١٠ والسرفيه ، اى فى رفع الاشكال بوجه : ان الالهية والربوبية مراتب
وهى موجودة بوجود واحد باقية ببقاء واحد ، والعالم انما هو ما سواه سبحانه وليس الا
الاجسام بصورها وطبايعها واعراضها وموادها ، والكل حادث زائل والقديم هو الله سبحانه
وقضائه وعلمه وامره وكلمته التامة كما قال به الشارح فى مسفوراته ، وهذا عزيز المنال جداً
وله بطن عميق لا يصل اليه الا واحد بعد واحد .

(نورى)

ص ١٧١ س ٤ فى ان جوهر الوهم بعينه جوهر العقل فانتبه ايها الطالب من نوم
الغفلة واعتبر من قوله قدس سره : فما دامت القوة العقلية ... الى آخره ، حيث نبه على ان
ملاك الامر تعلق جوهر النفس بالمادة المظلمة العنصرية فما لم يتجرد عن هذا التعلق بالكلية
او لم يغلب عليه جنبه التجرد لم يصير عقلاً تاماً ، وليس الامر كما يتوهمه الجمهور فى المشهور
من كون الوهم مجرد مدرك المعانى الجزئية والعقل قوة يدرك بها المعانى المطلقة الكلية ، فانه
وان كان له وجه لكنه رمز قل من يدرك حقيقة الامر فيه ، فافهم .

(نورى)

ص ١٧٥ س ٢٠ من جهة حصول الايصال التعلقى بين البصر وبين المرئى ، اذ

التصرف من النفس لا يتصور الا من جهة الوضع او اتصال ما كما يتصرف في بعض اعضاء بدنه بتوسط بعض آخر منه يتصل به ، فاهواء المعتبر هنا لتحصيل الاتصال والخلاء ينافيه .

(نورى)

ص ١٨٨ س ٢١ فان المتماثلين كل منهما موجود محدود مقيد بوجود الاخر ، فلوصار احدهما علة موجدة للآخر فيلزم ان يكون محيطاً به غير فاقد لكمال وجوده ، فان العلة تمام العلول ، وحينئذ لزم تقدم الشئ على نفسه كما لا يخفى على من له ربط بالحكمة الحقّة .

(نورى)

ص ١٨٢ س ٥ اى يجب ان يكون معنى الوجود او العلم مثلاً مشتركاً بينه وبينها مقولاً عليه وعليها بالتفاوت الذى يؤدى الى البينونة الصفئية ، ولا يتحقق هذه البينونة الا بين الشئ وأيته وحكايته ، فهو الشئ بحقيقة الشئيه وما سواه من الوجودات اشعة نوره ولمعات وجوده .

(نورى)

ص ١٨٩ س ٧ والمراد من الغيرية المنفية ههنا انما هى البينونة الصفئية التى تؤدى الى كون العلة الحقيقية غنية مطلقة صرف الغنية ومعلولا تها هويات فاقرة الذوات تعلقية الهويات ، فاقرات بحتة ، ووجود الشبه ينافى ذلك ، فافهم واستقم .

(نورى)

ص ٢٢٦ س ١٩ كلمة كن اضافة اشرافية نورية ، ونسبة استوائية امرية له سبحانه الى خلقه كله ، وهى بوجه وجودات الاشياء الخلقية ، فالاشياء الخلقية باعتبار جهة ارتباطها لله جل اسمه امرية وباعتبار جهة انفسها وتعينات ذواتها خلقية ، وتلك الجهة التى بها ارتبطت الاشياء اليه تعالى هى الجهة القدسية التى يعبر عنها باضافة ايجاده للاشياء وعالميته وارادته وغيرها مما يوصف به ذاته سبحانه ، وهذه الجهة التى هى جهة تعين الاشياء هى التى يعبر عنها بالمعلوم والحادث والمراد وغيرها بنحو يناسب الاشياء ، والتفصيل والتفرقة

يتصوران من ناحية هذه الجهة ، والجمعية والتمامية والطي والاستوائية انما تحصلت وتقررت من ناحية تلك الجهة ، وتلك البينونة بينهما مناط التفرقة بين عالمى الامر والخلق ، فالاشياء باعتبار تلك الجهة الجمعية مطوية ثابتة ، وباعتبار هذه الجهة الفرقية امور متجددة دائرة زائلة خلقية موجودة بالعرض ، اى بضرب من التوسع الذي لا يعرفه الا اهل العلم يخالف بالحقيقة لما يفهمه العامة من المجاز المعروف بالمجاز فى الاسناد ، فافهم .

(نورى)

ص ٢٢٧ س ٤ العطف ب «ثم» فى كلام العصمة عليهم السلام اشارة الى البينونة الصفية التى حصلت بين عالمى الامر والخلق .

(نورى)

ص ٢٢٧ س ٦ يعنى ان الارادة لما صدرت من انفسنا العاملة الشاعرة فهى فعل ارادى بنفسها ، وغيره الارادة من التحريكات والحركات انما صار فعلا اراد يالابنفسه بل بسبب الارادة ، فالارادة صارت ارادية (كذا) مرادة بنفسها وغير الارادة صار مراداً وفعلا اراد يابها ، فافهم .

(نورى)

ص ٢٢٨ س ١٣ انما قال شبه المرض لمكان الفرق بين فساد الروح وفساد البدن ، فلكل منهما عارض لا يلائمه وهو مرضه الذى توجهه و يؤلمه ، والتفاوت بينهما بالكمال والنقص ، والروحانى اشد من الجسمانى ، وذلك فى الصحة .

(نورى)

ص ٢٢٨ س ١٥ فيه سر سرير ينحل به عقدة عظيمة عجزت عن حلها عقول العقلاء بل الفضلاء الذين قالوا بالحسن والقبح العقليين ، فتدبر .

(نورى)

ص ٢٣٢ س ١٣ اى ولا يجوز يقدر ان لا يعلم ، فهو عطف على قوله : ولا يجوز ان يقال ،

لاعلى قوله: يقدر، كما يترا اى وهو كما ترى ، وحينئذ يصير مفاد التسبيح كما سيصرح الشارح قدس سره واحداً ، فافهم .

(نورى)

ص ٢٤٩ س ٣ في الادعية المأثورة: اللهم انى اسألك بالوحدانية الكبرى والمحمدية البيضاء والعلوية العلياء وبجميع ما احتجبت به على جميع خلقك وبالاسم الذى حجبتة عن خلقك فلم يخرج منك الا اليك... الدعاء. فالوحدانية الكبرى كأنه اشارة الى حقيقة الحق الحقيقى جل شأنه والى احديته وواحديته ، والمحمدية البيضاء اشارة الى الوجود الانبساطى النورى المنزه بحسب مرتبة نفسه عن ظلمة التعين الامكاني ، والعلوية العلياء اشارة الى المصادر الاول الذى هو العقل الكلى الاول والقلم الاعلى المقدم على سمة الحقايق العالمية والموجودات الامكانية التى كانت موجودة فيه رتقا ففتقت عن ذلك الرتق وتفرقت عن تلك الجمعية ، وبجميع ما احتجبت به عن خلقك اشارة الى الخليقة الفتقية ، وبالاسلام الذى حجبتة عن خلقك اشارة الى الاسم المكنون المخزون اى الجهة الجامعة ، او هو الوجوب الذى يرجع اليه سبحانه كما مر، فافهم .

(نورى)

ص ٢٦٠ س ٢٢ يعنى ان الامر حينئذ يرجع الى نفى صفات الكمال عنه سبحانه ، اذا طلاق الصفات عليه على ما قالوا لا يكون الا بطريق التوسع والمجاز والسلب كما حقق فى علامة المجاز ولوازمه ، فهو سبحانه حينئذ ليس بعالم حقيقة ، بل جاهل وليس بقادر حقيقة ، بل عاجز وليس بحى ، بل ميتاً بل ليس بموجود بل معدوماً ، وهكذا وهو كما ترى .

(نورى)

ص ٢٦١ س ١٨ لا يخفى ان مفاد ظاهر هذا الحديث يقتضى ان يكون معلوم اله بمعنى مجهول عبد ، ومجهول اله بمعنى معلوم عبد ، وهذه كأنها قاعدة مطردة تجرى فى مواد ومواضع ، وقد رأيت من بعض الافاضل تلك القاعدة حسبما شاهدت من بعض مصنفاة ، فعلى هذا قوله عليه السلام: اله يقتضى مألوها يعنى يقتضى عابداً بمقتضى التضاييف ، وحكم

التضاييف يقتض التكاؤ؁ فلما كان الوهية تعالى صرف الالهية فلا عبودية في الواقع الاله تعالى؁ فلا اله الا هو؁ الا الى الله تصير الامور؁ فافهم .

(نورى)

ص ٢٦٤ س ٤ ؛ فلما كان المظهر عين الظاهر كما مر بوجه شريف؁ فالظاهر في كل مظهر بحسبه وحكمه؁ اذ ليس بينهما بينونة بوجه العزلة؁ خارج عن الاشياء لا كخروج شى عن شى؁ وداخل في الاشياء لا كدخول شى في شى؁ مع كل لا بالمقارنة وغير كل شى لا بالمزائلة؁ بان عن الاشياء بالقهر لها وبانت الاشياء عنه بالخضوع له؁ توحيد تميزه عن خلقه وحكم التميز بينونة صفة لابنونة عزلة؁ فافهم ان كنت اهلا له ان شاء الله .

(نورى)

ص ٢٦٧ س ٣ من كونه تعالى كمال الكمالات وتام التمامات في الاشياء كلها؁ وكمال الشى هو الشى بوجه اكمل؁ والشى بوجه الاكمل غاية وتام للشى بما هو على خلاف الاكمل؁ وكيف لا ؟ وكل شى انما يطلب شيئا لكونه كمالا له وتاماً لنقصه؁ فالكمال بما هو كمال غاية الكل وهو سبحانه كمال صرف من دون سائبة نقص اصلا .

(نورى)

ص ٢٦٧ س ٩ اى اول على تأويل الازلية واخر على تأويل نفى العدم عنه تعالى؁ ازلى؁ اى لم يسبقه العدم؁ ابدى؁ اى لم يلحقه العدم؁ فافهم .

(نورى)

ص ٢٧٤ س ١٧ كمال الاخلاص نفى الصفات عنه؁ فمن وصفه جهله به؁ توصف الصفات لا بها يوصف؁ لا يناله غوص الفطن؁ ليس لصفته حد محدود؁ والسرفيه ان المراد من الوصف ههنا هو كشف الحجاب عن وجه الموصوف؁ والوصف في حقه تعالى عين جعله محجوباً فصار ضد المطلوب مطلوباً .

(نورى)

ص ٢٨١ س ١٩ اى بالمغايرة الصفية لا العزلية ، والا لزم كون الشئ علةً لثله فى الطبيعة كما نهر (كذا) وهذا الذى اظهرنا مما يفصح عنه اخبار العصمة واثار الولاية كما قالوا عليهم السلام : توحيد تميزه عن خلقه وحكم التميز بينونة صفة لا بينونة عزلة ، خارج عن الاشياء لا بمزائلة ، داخل فى الاشياء لا بالممازجة ، خارج عن الاشياء لا كخروج شئ عن شئ ، داخل فى الاشياء لا كدخول شئ فى شئ ، بان عن الاشياء بالقهر لها ، وبانت الاشياء عنه بالخضوع له ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٢٨٢ س ٨ وما يجب ان يعلم ان التشكيك عامى وخاصى ، والعامى ما يدركه ويعقله جمهور اهل العلم ، اى العلماء بالعلم الرسمى ، والخاصى منه ما لا يتصور ادراكه الا لاصحاب الحكمة الحققة والعلوم الحقيقية ، والكلى المشكك الذى يصح اشتراكه بينه سبحانه عن الشريك والشبيه وبين خلقه انما هو بالوجه الخاصى ، فان العامى منه فساده مثل فساد المتواطىء والمماثلة التى ابطلت قبيل هذا ، والتشكيك الخاصى يرجع الى بينونة الصفية التى وصفناها فى الحاشية السابقة وحق ادراكه صعب مستصعب لا بد فيه من الاخذ بالمشاهدة او بالرياضة ، فافهم .

(نورى)

ص ٢٨٤ س ١٢ مما يجب ان يعلم ههنا هو ان وحدته تعالى لها مرتبتين : اى مرتبة الاحدية ، وهذه المرتبة هى مرتبة كنه ذاته المقدسة عن شوائب الكثرة مطلقاً ، ومرتبة الواحدية ، وهى مرتبة صقع اسمائه الحسنى وصفاته العليا التى هى بعد مرتبة كنه ذاته الاحدية ، ومرتبة الواحدية ليست مباينة عن مرتبة الاحدية ولا خارجة عنها كخروج شئ عن شئ ، بل هى بمرتبة معانى الاسماء الذاتية والشؤون الالهية والحشيات الربوبية مستهلكة فى مرتبة الاحدية بحيث لا يمكن ان يشار اليها اشارة انفرادية استقلالية ، فهى فاقرة اليها تابعة لها لا كتبعية شئ لشئ بل كتبعية الظل والفى بوجه يعرفه العلماء ، اذا عرفت هذا فاعلم : ان للموجودات التى فاقت عنه تعالى ودخلت كلها فى حيطه علمه وقدرته ، اللذين هما عين ذاته اعتباران : اعتبار مرتبة المشية التى سبقت على الاشياء ورحمته التى وسعت كلها ، فهذه

المرتبة ظل مرتبة الاحدية الذاتية ، واعتبار وجودات الاشياء العالمية في حدود انفسها الخارجية ، فهذه المرتبة ظل للمرتبة الواحدية الاسمائية كل موجود منها بازاء اسم من الاسماء .

(نورى)

ص ٢٨٤ س ١٤ اما الروحى فمن حيث انت به اليه سبحانه حيث قال عز من قائل : ونفخت فيه من روحي ، فيلاحظ فيه وجه اخر ولا سيما في الانسان الكامل كادم ولاسيما في الخاتم ، فان مرتبة واحدية الخاتم اى عالم جسمه وبدنه المعظم ظل الوحدانية سبحانه ، ومرتبة احديته صلى الله عليه وآله اى صقع روحه القدسى بحسب مرتبة مقام او ادنى ظل لمرتبة احديته جل شأنه ، وبوجه آخر: هو صلى الله عليه وآله ظل الاحدية الحققة سبحانه ، والعالم الكبير بجميع انواعه من الروحانية والجسمانية ظل للواحدية عز شأنها ، ومن اجل ذلك صار علة العالم بداية ونهاية ، اى غاية ، فان الواحدية تبع للاحدية فالكمال الذى فيه وجوده مبدأ لكمال الذى ظهر في العالم . لراقمه فيه بالفارسية :

گل گلشن این روی نیكوندارد كه روی گل این چشم و ابرو ندارد
وهذا السر هو الوجه في انحلال كل مركب الى البسيط وكل كثرة الى الوحدة ، فافهم جداً
فان فيه سرّاً شريفاً .

(نورى)

ص ٢٨٤ س ١٩ المترا اى من ظاهر كلامه قدس سره هنا هو ان الانسان قد وقع فيه كثرة لا يقع في شئ من الاشياء العالمية ، فعلى هذا يجب ان يكون انقص الاشياء وابعدها عن منبع الوحدة ، والامر يجب ان يكون بعكس ذلك الحقيقة ، والسرفيه هو ان الشئ اذا تجاوز الحد ينعكس الى الضد ، فالانسان لما جاوز الحد في الكثرة انعكس امر سره الى الوحدة بوجه يعرفه الرجل الخاص لاغيره ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٢٨٦ س ١٥ اقول : ولاشئ غير ذاته سبحانه ، والايجاد لاشئ ولا عن شئ هو

المسمى بالاختراع ، ولا شئ غير ذات الموجد يسمى بالابداع .
(نورى)

ص ٢٨٩ س ١٤ قد اشرنا مراراً الى ان الكلى المشكك ايضاً له وجهان : وجه عامى ووجه خاصى ، وما غفل عنه الجمهور ولم يعلموه انما هو الوجه الخاصى ، والا فكيف يجوز ان يقال ان الاكثرين لم يعقلوا المشكك مطلقاً كما يتراى من ظاهر كلام الشارح قدس سره هنا ، وهو اجل من ان يشته عليه هذا ، فيجب ان يوجه كلامه قدس سره بالوجه الخاصى ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٢٩٠ س ٧ هذا التفسير ليس على ما ينبغى ، اذ هو معنى الامكان بالقياس وهو اعم من المعية الذاتية ، وهذا بظاهره غريب منه قدس سره وهو من باب سهو القلم ، اللهم الا ان يتصرف فيه بالعناية وهو ظاهر .

(نورى)

ص ٢٩١ س ١٨ اعلم ان العالم بكليته كلام الله بوجه وكتاب الله بوجه اخر ، وقد كنا فى عالم الارواح قبل الاجساد والاشباح عارفين به تعالى وباسمائى الحسنى وصفاته العليا ، واذ نزلنا الى هذه القرية الظالم اهلها فقد نسينا ما كنا فيه من النعماء الروحانية والالاء النورانية ، فاقترضت العناية وافضت الرحمة الى ان نرجع الى ما كنا فيه ، فكتب الكتاب وانزله وشرح اسمائه وصفاته فيه وبسط ذلك الشرح لكى يتيسر لنا التلاوة فقال : فاقرأوا ماتيسر من القرآن ، وقيل بلسانه : اقرأوا رقى ، فامرنا بلسان رسله وبيان حججه عليهم السلام بالتلاوة لئلا نبقى على النسيان ، فان البقاء عليه انما هو الخسران ، فظهر ان وضع الاسماء بجميع معانيه لغاية هى لنا وهى كمالنا فى الآخرة والاولى التى كنا فيها واليه يرجع الامر كله ، الاله الخلق والامر ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٢٩٢ س ٢٠ والدليل عليهم قولهم عليهم السلام : وهو الشئ بحقيقة الشئية ،

والسرفيه اما [ان] يقال : معطى شئ فآقد آن نيسٲ . فكل ما ان من علينا فهو ثابت له في مرتبة ذاته بنحو اعلى لثلا يلزم التشارك والتشابه .

(نورى)

ص ٢٩٣ س ١٩ ما لا يعرفه الا اصحاب الرسوخ هو بسيط الحقيقة كل الاشياء بضرب اشرف وبوجه اعلى ، وهذا هو الذي يسمونه بالكثرة في الوحدة ، فهو سبحانه بوحده الحقة الصرفة حاو للاشياء كاحتواء الكل للاجزاء ، فانه سبحانه كل الاشياء ولكن الكل منه ليس له بعض ، ودرك حقيقة هذه المسألة كما هى لا يتيسر الا لواحد بعد واحد وليس مشرباً لكل وارد ، وكيف لا ؟ وهى ام الغوامض الالهية ، وكل من ادرك حقيقة معناها فهو الذى بلغ ونال غاية المبتغى ، فاجتهد .

(نورى)

ص ٢٩٦ س ١٥ وفي كل شئ له اية تدل على انه واحد
هر گياهى كه از زمين رويد وحده لاشريك له كويد
عالم بخروش لاله الا هو است

(نورى)

ص ٣٠٠ س ١ والسرفيه كونه سبحانه محيطا بالاشياء كلها لا كاحاطة شئ بشئ ، بل احاطته احاطة قوية قيومية لا يتفاوت في قيمته وماترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فاستبصر .

(نورى)

ص ٣٠٠ س ٢٠ والحاصل ان القرب والبعد لا يتصور ان الا بالبينونة ، والبينونة بينه سبحانه وبين الاشياء ليست الا صفتية لا بينونة العزلة ، فالقرب والبعد بين وبين الاشياء ليسا الا بالصفات ، بان عن الاشياء بالقهر لها وبانت الاشياء عنه بالخضوع له .

(نورى)

ص ٣٠٣ س ٩ هذا استدراك مما اشتهر وتقرر ان العالى لا يلتفت الى السافل ، ووجهه ان معنى ما اشتهر هو ان العالى لا قصد له ولا غاية له فى السافل ، وهذا لا ينافى كونه جواداً ورؤفاً ورحيماً به ، بل يؤكد ويكشف عن كونه عالياً غنياً عن السافل كما لا يخفى على من له قدم فى العلم .

(نورى)

ص ٣٠٣ س ١٣ والسرفى كل ذلك هو كونه سبحانه عزيزاً قاهراً على الاشياء كلها ومحيطاً بها ، والقهر والاحاطة ينافى خلاف ذلك ، فاعتبر .

(نورى)

ص ٣٠٥ س ٣ حاضر غير محدود غائب غير مفقود موجود لا يخفى ، يطلب بكل مكان ولم يخل عنه مكان طرفه عين ابداً ، وهو تمام التمامات وكمال الكمالات ، وتمام الشئ أولى به من نفسه ، والى هذا اشار عليه السلام بقوله : واليه اقرب من حبل الوريد ، وكون تمام الشئ أولى به من نفسه كما قال تعالى : النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٣٠٥ س ٧ خلوشى من شئ ، اذ هو سبحانه قيوم الكل ومقوم الجبل والكل ، فهو مع كل شئ معية قيومية تنفى بينونة العزلة ، فمعيته سبحانه بالاشياء بخلاف كون شئ مع شئ ، كما انه تعالى شئ بخلاف الاشياء وهو الشئ بحقيقة الشيئية ، وهذا من غوامض الغوامض .

(نورى)

ص ٣٠٧ س ٢٠ فان الجوهرية الامتدادية التى هى نفس الممتد الامتدادى نسبتها الى الحدود المعينة المختلفة نسبة استوائية ، فتخصيصها بشئ منها دون شئ آخر منها يكون لامر

خارج عن ذاتها، فكل امر ممتد متناه محدود بحد او حدود معينة تعينه وتخصه به او بها اذا كان من مخصص مقدر خارج عن حاق نفسه، فهو في حد نفسه بالامكان والقوة والمخصص سبب لخروجه من القوة الى الفعل، فهو اذن بحسب هذا التعين المقدرى محدث، والحدوث التجددى يستلزم الحدوث الذاتى وهو مناف للوجوب والقدم الذاتى، وبوجه آخر: كل متناه متقدر ممكن ذوماهية لمكان تقدره الشخصى الزائد فى الوجود على جوهر ذاته العارض له، وكون كل معروض لعرض كذلك محدوداً فى وجوده الذى يزيد عليه وجود العرض، وكون كل محدود كذلك موجوداً بوجود زائد على جوهر ذاته كما قرر فى محله، وكل ماهية كلية نسبتها الى خصوصيات اشخاصه نسبة استوائية، فلا بد لها فى وقوع شئ منها من مخصص خارج يخصص تلك الماهية فى وجودها بخصوصية شخصية منها، وتلك الخصوصية لما كانت بالاعراض الزائدة فى الوجود فى مانحن فيه فيلزم كونها محدثة بالحدوث الزمانى، هذا الذى تجشمننا انما هو نبأ على انه قدس سره اراد بالحدوث ههنا الحدوث الزمانى كما هو ظاهر كلامه ولولم يبين عليه، ففى الزام مجرد الحدوث الذاتى لايحتاج الى مزيد عناية كما لا يخفى، فافهم.

(نورى)

ص ٣٠٨ س ١٥ والسرفيه هو كون الهيولى محتاجة فى وجود ذاتها الى الصورة وكون الصورة شريكة لفاعلها مباشرة فى ايجادها، والصورة الجسمية تتنوع وتتحصل بالصورة النوعية مع كونها بنفسها منوعة بتنوع ضعيف ينجبر بمنوعية الصورة النوعية، فتأمل جداً فانه غامض جداً.

(نورى)

ص ٣١٢ س ١٩ اعلم ان الفيض المقدس الذى هو المشية التى خلقها الله تعالى بنفسها ثم خلق الاشياء بها، هو نسبة الله تعالى، وتعلق علمه الكمالى وقدرته الكمالية وعنايته الاولى الازلية بالاشياء وهو علمه الاضافى وقدرته الاضافية وعنايته ومشيته الثانية ورحمته الواسعة ونسبته الاستوائية، وبوجه: روحه الذى به احى الاشياء ونوره السارى فى الارض والسماء، فهو بما هى قدرته الاضافية يستعمل بـ «على» كما فى قوله عليه السلام:

استوى على كل شىء، وبما هي نسبة استوائية يستعمل بـ «من» و«الى» كما في قوله عليه السلام: استوى من كل شىء بتضمين معنى القرب والبعد، وبما هو روح ونور يستعمل بـ «في» كما في قوله عليه السلام: استوى في كل شىء، فافهم واغتنم .

(نورى)

ص ٣١٤ س ١٠ اقول: انه سبحانه لما كان خارجاً عن الثلاثة مثلاً لا كخروج شىء عن شىء، بل بالصفة (اي ليس بينونة بينه سبحانه وبين الاشياء بينونة العزلة، فانها توجب التحديد في وجود الذات وكمالاته، بل الصفة بانه واجب غنى وهي ممكنة فقيرة) فكان معها لا كمعية... شىء به، بل معيته سبحانه معية قيومية، فهو سبحانه يكون مع كل عدد خارج عنه مقوماً وقيوماً له لادخالاً فيه كدخول كل واحد من احاد الثلاثة فيها، فهو رابع الثلاثة لاربع الاربعة، والسر في كونه سبحانه مع كل مرتبة من العدد الموجود في الواقع هو... الذاتى اليه تعالى، والذاتى لا يختلف ولا يتخلف مادام الذات .

(نورى)

ص ٣١٦ س ١٤ داخل في الاشياء لا كدخول شىء في شىء، خارج عن الاشياء لا كخروج شىء عن شىء، وكل ذلك ينفى بينونة العزلة الموجبة لورود تلك الاشكالات وغيرها، فينفي بينونة العزلة يثبت مقابلها بحكم المقابلة، قال امير المؤمنين عليه السلام في ما روى عنه: توحيد تميزه عن خلقه وحكم التميز بينونة صفة لا بينونة عزلة والسر كله فيه، فافهم .

(نورى)

ص ٣١٧ س ٣ يعنى قدس سره ان بينونة بين زيد وعمرو بينونة العزلة التي توجب التجدد والتحديد، فان زيداً فاقد لوجود عمرو بعينه ووجوده محدود لا يوجد لغيره، وكل محدود كذلك مركب معتمل، والمركب معتمل محتاج معلول في ذاته، ومباينته تعالى لخلقها، انما هي مباينة صفتية فقط، بان عن الاشياء بالقهر لها وبانت الاشياء عنه بالخضوع له، والله الغنى وانتم الفقراء، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٣١٨ س ٢٢ لا يخفى على اولى النهى ان النسبة الاستوائية التى له سبحانه الى جميع خليقته الذى هو المعبر عنه بالعرش هونوره الفائض منه سبحانه اولاً وبالذات المسمى بالابداع والصنع وهو «كن» الاولى وهو الامر الذى قال سبحانه فيه : وما امرنا الا واحدة وقال الرضا عليه السلام فى بعض ما روى عنه : ولا يقال له اكثر من صنع ، يعنى لا يقال له سبحانه اكثر من ايجاد واحد وابداع فارد موافقا لقوله سبحانه : وما امرنا الا واحدة وهو نوره السارى فى السموات والارضين وروحه الذى نفخ فى قوالب الاشياء واجساد الارض والسماء وهو قدرته الاضافية واشراقه على الاشياء ، فهو نور وحدانى احدى يسمى بالاسماء المختلفة ويلقب بالالقاب المتفاوتة ، ومن ثم يستعمل بـ «على» و «فى» و «من» وغيرها ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٢٠ س ١ السرفيه ان كنه ذاته سبحانه لما كان وجوداً صرفاً والوجود هو مبدأ الاثر لاغيره ، اى غير الوجود الا بضرب من التبعية والمجاز غير المجاز العامى ، فالأثر الذى يترتب اولاً وبالذات على وجوده الصرف الذى هو كنه ذاته سبحانه ايضاً صرف فى كونه اثرأً وفعلاً وصنعاً وابداعاً وجاعلية وفاعلية وقدرة اضافية ، اى اضافة القدرة الحقيقية التى هى عين مرتبة ذاته سبحانه ، فاذا كانت جاعليته وفاعليته صرفة فهى كل الابداعات بنحو اعلى كما ان وجوده الصرف كل الوجودات بنحو اعلى ، فكانت تلك الجاعلية الصرفة الكلية كلا لا بعض له ، وليس فيه ايجاد دون ايجاد وهو جمع الابداعات لا تفاوت فيه فى كونه ايجاداً لكل شىء فافهم .

(نورى)

ص ٣٢٠ س ٣ واصل السرفيه ان فعله فى الاشياء بالذات الفائض منه بالحقيقة ، هو الفعل المطلق الذى يحتوى على كل الافعال بنحو اعلى بخلاف فعل شىء من الاشياء فانه كفاعله مقيد محدود ، فهو سبحانه كما ان وجوده وجود صرف غير محدود وموجود غير فقيد ،

فكذلك فعله بالذات فعل صرف وتأثير بحث لا يشوبه في كونه تأثيراً وإيجاداً وافاضة ورحمة نقص وقصور، فهو إيجاد الكل وكل الابداعات لان الكل منه له بعض ، وهو الفعل الابدادي الكلي نفس نسبتة الاستوائية ورحمته الواسعة ، فكان ويكون كل شئ به ، كل في مرتبة نفسه المحدودة ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٢٠ س ١٢ هذا بظاهره كما ترى ولكنه حق ، اذ الارتحال اما بان يتحرك في الدين اولاً ، والاول باطل في حقه سبحانه والثاني يدل على ما لزم بقوله : لا يقال ... الى اخر ما قال فيه ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٢٠ س ١٢ لانه ارتحال الخلق الى المخلوق ، والخالق بما هو خالق غنى ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٢٠ س ٢٢ هذا بظاهره كما ترى ، اذ يحتمل ان لا يحتمل الحركة الاينية لكماله كالفلك لنقصانه كما لزم من مرض ، فاحسن التأمل فيه لتصل الى مغزاه .

(نورى)

ص ٣٢١ س ١٠ هذا بظاهره منتقض بكونه موجوداً وشيئاً وعالمياً وحيماً وغير ذلك مما يكون مشتركاً معنوياً من جهة المعنى والمفهوم كالوجود والشئ ، فكل ما يقال في دفع مقسدة المماثلة في باب الوجود مثلاً يقال في باب الجلوس بعينه ، فيكيف التخلص والتفصي ؟ فاعلم : ان السرفيه هو ان كلا من الوجود وامثاله مشترك معنى يقال : بالتشكيك الخاصى لا العامى على الواجب وغيره ، وبه يندفع المماثلة والمشابهة ، واما الجلوس وامثاله من صفات الاجسام فهى مشتركة معنى مقولة بالتواطؤ والتشكيك العامى لا الخاصى ، فافهم ان شاء الله .

(نورى)

ص ٣٢١ س ٢١ هذا مما لا ينكشف حقيقته الا بكشف حقيقة الجسمية وكونه امرأ

ممتداً امتدادياً يغيب دائماً بعضه عن بعضه بل كله عن نفسه ، هذا من جهة ملاحظة مدة المكانية ، واما من جهة مدة الزمانى فهو اظهر من ان يخفى على اصحاب البصائر ، فاستبصر .

(نورى)

ص ٣٢٢ س ١٢ المراد من الجسمية هو الامتداد الذى نفسه غائبة عن نفسه وكل جزء منه غائب عن الاجزاء الاخر بل عن نفسه ، ومحصله انه مجرد الغيوبة والظلمة والغسق والكثافة ، والغيبة والظلمة ليستا الا حقيقة العدم والفقد ، ومن هنا يظهر ان جسمية الارض اقوى فى باب الجسمية مما احاط بها ، وهى اخس منزلة مما سواها ، وجسم المحيط العرشى مع عظمه وكونه اعظم من كل ما احاط به بحيث يقال كما ورد فى الخبرين : ان الكرسي فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة ، اضعف جسمية من كل ما سواه ، والسرفيه بعد ما واما هو ان جسميته النورية التى تقرب من ان يخرج من كونها امتداداً جسمانياً مادياً ظلمانياً زمانياً ، ويدخل فى الوجود النورى المثلثى الجمعى الذى انما هى طى الجسمانيات التى احاطت بها ، وتلك الجسمانيات المتفرقة مجتمعة فيها بضرب اعلى وكذلك زماناً ، فافهم ان شاء الله تعالى .

(نورى)

ص ٣٢٩ س ٣ الظاهر ان الديصانى فى احتجاجه استند بما يقال من ان اعادة النكرة ، والنكرة المعادة تدل على التعدد ، وهو لا يستقيم الا على قوله وقول اصحابه من الطباعية او الثنوية مطلقاً ، اذ الطباعية ايضاً قائلون بتعدد الاله لاختلاف الطبائع نوعاً وشخصاً ، وعلى هذا لا يكون بناء جوابه عليه السلام على ما قرره الشارح العارف قدس سره وتبعه تلميذه طاب ثراه فى شرحه الوافى ، بل الظاهر الراجح حينئذ هو ان يقال : انه عليه السلام افاد ان اعادة النكرة لا تستوجب الاتعدد ما وهو متحصل بتعدد الاسم . مع وحدة المسمى ايضاً كما هو هنا الامر وعليه نبأ الآية الكريمة ، فان رجعت وقلت : ان مقتضى الاعادة انما هو تعدد الذات ولا يكفى مجرد تعدد الاسم . قلت : ذلك وان كان كذلك لكن الامر فى مانحن فيه ادق والطف مما يتراى من ظاهر جوابنا الذى ينبىء عن ارادة مجرد

تعدد الاسم بمعنى اللفظ ، فان فيه سرّاً استيراً لا يمكن ان ينكشف حقيقته الا لمؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، وجوابنا هذا رمز وفيه ضرب من الاشارة ، اذ الاسماء الحسنی مع كونها من حيث المعنى عين المسمى لما كانت غيره ايضاً بضرب غيرية لا ينافي العينية ، فكان كل منها الهماً لمربوبه ومظهره الخاص بوجه لا ينافي التوحيد الالوهی ، بل يؤكده ويحققه ، وفهم هذا عسر جداً .

(نوری)

ص ٣٢٨ س ٦ اراد عليه السلام انه سبحانه لا يختلف الاشياء بالنسبة اليه سبحانه قرباً وبعداً الا بالصفة والمعنى ، لا ككون شى اقرب الى شى من شى آخر ، فانه سبحانه شى بخلاف الاشياء وليس بخارج عن الاشياء كخروج شى عن شى حتى يكون بعض الاشياء اقرب اليه من بعض من باب كونه اقرب الى شى من شى اخر ، فاذا عرفت هذا فلا ضرورة توجب وتدعو الى تخصيص هذا التنزيه والتقديس بنفى الاختلاف الوضعي حسبما اورده الشارح العارف الكامل قدس سره العزيز ، فاحسن التأمل حتى تجد مغزى ما اردنا وجدوى ما اوردنا .

(نوری)

ص ٣٣٢ س ٢٢ طريق دلالتة لا يخلوا ما ان يكون مبتنياً على قاعدة الشيخ الاشراقي وهى كون الجميع موجوداً عليحدة غير الاحاد حسبما قرره وغيره ممن تبعه ، او يكون مبتنياً على اساس برهان الاسد والاخصر الموروث من الفارابى ، اما الاولى فهو مدخول فيه كما حققه الشارح نفسه ، واما الثانى فهو الحق وما يتراى من عدم ابتنائها على شى منهما فهو كما ترى .

(نوری)

ص ٣٣٥ س ٢٢ المتراى من ظاهره ليس بمراد ، اذ ظاهر ان كل نفس نفس حتى نفوس الاشقياء بما هى نفوسهم لا تصير فى العاقبة عقولا عارفة وانواراً قاهرة ، وكيف لا؟ والظلمة مضاده للنور والجهل ضد العلم والمعرفة ، ومن اين يتيسر ان يصير نفس ابى جهل

كنفس النبي صلى الله عليه وآله في صيرورتها عقلا ، بل المراد منه ان النفس القدسية الكلية التى هى كل النفوس بوجه اعلى والطف يعرج الى الغاية القصوى ، ويصل الى مرتبة قاب قوسين او ادنى ، هذا وبعد خبايا في لايسعها المجال ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٣٦ س ١٤ هذا التعديل هو التقوى كما في قوله تعالى : واتقوا الله و يعلمكم الله ، وبهذه منه قدس سره كال تصريح بما علقنا قبيل هذا من ان مايتراى من ظاهر قوله ، وتبين ان النفوس لا بد ان تصير في انتهاء الامر عقولا لا يكون مراداً ، فاعتبر بالتدبير .

(نورى)

ص ٣٣٦ س ١٨ الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح ... الآية ، والمراد من المصباح في هذه الكريمة هو نور العقل الكلى الذى له حوامل هى اربعة املاك عقلية ونفسية .

(نورى)

ص ٣٣٨ س ٤ يعنى ان مابه المعادة والمعاندة في الطرفين انما هو ظلمة الجهل المركب ونور العلم والعقل ، اذ هما المتعاندان بالذات ، وفيه وجه اخر يقال في مثل هذا المقام هو ان سعة نوره سعة نوره بحيث يظهر في مرتبة المعاندة مع نفسه ويسع نوره الظلمات ويشملها ان هى الاشئون نوره واطوار ظهوره ، فاستبصر .

(نورى)

ص ٣٣٨ س ١٣ هذا كما يقال : بحوله وقوته اقوم واقعد ، انزل واصعد ، والسرفيه هو سعة نوره وشمول رحمته وعموم قوته وقدرته بحيث لا يبقى نوراً ولا رحمة ولا قدرة سوى نوره ورحمته وقدرته ، ويقهر نوره كل الانوار ويحيط بها ، وهكذا قدرته ورحمته ، ومن هنا وسعت رحمته كل شى^٢ وهو على كل شى^٣ قدير ، فاعتبر .

(نورى)

ص ٣٤٢ س ٢٠ وهذا كما يقال : ان الاول والآخر في السرمد واحد وفي الزمان متعاندان ، ومن ثمة قال تعالى : هو الاول والآخر بخلاف غيره تعالى ، فان اوله غير اخره وبيانه ويعانده ، والازلية في حقه سبحانه عين الابدية ، واذا تنزلنا منزلة الزمان صارت الازلية مضياً والابدية استقبالا وهما متعاندان لا يجتمعان ، ووحدة الازل والابد واتحادهما فيه سبحانه صار في الزمان اتصال الماضي بالمستقبل ، ومحصل هذا الاتصال هو الامتداد الغير القار على نعت الاستمرار ، وهذا الذي القينا اليك فاجعله معياراً في الاعتبار واعتبر هكذا في باب اقتصاد الفلك الدائر واقتصاد الماء الفاتر ولا تكن من الغافلين .

(نورى)

ص ٣٤٣ س ١٠ في المعانى عن النبي صلى الله عليه وآله : يا على : التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ، ظاهره موصوف لا يرى ، باطنه موجود لا يخفى ... الحديث ، فاعتبروا يا اولى الابصار .

(نورى)

ص ٣٤٣ س ١٠ وقد ورد ان العرش هو العلم ، وورد عنهم عليهم السلام في قوله تعالى : كن : هو العرش العلمى حيث قالوا فيه لا بلفظ والة جارحة وغير ذلك مما يوجب التشبيه .

(نورى)

ص ٣٤٣ س ١٨ تمامية المكاشفة انما هي لكشف العقلى والوارد القلبي الذى لا يمكن تكذيبه هو الذى يطابق الضرورى العقلى او الدينى ، او ما اجتمع عليه اصحاب الظاهر والباطن ديناً ومذهباً ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٤٤ س ٢١ وفي السبعين اشارة لطيفة الى الطبيعة السبعية ، والسبعية اذا ضربت في العشرة صار الحاصل سبعين ، وفي تسعة وتسعين اشارة دقيقة في الغاية الى تلك السبعة

وقوتى الشهوة والغضب والحواس العشرة وعليها تسعة عشر، فاعتبروا يا اولى الابصار.

(نورى)

ص ٣٤٤ س ٢١ اشارة فى وجه الى اللجنة النباتية بسبب تعديل القوى السبع الطبيعية مع تفاوت درجات ذلك التعديل، والتعديل مطلقا لا يتيسر الا بالتقوى، فاستبصر.

(نورى)

ص ٣٤٦ س ١٤ المراد من العماء ههنا حسب ما روى عنه عليه وآله انه حين ما سئل عنه اين كان الله قبل ان يخلق الخلق؟ قال صلى الله عليه وآله: كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، هو النفس الرحانى الذى هى رحمته التى وسعت كل شىء، وهو اصل البعد المجرد الذى عبر عنه ههنا بالفضاء الذى لا غاية لكماله، لكونه طى الامكنة الجسمانية الظلمانية الفرقية التى تحصل وتكثرها بالاطراف والسطوح، ومن جهة التكثر واعتبار التفرق قيل بان المكان هو السطح المقعر للحواس وفيه جمع بين الحقين، فافهم ان شاء الله.

والمراد من قعر ظلمات الازل هو الهيولى الاولى الكلية لاسيما العرشية، ومن الظلمات الوجودات الهيولانية وباعتبار المضى يعبر عن الوجود الهيولانى بالازل، وباعتبار الاستقبال يعبر عنه بالابد، فكل مرتبة منه يجرى فيه الاعتباران كما لا يخفى على اولى النهى، والمراد من جبل الازل جرم العرش او الجرم الكلى بما هو بدن الانسان الكبير، ويمكن ان يراد منه عقل الكل والروح الاعظم وهو عين الحياة ونهر الزمان يخرج من تلك العين الحية بعين خروج النفس الكلية منها، والابد فى مقابله هو مقام قاب قوسين الذى يقابله فى القوس الصعودى، فاحسن التأمل فى كل ما اظهرنا ايماء وافهم واغتنم.

(نورى)

ص ٣٤٧ س ١٣ يعنى ان الوجود الحقيقى الذى به يطرد العدم عن الاشياء كلها لا يتعدد اصلا، والتعدد فى الوجود الذى يترا اى انما هو مجرد الوهم الكاذب لا تأصل له اصلا، وكيف لا؟ وحقيقة الوجود الصفر لا تتعدد ولا تتكثر ولا تتجزئ، فكلما يترا اى فى جليل من النظر من تعدد الوجود واشتراك مفهومه حقيقة بين الوجودات فهو مجرد وهم

كاذب ، بل اشتراك الوجود انما هو ضرب اخر من الاشتراك مع وحدته الصرفة . يا من كل شئ موجود بك ، وبون ما بين الوجود وفعله ، فان العلول لا يمكن ان يكون من طبيعة العلة ، ودرك هذا مشكل جداً .

(نورى)

ص ٣٤٧ س ١٩ المراد بالوجود الوهمى ههنا هو الوجود المقيد ، فحينئذ لا منافاة بين كون علوه سبحانه ذاتياً له وبين كونه اضافياً بالوجه الذى قرره قدس سره هنا ، واياك ان تحمل كلامه ههنا على ظاهر ما يترا اى منه ، فان فيه سرا غريباً قل من يهتدى اليه ، وظاهر ان ظاهر ما يترا اى كفر بحت ، وامثاله قدس سره منزهون عن امثال ذلك ، والوهم هنا كناية عن المدارك الجزئية وان كانت عقول الافاضل من الحكماء ، ففتنوا .

(نورى)

ص ٣٤٨ س ١ هذه اللطيفة الثالثة والثانية من لطائف الغوامض الالهية ولاتنافى بينهما عند من له ربط بمرموزات الحكمة النضيحة ، ولكن درك حقيقة ما ارادوا منها عزيز جداً ، ولقد اومأنا فى التعليقة السالفة لها ايماء وافياً لاهله غير كاف لغيرهم .

(نورى)

ص ٣٧٣ س ٢٠ فى الخبر المروى عن المفضل بن عمر فى التوحيد المشتهر بالاهليلجية من جملة ما قال عليه السلام ما هو هذا بعبارة : ونحن بحمد الله على النعم السابعة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة ، فكان من نعمه العظام والائه الجسام التى انعم بها تقريره قلوبهم بربوبيته واخذه ميثاقهم بمعرفته وانزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما فى الصدور من امراض الخواطر ومشتهيات الامور ، ولم يدع لهم ولا شئ من خلقه حاجة الى من سواه واستغنى عنهم وكان الله غنياً حميداً ، ولعمرى ما اتى الجهال من قبل ربهم وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البيئات فى خلقهم وما يعاينون من ملكوت السموات والارض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع ، ولكنهم قوم فتحوا على انفسهم ابواب المعاصى وسهلوا لها سبيل الشهوات ، فغلبت الاهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم

عليهم ، وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين ... الحديث بطوله فى نظمه العجيب الغريب الذى يشهد بانه لا يمكن ان يصدر الا عن مثله عليه السلام . وانى اقول : ان فى قوله عليه السلام : تقرير قلوبهم ، يعنى قلوب اهل الجحود تقريراً وتحريراً للمقصود من اخذ الميثاق ، فاعتبروا استبصر ولا تغفل ، والوجه فيه : ان النهاية عين البداية ، ومن ثم قال تعالى : فذكر ان نفعت الذكرى ، فافهم ان كنت اهلا ، وفى ما اشرنا سر جليل وبالطلب جدير ، فليأمل فيه .

(نورى)

ص ٣٨١ س ١٤ اي المساحة المكانية والامتداد المكاني والتقدير الزماني والامتداد الغير القار المنقسم الى حدى الاستقبال والحال والمضى ، والعالم الخلقى الامتدادى متغير دائر زائل لابقاء له الا بنحو الاستمرار التجديدي والحركة الجوهرية على ما هو الحق .

(نورى)

ص ٣٨٦ س ٩ قال تعالى : والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا ، وهذه المجاهدة ليست بمجرد الفكر والروية ، بل المراد المجاهدة الكبرى التى يتيسر بالعقل وجنوده مع الجهل وجنوده ، وكيف لا ؟ ولقد قال تعالى : اتقوا الله يعلمكم الله ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ورزق الروح هو العلم كما ان رزق الجسد هو الغذاء المعروف المحسوس ، وهذه الطريقة اى طريق المجاهدة الكبرى انما هى طريقة الانبياء والاولياء بخلاف طريقة مجرد البحث والنظر والقييل والقال فانها طريقة اصحاب الاستبداد والرأى من دون متابعة الانبياء والاولياء ، وطريقة هؤلاء ليست بطريقة الاستقامة والاستواء ولا يؤدى الى اصابة الحق فى الاغلب كما هو ظاهر من عقائدهم الباطلة فى الاغلب وارئهم الفاسدة بخلاف طريقة اولئك الاكابر عليهم السلام .

(نورى)

ص ٣٨٧ س ١٣ هذا الذى افاده الشارح قدس سره فى المقام وان كان حقاً ولكن حق الحقيقة ههنا هو ان يقال : انه ليس بداخل فى البدن كدخول شىء فى شىء ولا خارج عنه

كخروج شئ عن شئ وهكذا في الاتصال والانفصال وسائر الاحوال كالمقارنة ومقابلتها والمباينة ومقابلتها وامثالها ، بل البدن بما هو بدن فاقرة الذات الى الروح ، تعلقى الهوية به ، مستهلك فيه آئل اليه ، غيره بالصفة ، عينه في مقابل العزلة ، فافهم .

(نورى)

ص ٣٩٣ س ١٧ يعنى مطلق الصفة ومطلق ما يحمل عليه سبحانه وتعالى شأنه ، سواء كانت حقيقة كمالية سلبية او ثبوتية او اضافية غير كمالية وليس المراد من قوله في الاضافات والسلوب ما يتراى من ظاهره ، والدليل عليه قوله وهى النسبة المعنوية والترتيب العقلى ، وكيف لا ؟ ولقد قال قدس سره بُعيد هذا : فللنفس مناسبة ... الى آخره ، واخذ السلوب انما هو باعتبار اثبات المناسبة فى الذات ، فالامر ههنا مرموز فاعتبر .

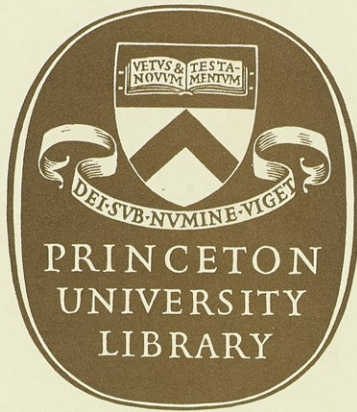
(نورى)

ص ٣٩٣ س ٢٠ لا يخفى ان المضاهاة فى السلوب والاضافات ان اعتبرت بانها مضاهاة شئى لشئى فهو سبحانه وتعالى منزه عن المثل بهذه المضاهاة ، وان اخذت لابهذا الوجه بل بانها مضاهاة لا كمضاهاة شئى لشئى وتناسب لا كتناسب شئى لشئى ، بل قول بالتشكيك ولكن التشكيك الخاصى الذى لا يعرفه الا الرجل الخاصى ، ومحصله : ان المعنى السلبى والاضافى الذى يعتبر عليه سبحانه وعلى النفس الانسانية بضرب من التشكيك يقال عليه بضرب من الحقيقة وعليها بضرب من المجاز والتبعية ، اذ البينونة بينهما بينونة صفة لا بينونة عزلة ، وهو سبحانه شئى بخلاف الاشياء وهو الشئى بحقيقة الشئىة فاستبصر .

(نورى)

ص ٣٩٣ س ٢٣ هذا لا ينافى ماورد عنهم عليه السلام من كونه هذه الصفة التنزيهية ، وهذا النحو من التقديس والتنزيه من خواصه سبحانه وتعالى شأنه ، اذ هذا التقديس ، نائب له تعالى حسب ماورد بالنسبة الى جملة الاشياء محسوسها ومعقولها ، بخلاف النفس المجردة فانه ثابت لها بالنسبة الى محسوساتها لا غير ، فانها من جملة المحسوسات من العالم وداخلة فيها كدخول شئ فى شئ ، فاستبصر .

(نورى)



WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
SEPT.-OCT. 1992
We're Quality Bound

کافی جامع مطالب مهم در اساسیترین موضوعات علوم اسلامی و از نظر ضبط حدیث و احتوای بر میراث اهل بیت و گنجینه معارف اصیل دین محمدی در حد اعلای امتیاز و اعتبار است و از این رو در قرون متمادی مرجع محققان و نقادان اسلامی بوده است.

در میان کتب کافی «کتاب توحید» به جهت اشتمال بر مناظرات امامان ما - علیهم السلام - با گروههای گوناگون، از مشرکان و دهریان و متکلمان قشری عامه و جز آنان، به طریق استدلال و احتجاج و گاه جدل احسن ممتاز است.

به دلیل اهمیت استثنایی و غموض مباحث این کتاب و تعقید لفظی یا معنوی برخی از احادیث منقول در آن، صدر المتألهین به شرح آن همت گماشته و ضمن گشودن گره‌های آن افاداتی افزوده و آن را ذیل داده و بدین سان اثری بس ممتع و حربه‌ای بس مؤثر برای مقابله با منکران پدید آورده است.

در این شرح، گزیده سخنان راسخان در علم دین و زبده مشارب حکمای متأله و مفاتیح رازهای سر بمهر آیات قرآنی و انوارهای فرقانی و تأویل احادیث نبوی و اسرار کلمات ولسوی به احسن وجوه ابلاغ شده است.